عباس حسن الحسينى

دستور المهن فى الاسلام

الهيئة المصرية العامة للكتاب

نموذج رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر الشريف
مجمـع البحـوث الاسـلامية
الادارة العــامة
للبحـوث والتأليف والترجمــة

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Transla...

٦٢٢٩

السيد / عباس حسن الحسيني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وبعد :

بناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : دستور المرأة في الإسلام
تأليفكم

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبع .

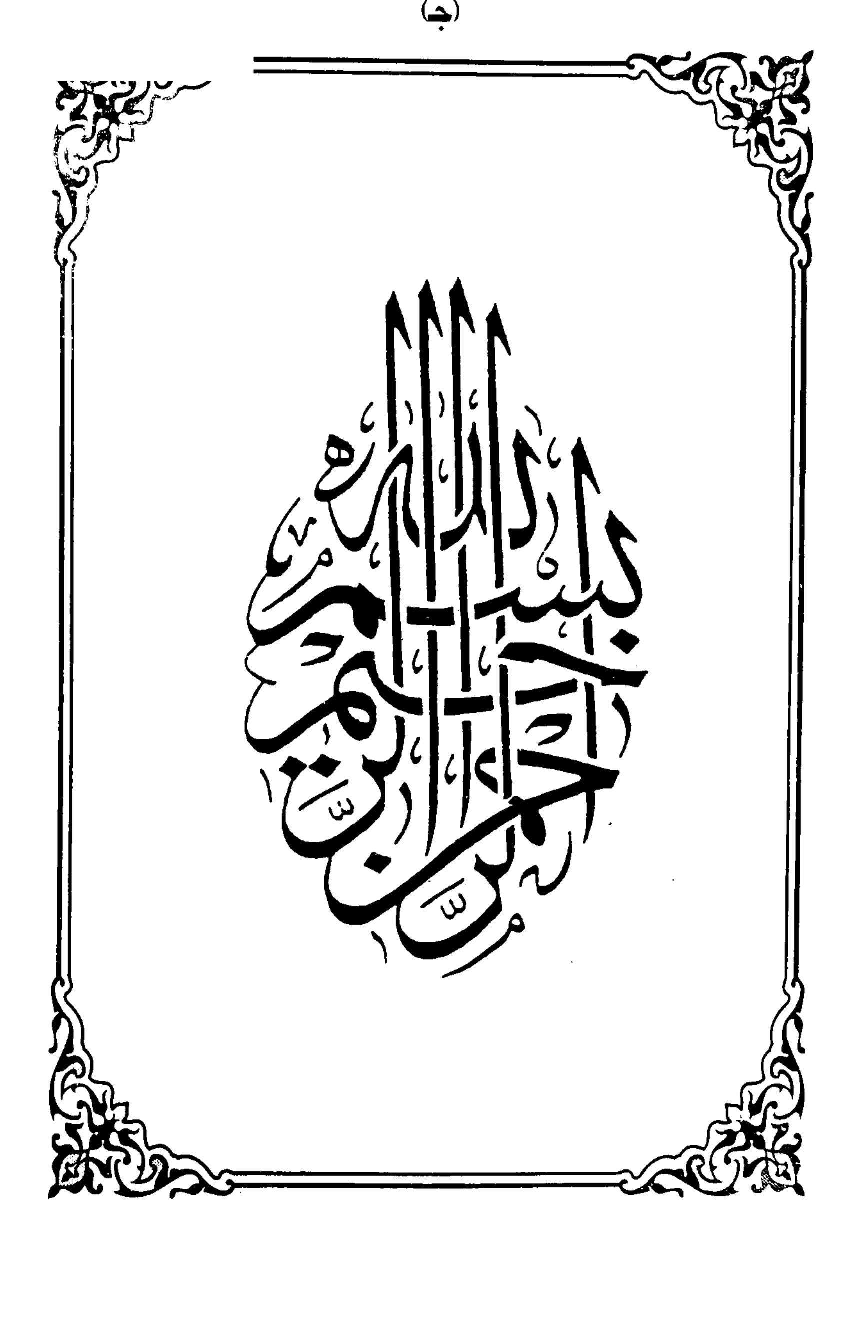
والله الموفق ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

مدير عام
ادارة البحوث والتأليف والترجمة

٩٨/٧/٨

تحريرا في ٧/١٦/ ١٤١٩ هـ
الموافق ١٠/٧ /١٩٩٨م


بسم الله الرحمن الرحيم



أهدى هذا الكتاب ليتأسى به جميع المهنيين فى مهنهم المختلفة مهتدين بسيرة من سبقونا من الصالحين فرفعوا لواء الإسلام الذى أضاء ما حولهم واستناروا وأناروا لغيرهم الطريق.

والله الموفق لما فيه الخير،

عباس حسن الحسينى

تقديم

الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.... أما بعد

فهذا كتاب عن «دستور المهن فى الأسلام» وموضوع هذا الكتاب من الموضوعات الهامة التى يعنى بها الإسلام؛ لأن الإسلام دين ودولة، وعقيدة وشريعة وأخلاق، والقرآن الكريم هو تبيان لكل شئ.

وقد تناول المؤلف الولاية والحكم، والعلم والتعليم، والدعوة، والقضاء، والمحاماة، والدبلوماسية، والجندية، والشرطة، والتوظيف، والعمل، والعمالة، والفن، والطب، والتجارة، والهندسة....

ومما لا شك فيه أن للإسلام توجيهه فى شئون الحياة المتعددة، ولا يخلو جانب من جوانب الحياة إلا وللإسلام توجيه وارشاد فيه، من أجل إصلاح الحياة والأخذ بيد العاملين إلى حياة أفضل، وإلى صورة أكمل، وان هذا الكتاب يعتبر هاديا ومرشدا لجميع العاملين فى سائر نواحى الحياة، لأنه استقى توجيهاته من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

ويوضح الكتاب أن الإسلام متصل بشئون الحياة يعالجها ويرقى بها إلى مراقى المجد والفلاح.

فشكرا لله تعالى لمؤلفه الاستاذ عباس حسن الحسينى على هذه الجهود الموفقة، وأدعو الله تعالى أن يوفقه دائما إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين وبالله التوفيق.

أ.د/ أحمد عمر هاشم

تقديم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

أمـا بعـد،،،

فما أعظم شريعتنا الإسلامية الغراء، في كمالها، وعمومها، وشمولها جميع مناحي الحياة، بالضبط والتنظيم، والإرشاد والتوجيه، إلى ما يكفل للناس صلاح حالهم في الدنيا، وحسن مآلهم في الأخرة، وهؤلاء الناس في حاجة دائمة إلى العلماء والمجتهدين الذين يعكفون على دراسة هذه الشريعة العظيمة، ليستخرجوا كنوزها، ويستظهروا خفاياها ومكنوناتها، ثم يتناولوا ما استخرجوه واستظهروه بالشرح والتبسيط، بروح العصر ولغته، ليسهل على عامة المسلمين فهمه، فيتزود كل منهم بما يعينه على أداء رسالته في الحياة، مستظلا بمبادئ دينه الحنيف، مبتغيا مرضاة ربه مستعينا به، ملتزما بأوامره ونواهيه، فيطيب نفسا، ويقر عينا، بما قام به -في طاعة الله- من عمل، وبما حققه -بتوفيق الله- من نجاح في رسالته.

ومن هذا المنطلق جاء الكتاب الذي بين يدينا «دستور المهن في الإسلام» لمؤلفه الأستاذ عباس حسن الحسيني، يتناول بأسلوب شائق، ولغة سهلة، جانب العمل «المهنة أو التوظيف» في حياة المسلمين، رعاة ورعية، حكاما ومحكومين. موضحا أن الإسلام دعا إلى العمل، بل وإلى إتقان العمل، وأن الإسلام لا يستهين بأي عمل مهما

كان بسيطا، فكل مسلم يؤدي دوره في منظومة عمل واحدة فالحاكم والوزير والمدير والموظف الصغير والطبيب والمهندس.... الخ لا غنى لأحد منهم عن الآخر كما يقول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة ●●● بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وكل عضو لأمر ما يمارسه ●●● لامشى لكلف بل تمشى بك القدم

فكل منهم مكمل للآخر، وإذا أتقن كل مسلم عمله في موقعه، كانت النتيجة رجاءاً وازدهارا، وتقدما وحضارة، وأمنا وسلاما اجتماعيا، واجمالا فقد أحسن المؤلف الاختيار والتذكير بأهمية العمل وضرورية اتقانه في جميع المهن والوظائف، ونرجو أن تحسن الأمة الأخذ، بما حواه هذا الكتاب من عظات وعبر، ونصائح وتوجيهات لكل فئات المجتمع الإسلامي، وجميعها مستمدة من شرع الله عز وجل وهدى نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

وندعو الله عز وجل أن يفيد بهذا الكتاب كل من قرأه، وأن يجزي مؤلفه خير الجزاء، الذي كان رائده في هذا العمل الإيمان بالله تعالى، وترسم قوله الحق: «كنتم خير أمه أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله». صدق الله العظيم.

الأمين العام

لمجمع البحوث الإسلامية

«سامي محمد متولي الشعراوي»

تقديم فضيلة الاستاذ الدكتور إبراهيم البطاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

شبابنا اليوم ظلمة عصره بما هيأة له من ثقافة وإعلام لم ير من الدنيا غير المادة والجنس والشذوذ من أبوابها الحرام أو المشبوهة - فى أحسن الأحوال - فى الوقت الذى ضيق فيه أباطرة التعليم زاد الروح من مصادره الحقة فى تعاليم الدين السمحة ، فخططوا لذلك خططا ومناهج اختزلت المعارف الإسلاميه إختزالا أصابها بهزال جعل منها دمية شجيّه توشك أن تزول بفعل ضغوط خارجيه تصر على رفع أسعار السلع ومقومات الحياة بينما تصر على خفض مناهج الدين وحفظ القرآن ومناهج لغة القرآن والأخلاق والتربيه السوية التى تخزج الأجيال المؤمنة بربها والمرتبطة بوطنها فى جميع مؤسسات التعليم العامة أو المسئولة عن الدين ، لتفسح لغزو ثقافى وحضارى ردئ تفرضه علينا دول العولمـة فرضا بديلا عن ثوابت قيمنا وحضارتنا المجيدة .

من هنا كان تشجيعنا و تزكيتنا بكل جهد مخلص لبعث تراثنا الخالد من مراقده فى صيغة سهلة ميسرة تستخدم لغة العصر ومفرداته فى معالجة جوانب حياتنا المعاصره من غير انحراف ولا جمود ولا إسراف ونشر ذلك بثمن زهيد يتيحه لقطاع كبير من الشباب لملء فراغه الروحى وتغذية تطلعاته الإيمانيه لوقايته من التردى فى الشكوك والإنحراف والضياع ، فى وقت خلا من عمالقة عظام كانوا منارات هداية ، وأسود جهاد على كل ثغر من ثغور الإسلام .

ومن هنا كان سرورى عظيما حين عرض على صديقى الاستاذ عباس الحسينى باكورة أعماله وسياحاته فى كنوز المعرفة الإسلامية ، وخطته فى أن يجعل منها موسوعة للمعارف الإسلامية سهلة ميسرة موجزة يختصر من قراءاته

فيها ما رأى أهميتة لتجديد البناء الإيمانى لدى الشباب والدارسين على السواء فى العقيدة والحياة الإجتماعية والأخلاق والمعاملات الاسلامية التى بدأها بكتابه عن «الإلاهيات» والذى أشار فيه إلى عظمة الله تعالى التى نشاهدها فى مخلوقاته وكونه المنشور على حد قول القائل :

ووفر كل شئ وله آية ۝ تدل على أنه الواحد .

ثم أتبع ذلك بكتاب عن (دستور الحياة) فى الأخلاق والمعاملات والأسوة ، وبعد ذلك كتابه عن (دستور النساء) فى السبيل المثلى لاختيار الزوجين ومعاملات وواجبات أفراد الأسرة . . . واتبع ذلك بكتابه عن : (دستور الشباب) : القيم والأنشطة والمشكلات والتحديات والجهاد . . . ثم كتابه الخامس من الموسوعة عن (الفضائل فى القرآن) مما ينبغى للمسلم أن يعرفه ويتحلى به من كريم الأخلاق . . وأتبع ذلك بالكتاب السادس عن (الحكم والمواعظ والأمثال فى القرآن) وجاء الكتاب السابع عن «الفضائل فى أحاديث الرسول» .

وهذا الكتاب الثامن الذى نقدمه له عن (دستور المهن فى الإسلام) والذى نعتبره لب الموسوعة حيث التزم فيه بمنهاج عرض فيه الأسس التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى فى أخطر مرافقه وجوانب حياته بدأها بمهنة (الولاية والحكم) وشروط الإسلام فيمن يختار لحكم الأمة وضرورة علمه بدين الله : فهو الحاكم والمعلم والمربى والمصلح والعادل وماعليه من واجبات وماله من حقوق . . . ومسئوليته عن حكامه ووزرائه وحاشيته وولاته من حيث الدين والكفاءة والمهارة واليقظة الساهرة من أجل مصالح العباد وأمن الوطن ورعاية المواطنين ، ومحاسبة الحاكم عن أخطائه ، ومتى يعزل ، وأسس الحكم فى

الإسلام ، وعلاقة الدين بالدولة وهى علاقة أبدية لانفصم عراها أبداً ، والدعوة إلى وضع دستور إسلامى تسير عليه الحكرمات المعاصرة مع الجدية فى تطبيق الشريعة الإسلامية . . . . إلخ هذا وختم الفصل بأنموذج للحاكم المسلم العبقرى (عمر بن الخطاب «ض») .

وهكذا أفرد المؤلف أبوابا فى كتابه عن العلم والتعليم فى الإسلام والدعوة والقضاء ومهنة المحاماة فى الإسلام والتى لم يجد من أفرد لها بالتأيف قديما حيث أنها أقرت مع القوانين الوضعية ، وذهب يتلمس مصادر للمهنة حتى استطاع أن يكتب عنها من مواقف الأنبياء السابقين مثل (موسى وهارون) وكذلك عند الأمم السابقة ، وكيف أن الدفاع عن الجانى أو إيواءه متى ثبت جرمه - حرام - . وهكذا سائر الأبواب من الدبلوماسية إلى الجندية والشرطة والتوظف والعمل والإعلام والفن والطب والتجارة والهندسة . . . وكل ذلك بذل فيها مجهودا طيبا فى المراجع والتنظيم والتحقيق بلغة عصرية سهلة شائقة أهداه لمن أراد التأسى بسير السلف الصالح فى كل مهنة أو ردها .

لقد سبق علماء أجلاء فى التأليف عن المهن المعروفة حتى وقتهم مثل الكنانى ، والقلقشندى المصرى ، والحسن على المعروف بالجزاعى التلمسانى . . إلا أن مؤلفنا طرق موضوعاته من جوانبها الواقعيه بمجتمعنا المعاصر وأتى لها باستدلال القدوة وحبب فيه . ثم ذكر نماذج فى الأسوة الحسنة لشيخين جليلين من عصرنا هما الإمام الداعية المحبوب (الشيخ محمد متولى الشعراوى) ، وشيخ الإسلام الشجاع القدوة فى التواضع ودماثة الأخلاق وعفة الخطاب الإمام الراحل (الدكتور عبد الحليم محمود) غزالى القرن الرابع عشر . . . وذكر من تاريخهما ومواقفهما الشجاعة الخالصة لله تعالى مايوضح القدوة لطالبى الهداية والأسوة - رحمهما الله سبحانه بواسع رحمته .

ومما يوضح به المؤلف غايته ومنهجه فى تأليف الكتاب لينتفع به المجتمع الإسلامى ، استشهاده بعبارة قالها صديقنا المفكر العالم الدكتور محمد البهى رحمه الله فى مجلة الإسلام قال فيها : «وإذا كان يختفى منّ حياة الإنسان المعاصر إله السماء ، خفت فيها نوازع الخير واضمحل الباعث عليه فى نفس هذا الإنسان . . وبالتالى قويت دوافع الانتقام والسيطرة عنده بدلا من أن تقوى دوافع الإنسجام بينه وبين غيره» . . . وتحققت فراسة أستاذنا الكبير «الدكتور البهى» فيما نرى الآن من ظلم القوى الكبرى للدول الصغرى ونهب كنوزها وتراثها وقهرها على التبعية والإنتماء وترك تراثها الدينى بكل الوسائل والضغوط السياسية والاقتصادية والاعلامية .

ويلخص المؤلف غايته من تأليف الكتاب بقوله «وجدنا الرسول (ﷺ) يوجه إهتمامه إلى تربية المسلم على الخشية من الله فى سره وفى علنه ، ووجدنا تعاليم الإسلام قائمة على إشعار المسلم بأنه لبنة فى بناء الأمة وعضو فى جسمها الكبير وكل فرد من هذه الأمة مسئول عن المجتمع كله وعن منابع الحياة كلها» .

والمؤلف مع بساطته عميق الإدراك ، مهذب الكلمة ، واسع الأفق ، رقيق المشاعر . . . نسأل الله سبحانه أن يعينه على إتمام هذا العمل المفيد ، وأن ينتفع به القائمين على أمر الأمة ، وأن يجعل عمله خالصا لوجهه الكريم ، ويجزيه به كفاء ما بذله فيه من جهد ووقت .

إبراهيم البطاوى
ابراهيم البطاوي

أ .د التصوف والعقيدة السابق
بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله بعثه الله رحمة للعالمين، ومنارا للسائرين، وهاديا للحائرين.. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الهدى، وينابيع الرحمة، والصفوة من المؤمنين الصادقين.

أما بعد... فإن المسلم المؤمن هو الذى يتبع أوامر الله سبحانه ويبتعد عن نواهيه.. فيكون منهجه فى حياته هذا السلوك فى كل ما يتصل بشئون عمله سواء كانت خاصة أو عامة.. لا يستهدى إلا بها وتنتظم أموره جميعا على مناهجها.

فإذا تعامل مع الناس فى عمله يستحضر هيبة الله الذى منحه هذا العلم أو المهارة فى العمل، لأنه هبة من الله وجب عليه شكرها بوضعها فيما خلقت له، وكان هو أمينا عليها مسئولا أمام الله.. تصديقا لما قاله الله : إن الله يحب المحسنين وكلمة «يحب» هنا لها معنى مأخوذ من الحَبْ.. والحب هو ما يثمر فينتفع به زراعة.. وينتفع الناس بما زرعه، فيعم الخير على الجميع فالإنسان المسلم الذى أسلم أموره كلها لله وينفذ تعاليمه بما يرضيه سبحانه.. مثله كمثل المستند على شئ ثابت لا يهوى به فيجعله مستقبلا للأمور بما يعود عليه والناس بالنفع.. أما سواه فقد نهى الله عنه فى كتابه العزيز حين قال: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾(هود ١١٣)

ومعنى النار هنا ليست ما تحرق فقط، ولكنها تشمل أيضا نار الخيبة حين يفشل.. والصحة حين تذهب.. والمال حين ينفذ.

وهذه الصورة واضحة لما يجب أن يسير عليه الناس وينتهجوه فى كل ما يشمل حياتهم فيسعدون فى الدنيا والآخرة وذلك سر روعة الحضارة الإسلامية التى سادت قرونا عدة وانتفع بها الناس وكانت هاديا للبشرية، وسببا فى النهضة الحديثة التى يتباهون بها الآن.. وهى من نبع الحضارة الإسلامية، التى استقاها علماء الإسلام والمسلمون جميعا من تعاليم الله التى أرادها لخير عباده.

فكل من سار على هذا النهج نعتبره عالما إسلاميا أو عاملا إسلاميا.. وما سواه فسوف يستقى من مصادر غير نبع الله... وهذا سر ما نعانيه الآن من مشكلات، رغم ما يدعونه من أصحاب الحضارة الحالية... إنما يبتغون فيما هداهم الله من اكتشافات علمية نفع أنفسهم دون نفع الناس عامة حتى لو أدى الأمر إلى تدميرهم دون وعى منهم.

قال الدكتور محمد البهى فى مجلة رسالة الاسلام « هذا وإذا كان يختفى من حياة الإنسان المعاصر إله السماء خفت فيها نور الخير وأضمحل الباعث عليه فى نفس هذا الانسان وقويت بواعث الأثرة.. وبالتالى قويت دوافع الإنتقام والسيطرة عنده، بدلا من أن تقوى دوافع الإنسجام بينه وبين غيره.

فلم يقف إستخدام هذه المعرفة الطبيعية والرياضية التى هدى اليها عند حد النافع منها لخير البشرية، ورفع مستوى الأفراد صحيا وعقليا، وخلقيا، بل تعدى ذلك إلى إختراع من وسائل الهدم والتدمير أكثر فقط من وسائل البناء والراحة والصيانة، بل إن ما أنفقه على تلك المخترعات يزيد أضعافا مضاعفة على ما ينفقه فى الحياة المدنية ورخائها المنشود للأفراد والمجتمعات. لذلك فقد استغنى بمخترعاته عن الإستعانة بالله، وخدع نفسه بأن أصبح رب هذه الأرض، لأنه يملك علم ما فى الأرض وكذا علم ما فى السماء.. !!

والويل لهذا العالم من هذا الغرور!!

إن قضايا كثيرة فى تاريخنا المعاصر وفكرنا تحتاج إلى إعادة تقييم ونظر وتصنيف، وكثير أولئك الذين يتحركون فى أماكنهم بدون طائل، ويستهلكون جهد الناس وعواطفهم باهتمامات مزيفة أو موهومة.

إنه يجب أن نلقى الأضواء الكاشفة على مواطن العمل والبناء فى كل مهنة من مهن حياتنا، متخذين قوام الإسلام بركنيه - القرآن والسنة - مصدرا لهذه الاضواء وهاديا لنا. قال الله تعالى : ﴿ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ الفتح ٢٣.

وقال ﷺ (.. فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة...)

* إن طبيعة العيش فى هذه الحياة، وانتظام الأمور فيها، تقتضى أن تتوزع الأعمال والأعباء بين الأفراد، بحيث يكون لكل إنسان إختصاص ومهنة وعمل يقوم به: الزارع فى مزرعته، والعامل فى مصنعه، والتاجر فى متجره والموظف فى ديوانه، والجندى فى ميدانه، والقاضى فى محكمته، والمدرس فى مدرسته، والطبيب فى مستشفاه أو عيادته، والحاكم فى دائرة حكمه، كل عليه واجب وله إختصاص يجب أن يشعر به شعورا كاملا، ويؤديه فى إخلاص وإتقان.. حتى فى المجتمع الصغير فى البيت تلقى على عاتق كل فرد فيه مسئوليات يجب أن يحسن القيام بها، متعاونا مع من حوله وبذلك يتكامل بنيان المجتمع، وتقوى أركانه ودعائمه، ويحس كل فرد فيه من الراحة والطمأنينة ما يدفعه إلى عمله، وإلى بذل جهده فى إجادته وإتقانه.

إن المجتمع كالبناء الكبير لا يقوم إلا على قوة أعمدته وسلامة كل جزء فيه يؤدى وظيفته.. وكالماكينة لا تعطينا إنتاجها إلا إذا كان كل جزء فيها سليما يؤدى وظيفته متضامنا- من حيث لا يشعر - مع بقية الأجزاء فسعادة المجتمع ونهضته متوقفان- اذن- على إحساس أفراده بمسئوليتهم وإخلاص كل واحد منهم فى بذل أقصى طاقته فى القيام بواجبه.

وبمقدار هذا الإحساس والإخلاص تكون سعادة مجتمعهم، وبالتالى سعادتهم فى حياتهم.. لأن المجتمع ما هو إلا الأفراد مجتمعين، وكل جهد يبذله الواحد منهم فى عمله يعود عليه نفعه.. وكلما أحس الانسان ان حقوقه مؤداه، وإن المجتمع حوله يوفر له مصالحه، ويؤدى اليه حقوقه، كان أكثر إنصرافا لعمله، وإجادة له، وهكذا يأخذ الانسان فى مجتمعه بقدر ما يعطيه.

على أنه إذا كان كل فرد عليه مسئوليات نحو مجتمعه، إنه مما لاشك فيه إن هذه المسئوليات تتضخم كلما اتسعت دائرة أعمال الإنسان، وكلما كان يملك من السلطان ما يستطيع به التوجيه أو البت فى مصالح الناس، ومصير المجتمع. فليس الذى يتحدث للناس فى حجرة، كمن يتحدث لهم عن طريق الإذاعة أو التليفزيون.

فالعامل فى الحقل والشركة والمصنع يبنى، ومن عمله وعمل غيره يشمخ البناء العظيم، بناء الدولة الإسلامية، فالتفريط فى حياة العامل، إنماهو سبيل الفقر والتخلف، والعجز والمعاناة، والقائمون على وظائف الدولة، أيا كان نوعها، القى الله فى أعناقهم حياة أمتهم، واصطفاهم ليكونوا ربان سفينتهم، ولن تصل سفينتهم إلى الشاطئ إلا إذا أحسنوا قيادتها، وتجنبوا أسباب الزلل فى توجيهها، فما يحل لأحدهم أن يذهب إلى عمله متأخرا، ولا أن يخرج منه قبل انتهاء موعده، ولا أن يضيع منه لحظات فى كسل أو حديث غير مطلوب، ولا أن يتساهل فى إقرار العدل، والمساواة بين ذوى الحقوق، والذين يدخلون فى إقامة عملهم عنصرا غير الكفاية والحق ظالمون غير أكفاء لما حملهم الله من أمانة، الشرطى مسئول عن توفير الأمن، ورد البغى وردع الظلم، غير ناظر إلى ما فى أيدى الناس، ولا متطلع لجزاء إلا ما قضت به الدولة، فلا غفلة ولا محاباة ولا رشوة، فكل ذلك خيانة جسيمة ينقص بها صرح الحياة.

والمعلم والطبيب كلاهما يحمل على كاهله واجبا يعجز البيان عن شرحه، فالمعلم يكاد يكون رسولا، فلا ينبغى أن يخالف نشاطه لغبن أو عناء، والله جعله كفيلا بتعليم

النشئ وتربيته والأخذ بيده إلى صراط مستقيم، فهو أب آخر، ربما- لو كان نموذجا رفيعا فى السلوك- كان أقرب للتلميذ من والده. والطبيب إنسان مادام يحس بالمريض فيخلص فى علاجه، ويتحرى شفاءه من أيسر السبل، وأقل التكلفة، وفى طليعة المسئوليات الجسام ما يحمله المعلم والطبيب، وتخف جريمة الناس إذا قيست بما يأتى به بعضهم من إهمال أو جشع أو غش أو تفريط.

مسئولية كل فرد فى الوطن الإسلامى أن يكون على منهج الله، لا يخادع ولا يزيف، ولا يستغل، ولا يطالب من الدنيا إلا ما أحله الله.

كل فرد فى الأمة مسئول عن نفسه بإعتبارە لبنة فى صرح المسلمين، ومتى سلمت اللبنة، وأحكم وضعها، كان الصرح على إمتداد الدنيا شامخا قويا لاتفله عاديات الزمن ولا معاول الأعداء.

ومصدر الإحساس بهذه المسئولية والعمل على أدائها قد يكون الخوف من سلطة الرئيس، أو سلطة القانون، وهو فى هذه الحالة يكون إحساسا مهزوزا يوجد أو يقوى حينا، وينعدم أو يضعف حينا آخر حسب إشراف الرئيس ومراقبة القائمين على تنفيذ القانون. وقد يكون نابعا من ذات الإنسان. من ضميره ، من دينه ، من شعوره بان الله يراقبه ويعد عليه خطواته ويحاسبه على نياته: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (المجادلة ٧)

وهنا يحرص الإنسان على أداء ما عليه من مسئوليات فى إخلاص، وجد الرئيس أم لم يوجد، إشراف القائمين على تنفيذ القانون أم لم يشرفوا، لأنه يراقب الله فى عمله، ويخشاه ولا يخشى أحدا سواه، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ومن هنا نضمن سلامة الأعمال وقوة البنيان.

ولهذا وجدنا الرسول ﷺ يوجه إهتمامه إلى تربية المسلم على الخشية من الله فى سره وعلنه، ووجدنا كل تعاليم الإسلام قائمة على اشعار المسلم بأنه لبنة فى بناء الأمة، وعضو فى جسمها الكبير، عليه أن يكون قويا فى نفسه، ثم يؤدى ما عليه لأمته.. فهو لا يؤمن حتى يشعر بشعور أخيه، وحينئذ يدفعه هذا الشعور إلى أداء ما عليه من مسئوليات نحوه، وهو راع فى كل عمل يطلب منه، ومسئول عن رعيته و(الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه).

وأولى المسئوليات وأدناها نحو الجماعة مسئولية الرجل فى بيته، وأضخم المسئوليات مسئولية الحاكم الذى تتجمع فى يده مصائر أمته ومصالحها، أو مسئولية المجالس النيابية التى تملك حق إصدار التشريعات، ومحاسبة المقصرين فى أعمالهم مهما تكن مراكزهم، ولهذا وجدنا الرسول ﷺ يبدأ بمسئولية الرجل عن رعايته لبيته وينتهى عند مسئولية الإمام أو الحاكم العلم عن رعيته.

يقول ﷺ **(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)** عن ابن عباس «**الشيخان**»

يشير هذا الحديث إلى عاطفة المسئولين عند الرؤساء، وأن المسئولية يجب أن تكون مشبعة بالناحية الروحية بجانب الناحية المادية، لأن كلمة (راع) توحى بالحنان والعطف بجانب اليقظة والحرص على مصلحة المنتفعين والمرءوسين، وهذا هو مضمون المسئولية بمعناها الشامل الجامع.

وذلك لأن كل مدير ممن يدير عملا يتصل بمصلحة من مصالح الشعب يعتبر مسئولا أمام الله عن إنجاز هذه المصلحة والعمل على راحة المنتفعين بها كما يعتبر مسئولا عمن يعملون معه فى نيل حقوقهم وفى إنضباط عملهم وسلوكهم، فالوزير مسئول عن مراعاة مصالح الناس الذين تخدمهم وزارته، وعن موظفيها أداءً وانضباطا،

ومدير المستشفى مسئول عن مراعاة المرضى الموجودين عنده وعن علاجهم وراحتهم، وعن الموظفين فيه أداءً وانضباطا، ومدير المصنع مسئول عن مراعاة إنتاجه وتحقيق الهدف منه فى أداء الخدمة المطلوبة للمواطنين، وعن جميع العاملين فيه أداءً وانضباطا. ومدير المدرسة مسئول عن مراعاة المدرسة والتلاميذ والإداريين بالمدرسة أداءً وانضباطا.. والمدرس مسئول عن مراعاة تلاميذه وشرح المناهج لهم، وتوصيل المعلومات إلى أذهانهم، ومدير أية مؤسسة سواء كانت تربوية أو إجتماعية أو اقتصادية مسئول عن تحقيق الهدف من إنشائها، ومراعاتها لتأدية الخدمة المطلوبة منها للمواطنين، وعن العاملين الذين يعملون معه أداءً وانضباطا.

واعتناق هذا المبدأ أكبر دافع نفسى وذاتى لكل رئيس إلى الحرص على مراعاة الأعمال المطلوبة منه، ويبحث ما يقدم اليه من شكاوى والوقوف على حقيقتها حتى يطمئن على وصول الحقوق إلى أصحابها، وعلى متابعة مرءوسيه، ومحاسبة من يقصر منهم فى عمله، ومراقبتهم حتى لا يستغلوا أصحاب الحاجات، ويعطوهم حقوقهم من غير إزلال ولا إستعلاء ولا تباطؤ، كما هو مسئول عن إعطائهم حقوقهم وانضباطهم فى عملهم سلوكاً وأداءً وإنجازاً.

وكل فرد من هذه الأمة مسئول عن المجتمع كله، وعن منابع الحياة كلها، وعن المرافق العامة والمال العام، فلا يحسبن غافل أن الذى تملكه الدولة غير مملوك له، فالمعاهد والمدارس والجامعات والمساجد والحدائق، ووسائل المواصلات والطريق الذى يمر الناس به، والمصابيح وأسلاك البرق، والكهرباء، وموصلات المياه، كل ذلك وغيره مما تعده الدولة للناس وحياتهم، ليست مملوكة لفرد واحد، لكن الإستهانة بشئ منها، وإتلاف جانب من جوانبها، بل والسكوت على تمزيقها وتخريبها ذنب كبير وإثم عظيم، وبلادة إحساس لا يقف أذاها عند فرد من الناس لكنه يمتد إلى الناس جميعا.

فعلى كل مهنى موظف أو طبيب أو مدرس بل كل من يحيا على أرض الوطن أن يصون ذلك كله، وأن يكون أعز عليه من ماله وولده، فلا ينبغى أن تسكت على ماء مراق، ولا عن نور تراه فى ضوء الشمس وقد تفتقده بالليل، ولا يجوز فى عرف الدين والعقل أن تتراخى فى الابلاغ عن المفسدين المستهترين الذين يدعون الطرقات حفرا يتردى فيها الكهل والأعمى، ولا أن تهادن الذين يعبثون بالطريق العام فلا يؤدون حقه من صيانة أو عفة سلوك، وقد ناط الله بالمسلمين إزالة الأذى عن الطريق، وصيانته عن القاء القمامات فيها، وتضييق مواطن المرور بها على أية صورة كانت.

إن المؤمن يؤدى عمله لله وحده، ثم يرتقب مع مرضاته جل شأنه أن يلقى لديه الرضا والنعمة، وأن يُصَان من العنت والأذى.

وهذا الطمع فى فضل الله لا ينقص قدره، وهذا الوجل من عقابه لا ينزل به ..

كيف والقرآن الكريم يقول لرسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام ١٥)

إن أسبوع العمل فى العالم أربعون ساعة فقط استغرقت كل ما تطالب به الأمة من أعمال تثبت وجودها، وتنجح رسالتها وتعلى رايتها.. وما بقى من ١٦٨ ساعة هو لاستجمام الفرد ومرحه ولهوه، والدين لم يقاسم المرء ساعات عمره بهذا الحساب، ولم يجعل للعبادات المحضة إلا أويقات محدودة!!

ويقدر كل إنسان أن يجعل طعامه ومنامه عبادة بحسن القصد وإرادة الله وابتغاء ما عنده.

ويقدر كل إنسان أن يجعل أى عمل له فى البر أو البحر أو الجو طاعة لله بهذه النية الشريفة.

وعندما فرض الله الصلوات المكنونة جعل لها أوقاتا موسعة، وأوقاتا ضرورية.

ويمكن التنسيق الجميل بين شعائر الله وسائر الأعمال الأخرى الأساسية الذى تنطلق منه أن نعرف أنفسنا، وأن نعرف أننا أصحاب رسالة سماوية لا تنجح إلا إذا ملكت خيرات الأرض وبركاتها وطوَّعتها لخدمة هذه الرسالة..!!

إن من أهم القضايا المجتمعية التى ينبغى أن نهتم بها، هذا التدهور الهائل الذى أخذ يصيب حياتنا المهنية فى كافة صورها إلى درجة تكاد يلمسها كل مواطن فى حياته اليومية بالرغم من أنه لا تزال توجد بالقطع عناصر كفء وشريفة فى كافة المجالات، وتتمتع بأعلى درجات المهارة المهنية، والإستقامة الأخلاقية، بل ان تلك العناصر هى التى تقوم على أكتافها العمل القومى والتى تضطلع بعبء النهضة الحاضرة للإقتصاد المصرى، ولكن يظل إتساع قاعدة التدهور المهنى أمرا يدعو إلى القلق ويستوجب التيقظ والمواجهة.

وفى تفسير التدهور المهنى تلك الأمراض التى أصابت النقابات المهنية، فضعف الكثير منها، وهزل وإنحرف عن دورها المهنى: فيما تقوم به، وهو المتعلق بحماية قواعد المهنة وأصولها، وأخلاقياتها وكذلك حماية حقوق ومصالح أبناء المهنة أنفسهم بكافة مستوياتها وفئاتها.. غير أن الأمور سارت عكس ذلك فى أحيان كثيرة حتى أصبح الاعتقاد أن العديد من النقابات أدوات للصراع السياسى أو ساحات له مما دعى الدولة لوضع الحراسات على بعضها فشلت العمل النقابى بل وخربته فى أحيان كثيرة.

لقد كان الأثر المباشر والأسوأ لذلك كله هو أن تقلصت إلى حد مفزع مسئولية النقابات عن حماية المهن التى تعبر عنها، بل أن تلك الوظيفة المهنية فشلت يدها عن مراقبة ما يتطلبه التشريع العلوى واللوائح الوضعية من أخلاقيات المهنة أو محاسبة

الخارجين على أصولها أو وضع معايير ومواصفات للوافدين الجدد إلى المهنة وتحديد قواعد ترقياتهم ومتابعة تدريبهم وتحسين مستواهم.

والواجب أن نعود بسرعة فى وضع المعايير والقواعد والمواصفات التى يلتزم بها أبناء المهن المختلفة فى نشاطهم وأعمالهم بما يتمشى ويتناسب مع العصر فى تطوره وبما يؤدى إلى تنمية الفرد والمجتمع والدولة وفى حدود مصلحة الجميع أما واجب الرجل المهنى أن يؤدى عمله لله وحده ، أى لابد أن يعود سراعا إلى إسلامنا جملة وتفصيلا، ليكون مع الله، ويكون الله معه.. قال الله تعالى :

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة ١٠٥)

الولاية والحكم

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾

(المائدة ٤٩)

المحتويـــات
الولايـــة والحـــكم

(١) تعريف ونبذة عن الولاية والحكم :

الأصل فى الولاية والحكم هو الولاية وفق ما قاله الرسول ﷺ (**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**) وهذا فى نطاق اللبنة الأولى فى المجتمع وهى الأسرة، وبالتالى حين يختلف الناس يلجأون إلى ولى الأمر الذى يحكم بينهم بما أمر الله سبحانه الذى حمله المسئولية والذى يعلم الحكم الحق لأنه هو الحق ولا حق سواه.

جاء فى القاموس: ولى الشئ وعليه ولايه، وهى الإمارة والسلطان وفى مصطلح علماء المسلمين يختلف تعبيرهم عن ولى الأمر فقيل: أنهم الولاة أو العلماء، ونقل المفسرون عن أبى هريرة أنهم الأمراء والولاة وقيل أنها رواية عن ابن عباس، ويتأيد ذلك بما رواه الإمام على عن النبى ﷺ: (**على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدى الأمانة فان فعل فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا**)، ونقل الرازى: أن المراد بهم السلاطين والأمراء، لأن أوامرهم نافذة على الخلق، فهم أولوا الأمر على الحقيقة، ويقول فى تفسيره «أن المراد بأولى الأمر إجماع أهل الحل والعقد، بدليل أن الله أمر بطاعتهم جزما، قال ﷺ (**من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى**)، وعن أنس فى البخارى أن الرسول ﷺ قال (**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله**)

إن لولى الأمر مراتب كثيرة منها الإمامة الكبرى، وهى تخول فى جميع أبواب القضاء، لأنها تتناول أهلية القضاء، وأهلية السياسة العامة، فالإمام الأعظم أن يقضى ويفتى بنفسه إذا توافرت فيه الأهلية لذلك، أو بأعوانه كما له أن يجمع الجيوش وينشئ الحروب، ويصرف الأموال العامة.

وقد عنى علماء المسلمين المشتغلون بالسياسة الشرعية وعلم الاجتماع والعقائد ببيان ما يجب توافره فى الإمام الأعظم من شروط وهى فى جملتها تنحصر فى اشتراط الإسلام والذكورة والرشد والعلم والعدالة والكتابة وسلامة الحواس، على أنه ليس

بضروری أن یكون قد وصل فی العلم إلی درجة الإجتهاد ، إذ فی وسعه الإستعانة بالعلماء المتخصصين، ولا وصل فی العدالة إلی درجة الورع، بل يكفی أن يكون حريصا علی أن تصل الحقوق إلی أربابها.

والإسلام يشير فی كثير من النصوص إلی ما لكل من الراعی والرعية من واجبات وحقوق، كما جاءت بكثير من التشريعات التی تنظم العلاقات فی المجتمع الإسلامی فی مختلف الظروف والأحوال، فی أيام الحرب والسلم، وما يتعلق بذلك من معاهدات وسفارات، ومن هنا كان التلازم فی الإسلام بين الدعوة إلی الدين وقيام الدولة، فوظيفة الدولة فی الاسلام حماية نشر الدعوة، والإشراف علی تنفيذ الأحكام مع ملاحظة أن الدعوة والإقناع هما الطابعان الرئيسيان لحركة الدعوة فی الإسلام.

فالمجتمع اذاً فی حاجة ماسة الی ضرورة إقامة ولی يرجع إليه فی تنظيم شئون الناس وجمهور الفقهاء أجمعوا علی أن ذلك فرض من فروض الدين، ويقول ابن تيمية: أن ولاية الناس من أعظم واجبات الدين، ولا قيام للدين إلا بها.. لأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة النسك.

وتعيين الإمام يكون بالإختيار كما هو عند أهل السنة، وكل من عدا الشيعة الأمامية، فمصدر سلطة الإمام مبايعة الجمهور له، ورضاهم به، فالأمة هی الحافظ للشريعة بواسطة نصب ولی عنهم، يسهر علی تنفيذها، ويدخل ضمن ذلك ما عرف فی عصرنا من تشريع فی دائرة الكتاب والسنة والقواعد العامة أی استنباط الأحكام الشرعية من النصوص والإمارات الدالة عليها.

ويقول ابن القيم: أن الشريعة مبناها وأساسها علی الحكم والمصالح، وهی عدل كلها ورحمة ومصالح وحكم، وكل مسألة خرجت إلی خلاف ذلك فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل.

من هذا يتبين أنه ينبغي أن يتحرى الحكام مقاصد الشريعة وأن يرجعوا إلى المخلصين الصادقين الأمناء من العلماء المختصين وإستشارتهم، ليعرفوا حكم الله على وجهه الصحيح الذى قصد الله من ورائه إصلاح المجتمع، ولم يعينه على وجه ثابت مستقر، ليدور مع مصالح الناس وأعرافهم، وعليهم جميعا - حكام وعلماء وأمناء - مراقبة الله فيما يسوسون به الناس من أحكام هم المسئولون عنها أمام الله، وما أثقل هذا العبء.

(٢) شروط شرعية ودستورية الحاكم المسلم:

قال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. (الشعراء: ٢١٥)

الحاكم المسلم لا يملك إلا أن يكون ديموقراطيا، لأن الإسلام والإستبداد لا يلتقيان، وعليه أن يختار بين أحدهما، ولكى يصبح الحكم شرعيا فى الإسلام ولكى يلتزم الشعب نحوه بالطاعة فلابد للحاكم المسلم أن يصل بالبيعة الحرة من الرعية أى بالإنتخاب وأن يتقيد بالشورى أى بالمجالس النيابية، وأن يلتزم بنتيجة الشورى أى يحترم رأى الأغلبية، وأن يرفض المدح الكذاب الذى يضلل الحكام، ويتقبل النصيحة والرأى أى المعارضة والنقد، وأن يحترم المعارضة ويمكنها من تأدية رسالتها، وأن يقيم العدل والمساواة مع معارضيه قبل انصاره ومع البعيد قبل القريب ومع العامة قبل الخاصة وهو محاسب أمام الله والرعية حتى عن ملبسه ومسكنه وطعامه وحياته الخاصة، وهو مسئول عن إختيار وزرائه وولاته وأعوانه مسئول عن مراقبة أعمالهم.

والحاكم المسلم مسئول عن إيصال الحقوق إلى كل مواطن من رعاياه فى البيوت والحقول والعمل حتى يتفرغوا للإنتاج والعمل، وعليه أن يسهل للرعية مقابلته لرفع ظلامتهم، وعليه أن يحل مشاكلهم قبل أن يطالبوه بها.. ويعرف حاجات مواطنيه قبل أن يفصحوا عنها.

هذه بعض شروط الحاكم المسلم حتى يصبح حكمه شرعيا ودستوريا وغير ذلك من الشروط والمعانى التى جاء بها الإسلام والتى تسمى فى عصرنا الحديث بالديموقراطية، بغير هذه أو باختلال بعضها يفقد الحكم شرعيته وتسقط بيع الناس له أى تسحب الثقة منه.

(٣) **ويتميز الحاكم المسلم الحق** عن أى حاكم مدنى بعدد من الصفات الديموقراطية التى نحتاجها فى عصرنا الحاضر. فمن ذلك:

١- الحاكم المسلم معلم ومربى قبل أن يكون حاكما أو رئيسا وهذا هو نوع الحاكم الذى تحتاج إليه أمتنا فى مرحلتها الراهنة... فأمتنا الإسلامية تمر اليوم بمرحلة تخلف رهيب، والإنسان العربى والمسلم بحاجة إلى إعادة بناء كيانه وتفكيره ووجدانه وتربيته وإيمانه..، وبكلمة واحدة أنه فى مرحلة بعيدة عن خلق القرآن ويحتاج إلى بعث إسلامى جديد.. وليس هذا عمل حاكم عسكرى يأمر فيطاع ويحكم بالشرطة والقوة والمراسيم، ولا زعيم سياسى يعيش بين المكاتب وخلف الجدران وتحت سقف الروتين، ولا سياسى ماهر تملأ صوره وتصريحاته صفحات الجرائد وعواميد الأنباء، ولكنه عمل مدرس عقائدى.. ومربى شعبى.. يعيش بين الناس كأى واحد منهم، فيصبح بأفعاله وأقواله خير قدوة لهم، يبدأ من الصفر.. فيخلق جيلا ويربى أمة.

وبذلك يسير فى نفس الطريق التى رسمها معلم الإنسانية الأول: محمد بن عبد الله حين كان يقول: «**لقد بعثت معلما ورسولا** » ويقول: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

٢- وإذا كان من واجبات الحاكم المسلم تربية الشعب وتعليمه.. فهو أكثر من هذا ملتزم **بتربية الجيل الجديد** تربية عقائدية، وإتاحة الفرصة للشباب والدم الجديد ليتولى مناصب الحكم والمسئولية إلى جانب الجيل القديم... وللإسلام فى هذا المضمار شواهد عديدة لم يسبقه إليها أى نظام آخر.

لقد كان رسول الله مهتما بالشباب فى مجلسه لأن الشباب أكثر مرونة وقابلية للدعوة الجديدة والدين الجديد.. وهم حكام المستقبل وحملة الرسالة والشعلة وكان الرسول يضع الشباب فى أعلى المناصب فى الدولة تشجيعا لهم على تحمل المسئولية وأمر الجيل القديم باحترام حق الجيل الجديد وإفساح الطريق أمامه .. وخير مثل أن الرسول فى آخر غزوة له قد ولى على قيادة الجيش شابا يافعا لا يزيد عمره عن ثمانية عشر عاما هو الصحابى أسامة بن زيد (ض) ولم يختر لقيادة الجيش واحدا من كبار شيوخ القوم أو من مشاهير فرسانهم بدلا من أسامة.. ولكن الرسول كان يرمى إلى هدف أبعد وغاية أنبل وأعظم من مجرد إختيار قائد قوى محنك...

كان الرسول يرمى إلى تعليم الأمة الإسلامية والعرب بالذات الذين لم يتعودوا على احترام الزعامة إلا على أساس السن والشيبة وحدها.. أن يعلمهم أن الشباب له حقه فى القيادة وله دوره الذى يجب أن يتدرب عليه ويمارسه ويجب على الجيل القديم ألا يحرمه منه.

وللأسف نرى فى عصور الإنحلال والحكم المدنى من سيطرة الجيل القديم على شئون السياسة والحكم وحرمانه الدم الجديد من المشاركة فى المسئولية.. وبذلك تتجمد مرافق الدولة.. وتدب فى أوصالها مظاهر الشيخوخة.

ثم إذا تولى الجيل الجديد الأمر كان بلا خبرة ولا تجربة فوقع فى الأخطاء وأساء التقدير.. لماذا لم يربى على تربية الإسلام وديموقراطيته.

٣- ومن صفات الحاكم المسلم أنه يحكم بالمحبة والرحمة والإقناع والوازع الدينى أكثر مما يحكم بالسلطة والشرطة والمراسيم.. التى هى وسيلة الحاكم العاجز.. فالشعوب لا يمكن تغييرها وتربيتها عقائديا واكتساب تعاونها وحماسة للتغيير، بكثرة القوانين ولا بالخوف من السلطة والعقاب.. فالبشر ليسوا كالأغنام تجر جرا

وتساق سوقا أو تدفع دفعا.. إنما البشر عقل وعواطف ووجدان، والمحبة والإقناع تفعل معهم الأعاجيب وتقودهم إلى المعجزات.

٤- والحاكم المسلم الحق هو الذى يرفض المدح والثناء حتى لو كان عن حق لأن كثرة المدح للحاكم تضله فى سبيل الحق، وتبعده عن سبيل الله، وقف رجل يمدح الخليفة عثمان (ض) فقام أحد الصحابة وأخذ حفنة من التراب ثم ألقاها فى وجه المداح.. فغضب الخليفة وقال له ما شأنك.. فقال الصحابى: أن رسول الله يقول **(إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب)**، وكان رسول الله إذا سمع رجلا يمدح آخر قال له: **«ويحك قطعت عنق صاحبك» (مسلم)**.

وقف رجل يمدح الرسول بقوله: «أنت سيدنا وابن سيدنا» فغضب ﷺ وقال له: **«لا يستهوينكم الشيطان فما أنا سيد أحدا إنما أنا عبد الله ورسوله» (الدارمى)**.

٥- والحاكم المسلم الحق هو الذى يتقبل النقد ويوسع صدره للمعارضة فلا يغضب ولا يحقد حتى لو أساء صاحب الحق فى عرض قضيته أو ظلامته فالله يقول: **﴿لا يُحبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلاَّ مَن ظُلِمَ﴾** (النساء: ١٤٨)، ومعنى الآية أن المظلوم إذا لعن أو أساء التصرف من ضيق خلقه فإن الله يغفر له ذنبه إلى أن تقضى حاجته.. وقد كان حلم الرسول والصحابة مع معارضيهم مضرب الأمثال وقف الرسول يوزع مال الله على الناس فاستقل إعرابى نصيبه وجذب الرسول من طوق ثيابه جذبا عنيفا وقال «يا محمد زدنى فليس المال مالك ولا مال أبيك» فغضب عمر حتى إستل سيفه صائحا- دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال الرسول: **(دعه يا عمر إن لصاحب الحق مقالا)**

وجاء رجل إلى مجلس عمر بن الخطاب وقال له «اتق الله يا عمر» فغضب بعض المتسلقين من قوله وأرادوا أن يسكتوا الرجل فقال عمر: (لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها).

٦- والإسلام يحرم على الحاكم المسلم تجريح معارضيه أو التشكيك في نيتهم وذمتهم وضمائرهم. وفي ذلك يقول ﷺ (**اذا ابتغى الأمير الريبة في الناس أفسدهم**) (أبو داود) ومعنى الحديث إذا إتهم الحاكم رعيته وجاهرهم بسوء الظن أداهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن فيهم.

٧- والحاكم المسلم ملتزم بالعدل والحق حتى مع خصومه السياسيين فالله تعالى يقول: ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ (المائدة: ٨)، ومعنى ذلك: لا يحملنكم شدة بغضكم للأعداء على ترك العدل فيهم والإعتداء عليهم فالعدل مع من تبغضوهم أقرب لتقواكم لله عز وجل.

٨- ومن واجبات الحاكم المسلم العمل على إكتساب محبة الرعية وثقتها لأن رضى الناس من رضى الله، يقول ﷺ (**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**). الترمذي.

فكسب المحبة في الإسلام لا تكون بزلاقة اللسان وحسن البيان واللعب بالخطب الرنانة وبعواطف الجماهير.. ولكن بالسهر على راحتهم وخدمتهم ومساعدة ضعيفهم ومحتاجهم، فالله تعالى لا ينظر إلى أقوال الناس ولكن إلى أعمالهم.

٩- والحاكم المسلم ملتزم باختيار الناس في مجلسه فيجالس أهل العلم والحكمة والرأي والمشورة ولا يجالس أهل الطرب والتسلية والمداحين والمنافقين.

فمسئولية الدولة وقيادة الأمة أعظم وأخطر من أن يضيع الحاكم وقته بين من يسليه ومن يطربه.. كما أن دينه يمنعه من مجالسة المداحين والمتسلقين حتى لا يضلوه ويبعدوه وله في ذلك القدوة الحسنة في رسول الله ﷺ وقال (**طوبى لمن**

تواضع في غير منفعة.. وذلك نفسه في غير مسألة ورحم أهل الذل والمسكنة. وخالط أهل الفقه والحكمة) متفق عليه.

وعندما تولى عمر بن عبد العزيز (ض) الحكم كان أول عمل فعله إبعاد أهل الطرب والمداحين والمتسلقين والشعراء من مجلس الخلفاء الذين سبقوه، واختار مجلسا جديدا من خيرة فقهاء وعلماء مملكته، وكان رحمه الله يقول لمجالسه: من صحبنا فليصحبنا بخمس: (١) يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها (٢) ويعيننا بجهده على أمرنا (٣) وينهانا عن الشر (٤) ويحثنا على الخير (٥) ولا يغتابن أحدا.

ومن أقوال الخليفة أبي جعفر المنصور: «ما أحوجنى إلى أربعة لا يقضى الملك إلا منهم: الأول قاض لا تأخذه فى الله لومة لائم.. الثانى صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى.. والثالث صاحب خراج لا يظلم الرعية.. والرابع.. ثم عض على بنانه وقال: آه.. ثم آه.. قالوا ثم ما هو يا أمير المؤمنين.. قال: صاحب بريد يكتب إلى بخبر هؤلاء على الصحة.. لا يزيد ولا ينقص.

١٠- وعلى الحاكم المسلم **أن يحترم من هم دونه في المنصب** والوظيفة وأن يرفع الكلفة بينه وبينهم، وبذلك يستطيعون أن يفضوا اليه بأسرار دولته وأخبارها، ويعاونوه فى مهمته بإخلاص وأمانة......

وقد دخل زائر أجنبى على خليفة عباسى فوجده يرفع الكلفة مع أصحابه فى مجلسه فقال له: «أما يهابونك» فقال الخليفة «إنما يهابنا أعداؤنا».

وكان أبو بكر الصديق ينصح ولاته وقواده قائلا: «وأسمر فى أصحابك تأتيك الأخبار وتكشف الأسرار وتعرف الأخيار والأشرار»

وهناك آيات كثيرة من آيات ديموقراطية الحكم الإسلامى.. وصدق الرسول الكريم الذى قال (**ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر**) (أحمد والترمذى).

١١- وعلى الحاكم المسلم أن لا يجعل بينه وبين رعيته حجابا... ولست أقصد هنا أن يفعل كالخلفاء الراشدين يسير فى الطرقات بغير حراسة.. ولكن القصد من ذلك هو أن لا ينطوى عن الرعية أو يعيش فى عزلة أو فى صومعة.. بل عليه أن يسهل على أصحاب الحاجات مقابلته شخصيا فى المشاكل التى يعجزون بكل الطرق المعروفة عن حلها.. وعليه أن يقوم بنفسه بجولات فى المدن والقرى والأقاليم ليتعرف على مشاكل الناس ومطالبهم غيرمكتف فى ذلك بأجهزة الدولة المتخصصة.

يقول رسول الله ﷺ (**من ولى شئون المسلمين ثم احتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله تعالى دون حاجته وفقره وخلته يوم القيامة**) (الترمذى).

١٢- وعلى الحاكم المسلم أن **يحل مشاكل الرعية** قبل أن يطالبوه بها أو ينتظر حتى تبلغه شكواهم.

دخل عمر على إمرأة عجوز فى خيمتها وسألها عن حالها فقالت له «لأجزى الله عمر عنى خيرا» فقال لها عمر «ولم أصلحك الله» فشكت اليه أنها لم تتلق منه عونا منذ ولى الخلافة.. فقال لها عمر «ما يدرى أمير المؤمنين بأمرك وأنت لم تبلغيه بشكواك» قالت له «ما حسبت أن أحدا يولى أمر المسلمين إلا ويعلم بين مشرقها ومغربها» فجعل عمر يبكى ويقول «ويحك يا عمر كم أضعت حقوق المسلمين» وذهب وأحضر لها كل حقها من بيت المال.. وبينما هى تتسلم حقها إذ مر جماعة من الصحابة وقالوا: «السلام عليك يا أمير المؤمنين» فصاحت

المرأة وقالت: «وأسوأتاه سببت أمير المؤمنين فى وجهه وقد أكرمنى» فقال لها عمر «لا عليك».

١٣- **واختيار الوزراء والولاة (المحافظين)** والمسئولين من أخطر مهام الحاكم- فهو ملتزم بحسن اختيار عماله ووضع الرجل المناسب فى المكان المناسب وفى هذا يقول ﷺ (**إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسى ذكره وأن ذكر أعانه، وإذا أراد به شر جعل له وزير سوء، إذا نسى لم يذكره وإذا ذكر لم يعنه**) (ابى داود والنسائى) وقال الرسول ﷺ (**من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين**) الطبرى والحاكم. وقال لرجل سأله (متى تقوم الساعة؟) فقال (**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**) قال «وكيف أضعتها؟» قال: (**إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**).

** وعلى الحاكم أن يختار الناس حسب كفاءتهم وأحقيتهم لا حسب صلة القرابة أو الصداقة الشخصية أو الواسطة والمحسوبية فالرسول يقول (**من ولى من أمور المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم**) ويقول ايضا: (**من ولى من أمر المسلمين شيئا، فولى رجلا وهو يجد من أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله**) (رواه الحاكم) ويقول ﷺ أيضا: (**من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله**) الحاكم.

وكثيرا ما يحتج بعض الحكام بأنه قد اضطر الى تعيين أقاربه أو أصدقائه لأن هؤلاء هم وحدهم الذين يعرفهم ويثق بهم. والإسلام لا يقبل هذا المنطق أو يعترف به، لأن الحاكم مطالب بأن يعرف أكبر عدد من رعاياه وأن يدرس شخصياتهم ويصادقهم ويحبهم فى الله.. فالحاكم لا يجب أن ينعزل عن الناس.

وكثير من الحكام يبحث عن الشخصيات القوية فى بلده وأصحاب الكفاءات العالية ويجعل كل همه أن يحطمهم ويعزلهم سياسيا حتى لا ينافسوه وفى الوقت نفسه يبحث عن ضعاف الشخصية والذين يحسنون الموافقة والطاعة لكى يقلدهم مناصب الدولة معتقدا أنه بذلك يؤمن نفسه، وهذا أمر يتنافى مع روح الإسلام وأوامره.

فالحاكم المسلم الحق هو الذى يبحث عن الرجل القوى وصاحب الكفاءة لكى يقوى به حكمه ويقوى به الإسلام، وحقيقة أن حكم الأقوياء أصعب من حكم الضعفاء.. ولكن الوطن الذى يعتمد على الشخصيات الضعيفة يصبح وطنا ضعيفا أمام الأعداء.

وخير للحاكم أن يكون ضعيفا أمام مواطنيه قويا على أعدائه من أن يكون جبارا على مواطنيه ذليلا أمام أعدائه وصدق الله العظيم الذى قال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة ٥٤).

ولقد كان رسول الله يبحث عن الرجل القوى ليسند به رسالته وكان يقول: (**اللهم انصر الإسلام بأحد العمرين**) وكان أحدهما هو الرجل القوى الشخصية القوى البأس عمر بن الخطاب، وكان الرسول لا يغضب من معارضته ولا شدته بل كان يعتبره سندا له ولرسالته.

وعلى الحاكم المسلم أن يراقب وزراءه بنفسه، فقد كان عمر بن الخطاب يقول «أيما عامل لى ظلم أحدا وبلغنى مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته، ويقول «أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من علمت ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت ما على» قالوا نعم فقال: لا حتى أنظر عمله أعمل بما أمرته أم لا» وكان عمر يتابع سيرة ولاته فى دقائق حياتهم فقد كتب إلى عمرو بن العاص والى مصر يقول: «بلغنى أنك تتكئ فى مجلسك، فاذا جلست فكن كسائر الناس».

وكان عمر بن الخطاب يجمع ولاته على كل الأقاليم الإسلامية اجتماعا دوريا ويحذرهم من أى ظلم وانحراف.. ومن إحدى خطبه فيهم: «والله ما ارسلتكم لتضربوا أبشار الناس، ولكن أرسلتكم لتعلموهم أمر دينهم، والله لا أوتى بوالٍ ضرب رعيته من غير حد إلا ضربته» وقد نفذ عمر انذاره هذا حرفيا فى الولاة:

فقد جاء فتى قبطى من مصر يشكو اليه أن ابن عمرو بن العاص ضربه لأنه سبقه فى سباق وقال له عندما ضربه «خذها وانا ابن الأكرمين» فأحضر الخليفة عمرو وولده.. وأمر القبطى أن يضرب الابن حتى اشتفى لنفسه، ولم يكتف الخليفة بذلك بل أزاح عمامة عمرو وقال: «أضرب صلعة عمرو فباسمه ضربك ولده..» ثم قال كلمته التى مازالت الدنيا ترددها حتى اليوم منذ أربعة عشر قرنا: (متى إستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)

وكثيرا من الحكام تفوته هذه النقطة الحساسة والمبدأ الخطر فيجامل أعوانه ويتغاضى عن سيئاتهم مدعيا أنه مشغول بغير ذلك من عظائم الأمور وأن مسئوليته تنتهى عن إختيار أحسن للمنصب ، وبعض الحكام يكتفى بأنه هو نفسه لا يسئ ولا ينحرف ولكنه يتغاضى عن سيئات أعوانه لكى يظهر حسناته بين سيئات الآخرين أو لمجرد أن ينشقوا عليه، ففى كلتا الحالتين لا يكون أهلا لحكم الرعية المسلمة.

(٤) **محاسبة الحاكم وعزله :** فى بنود الحريات السياسية فى الدساتير أكثر من نص على حق الشعب فى محاسبة حكامه ومسئوليه فى تصرفاتهم وحقه فى إعلان رأيه بالنشر والكتابة.

ويقابل حق المحاسبة فى الإسلام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فالله تعالى يقول: ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ (الطلاق: ٦).

ولا شك أن كلمة الأمر بالمعروف التى جاء بها الاسلام تعبير أقوى وأكثر الزاما من مجرد المحاسبة.

وفى الدساتير الحديثة نص على حق الشعب فى سحب الثقة من الحاكم أو الحكومة واسقاطه.. ويقابل إصطلاح سحب الثقة فى الإسلام مبدأ (عدم الطاعة) ثم (الخلع) وذلك بنص الحديث النبوى الشريف: **(وأنا أشهد الله تعالى على من وليته شيئا قليلا أو كثيرا من أمر المسلمين فلن يعدل فيهم أن لا طاعة له.. وهو خليع مما وليته وقد برئت ذمم الذين معه من المسلمين وإيمانهم وعهدهم فيْستخيروا الله عند ذلك ثم يستعملوا عليهم أفضلهم فى أنفسهم).**

والديموقراطية تعنى التزام الحاكم برأى الجماعة والأغلبية، وقد سبق الإسلام إلى ذلك بأن الزم الحاكم بنتيجة الشورى.

وتستمد القوانين فى الحكم بالإسلام حرمتها ومناعتها من أن مصدرها هو القرآن وشريعة الله.. والله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَمْ يحكُم بمَا أنزل اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤) فالحاكم الذى ينتهك الدستور الإسلامى يفقد شرعيته فى الحكم.

ومن حقوق المواطنين.. أفراد وجماعات: حرية العبادة وحرية الرأى والقول والكتابة.. وحرية الإجتماع.. وحرية تكوين الجمعيات الإجتماعية والسياسية.. والحق فى المحاكمة العادلة.. والوقاية من أى قيد على الحرية الشخصية.. وعدم الحبس الظالم، وألا جريمة ولا عقاب إلا بناء على القانون، وحق التملك، وحرية التعليم.

إلى جانب ذلك تنص الدساتير على المساواة بين المواطنين بلا تمييز فى اللون أو الدين أو المذهب أو الطبقة.

(٥) أسس الحكم فى الإسلام :

الإسلام منهاج شامل ونظام كامل يتطلب إقامة دولة على رأسها حاكم يكون مسئولا عن تعيين ولاتها وقضاتها وتنفيذ ما يقضى به دينها، وتطبيق أحكامه، وإقامة حدوده، يهتم بنصرة المظلومين ومعونة المحتاجين ويقوم بتجهيز الجيوش وسد الثغور ومقاومة الأعداء وقهر البغاة وقطع المنازعات ويعمل على إعلاء كلمة الدين.

* * *

(١) من أين جاءت الضلالات لعلاقة الدين بالدولة :

نبتت فى بلاد أوروبا النصرانية دعوة ينادى أصحابها بفصل الدين عن الدولة، وقد كان لهذه الدعوة ما يبررها هناك، فسلطان الكنيسة قد تجاوز يومئذ كل ما هو معروف مألوف. فأصبح البابا يسيطر على عقائد الناس وقلوبهم، يمنحهم صكوك الغفران، ويبيع لهم الجنان، ويحميهم فيما يدعى من عذاب النار، وترتب على ذلك أن أثرى رجال الكنيسة على حساب هذه المبادئ، ثراء فاحشا وأعلنت الكنيسة الحرب على العلم والعلماء مخافة أن يستنير الشعب فيضمحل نفوذ الكنيسة ورجالها، وتذهب هيبتها وتمحى قدسيتها.. فانتشرت بذلك الجرائم وكثرت الرذائل وتفشى الفساد. وغدا السعيد فى الدنيا والآخرة من يملك ثمن ما يريده من الجنة، ويتقى به حر النار فله بذلك إقتراف ما شىء من الخطايا وارتكاب ما أراد من موبقات... أما من لم يستطع دفع الثمن فهو شقى الدنيا والآخرة معا، بذلك يمكن أن نتصور ما كان عليه المجتمع آنذاك من الفوضى والإضطراب.

ثار على هذه الأوضاع مصلحون، خرجوا على الكنيسة وحملوها تبعية هذا الفساد وكان غالبية الناس قد تهيأت أذهانهم لسماع هذه الدعوة الإصلاحية، وتقبلها الناس بقبول حسن، ووقفوا بجانب هؤلاء المصلحين يفصلون بين رجال الدين الذين فعلوا تلك

الأعاجيب وبين الحكم، وكان لابد لكى يكون قرار الفصل محترما ومرعيا أن يقوم على سند الإنجيل فوجدوا ذلك فى إنجيل متى الإصحاح رقم ٢٢:- (أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)

لكن هذه المبررات لا وجود لها فى الإسلام ولا فى بلاده فليس عندنا (فى الإسلام) رجال دين يبيعون الجنة بالدرهم والدينار، ويبيعون للمذنبين والمذنبات صكوك الغفران.

لقد اهتم الإسلام بتنظيم العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض ومع أنفسهم ومع الله سبحانه وتعالى فأوضح أسس الحكم الصالح وعلاقة المسلم بغير المسلم، وعمل لصالح الفرد كما عمل لصالح الجماعة.

وليس من تعاليم الإسلام أن نعطى ما لقيصر لقيصر.. بل من تعاليمه إن نبادر بتقويم قيصر إذا انحرف عن الجادة، وحاد عن الصراط المستقيم كما أود أن ألفت النظر إلى هؤلاء الذين انخدعوا بدعوة الفصل بين الدين والدولة، ونقول لهم اقرأوا قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

(٢) الالتزام بدستور الإسلام:

وهو الذى أوحاه الله إلى رسوله ﷺ ذلك هو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واذا كانت كل دولة فى عصرنا الحديث تهتم بصياغة دستور لها تنص فى ديباجته على القوة التى تعتمد عليها فى إصداره وصياغته، فان الله

سبحانه قد كفانا هذه المؤنة وأراحنا من هذا العناء، وأنزل لنا دستورا من لدنه، قبل أن تفكر الدول فى إنشاء دساتير لها، فضلا منه ونعمة، قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل ٨٩) ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود ١).

(٣) رئيس الدولة فى الإسلام:

كان لدولة المسلمين رئيس يدعى الخليفة يسوس أمورها ويرعى شئونها ويعين ولاتها وقضاتها ويجهز جيوشها ويحمى ثغورها ويحفظ حدودها وينصف مظلومها ويقمع ظالمها ويؤمن خائفها ويعمل على تحقيق مصلحة الفرد والجماعة، وعلى النهوض بالأمة والدولة فى كل المجالات، فقد قال الرسول ﷺ (**إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به**) مسلم .

ويتعين أن يكون الحاكم مسلما سليم الحواس واسع التفكير فقيها فى دينه، مشهورا بالعدالة له بصر بأمور السياسة وشئون الإمارة يرتضيه ويعتمده ذوى الرأى فى الأمة، وقال كعب الأحبار «مثل الإسلام والسلطان والناس، مثل الفسطاط والعمود والأوتاد، فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والأوتاد الناس ولا يصلح بعضها إلا ببعض».

(٤) لا امتيازات للحاكم:

الحاكم رجل من الناس خاضع للمبدأ العام الذى قرره الله عز وجل فى كتابه الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣) فعلى هذا الأساس يتعين أن يخضع لحكم القانون الإلهى دون تمييز أو محاباة.

عن الفضل بن العباس أن النبي ﷺ صعد المنبر في مرض وفاته فقال: (**أيها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، لا يقولن رجل أني أخشى الشحناء من قبل رسول الله ﷺ، ألا وأن الشحناء ليست من طبيعتي ولا من شأني، ألا وأن أحبكم إلي من أخذ حقا كان له، أو حللني، فلقيت الله وأنا طيب النفس).. فقام إليه رجل فقال «يا رسول الله إن لي عندك ثلاثة دراهم» قال ﷺ (أما أنا لا نكذب أحدا ولا نستحلفه فيم صارت لك عندي؟ قال: اتذكر يوم مر بك مسكين فأمرتني أن أدفعها إليه، فقال: إدفعها إليه يا فضل (يعني ابن عمه العباس)**. (أخرجه أبو يعلي).

نرى في هذه الخطبة أن الرسول ﷺ أعلن على الملأ: أن ظهره كظهورهم، وماله كأموالهم، وعرضه كأعراضهم وأنه معهم على سواء أمام قانون السماء، لقد غرس النبي ﷺ هذا المعنى في نفوس أصحابه تعهده بالسقي حتى أثمر.

إن هذه المساواة التي جاء بها الرسول وشعر بها أسلافنا الكرام ربت فيهم معاني العزة والكرامة والنبل والسمو وهيأتهم لحكم العالم والأخذ بيده إلى بر السلام والإسلام والأمان والإيمان.

(٥) طاعة الحاكم مفيدة

ولكون الحاكم بشرا من الناس يتساوى معهم فى البشرية ويتعرض مثلهم للخطأ وللصواب، قرر الشارع الحكيم أنه إن إتبع الحق يطاع، وإن انحرف لمعصية لا يتابع، ويتحتم على المسلمين نصحه وإرشاده ويتحتم عليه أن يتقبل النصيحة ويعود إلى الصواب دون لجاج أو مكابرة، قال الله تعالى :

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء ٥٩)

وعن تميم الدارى (ض) أن النبى ﷺ قال **(الدين النصيحة ثلاثاً قلنا لمن يا رسول الله قال « لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم)** مسلم، وقال ﷺ **(السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)** وقال ﷺ **(لا طاعة لأحد فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف)**.

(٦) الشـــورى ملزمـــة

ولكون الحاكم بشرا من الناس يخطئ ويصيب وإذا أخطأ لا يتابع طلب الإسلام منه أن يتشاور مع المسلمين فيما لا نص فيه ليتجنب الزلل بقدر الإمكان وليهتدى إلى الصواب والحق وإلى ما فيه المصلحة ولئلا يتعرض للخالق إذا زل فتقتل هيبته وتضعف مكانته.

وفى ذلك يقول الله تعالى لنبيه ﷺ (وشاورهم فى الأمر) فالرسول وهو صاحب العقل الرشيد والفكر السديد والمعصوم الذى يوحى إليه من قبل العليم الخبير ، كلفه

الله تعالى مع ذلك بمشورة أصحابه حتى يكون مثلا يحتذونه فى إحترام الشورى والعمل بما ينتهى إليه رأى الجماعة.

كما نرى أيضا وصفا للمؤمنين وثناء عليهم فى قوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى ٣٨).

فنظم الشورى بين الصلاة والزكاة فى سلك واحد لأن أمر الشريعة واحد لا فرق بين العبادة والمعاملة وقال ﷺ **(ما تشاور قوم قط فيما بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم)** البخارى وفى لفظ (إلا عزم الله لهم بالرشد أو الذى ينفع)، وعن أنس قال ﷺ **(ما خاب من استخار ولا ندم من استشار)** الطبرى.

لقد قرر الإسلام مبدأ الشورى ورغب فيها، وترك للأمة تحديد طريقها حسب ما تقتضيه ظروفها ومصالحها.

وهناك قاعدة فى الشورى وهى التزام الأقلية بتنفيذ رأى الأغلبية فليس للأقلية التى لم يؤخذ برأيها أن تتباطأ فى تنفيذ رأى الأكثرية أو تشكك فيه أو تعود لمناقشته.. ففى غزوة أحد إستشار الرسول ﷺ أصحابه أيبقى فى المدينة أم يخرج منها للقاء العدو؟ وكان رأيه مع بعض الصحابة ألا يخرجوا، لكن الأغلبية أشارت بالخروج، عندئذ سارع النبى ﷺ بتنفيذ رأى الأغلبية على الرغم من أنه مخالف لرأيه الخاص، ولما قال بعض الصحابة أكرهنا الرسول ﷺ على الخروج، رفض الرسول أن يعود للمناقشة من جديد ونفذ الرأى الذى انتهوا إليه وعزم عليه تطبيقا لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران ١٥٩) .

(٧) العدل والنزاهـــة

يتحتم على الحاكم أن يتحرى العدل فى أحكامه، ويتوخى الإحسان إلى الرعية والرفق بها، ويهتم بتربيتها دينيا وخلقيا وعلميا، ويعمل على حمايتها من عوامل الفقر والمرض والجهل والرذيلة، ويوفر لها كل مطالبها، وينمى فيها روابط الود وروح التعاون على البر والتقوى، ويحميها من الفتن، ومن كل ما يضر بها، ويعمل على توصيل الحقوق لأربابها، ويعين المظلوم، ويساند الضعيف، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ (النساء ٥٨).

وقال ﷺ (**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته**) الشيخان عن ابن عمر. وقال ﷺ (**ما من أمير يلى أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة**) مسلم وقال ﷺ (**اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشفق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به**).

ومن نزاهة الحاكم المطلوبة: أن يتجنب المحاباة والمحسوبية واستغلال النفوذ.. وأن يطهر جميع أجهزة الدولة من هذه المفاسد ومن الرشوة الظاهرة والمستترة، فلا يرضى لنفسه، أو لغيره أن يتلوث بها أو يقع فى حبائلها، روى مسلم فى مسنده أن عليا وفاطمة أتيا النبى ﷺ فقال على : يا رسول الله، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى، وقالت فاطمة «قد طحنت حتى نحلت يداى، وقد جاءك الله بسبى وسعة فأخذ منا» فقال ﷺ (**والله لا أعطيكم وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ولكن لتبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**).

مثال :

(٨) تيسير عدالة عمر فى الحكم :

ما الذى كان يهدف إليه عمر من سياسته مع ولاته؟ نستطيع أن نقول أنه كان يهدف إلى أن تتيسر العدالة، فى شتى صورها، لجميع الناس فى بلادهم المختلفة، دون أن تتخذ الولاية عليهم سبيلا للسيطرة، أو الظلم، أو جمع الأموال، فقد كان يفهم الولاية على أنها مسئولية وخدمة عامة، وهكذا كان يريدها.

وبالرغم من شروطه وضماناته، وحسمه مع ولاته، وأن بابه كان مفتوحا فى كل وقت، لكل الناس- فقد كان يخشى إن يكون بالأمصارمن تمنعه ظروفة من أن يلحق بالمدينة، ليخبر الخليفة عن ظلم وقع به فى نفسة أو مالة، ومن ثم عزم على أن ينتقل فى الأمصار- بعد أن ينظم أمور المدينة، وبستخلف عليها من يثق به- فقال فى أواخر حياته :

«لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى، أما عمالهم فلا يرفعونها إلىَّ، وأما هم فلا يصلون إلىَ فأسير إلى الولايات فأقيم فى كل منها شهرين: الشام ثم الجزيرة، ثم مصر ثم البحرين، ثم الكوفة، ثم البصرة.. والله لنعم الحول هذا».

إلا أن مشاغل الحياة فى المدينة، وانتهاء الأجل حالا دون تحقيق عزمه.

وفى تنظيماته مع ولاته لم يكن يريد أن يكون هناك مانع مادى يحول بين أحد من الناس وبين أن تتيسر له العدالة فى شتى صورها، لا يمنعه من ذلك مانع مادى من حجاب أو إغلاق باب، وإلى جانب ذلك كان يريد ألا يكون هناك مانع معنوى يحول بين أحد من الناس وأن يطلب العدالة، وأن يجدها، ولعل هذا المعنى كان فى ذهنه حين كان يطلب من ولاته ألا يتخذوا مظهرا من مظاهر الملك والسطوة، فقد كان يخشى أن تبث

هذه المظاهر الخشية والهيبة فى نفوس الضعفاء والفقراء، فتصرفهم عن طلب الحق أو نصفه، كان يريد أن يظل واليهم دائما رجلا من بينهم، ولا يهابه إلا الفجار، كما للمغيرة بن شعبة حين ولاه الكوفة، ولما اتخذ عمرو بن العاص منبرا يكلم الناس من فوقه، كتب إليه عمر: «أما بعد فقد بلغنى أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين، أو ما يكفيك أن تكون قائما والمسلمون تحت عقبك؟ فعزمت عليك إلا ما كسرته».

وبهذه وأمثاله كان عمر يعمل على ألا تمثل مظاهر الملك والاستعلاء والسطوة أى حاجز معنوى قد يحول دون تيسير العدالة لكل انسان مهما صغر شأنه، وكان يصدر عن كراهية أصيلة للملك ومظاهره.. وكانت هذه الكراهية فى نفوس المسلمين الأوائل، وكان لهم فى رسول الله نعم القدوة.

(٩) علاقة الرعية بالحكام. والرعية نحو حكامها:

فى ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة٧١) . من أعظم الحكم السياسية وأكثرها واقعية قول الرسول ﷺ : (**كما تكونوا ولى عليكم**) فالشعب هو المدرسة التى تخرج القادة والحكام.... «وكل إناء بالذى فيه ينضح».

فإذا كان الشعب لا يعرف معنى التراحم والمحبة والاتحاد والتعاون والعدل بحيث يحترم القوى حق الضعيف، ويعطف الغنى على الفقير ويوقر الصغير شيبة الكبير إذا لم يتصف الشعب بهذه الأخلاق فكيف نتوقع أن تخرج منه قادة يفهمون معنى الديموقراطية ويعطوه حقوقه السياسية.

** إن الإسلام يحدد صلة الرعية بحكامها بأربع قواعد أساسية:

أولا : عدم تقديس الفرد.. **ثانيا** : الإلتزام بنصحه ونقده

ثالثا : الإلتزام بنزاهة النقد .. **رابعا** : الإلتزام بالطاعة والمناصرة فى الحق

* **والرعية المسلمة مطالبة بالنصح للحاكم:** فالنصح هو ما يسمى فى عصرنا بالنقد النزيه البناء.. وهذا اللون من النقد النزيه ملزم ويعتبر شرطا من شروط كمال الدين.. فرسول الله يقول (**الدين النصيحة**) **قالوا لم يا رسول الله قال** (**لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**) متفق عليه

* **الإسلام يحرم النقد الهادم أو المغرض:** ففى نفس الوقت الذى يأمرنا الإسلام فيه بعدم تقديس القادة وعدم تملقهم وبالتمسك بحرية النقد وشجاعة النقد فإنه يأمرنا أيضا بنزاهة النقد، وكل نقد لا يقصد به وجه الله ووجه الحقيقة وإصلاح شأن الرعية فهو نقد باطل يرفضه الإسلام.

فالله يقول ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء/١١٤).

ويقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (المجادل/٩)

* والرعية المسلمة مطالبة بالتسامح مع الحاكم وتقديم حسن الظن به إذا اجتهد فى أمر فأخطأ من غير عمد فرسول الله يقول (**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر**) الشيخان وأبو داود.

* والرعية المسلمة ملزمة بمناصرة الحاكم وإطاعته مادام على حق.. وعدم الوقوف منه موقفا سلبيا بل يؤيدونه ويساعدونه فى تأدية مهمته. يقول الرسول: (**من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى**) الشيخان

(١٠) عندما يطمئن الحاكم والمحكوم:

نظرا للخطر الذى يهب على البلاد الإسلامية، فالواجب من رجالها والمسئولين عن كيانها ومصيرها، أن يسارعوا إلى علاج الفساد فى مجتمعاتهم، علاجا يقضى عليه قضاء تاما، ولا يدع مجالا لساخط أو هدام منتهز للفرص.

ولا أعتقد أن هناك علاجا جذريا غير استيفاء مبادئ الدين، والثقافة الأصيلة للشعب، فى سن الأنظمة والقوانين، وربطها بعقيدة الشعب، ومثله التى غرسها الاسلام فى نفوسهم، ثم حراسة تنفيذها من الرؤساء على أساس من العدل الذى يطمئن الجميع على مصالحهم، ويوفر لهم الإستقرار المنشود من سن القوانين،

حينئذ يطمئن المحكوم، ويخلص فى العمل، ويضاعف من جهوده لوفرة الإنتاج والإرتفاع بمستوى العمل الموكل به.

كما يطمئن الحاكم إلى انصراف الشعب إلى عمله بدقة وأمانة ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة ١٠٥).

(٦) الدين والفكر الدينى فى الخروج على الحاكم:

إن معاناة الأمة الإسلامية ناجمة عن تخلفها، وتخلف الأمة الإسلامية هو نتيجة القصور الفكرى الذى يعيشه المسلمون اليوم.

إن تأصيل المفاهيم ضرورة لكل أمة ترغب أن تثبت وجودها بين الأمم فالإسلام يصعب تطبيقه قبل معرفته والعلم به.

إن الأزمات فى بعض الدول الإسلامية هى أزمات مفاهيم فالإختلاف الفكرى بين المتصارعين بدأ فى تحديد معنى الشورى هل هى ملزمة أو معلنة، وبالتالى لم تتوحد

ولم تتحد بينهم المفاهيم. فأصبحت كل فئة تعتقد أنها على حق، فنحن لا نشك فى إسلامهم لكننا نجزم بسوء الفهم للإسلام كما حدث فى أفغانستان.

وكذلك الحال فى الجزائر وغيرها من المواقع الإسلامية، لقد إنحرفت معظم المنظمات بسبب أخذهم من الخوارج قاعدة (جواز الخروج على الحاكم) وهذه القاعدة هى التى أخرجت الخوارج من حظيرة الإسلام، ودفعت بأصحابها إلى تكفير الصحابة رضوان الله عليهم، وقتلهم وقتالهم، لقد تسربت هذه القاعدة من بنى إسرائيل الذين استحلوا قتل أنبيائهم والتى أشار إليها القرآن الكريم.

أن من الواجب علينا أن نفرق بين الدين والفكر الدينى وأن لا نفصل بينهما، « **فالدين** » قضاء الله عز وجل وانزله على لسان نبيه ﷺ عن طريق الوحى المتلو وغير المتلو، وما جاء من عند الله على لسان رسوله ﷺ قولا وعملا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما «**الفكر الدينى**» فهو عبارة عن جهود بشرية واجتهادات يقوم بها العلماء لتطبيق النصوص على النوازل والمستجدات التى تتأتى بفعل المتغيرات الزمانية والمكانية والتى لم ترد فيها أحكاما صريحة من الكتاب والسنة، ولعل من أهم الأعمال الفكرية، الأحكام الفقهية التى استنبطها الفقهاء من المصادر الأساسية.

فالنصوص التى وردت فى الكتاب والسنة تمثل القواعد الأساسية االتى يبنى عليها التشريع، وهى أحكام لا تقبل التغيير ولا الزيادة ولا النقصان.

أما القضايا الاجتهادية فهى ممارسات بشرية يقوم بها علماء مؤهلون ومختصون، يؤخذ منها ويرد، فاذا اجتهد الفقهاء، فإن اجتهادهم لا يأخذ طابع الإلتزام إلا بمصادقة ولى الأمر الذى أخذت له البيعة.

عندئذ يجب على الجميع الطاعة بموجب النص فى الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء٥٩).

إن اقتضاء طاعة أولى الأمر هو سبب تحقيق المصلحة، ووحدة الكلمة وإشاعة الأمن وتطبيق الأحكام الشرعية فى المجتمع الإسلامى.

وبناء على ذلك فان القضية الاجتماعية مهما أخذت طابع الإلزام، فلا تصبح تشريعا يحمل قوة النصوص الشرعية، لكنه يوجب الطاعة والإلتزام تحت طائلة العقوبة.

والإلتزام فى القضية الإجتماعية لا يلزم كافة المسلمين فى مختلف الأقطار الإسلامية، إذا تعددت الأئمة، ولا يلزم كل المسلمين فى مختلف الأزمنة وإلا كانت الشريعة جامدة.

لهذا نجد أن هناك فرقا بين القضاء مثلا وبين الإقتضاء فالقضاء هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى، والإقتضاء هو ما وجب على الجميع الالتزام به اقتضاء، فالنصوص قضاء والإجتهاد إقتضاء.

إننا مطالبون بإيجاد فكر إسلامى سليم، يضع حدا لما يعانيه المسلمون فى هذا العصر، ومطالبون أن تصفوا نفوسنا، وأن تصفوا هذه النفوس إلا بالعمل من أجل الله وحده، والإنتصار على الذات، فالله عز وجل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

(٧) تطلع الشباب المتطرف لقيادة الأمة : (يقول الشيخ محمد الغزالى)

إلى الشباب المتطرف.. وإلى الذين يجترون آلام الماضى.. اشتغلوا بالبناء للإسلام، وليكن ذلك أغلب على فكركم من الإنتقام وطلب الثأر.. واستمعوا إلى من يعرفكم بحقائق الإسلام من كبار المربين، وجهابذة العلماء، بدلا من أن تكتفوا بقراءة مجردة لبعض الكتب.

إن الخوارج قبلكم ركبوا هذا الشطط، فدفنوا فى تراب التاريخ على عجل... والذين قادوا الرسالة الإسلامية ليسوا ولاة السوء ولا المعارضين الحمقى.. إنما قاد الإسلام العلماء المربون، والفقهاء المخلصون...

هل أقول أن اليهود أعقل منكم؟

فلما عقدوا أول مؤتمر عالمى لهم فى سويسرا كى يقيموا دولتهم، ووصلوا إلى مخطط مدروس، قال رئيسهم «هرتزل» ستقوم «اسرائيل» بعد خمسين سنة... وقامت بعد خمسين سنة...

إن الرجل لم يعمل لنفسه ولا لأولاده، إنه يغرس لمدى بعيد، ربما لا يذوق جناة إلا الأحفاد، ليس مهما أن يرى هو نتاج ما فعل، المهم أن يصل إلى غايته.

وإنما قرر الرجل نصف قرن لأنه يريد الخلاص من مشكلات تراكمت خلال قرون طوال، لا يمكن الخلاص منها بجرة قلم، أو بصيحة حماس، أو بنشر الإرهاب.

أن الرسول ﷺ يوم صاح بعقيدة التوحيد كانت مئات الأصنام صفوفا داخل الكعبة وحولها، وقد ظل ثلاثا وعشرين سنة يدعو، تدرى متى هدم هذه الأصنام؟ فى السنة الحادية والعشرين من بدء الدعوة..

إنه ما فكر حتى فى عمرة القضاء أن يمس منها وثنا - أى قبل فتح مكة بسنة ... أما أنتم فتريدون الدعوة الى التوحيد فى الصباح، وشن حملة لتحطيم الأصنام فى الأصيل والنتيجة التى لا محيص عنها مصارع متتابعة، ومتاعب متلاحقة، ونزق يحمل الإسلام مغارمه دون جدوى..

وأريد أن أؤكد للشباب أن إقامة دين شئ، واستيلاء جماعة من الناس على الحكم شئ آخر، فإن إقامته حين تتطلب مقادير كبيرة من اليقين والإخلاص ونقاوة

الصلة بالله، كما تتطلب مقادير خبرة رحبة بالحياة والناس والأصدقاء والخصوم، ثم حكمة، تؤيدها العناية العليا فى الفعل والترك والسلم والحرب..

إن أناسا حكموا بإسم الإسلام، ففضحوا أنفسهم، وفضحوا الإسلام فكم من طالب حكم يؤزه إلى نشدان السلطة وحب الذات، وطلب الثناء، وجنون العظمة!!

وكم من طالب حكم لا يدرى شيئا عن العلاقات الدولية، والتيارات العالمية، والمؤامرات السرية والجهرية. وكم من طالب حكم باسم الإسلام وهو لا يعرف مذاهب الإسلاميين فى الفروع والأصول، فلو حكم لكان وبالاً على إخوانه فى المعتقد، يفضلون عليه حكم كافر عادل.. ولقد رأيت ناسا يتحدثون عن إقامة الدولة الإسلامية لا يعرفون إلا أن الشورى لا تلزم حاكما، وأن الزكاة لا تجب إلا فى أربعة أنواع من الزروع والثمار، وأن وجود هيئات معارضة حرام، وان الكلام فى حقوق الإنسان بدعة..الخ. فهل يصلح هؤلاء لشئ؟

أحيانا.. يقوم الإنسان بعمل ما، ثم يراجع دوافعه فى نفسه فيستشعر أنه لم يكن فيه مخلصا كما ينبغى.. غلبه حب الدنيا أو الإعتداد بالنفس، فأحس الألم والندم، ويرى أنه- بهذا الخلط- لا يصلح لولاية الناس، وجعل كلمة الله هى العليا، ذلك أن الله عندما يهلك الظلمة لا يستخلف بعدهم ظلمة مثلهم، إنما يستخلف مسلمين عدولا صالحين، قال تعالى موضحا سبيل من يؤيدهم من خلقه :

﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (إبراهيم ١٢- ١٤)

(٨) الوزارة فى الإسلام:

إشتق اسم الوزارة من الوزر وهو الثقل لأنه يحمل عن الملك أثقاله، أو من الوزر وهو الملجأ، لقوله تعالى (كلا لا وزر). لأن الخليفة يلجأ إلى رأيه ومعونته، قال تعالى على لسان موسى ﴿واجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه ٢٩ - ٣٢).

وكان الرسول ﷺ يشاور أصحابه ولا سيما أبو بكر، حتى عرف بأنه وزير الرسول، وكان أبو بكر يشاور عمر.. وفى العهد الأموى استعان معاوية بعمرو بن العاص وزياد بن ابية، ولكن لم يطلق على أحد لقب وزير.

وعندما نقل العباسيون مركز الخلافة إلى بغداد أخذوا عن الفرس نظام الوزارة، فكان الخليفة يستعين ببعض الرجال لتصريف شئون الدولة، وكان أبو سلمة الخلال أول من تولى الوزارة أيام السفاح، ثم تتابع تعيين الوزراء حتى أصبح نظام الوزارة ثابتا.

وقد تطورت سلطة الوزير فى تصريف شئون الخلافة، وكانت تتوقف على قوة وضعف سلطة الخليفة، ففى العصر العباسى الأول كان الوزراء يخافون الخلفاء، ولا يخرجون عن إرادتهم، وعندما ضعف شأن الخلفاء إزداد نفوذ الوزراء.

وقسم الماوردى الوزارة إلى نوعين هما :

١- **وزارة التفويض** : وهى أن يستوزر الخليفة رجلا يفوض إليه تدبير الأمور، فكانت سلطة الوزير مطلقة، ولكن لا يجوز للوزير تعيين وليا للعهد أو إقالة الخليفة، فعندما قلد الرشيد يحيى بن خالد البرمكى الوزارة قال : «إنى قلدتك أمرا لرعية، وأخرجته من عنقى اليك، فاحكم فى ذلك ما ترى من الصواب واستعمل من رأيت التفويض: جعفر البرمكى وزير الرشيد، والفضل بن سهل وزير المأمون.

ب- وزارة التنفيذ : وهى أن يكلف الخليفة وزيرا لتنفيذ مهمة ما، لتجهيز الجيش أو تعيين الولاة، وكان بعض الخلفاء يستوزرون أكثر من وزير تنفيذى.

أحاط الفقهاء هذين النوعين من الوزارة بقوانين، بحيث أنهم جعلوا وزارة التنفيذ يتولاها أرباب الأقلام، والثانية يتولاها أرباب السيف، وكثيرا ما تولى المسيحيون الوزارة فى الخلافة الفاطمية، فاستوزر الخليفة الحافظ الفاطمى «بهرام».

أول وزارة بمصر : لم يتقلد الوزارة فى مصر أحد فى عهد الخلفاء لأنه لم يكونوا قد استحدثوا نظام الوزارة بعد فى مصر، واكتفوا بان يرسلوا إلى مصر ولاة يصرفون شئونها حتى قام بونابرت باحتلال مدينة القاهرة بتاريخ ٢٣ يوليو ١٧٩٨، وفى اليوم التالى نزل بقصر محمد بك الألفى بالأزبكية، وبعد مشاورات مع علماء الأزهر أصدر بونابرت مرسوما بتأليف أول وزارة مصرية وعرفت هذه الوزارة يومئذ باسم (الديوان) أو (ديوان القاهرة)

وهذا نص المرسوم :

معسكر القاهرة فى ٧ ترميدور من السنة السادسة للجمهورية (٢٥ يوليو ١٧٩٨) بونابرت عضو المجمع العلمى الأهلى والقائد العام للجيش نأمر بما يلى:

★★ **أولا** : تحكم مدينة القاهرة بديوان من تسعة أعضاء.

★★ **ثانيا**: يتألف هذا الديوان من المشايخ: السادات والشرقاوى والصاوى والبكرى والفيومى والعريشى وموسى السرسى والسيد عمر مكرم نقيب الأشراف ومحمد الأمير

وعليهم أن ينتخبوا من بينهم رئيسا لهم وأن يختاروا سكرتيرا من غير الأعضاء، ويعينوا إثنين من الكتبة والترجمة يعرفان الفرنسية والعربية.

ولهذا الديوان حق تعيين أثنين من الأغوات (رؤساء جند) لإدارة البوليس وعليه أن ينتخب لجنة مؤلفة من ثلاثة آخرين يكلفون بمهمة دفن الموتى بالقاهرة وضواحيها إلى فرسخين منها

★★ **ثالثا** : يجتمع الديوان كل يوم من الظهر ويبقى ثلاثة أعضاء على الدوام بدار المجلس.

★★ **رابعا** : يقام على باب الديوان حرس فرنسي وآخر تركى.

★★ **خامسا** : على الجنرال برتييه (رئيس أركان الحرب) وقومندان المدينة (الجنرال ديبوى) أن يكون فى الساعة الخامسة مساء اليوم بدار الديوان لإجراء ما يلزم... لأعضائه ولكى يأخذ عليهم عهدا ألا يعملوا شيئا ضد مصلحة الجيش.

ومن هذا المرسوم تتضح جملة أمور، منها أن بونابرت عدل إتجاهه إلى تكوين مجلس الوزراء من سبعة أعضاء كما سبق أن أعلن إلى تسعة أعضاء ومنها أن تأليف المجلس كان بالانتخاب، ومنها تحديد إختصاصات هذا المجلس بثلاث أمور هي: الأمن العام والتموين والصحة، أى أنه وزارة مكونة من ثلاث وزارات هى وزارة الداخلية، ووزارة التموين، ووزارة الصحة.. كما نقول بمصطلحات اليوم.

وبطبيعة الأحوال فإنه تم انتخاب الاعضاء: عمر مكرم والسادات ومحمد الأمير على غير علمهم وقد كان السيد عمر مكرم قد غادر القاهرة إلى سوريا أو كان فى ذلك الوقت فى طريق السفر، ويقال أنهم جميعا لم يقبلوا العضوية عندما بلغهم قيام المشايخ بإنتخابهم وذلك لمهزلة الحكم مع الفرنسيين. لذلك فقد حل محلهم: الدمنهورى والشبراخيتى والدواخلى.

أما المهدى فقد كان سكرتيرا معينا فى الديوان عين حسب المرسوم، ولكن نظرا لسطوته العظيمة فى الديوان وفى الحياة العامة طوال حكم الفرنسيين.. فقد أصبح سكرتير عام مجلس الوزراء.. كما نسميه اليوم هو رئيس مجلس الوزراء الفعلى.

(٩) الولاة وإدارة الولايات «المحافظون» فى الإسلام :

عندما إنتشر الإسلام فى الجزيرة العربية بعث الرسول ﷺ إلى المناطق الإسلامية من يقوم مقامه فى إدارة شئون البلاد، فكانوا يؤمون الناس فى الصلاة ويجمعون الزكاة ويحكمون بين الناس، وقد عين الرسول ولاة يتصفون بالتقوى: عثمان بن عفان فى الطائف، العلاء بن الخضر فى البحرين، زياد بن لبيد فى حضرموت، المهاجرين أبى أمية فى صنعاء، عتاب بن أسيد العمرى فى مكة.

وفى عهد أبى بكر قسم البلاد إلى ولايات، وعين على كل منها أمير مهمته إقامة الصلاة، وجمع الزكاة، والفصل فى القضايا وإقامة الحدود، فهو أمير وقاض منفذ.

وفى عهد عمر اتسعت الدولة، فقسمها إلى أقسام إدارية كبيرة وجعل على كل قسم منها واليا يتولى شئونها حتى يسهل حكمها، والإشراف عليها، وعلى مواردها وكان يختار الولاة من أفاضل القوم، ويتعهدهم بالنصح والإرشاد، فقال لبعض عماله «إنى لم أبعثكم جبابرة، ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسالمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم فتظلموهم... » ولذلك كان يختار الولاة ممن يتصفون بالعلم والتقوى حتى يتمكن من أداء واجبه، وربما حبذ من يتصف بالورع وحسن الخلق على الخبرة فى العمل، على إعتبار أن الخبرة تكتسب بالممارسة، وكان الخليفة هو الذى يعين الولاة بكتاب رسمى.

لقد قسمت الدولة أيام عمر إلى عدة ولايات منها مكة، والطائف، وصنعاء، الأهواز، والبحرين، سجستان وكرمان، وقسم بلاد الشام إلى حمص، ودمشق، وفلسطين. أما أفريقيا فقسمها إلى مصر العليا ومصر السفلى، وغرب مصر.

وقد أدخلت تعديلات على التقسيمات الإدارية فى العهدين الأموى والعباسى تبعا لإتساع رقعة الدولة ووفقا للظروف الأمنية: فأصبحت الولايات هى:

** الحجاز واليمن واواسط بلاد العرب.

** مصر بقسميها العلوى والسفلى.

** العرقان العربى والعجمى (شرق العراق).

** بلاد الجزيرة وتتبعها أرمينية وأذربيجان.

** المغرب العربى والأندلس.

أما الشام فكانت مركز الخلافة الأموية وحاضرة الدولة، وفى عهد العباسيين أعيد تقسيم الدولة إلى ولايات مختلفة بعض الشئ لانتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد.

صلاحيات الوالى : كان الوالى يتمتع بقسط كبير من الإستقلال الداخلى نيابة عن الخليفة الأموى إلا فى الأمور الهامة، وكان يؤم الناس فى الصلاة نيابة عن الخليفة، ويشرف على الشرطة، وبيده شئون الحرب، وأعمال الجباية، لذلك لم تكن الولاية تسند إلا لمن عرف بحسن التدبير والمرونة السياسية والخبرة.

(١٠) الشريعة والدساتير الاسلامية والوضعية فى الحكم:

(ا) الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية فى الحكم :

إن الإسلام دين العلم ودين العقل ودين العاطفة والحب ودين الإنسانية، هو الدين القيم الذى ارتضاه لنا ربنا سبحانه وتعالى، وهو الدين الذى يشفى الأبدان والأرواح، ويشيع الأخوة والمحبة والعدل والمساواة بين الناس، وطريق الإسلام هو الطريق المنقذ لنا مما نتخبط فيه من جهالة وتسول على موائد الشرق والغرب معا.

إن الشريعة الإسلامية قبس من نور الله ورحمة مهداة إلى العالمين، فيها علاج لكل مرض وشفاء لما في الصدور، فيها الحرية والعزة والكرامة، وفيها صلاح أمرنا في معيشتنا وفي آخرتنا.. بالشريعة فقط نقضي على الأمراض التي تنخر في عظام المجتمع نخر السوس، وما أكثر الأمراض في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم من النفاق والكذب والخيانة وقول الزور والرشوة ومساندة الظالمين ومحاربة الداعين إلى الله وخراب الذمم وبيع الأوطان.

بتطبيق الشريعة وحدها يعود الأمن والأمان إلى ربوع البلاد، وتعود البسمة إلى الوجوه والثقة إلى النفوس.

لذلك فهي ضرورة ملحة أن نطالب الغيورين على مستقبل أمتهم الإسلامية أن ينبذوا الخلاف، ويوحدوا الكلمة، ويتجهوا إلى الله بإخلاص، ويعملوا صفا واحدا لنصرة الله ورسوله وتطبيق الشريعة والعمل بكتابه وسنة خير أنبيائه.

(٢) الدساتير العربية والشريعة الإسلامية :

إن بعض الدساتير في البلاد العربية لم تكتف بالشعار الإسلامي النظري، ولكنها نصت على «أن الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع».. فإذا لم يكن المقصود بهذا النص مجرد رفع شعار دستوري كشعار «الإسلام دين ودولة» فإنه يتحتم والحال هذه، العمل على تهيئة الجو المناسب لجعل الشريعة الإسلامية مصدرا رئيسياً للتشريع.

(٣) الحاجة إلى وضع دستور إسلامي في الحكم :

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة ٤٩).

أن خير ما نخدم به الدعوة الإسلامية هذه الأيام هو وضع مبادئ الحكم الأساسية التى جاء بها القرآن والسنة فى شكل دستور مكتوب محدد ومفصل وواضح المعالم.

إن مجرد وضع هذا الدستور سيكون نقطة التقاء بين الشعوب الإسلامية والأمنية للوحدة، فهو سيصبح نواة لجمع المسلمين.. وأملاً لشعوبهم فى وحدة إسلامية كبرى. فالشعوب قد تتحد حول المبدأ أكثر مما تجمعهم وحدة الجنس أو اللغة.

هذا وتصدر كل دولة إسلامية دستور عمل خاص بها طبقا لتنوع أشكال الحكم فيها وبما يتمشى مع قوانينها التنفيذية التى تتمشى مع طبيعتها وظروفها الخاصة فى جميع النواحى الإجتماعية والإقتصادية والسياسية بما لا يتعارض مع المبادئ الأساسية الواردة بالدستور الإسلامى العام.

ويراعى فى الدستور الإسلامى العام أن يكون مبنى على القرآن والسنة عملا جديدا يتلاءم مع تطورات العصر ومع حضارة القرنين العشرين والواحد والعشرين بحيث يحل مشاكل الناس واحتياجاتهم.. فلا يشعرون بالتناقض بين دينهم ودنياهم أو بين ما يسمعونه فى دور العبادة وكتب الدين وبين واقع حياتهم ومقتضيات زمانهم، فمثل هذا الدستور لن يكون مجرد نظام للدولة الإسلامية فحسب بل سيكون أيضا نوعا من التجديد فى الفقه والإجتهاد فى التشريع بحيث يناسب حاجة المجتمع فى دولة عصرية فى القرن الواحد والعشرين.

ومن أهم فوائد هذا الدستور وضع بنود الحريات السياسية المستقاة من القرآن والسنة فى صورة منظمة وعملية دقيقة حتى يخرس السنة من يريد النيل من الإسلام بالإدعاء أنه ضد الحرية أو أن النظام الإسلامى لابد أن يؤدى إلى ديكتاتورية مقنعة وإلى كبت الحريات.

(٤) الوثيقة الراهنة الصادرة لإعلان الدستور «الدنيوى» المصرى:

نحن جماهير شعب مصر العامل على هذه الأرض المجيدة منذ فجر التاريخ والحضارة .

نحن جماهير هذا الشعب فى قرى مصر وحقولها ومدنها ومصانعها ومواطن العمل والعلم فيها ، وفى كل موقع يشارك فى صنع الحياة على ترابها أو يشارك فى شرف الدفاع عن هذا التراب.

نحن جماهير هذا الشعب المؤمن بتراثه الروحى الخالد والمطمئن إلى إيمانه العميق والمعتز بشرف الإنسان والإنسانية.

نحن جماهير هذا الشعب يحمل إلى جانب أمانة التاريخ مسئولية أهداف عظيمة للحاضر والمستقبل، بذورها النضال الطويل الشاق الذى ارتفعت معه على المسيرة العظمى للأمة العربية رايات الحرية والاشتراكية والوحدة.

باسم الله وبعون الله نلتزم إلى غير ما حد، وبدون قيد أو شرط أن نبذل كل الجهود لنحقق.

(أولا) السلام لعالمنا : عن تصميم بأن السلام لا يقوم إلا على العدل وبأن التقدم السياسى والاجتماعى لكل الشعوب لا يمكن أن يجرى أو يتم إلا بحرية هذه الشعوب وبإرادتها المستقلة، وبأن أى حضارة لا يمكن أن تستحق إسما إلا مبرأة من نظام الإستغلال مهما كانت صوره وألوانه.

(ثانيا) الوحـــدة : أمل أمتنا العربية عن يقين بأن الوحدة العربية نداء تاريخ ودعوة مستقبل وضرورة مصير وأنها لا يمكن أن تتحقق إلا فى حماية أمة عربية قادرة على دفع وردع أى تهديد مهما كان مصدره ومهما كانت الدعاوى التى تسانده.

(ثالثا) **التطوير المستمر للحياة في وطننا** : عن إيمان بأن التحدى الحقيقى الذى تواجهه الأوطان هو تحقيق التقدم، والتقدم لا يحدث تلقائيا أو بمجرد الوقوف عند إطلاق الشعارات، وإنما القوة الدافعة لهذا التقدم فى إطلاق جميع الإمكانيات والملكات الخلاقة والمبدعة لشعبنا الذى سجل فى كل العصور إسهامه عن طريق العمل وحده فى أداء دوره الحضارى لنفسه والإنسانية.

لقد خاض شعبنا تجربة تلو أخرى، وقدم أثناء واسترشد خلال ذلك بتجارب غنية، وطنية وقومية وعالمية، عبرت عن نفسها فى نهاية مطاف طويل بالوثائق الأساسية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التى قادها تحالف القوى العاملة فى شعبنا المناضل، والذى استطاع بوعيه العميق وحسه المرهف، إن يحافظ على جوهرها الأصيل، وأن يصحح دواما وباستمرارمسارها وأن يحقق بها تكاملا يصل إلى حد الوحدة الكلية بين العلم والإيمان وبين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية وبين الاستقلال الوطنى والإنتماء القومى وبين عالمية الكفاح الإنسانى من أجل تحرير الإنسان سياسة واقتصادا وثقافة وفكرا والحرب ضد كل قوى ورواسب التخلف والسيطرة والإستغلال.

(رابعا) **الحريـــــة** : لإنسانية المصرى عن إدراك الحقيقة أن إنسانية الإنسان وعزته هى الشعاع الذى هدى ووجه خط سير التطور الهائل الذى قطعته البشرية نحو مثلها الأعلى.

إن كرامة الفرد انعكاس لكرامة الوطن، ذلك أن الفرد هو حجر الأساس فى بناء الوطن وبقيمة الفرد وبعمله وكرامته تكون مكانة الوطن وقوته وهيبته،

إن سيادة القانون ليست ضمانا مطلوبا لحرية الفرد فحسب، لكنها الأساس الوحيد لمشروعية السلطة فى نفس الوقت

إن صيغة تحالف قوى الشعب العاملة ليست سبيلا للصراع الإجتماعى نحو التطور التاريخى، ولكنها فى هذا العصر الحديث ومناخه ووسائله صمام أمان يصون وحدة القوى العاملة فى الوطن، ويحقق إزالة المتناقضات فيما بينها فى التفاعل الديموقراطى.

نحن جماهير شعب مصر تصميما ويقينا وإيمانا وإدراكا بكل مسئولياتنا الوطنية القومية والدولية وعرفانا بحق الله ورسالته وبحق الوطن والأمة وبحق المبدأ والمسئولية الإنسانية وباسم الله ويعون الله، نعلن فى هذا اليوم الحادى عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٧١، أننا نقبل ونمنح لأنفسنا هذا الدستور، مؤكدين عزمنا الأكيد على الدفاع عنه وعلى حمايته وعلى تأكيد إحترامه.

(٥) أهم ما جاء بالدستور المصرى:

(أ) المقومات الاجتماعية والخلقية:

** الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع.

** يلتزم المجتمع برعاية الأخلاق وحمايتها، والتمكين للتقاليد المصرية الأصيلة وعليه مراعاة المستوى الرفيع للتربية الدينية والقيم الخلقية والوطنية والتراث التاريخى للشعب والحقائق العلمية، والسلوك الإشتراكى، والآداب العامة وذلك فى حدود القانون وتلتزم الدولة باتباع هذه المبادئ والتمكين لها.

** يقوم المجتمع على التضامن الإجتماعى.

** تكفل الدولة تكافؤ الفرص لجميع المواطنين.

** الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق والوطنية وتحرص الدولة على الحفاظ على الطابع الأصيل للأسرة المصرية وما يتمثل فيه من قيم وتقاليد، مع تأكيد هذا الطابع وتنميته فى العلاقات داخل المجتمع المصرى.

** تكفل الدولة حماية الأمومة والطفولة، وترعى النسئ والشباب وتوفر لهم الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم.

** تكفل الدولة التوفيق بين واجبات المرأة نحو الأسرة وعملها فى المجتمع، ومساواتها بالرجل فى ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، دون إخلال بأحكام الشريعة الإسلامية.

** العمل حق وواجب وشرف تكفله الدولة، ويكون العاملون الممتازون محل تقدير الدولة والمجتمع.

ولا يجوز فرض أى عمل جبرا على المواطنين، إلا بمقتضى قانون ولأداء خدمة عامة وبمقابل عادل.

** الوظائف العامة حق للمواطنين، وتكليف للقائمين بها لخدمة الشعب، وتكفل الدولة حمايتهم وقيامهم بأداء واجباتهم فى رعاية مصالح الشعب، ولا يجوز فصلهم بغير الطريق التأديبى إلا فى الأحوال التى يحددها القانون.

** تكفل الدولة الخدمات الثقافية والإجتماعية والصحية، وتعمل بوجه خاص على توفيرها للقرية فى يسر وانتظام رفعا لمستواها.

** تكفل الدولة خدمات التأمين الإجتماعى والصحى، ومعاشات العجز عن العمل والبطالة والشيخوخة للمواطنين جميعا وذلك وفقا للقانون.

** التعليم حق تكفله الدولة، وهو إلزامى فى المرحلة الابتدائية، وتعمل الدولة على مد الإلزام إلى مراحل أخرى، وتشرف على التعليم كله، وتكفل استقلال الجامعات ومراكز البحث العلمى، وذلك كله بما يحقق الربط بينه وبين حاجات المجتمع والإنتاج.

** التربية الدينية مادة أساسية فى مناهج التعليم العام.
** التعليم فى مؤسسات الدولة التعليمية مجانى فى مراحله المختلفة.
** محو الأمية واجب وطنى تجند كل طاقات الشعب من أجل تحقيقه.

(ب) الحاكم فى الدستور المصرى «الوضعى» :

** رئيس الدولة هو رئيس الجمهورية، ويسهر على تأكيد سيادة الشعب وعلى إحترام الدستور وسيادة القانون وحماية الوحدة الوطنية والمكاسب الإشتراكية، ويرعى الحدود بين السلطات لضمان تأدية دورها فى العمل الوطنى.

** رئيس الجمهورية إذا قام خطر يهدد الوحدة الوطنية أو سلامة الوطن أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء دورها الدستورى أن يتخذ الإجراءات السريعة لمواجهة هذا الخطر، ويوجه بيانا للشعب، ويجرى الإستفتاء على ما اتخذه من إجراءات خلال ستين يوما من إتخاذها.

** يؤدى الرئيس أمام مجلس الشعب قبل أن يباشر مهام منصبه اليمين الآتية:

«أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصا على النظام الجمهورى، وأن أحترم الدستور والقانون، وأن أرعى مصالح الشعب رعاية كاملة، وأن أحافظ على إستقلال الوطن وسلامة أراضيه».

** يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ويمارسها على الوجه المبين فى الدستور، ويضع بالاشتراك مع مجلس الوزراء السياسة العامة للدولة ويشرفان على تنفيذها على الوجه المبين فى الدستور.

** يعين رئيس الجمهورية رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم والمحافظين ويعفيهم من مناصبهم.

** لرئيس الجمهورية أن يعين نائبا له أو أكثر، ويحدد اختصاصاتهم ويعفيهم من مناصبهم.

** لرئيس الجمهورية حق دعوة مجلس الوزراء للإنعقاد وحضور جلساته وتكون له رئاسة الجلسات التى يحضرها، كما له حق طلب تقارير من الوزراء.

** يعين رئيس الجمهورية الموظفين المدنيين والعسكريين والممثلين السياسيين ويعزلهم على الوجه المبين فى القانون، كما يعتمد ممثلى الدول الأجنبية السياسيين.

** يصدر رئيس الجمهورية اللوائح اللازمة لتنفيذ القوانين، بما ليس فيه تعديل أو تعطيل لها أو إعفاء من تنفيذها، وله أن يفوض غيره فى اصدارها ويجوز أن يعين القانون من يصدر القرارات اللازمة لتنفيذه.

** يصدر رئيس الجمهورية القرارات اللازمة لإنشاء وتنظيم المرافق والمصالح العامة.

** لرئيس الجمهورية حق العفو عن العقوبة أو تخفيضها، أما العفو الشامل فلا يكون إلا بقانون.

** رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة وهوالذى يعلن الحرب بعد موافقة مجلس الشعب.

** رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات، ويبلغها مجلس الشعب مشفوعة بما يناسب من البيان، وتكون لها قوة القانون بعد إبرامها والتصديق عليها ونشرها وفقا للأوضاع المقررة.. على أن معاهدات الصلح والتحالف والتجارة والملاحة وجميع المعاهدات التى يترتب عليها تعديل فى أراضى الدولة أو التى تتعلق بحقوق السيادة أو التى تحمل خزانة الدولة شيئا من النفقات غير الواردة فى الموازنة يجب موافقة مجلس الشعب عليها.

** لرئيس الجمهورية أن يستفتى الشعب فى المسائل الهامة التى تتصل بمصالح البلاد العليا.

(جـ) بعض ما جاء فى الدستور عن مجلس الشورى :

** يختص مجلس الشورى بدراسة وإقتراح ما يراه كفيلا بالحفاظ على مبادئ ثورتى يوليو ١٩٥٢، ومايو ١٩٧١ ودعم الوحدة الوطنية، والسلام الإجتماعى، وحماية تحالف قوى الشعب العاملة والمكاسب الاشتراكية، والمقومات الأساسية للمجتمع وقيمه العليا والحقوق والحريات والواجبات العامة، وتعميق النظام الإشتراكى الديموقراطى وتوسيع مجالاته.

** يؤخذ رأى مجلس الشورى فيما يلى :

١- الإقتراحات الخاصة بتعديل مادة أو أكثر من مواد الدستور.
٢- مشروعات القوانين المكملة للدستور.
٣- مشروع الخطة العامة للتنمية الإجتماعية والإقتصادية.
٤- معاهدات الصلح والتحالف وجميع المعاهدات التى يترتب عليها تعديل فى أراضى الدولة أو التى تتعلق بحقوق السيادة.
٥- مشروعات القوانين التى يحيلها إليه رئيس الجمهورية.
٦- ما يحيله رئيس الجمهورية إلى المجلس من موضوعات تتصل بالسياسة العامة للدولة أو بسياستها فى الشئون العربية أو الخارجية.

ويبلغ المجلس رأيه فى هذه الأمور إلى رئيس الجمهورية ومجلس الشعب.

** يشكل مجلس الشورى من عدد من الأعضاء يحدده القانون على ألا يقل عن ١٣٢ عضوا وينتخب ثلثا أعضاء المجلس بالإقتراع المباشر السرى العام على أن يكون

نصفهم على الأقل من العمال والفلاحين.. ويعين رئيس الجمهورية الثلث الباقي.

** مدة عضوية مجلس الشورى ست سنوات، ويتجدد إنتخاب وإختيار نصف الأعضاء المنتخبين والمعينين كل ثلاث سنوات وفقا للقانون ويجوز دائما إعادة إنتخاب أو تعيين من انتهت مدة عضويته.

** لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الشورى ومجلس الشعب.

** رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء وغيرهم من أعضاء الحكومة غير مسئولين أمام مجلس الشورى.

** لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس الشورى إلا عند الضرورة ويجب أن يشمل قرار حل المجلس على دعوة الناخبين لإجراء إنتخابات جديدة لمجلس الشورى فى ميعاد لا يجاوز ستين يوما من تاريخ صدور قرار الحل، ويجتمع المجلس خلال الأيام العشرة التالية لإجراء الإنتخابات.

(د) بعض ما جاء فى الدستور عن مجلس الشعب :

** يتولى مجلس الشعب سلطة التشريع ويقرر السياسة العامة للدولة والخطة العامة للتنمية الإقتصادية والإجتماعية والموازنة العامة للدولة كما يمارس الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية، وذلك كله على الوجه المبين فى الدستور.

** يحدد القانون الدوائر الإنتخابية التى تقسم إليها الدولة، وعدد أعضاء مجلس الشعب المنتخبين، على ألا يقل عن ثلاثمائه وخمسين عضوا، نصفهم على الأقل من العمال والفلاحين. ويكون إنتخابهم عن طريق الإنتخاب المباشر السرى العام ويبين القانون تعريف العامل والفلاح، ويجوز لرئيس الجمهورية أن يعين فى مجلس الشعب عددا من الأعضاء لا يزيد على عشرة.

** يحدد القانون الشروط الواجب توافرها فى أعضاء مجلس الشعب ويبين أحكام الإنتخاب والإستفتاء، على أن يتم الإقتراع تحت إشراف أعضاء هيئة قضائية.

** يقسم عضو مجلس الشعب أمام المجلس قبل أن يباشر عمله اليمين الآتية:

«أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصا على سلامة الوطن والنظام الجمهورى وأن أرعى مصالح الشعب، وأن أحترم الدستور والقانون».

** مدة مجلس الشعب خمس سنوات ميلادية من تاريخ أول إجتماع له.

** لا يجوز لعضو مجلس الشعب أثناء مدة عضويته أن يشترى أو يستأجر شيئا من أموال الدولة، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئا من أمواله أو أن يقاضيها عليه، أو أن يبرم مع الدولة عقدا بوصفه ملتزما أو موردا أو مقاولا .

** لا يؤاخذ أعضاء مجلس الشعب عما يبدونه من الأفكار والآراء فى أداء أعمالهم فى المجلس أو فى لجانه.

** لرئيس الجمهورية عند الضرورة وفى الأحوال الإستثنائية وبناء على تفويض من مجلس الشعب بأغلبية ثلثى أعضائه أن يصدر قرارات لها قوة القانون ويجب أن يكون التفويض لمدة محدودة وأن يبين فيه موضوعات هذه القرارات والأسس التى تقوم عليها ويجب عرض هذه القرارات على مجلس الشعب فى أول جلسة بعد إنتهاء مدة التفويض فاذا لم تعرض أو عرضت ولم يوافق المجلس عليها زال ماكان لها من قوة القانون.

** لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس الشعب إلا عند الضرورة وبعد إستفتاء الشعب ويصدر رئيس الجمهورية قراراً بوقف جلسات المجلس وإجراء الإستفتاء خلال ثلاثين يوما، فاذا أقرت الأغلبية المطلقة لعدد من أعطوا أصواتهم الحل، أصدر رئيس الجمهورية قرارا به.

(هـ) الوزارة فى الدستور المصرى «الوضعى»

** الحكومة هى الهيئة التنفيذية والإدارية العليا للدولة، وتتكون الحكومة من رئيس مجلس الوزراء والوزراء ونوابهم، ويشرف رئيس مجلس الوزراء على أعمال الحكومة.

** يؤدى أعضاء الوزارة أمام رئيس الجمهورية قبل مباشرة وظائفهم اليمين الآتية:

«أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصا على النظام الجمهورى وأن أحترم الدستور والقانون، وأن أرعى مصالح الشعب رعاية كاملة، وأن أحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه»

** الوزير هو الرئيس الإدارى الأعلى لوزارته، ويتولى رسم سياسة الوزارة فى حدود السياسة العامة للدولة ويقوم بتنفيذها.

** الإشتراك مع رئيس الجمهورية فى وضع السياسة العامة للدولة والإشراف على تنفيذها وفقا للقوانين والقرارات الجمهورية.. وتوجيه وتنسيق ومتابعة أعمال الوزارات والجهات التابعة لها والهيئات والمؤسسات العامة.. وإصدار القرارات الإدارية والتنفيذية وفقا للقوانين والقرارات ومراقبة تنفيذها.. وإعداد مشروعات القوانين والقرارات ومشروع الموازنة العامة للدولة، ومشروع الخطة العامة للدولة، وعقد القروض ومنحها وفقا لأحكام الدستور.. وملاحظة تنفيذ القوانين والمحافظة على أمن الدولة وحماية حقوق المواطنين ومصالح الدولة.

** لا يجوز للوزير اثناء تولى منصبه أن يزاول مهنة حرة أو عملا تجاريا أو ماليا، أو صناعيا، أو أن يشترى أو يستأجر شيئا من أموال الدولة أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئا من أمواله أو أن يقاضيها عليه.

(١١) خاتمـــة

وبعد: فما أحوج البشرية اللاهثة والمتطلعة إلى حياة أفضل أن تنظر بعين الحقيقة والإنصاف لنظام الحكم فى الإسلام، الذى قدمنا بعضا من جوانبه، لعلها تكون قبسا هاديا لمن يريد نشدان الحقيقة. والوصول إلى حياة الأمن والأمان وصدق الله العظيم: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾
(سورة الأنعام ٨٢)

فيا عقلاء الأمم عامة. ويا أهل الحل والعقد فى البلاد الإسلامية خاصة.. أننى إناشدكم الله أن تصيغوا السمع لنداء الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ .
(سورة المائدة ٤٩)

وها هى الدول العربية فى معظمها قد نصت فى المادة الثانية من دساتيرها على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأول للتشريع والأمل فى الله كبير أن يشرح القلوب لتطبيق منهاجه واتباع نظام حكمه وساعتئذ تعود للأمة الإسلامية أستاذيتها للعالم، وقيادتها للبشرية، كما كانت فى عهد المد الإسلامى الذى طال إنتظارنا له، والذى كان علينا فى حين من الدهر تبعات إيقافه فهل آن الأوان؟

أرجو ذلك والله المستعان..

(١٢) نمـوذج عـن حاكـم عبقـرى وفريـد

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

فى تاريخ العالم وعلى مر العصور أنماط مختلفة من الزعامات والعبقريات فى مختلف المجالات، تمثل أعظم ما وصلت إليه البشرية من التقدم الفكرى والحضارى، وهذه الأنماط تثير فينا التأمل والتفكير حينا ، والدهشة والاستنكار حينا ، والاكبار والإعجاب أحيانا ، لكن نمطا معينا منها يستوقفنا أمامه طويلا لأننا نجد فيه إنفراده بصفات خاصة لا نلمسها فى سائر الأنماط.

فقد تكون الزعامة محدودة بحدود الإقليم أو الجنس أو العنصر، حتى ينحصر مجالها فى إقليم معين، أو جنس بشرى خاص، هو موطن الزعيم أو جنسه.

•وقد يخبو ضوء العبقرية بمرور الزمان، فلا يسهل حينذاك أن يقدرها المتأخرون قدرها الحقيقى ، إلا إذا وضعوا فى اعتبارهم طبيعة العصر الذى عاش فيه العبقرى وظروفه!... وقد تدور أعمال الزعيم حول مركز واحد هو ذاته وما يتصل بها ، وهذا أخطر الوان الزعامة.

ولكن هناك أيضا ذلك اللون من الزعامات والعبقريات، الذى يتخطى حدود المكان والزمان والجنس والإقليم والذات، وأعنى العبقرية الإنسانية التى تثير فى الإنسان - من أى جنس، وفى أي زمن- شعور الإكبار والتقدير لأن صاحبها لم يعن فى حياته بأن يقيد عبقريته بقيد من القيود التى تحول بينها وبين التعاطف مع الإنسانية عامة، وهذا أندر الوان العبقرية وأرفعها شأنا .

ويقول محمد البلتاجى فى كتابه:

ومما لاشك فيه إن عمر بن الخطاب كان رجلا عبقريا ، لكن من أى ألوان العبقريات؟ مما لا شك فيه، أيضا أن ذاته لم تكن محور عبقريته، فلم يكن ذلك الحاكم

المستبد الذى تدور أعماله حول مجده الشخصى، بل كان فى نهاية الإتجاه المضاد لذلك تماما، وهذه حقيقة بديهية يدركها بوضوح كل من قرأ شيئا - أى شئ- عن عمر.

يقول الدكتور طه حسين عن عمر بن الخطاب :

كانت إمارته رحمة، فلقد أتاح للمسلمين أثناء خلافته لونا من الحياة، مازالت الأمم المتحضرة الآن فى الغرب مقصرة عن بلوغه على شدة ما تجتهد وتجاهد فى سبيله وما زال المسلمون فى هذه الأيام يرون هذا اللون من الحياة التى أتاحها عمر للناس حلما، ولا يدرون متى يصبح حقيقة، على ما اتيح لهم وما يتاح لهم فى كل يوم، من الوسائل التى تعينهم على تيسير الحياة، ولم يكن عمر يملك من هذه الوسائل شيئاً».

ويقول عن نظام العطاء والدواوين فى عهد عمر:

«فأما أن تكفل الدولة رزق المسلمين جميعا على هذا النحو فلسنا نعرفه فى التاريخ القديم وما أظن أن الحضارة الحديثة وفقت اليه».

وكل ما وصلت اليه الحضارة الحديثة فى بعض البلاد، وما وصلت اليه بآخره، إنما هو التأمين الإجتماعى الذى تؤخذ نفقاته من الناس لترد عليهم بعد ذلك، حين يحتاجون فى بعض الأمر إلى العلاج حين يمرضون، وإلى كفالة الحياة للشيوخ والضعفاء والعاجزين عن العمل لكسب القوت، وتأمين العمال من أخطار العمل، وتأمين الذين يخدمون الدولة والنظم الاجتماعية على رزقهم حين تنقضى خدمتهم، فأما أن يكون لكل فرد من أفراد الأمة نصيب مقسوم من خزانة الدولة، فشئ لم يعرف إلا منذ عمر» إننا نرى أن المسلمين لن يشهدوا شخصية أخرى مثل عمر تعيد أعماله حقيقة واقعة، فضلا عن أن تتخطاها أو تطفئ بريقها».

مما لاشك فيه أن عمر كان يعمل لصالح المسلمين، ولكن هذا كان واجبه الأول باعتباره رئيسا لدولتهم ، وهل يستطيع أحد أن يعيب رئيس الدولة حين يعمل

لصالحها؟ إن العكس هو الصحيح، لأن الحاكم الذى لا يرعى مصالح قومه هو الحاكم الخائن لواجبه، لكن الخطوة التى تلى هذا مباشرة هى التى تفرق بين الزعامة المحدودة بحدود الإقليم أو الجنس، وبين العبقرية الإنسانية التى ترعى فكرة «الإنسان» مع فكرة المواطن «جنبا إلى جنب»، لأن طبيعة العمران البشرى تفرض نوعا من الصلات المتشابكة بين كل دولة وأخرى، وبالأخص جيرانها، فإن جعل الحاكم كل هدفه أن تسود دولته وتثرى عن طريق سلب حرية جيرانها واستغلال مواردهم فهو لا يرعى إلا فكرة واحدة وهى فكرة «المواطن» أما «الإنسان» فلا يعنيه على وجه الإطلاق، وهذا الحاكم- إن كان عبقريا - فإن عبقريته اقليمية أو عنصرية، وعليها قامت حركات الاستعمار فى العالم، فهل كانت عبقرية عمر من هذا النوع؟ وهل كانت حركات الفتوحات الإسلامية فى العراق وفارس والشام وفلسطين ومصر فى عهده تهدف إلى الربح المادى عن طريق إستغلال الشعوب فى الأرض المفتوحة.

إن الحقائق التاريخية كلها تنفى فكرة الإستغلال والنهب لأن الفتح الإسلامى كان خيرا كثيرا بالنسبة للبلاد المفتوحة، وكان بميزان النفع المادى أكثر نفعا لسكان البلاد الأصليين.

كان عمر إذن يرى أنه لو فتح بلدا فقيرا فان من واجب الحكومة الإسلامية أن تكفل لأهله أرزاقهم، أما إذا كانت أرضهم غنية فإنها تبقى فى أيديهم مقابل ضريبة محددة قليلة المقدار، تصرف فى تحسين أحوال بلدهم، وفى نفقات الجيش الإسلامى المرابط فى ثغورهم.. حتى لا يرجع المستعمرون إلى المدن التى استخلصها المسلمون من أيديهم، ويبقى أهل البلاد الأصليون آمنين لا يحاربون ويحارب عنهم المسلمون «يقاتل المسلمون عدوهم، ولا يكلفون فوق طاقتهم».

إننا نستطيع أن نقول الآن ونحن مطمئنون تماما أن عمر كان يرعى فكرة «الإنسان» جنبا إلى جنب مع فكرة المواطن بل إن فكرة الإنسان كان لها - أحيانا -

السبق على فكرة المواطن، مما يجعلنا نقول أن عمر كان يرعى فكرة الإنسان سواء كان مواطنا يتبع دين الإسلام وجنس العرب أم كان مواطنا لا يدين بالإسلام وليس العرب جنسه ولا العربية لسانه، ذلك أنه لم يكن يفرق فى مفهوم الإنسان بين الناس على أساس الجنس أو الدين أو الإقليم، ومن هنا كانت عبقريته إنسانية لا تعرف التعصب المقيت، الذى يؤدى إلى الإستغلال والإجبار والظلم،

لقد ثبت عنه من أنه كان يجعل نفسه وأهله- منذ توليه الخلافة - أقل من بقية المسلمين حقوقا وأكثر منهم واجبات لأنه بذلك كان يؤثر فكرة (الغير) على فكرة (الأنا)

كانت عبقرية عمر إذاً من ذلك النمط النادر الذى يستوقفنا أمامه طويلا لأننا نلمح فيه انفراده بصفات خاصة لا نلمسها فى سائر العظماء ، قال عنه الرسول | مربى الرجال: « .. **فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب** » أو «يفرى فرية»..

ولست أريد أن استقصى كل ما كتب عن عمر فان ذلك - فى حد ذاته يحتاج إلى مجلدات متعددة، كما أنه ليس من أهداف هذه العجالة إظهار تفاصيل هذا النموذج من الرجال. كانت وفاة عمر خسارة فادحة للمسلمين، إذ كان الرجل لائقا بمعنى الكلمة لزعامة العرب البعيدين بطبعهم عن الإنقياد للقانون، وكان على الجملة شديدا عادلا بعيد النظر ، ملما بأخلاق شعبه، فقبض بيد من حديد على دفة الأمور وأعنة الحكم، وقمع بشدة ذلك الميل الفطرى- المعروف عن أهل الصحراء وأشباه المتحضرين - إلى الفساد، إذا ما إحتكوا ترف المدن ومفاسدها ، كان أقوى حكام ذلك العصر وأشدهم بأساً وأعظمهم هيبة.

وبعد، فان بعث عمر فى حياتنا الدنيا هذه أمر مستحيل، لكن ليس من المستحيل أن يوجد الرجل العمرى الذى تتحقق فيه بعض صفات عمر وتواتيه ظروفه فيصلح الله به شأن الأمة وتستعيد على يديه أمجادها، كما صلحت شئونها على يد عمر، وما كان إلا رجلا عربيا من خلق الله،بيد أننا نؤمن بما قاله عمر بن الخطاب من أن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ».

وعلى الله قصد السبيل.



﴿ العلم والتعليم ﴾

﴿ اقْـرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَـانَ مِنْ
عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)
عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾

(العلق من ١ - ٥)



العلم والتعليم



أولاً: العـلم

ثانياً: التعليم

أولا: العـــلم

(١) العلم فريضة لإعمار الكون :

قال الدكتور محمود زقزوق وزير الاوقاف فى إحدى محاضراته نذكر منها بعض المقتطفات:

[إن الإنسان يحمل المسئولية من قبل الله عز وجل وعليه الإلتزام بما أمره الله تعالى وهذا ما أكده الله فى محكم التنزيل، والله سبحانه حرص على تكريم الإنسان على سائر المخلوقات، وجعل العلم فريضة لأهميته فى إعمار الارض، وعلى المسلمين المشاركة فى صيغ الحضارة وهى مسئولية عليهم لإعمار الأرض، والحضارة فى مجملها التزام خلقى.

* *

كرم الله الإنسان تكريما لم يرق إليه كائن آخر، وقد أكد القرآن ذلك: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء ٧٠). واقتضت إرادة الله أن يعد الإنسان للخلافة فى الأرض وان يكلفه بعمارتها، ولما كانت عمارة الأرض لاتكون إلا بالعلم فقد كان التكريم للإنسان بالعلم، فعلمه الله الأسماء كلها قبل أن يهبط إلى الأرض، أى سلحه بالعلم الذى يستطيع به أن يقوم بمهمة إعمار الكون وصنع الحضارة فيه وجاء هذا التكليف فى قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود ٦١)، أى طلب منكم عمارتها، ومفهوم العمارة هنا مفهوم شامل لكل الوان التعمير المادى والمعنوى.

وجاءت الآيات الخمس الأولى من الوحى الإلهى على محمد ﷺ هى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ (العلق ١-٥). فكانت هذه الآيات الأولى عوداً على بدأ، وتذكيرا بالعلم وأهميته البالغة فى إعمار الكون، وهذا يعنى إستمرار

التكليف الإلهى، وإستمرار التركيز على العلم. إن هذه الآيات الأولى من الوعى الإلهى لم تأت من فراغ، ولم تكن مقطوعة الصلة بالبداية الأولى، وإنما كانت تتويجا لرسالات الأنبياء ممثلة فى الرسالة الخاتمة التى إصطفى الله لها محمداً ﷺ الأمر الذى يؤكد لنا أن رسالة الدين هى الإعمار والبناء، هى العمل من أجل الخير والحق والسلام، وهذا يؤكد لنا من ناحية أخرى أن الدين قد جاء لمصلحة الإنسان، ومن أجل خيره وسعادته فى دنياه وأخراه.

إن المسئولية التى ألقيت على عاتق الإنسان لم تستطع الكائنات الأخرى تحملها، وقبل الإنسان وحده تحملها بكل ماتعنيه من إلتزامات ويخبرنا القرآن: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾ (الأحزاب ٧٢). والأمانة المقصودة هى أمانة التكليف والمسئولية، وحتى يستطيع الإنسان تحمل تبعات هذه المسئولية وتنظيم الحرية التى منحت له أنعم الله عليه بنعمة العقل الذى يميز به الخير من الشر والنافع من الضار والحق من الباطل، والعقل أداة التفكير لدى الإنسان، ومن خلاله يستطيع أن يبتكر ويخترع ويضيف كل يوم جديدا من أجل خير الإنسان وسعادته، وبالعقل يبحث الإنسان وينقب ويفهم ويدرك العلاقات بين الأشياء ويكتشف القوانين التى تحكم الكون ويدرك الأسباب والمسببات، ومن خلال العقل يملك سلاح العلم الذى سلح الله به الإنسان قبل أن يهبط إلى الأرض والذى أعاد القرآن التأكيد عليه فى بداية الوعى القرآنى.

ولأهمية العلم والتعويل عليه فى إعمار الكون وصنع الحضارة فيه جعله الإسلام فريضة من فرائض الدين، وقد جاء ذلك على لسان الرسول ﷺ (**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**).. والانسان يستطيع - من منطلق حريته - أن يسخر علمه وفكره وقدراته من أجل خير الإنسان.

وإذا كانت تعاليم الاسلام قد جاءت من أجل مصلحة الإنسان فإنها قد نظرت إلى هذه المصلحة بطريقة متوازنة، فقد إهتمت بأمر الدنيا كما إهتمت بأمر الآخرة، وطلبت من الإنسان أن يقيم التوازن بينها كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص ٧٧) ﴿ولَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾(الإسراء ٢٩) ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾(الأعراف ٣١) ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف ٣٢).

وهكذا نجد أن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة واقعية، يلبى من ناحية حاجاته المادية، وفي الوقت نفسه لايهمل حاجاته الروحية، ومن خلال هذا المزج الفريد المتوازن بين هذين الجانبين تستقيم حياة الإنسان، وبالتالي يكون شخصيته سوية قادرة على القيام بواجبها في أعمار الكون ماديا ومعنويا، فالدين إذا يدفع الانسان دفعا إلى طلب العلم الذى هو فريضه إسلامية إيمانا منه بأن ذلك الطريق سيوصل في النهاية إلى خالق الكون أى إلى الإيمان بالله.

(٢) العلم منذ آدم (عليه السلام):

ربما كان كثير من الغرائز البارزة في الإنسان مثل «حب الإستطلاع» والحل أو التركيب، والكشف عن المجهول، وغير ذلك من القوى الكامنة فيه، والإستعداد الذى ميزه الله به على سائر أنواع الحيوانات، برهانا واضحا على أنه لايرضى لنفسه بحال من الأحوال أن ينطوى على الجهل، أو يسكت على عدم المعرفة، أو يستكين لذلك الوضع المزرى الذى يجعله صندوقاً مغلقا، أو صخرة صماء، أو شبحا يروح ويجيء ليس إلا. والدليل على ذلك أنه يغضب ويثور إذا رماه أحد بعدم المعرفة، ولو كان لفى واقع الحال كذلك، وكم هنالك من مصادمات يحمى وطيسها، ويتطاير في الجو دخانها، لايكون لها من سبب إلا أن يقول رجل لآخر أنت لاتدرى أو لاتعرف أو بينك وبين حقائق الأشياء بعد مابعد بين المشرقين.

ولقد كان المرجح الذى جعل لآدم عليه السلام الفضل كل الفضل على الملائكة، فأمرهم الله بالسجود له، ثم أعطاه الخلافة فى الدنيا، هو العلم: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (سورة البقرة) وكذلك كان سبحانه وتعالى لايسوى بين الذين يعلمون والذين لايعلمون.

السؤال نصف العلم: وإذا كان السؤال نصف العلم - كما كان أسلافنا يقولون - فقد كان أصحاب الرسول ﷺ يسألونه أسئلة ربما بدأ منها أنها غريبة أو نابية يتحرجون منها، أو يترددون فى أن يوجهوها إليه حتى لايسيئوا الأدب معه، لكنهم كانوا على كل حال يسألون، ثم يترقبون الجواب، بصرف النظر عن أن يكون ذلك الجواب سارا أو غير سار، ولم يكن هذا كله شاقا عليه ﷺ، ولا مكدرا الصفوة، أو مؤلما لنفسه، لأنه يعلم علم اليقين، أن لذعة الحيرة والشك، أو التردد والجهل، وعدم المعرفة للأشياء، والوقوف على أسبابها، وإرتباط بعضها ببعض، مما لايقبله أحد، أو يطمئن له إنسان، أو يهدأ له قلب، أو يستريح له خاطر، ولهذا لم يتقاضى عن إضاءة المشاعل، وإشاعة النور، وإرسال الضياء الكاشف لأولئك الذين تشتبه عليهم الأمور، وتخفى أمامهم المعالم، أو تغيب عنهم براهين الأشياء، وأدلة الحقائق، ويعاتبه الله سبحانه وتعالى إذا بدأ منه عدم الإهتمام بالأخذ بأيدى الضالين أو المترددين أو الذين يطرقون بابه من أجل المعرفة والهداية، والفهم والعلم، والسلوك الذى يجب أن يكون عليه كل مؤمن متثبت لا تهزة عواصف الشك، ولا أعاصير الجهالة، ولو حصل منه أمر من هذا على سبيل الإجتهاد لم يقره عليه، أو يتركه للإسترسال فيه، كما حصل مع ابن أم مكتوم

الذى كان حريصا على الذهاب إليه للتفقه فى الدين فلم يستقبله الرسول الإستقبال الذى يتبئ عن العناية والإهتمام، واشتغل بالحفاوة بهؤلاء الذين كانوا يساومونه من كفار مكه الذين كانوا يلوحون له بالإيمان به، والدخول فى دينه. وكأنه ﷺ كان مطمئنا إلى أن صاحبه لايمل إغضاءه منه أو إهماله له، والألفه - كما يقولون - ترفع الكلفة، وحينئذ نزل عليه جبريل عليه السلام يقوا الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾﴾ (عبس ١-٤) وكان ﷺ كلما لقيه بعد ذلك سلم عليه وقال له «أهلا بمن عاتبنى فيه ربى...».

وكان جبريل فى بعض الأحيان يجئ للرسول على شكل إعرابى جاف حلف ليسأله فى خشونة وغلظه، وكان بعض الصحابة يهيم بالتطاول عليه أو تأنيبه لاساءته للأدب فى خطاب الرسول ﷺ، إلا إنه كان يردهم ويحول بينهم وبين ذلك قائلا: (**هذا هو جبريل جاء ليعلمكم كيف تسألونى فيما يخفى عليكم أمره من الدين**)، وكان فى تلك الأسئله التى يبادرون بها رسول الله قول أحدهم (أو يأتى الشر بالخير يارسول الله) ويقول لهم نعم .. ويقول حذيفة بن اليمامة (كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه).

وهكذا نرى أن السؤال لم يكن قاصرا على الخير تبين الرجل حدوده ومعالمه، وأوصافه، وملامحة، وإنما يكون كذلك عن الشر الذى يجب تركه وعدم الإقتراب منه، أما من قبيل قول القائل «وبضدها تتميز الأشياء» أو لأن ماينطوى عليه من الأذى والضرر قد يكون وحده حاملاً للناس على أن يطلبوا الخير ويعملون له.

(٣) النزوع إلى العلم والبحث عن المعرفة

لقد رأينا الحروب الأخيرة وقد طحنت رحاها العالم، وأتت على الأخضر واليابس، توقظ كثيرا من الناس إلى أن يفكروا فى السداد والرشاد، والقضاء على بذور الشر، وعوامل الفساد، أو العناء الذى يقاسون منه، وهل يكون ذلك بالرجوع إلى الله، والتزام

هديه الذى أرسل به رسله مبشرين ومنذرين، أم بتلك القوانين التي يضعها علماء الدساتير فى الأرض.

لايعنينا أن ننحاز إلى رأى من ذلك، أو ندعو إلى مذهب بعينه، وإنما يعنينا أن نقول أن هذه كلها صور من النزوع إلى العلم، والبحث عن المعرفة، وعلماء الإجتماع وهم يتكلمون عن البدائية الأولى فى الإنسان لم يختلفوا فى أنه كان يتطلع وينظر ويفكر ويسأل ويحاول أن تتكشف له الحقائق عارية واضحة، والحاجة إلى الزاد العقلى تلح على الناس أكثر من الحاحة إلى الزاد الجسمى، لأن الانسان يصبر على الجوع والظمأ ولكنه لايصبر على الجوع الفكرى، ولا أدل على ذلك مما ورد فى القرآن الكريم.

وقد كان رسول الله | يتلقى عن قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وقد وجد موسى أنه مع هذا التشريف الذى شرفه به ربه فجعله من المرسلين، لم يكن له مثل ماكان للخضر من العلم بالأشياء، والإحاطة بالمسائل:

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) ﴾ (الكهف ٦٦- ٧٠).

وكأنما كان الخضر عليه السلام عالماً بطبائع النفس الإنسانية التى تلح عليها فى طلب العلم، والسؤال عن الأشياء، واللهفة على الوقوف على الحقائق، غير مترقبة للفرصة المناسبة، أو الظروف المتاحة، فأراد أن ينسق له الوقت، ويرتب له الزمن، كما يفعل الأستاذ مع تلاميذه، إذ يعودهم على أن تكون الأسئلة والمناقشة للموضوع آخر الدرس، أو بعد الانتهاء من شرح الموضوع، ليحملهم على التزام النظام والإحاطة باكبر

قدر ممكن من العلم والمعرفة، أو ليثير الشوق إلى الشئ المترقب وجوده لذلك كان يؤكد كل التأكيد على هذا المبدأ: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ وكان موسى من جانبه يؤكد له أنه سيكون مطيعاً للأوامر التى يمليها عليه ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف ٦٩).

وقد أنبأنا القرآن الكريم أن موسى عليه السلام غلبت عليه بشريته على الرغم من العهود والمواثيق التى أخذها على نفسه بأنه سيصبر ولايخرج عن طاعته أو يعصى لأمره، وهنالك يخضع للرغبة الملحة التى تسوقه سوقا إلى أن يتجاوز السدود والحدود، ويتخطى الشرط الذى أخذه على نفسه حتى إذا ما قال له الخضر تبرما به، أو غضباً منه: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف ٧٢) حاول أن يقلل من حدته ويطفىء من نيران غضبه: ﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (الكهف ٧٣) ومع ذلك كله يتكرر نزوعه إلى المعرفة، ونهمه للعلم، وتطلعه إلى السؤال، ويتكرر من الخضر عليه السلام العتاب، ولم يزد موسى عليه السلام عن ذلك الإعتذار التقليدى ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ وهو على كل حال سلطان العلم والنزوع إلى طلبه والمعاناة فى تحصيله.

(٤) بين العلـم والعمـل

(رسالة من الإمام الغزالى إلى أحد تلاميذه)

* **ياولدى** ..! النصيحة سهلة، ولكن الصعب قبولها ..! لأنها فى فم من لم يتعودها مرةُ المذاق.. وإ ن من يحصل العلم ولايعمل به؛ تكون الحجة عليه أعظم، كما قال ﷺ (**أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لاينتفع بعلمه**).

* **ياولدى** ..! لاتكن من الأعمال مفلسا، ولا من الإجتهاد فى الطاعة خاليا، وتيقن أن العلم المجرد لايأخذ باليد، كما لو كان مع رجل عشرة أسياف هندية وهو فى

الصحراء فخرج عليه أسد عظيم مهيب، فهل تدفع عنه هذه الأسلحة دون أن يستعملها؟ كذلك مثل العلم والعمل، لا فائدة فى الأولى بدون الثانى.

* **ياولدى**.. لو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب، لاتكون مستعداً لرحمة الله إلا بالعمل. ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾ (النجم ٣٩). ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف ١١٠).

* **ياولدى**.. مالم تعمل لم تجد الأجر. وفيما ينسب إلى على كرم الله وجهه: (من ظن أنه بدون الجهاد يصل فهو مُتمنٍّ، والمُنَى بضائع الحمقى). وقال ﷺ **(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع هواها، وتمنى على الله المغفرة)**.

* **ياولدى**.. عش ماشئت فانك ميت، واحبب ماشئت فانك مفارقه واعمل ماشئت فإنك مجزىٌ به.. والعلم بلا عمل جنون. ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ٤٤).

والعمل بغير علم لايكون.. فلابد منهما معا.. وإن العلم وحده لايبعدك اليوم عن المعاصى، ولاينجيك غدا من النار.. فإذا لم تجتهد اليوم فى العمل، لتقولن يوم القيامة: ﴿ فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾(السجدة ١٢).. فيقال لك: ياهذا أنت من هناك جئت.

(٥) القرآن والعلم (العلم مع الإيمان والخلق الكريم)

عندما إنتصرت الثورات فى أوروبا كان أول شئ فعله رجالها فصل الدين عن الدولة، حتى لاتتحكم الكنيسة فيما تنتجه العقول وتصل إليه من كشوف وإختراعات، ومن هنا ساد فى الناس هناك أن الدين شئ، والعلم شئ آخر، وأن الدين يعارض العلم. وحينما نقلنا نحن من أوروبا علمها وأفكارها نقلنا هذه الفكرة دون تمييز، ودون معرفة بحقيقة ديننا، الذى جعل من خصائصه الأولى إحترام العقل والعلم، بل الحث على العلم والدعوة إليه. وفى آيات القرآن الكريم التى تعرض مظاهر الكون، تحس أن الله سبحانه

يستحث العقول لكى تتأمل وتفكر فى صنع الله، ومظاهر قدرته فى خلق السموات والأرض، لتصل عن طريق التأمل والإستنتاج إلى معرفة الله والإيمان به.

ولهذا نجد كثيراً من الآيات الكريمة التى تعرض مظاهر الكون يختمها الله بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الرعد ٤) ﴿لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾(آل عمران ١٩٠)، [أى العقول]. وهذا أسمى تقدير للعقل وللعلم.. حتى نجد الآية الكريمة تخص العلماء وحدهم بشرف معرفة الله وخشيته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر٢٨) وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر ٢٧) [الجدد: عروق وطرق، غرابيب: قاتمه] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ (فاطر ٢٨).

وهذه الآية الكريمة كما ترى تشمل موضوعات: علوم طبقات الجو والنبات والجيولوجيا والحيوان، بمعنى شملت كل العلوم التجريبية، وفى أولها دعت إلى التأمل والبحث فيها، ولايتم البحث والتأمل إلا بالوصول إلى دقائقها ومعرفة خصائصها.

وحينما يعرض الله سبحانه مظاهر قدرته فى خلق الإنسان من نطفة إلى أن يصير بشراً سويا فى آيات كثيرة إذ يقول: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ (الزمر ٦). إنما يعرض أشياء غير منظورة أمامنا، وهو فى عرضه هذا يدعو العقول للبحث لتستكشفها بعرضه القرآن منها، ولقد قال المفسرون أنها غلاف البطن والرحم والمشيمة ثم جاء علم التشريح فأثبت أنها أغشية داخل البطن، لم يمكن معرفتها بدقة إلا من قرن واحد فى ضوء العلم الحديث.

ومع الأسف لم يجتهد المسلمون فى معرفة هذا، وكان هو الأولى بهم، لأن القرآن أمامهم يدعوهم للتأمل والمعرفة من قرون، وقد تحدث علماء الطب وأفاضوا فى فائدة هذا الغلق أو الظلمات كما يعبر القرآن، لتكوين الجنين والمحافظة عليه. وحين يقول

الله ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات ٢١) يدعو دعوة قوية إلى البحث فى أنفسنا : فى كيفية خلقنا وتطورنا جسمياً ومايتركب منه جسمنا من أجهزة دقيقة، وفى غرائزنا وعواطفنا ، وفى إختزان المعلومات، وإستذكارها إلى غير ذلك من العلوم التى تتصل بالانسان مماتكفل به علم الطب بكل فروعه وعلم النفس بفروعه كذلك.

وهكذا ترى أن القرآن الكريم وفهمه فهما دقيقا، يقوم على العلم، ولايمكن بعد ذلك أن يصادم العلم، أو يجد من إنطلاقه والله سبحانه يعلم ورسوله كما يعلم إتباعه هذه الدعوة المباركة ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه ١١٤) والعلم كما عرفنا لايقف عند علم العبادات، بل يشمل كل علم يخدم الإنسان ويرقى به ويسهل له الحياة ويبصره بقدرة الله، وإذا كان الله قد عرض هذه المظاهر لنصل إلى الإيمان به، فإن الإيمان العميق لايتم إلا بعد البحث فى الدقائق والتفاصيل لنعرف بديع صنع الله.

والله يجعل بذلك للعلم غاية، ويربطه بالإيمان، حتى لايضل ولا يطغى، ولايستعمل الإنسان المسلم علمه للتدمير والتخريب، وهذه ميزة الدعوة للعلم في الإسلام.

العلم مع الإيمان والخلق الكريم

(أ) التطبيق العملى من حياة المسلمين الأول :

إذا كان ماسبق حديثاً نظرياً، فان النفس بطبيعتها تحتاج فى تأكيد إقتناعها إلى شاهد واقعى من حياة المسلمين الأول، الذين بنوا حياتهم وشكلوها على هدى القرآن والسنة. هل فهموا من دينهم هذا الفهم الذى عرضناه، وهل إنطلقوا فى حياتهم على هذا الفهم؟.. الحقيقة أن الواقع الحقيقى للمسلمين يشهد بأن الإسلام دفع العرب وكل من آمن معهم دفعة قوية إلى نهضة علمية، لم يعرفوها من قبل، بل ولم تعرفها الأمم الغربية فى ذلك الوقت، ويشهد كذلك بان الحضارة الإسلامية المزدهرة إنما نشأت فى ظل الإسلام ورعايته ، وعلى يد علماء مؤمنين بدينهم، مخلصين له اتخذوا من القرآن هاديا لهم، وحارسا فى كل خطوة خطوها وفى كل لبنة وضعوها فى صرح هذه الحضارة.

ويشهد بأن المسلمين كانوا أساتذة العلم ، فى كل مجال من مجالات هذه الحضارة وأن أوروبا بنت نهضتها الحديثة على أساس من علومهم وأبحاثهم .

هذا المجد العلمى العظيم للمسلمين السابقين لم يكن إلا ثمار الدعوة القرآنية للعلم ، وتطبيقا سليما لها فى مجالات الحياة فليس لأحد عذره إذن إذا تباطأ أو قصر فى مجال العلم ، وهو دعوة القرآن له ، وهذا هو ماضى أسلافنا المسلمين فيه .

ولنبحث إذن عن سر تأخرنا العلمى ، ولا نلصقه بالإسلام ، وليكن عندنا القدر الكافى من الشجاعة لنقر بأن العيب فينا ، والإهمال منا . . حتى نشمر عن ساعد الجد ، ونسابق الأمم فى ميدان التقدم العلمى .

(ب) تقدمنا العلمى :

وهذا التقدم فى حاجة إلى رعاية منا للعلماء وإلى التخطيط السليم ، يمكن أن نستمد أهمه من القرآن الكريم كذلك فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة ١١) . وهو يعلمنا بذلك أن نحيط العلم والعلماء عامة بالتقدير والرعاية والتكريم لهم فى الحياة ، كما كرمهم الله حتى يخلصوا فى عملهم ويتقدموا فى إنتاجهم .

والله سبحانه وتعالى يقول فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ الانبياء ٧) وهو يعلمنا بذلك أن يكون عندنا علماء متخصصون بكل علم وأن نرجع فى أمورنا لأهل الخبرة والإختصاص ، ونضع كل إنسان فى مجال إختصاصه ونأخذ برأيه ، لنضمن سلامة الخطة ، وسلامة التنفيذ لها .

فلنسأل أنفسنا لا عن موقف الإسلام من العلم ، فهذا موقفه عرفناه ، ولكن عما فعلناه ، ويمكن أن نفعله فى مجال العلم ، وفى وضع كل عالم متخصص بمجاله الذى

يتقنه ، وتوفير الرعاية الكريمه له والجو الملائم والمعدات والاجهزه اللازمه له ، ليتفرغ لعلمه ويؤثر خدمة وطنه فى نهضته المرتقيه بدلا من الهجرة للخارج .

ومع ما عرفنا من بعض الشواهد عن دعوة القرآن اتباعه ليتبحروا فى العلم بكل فروعه ، حتى يصححوا عبادتهم ، ويصلحوا دنياهم ، اذكر لك آية كريمة ، اعتبرها فى الواقع أقوى دعوة للمسلمين ، ليكونوا أسبق الناس جميعا الى العلم وإلى التكنولوجيا .

وهذه الاية هى قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ الانفال ٦٠)

إن هذه الآية تدعو المسلمين إلى أن يعدوا القوة التى ترد أعداءهم وترهبهم وتجعلهم يخشون سطوة المسلمين وقوتهم فلا يحدث أحد منهم نفسه بالإعتداء على المسلمين أو التحرش بهم . . هذا هو منطوق الآية الواضح لكل من يقرؤها أو يسمعها .

ووراء هذا المنطوق تكمن الدعوة إلى العلم وإلى التكنولوجيا . . فالمسلمون لا يستطيعون أن يصلوا إلى هذه الدرجة من إعداد الجيوش المسلحة ، بكل أسلحة الحرب ، وأدواتها التى نعرفها والتى يجد فيها جديد كل يوم ، إلا إذا كانوا أولاً متسلحين بالعلم وبالصناعة التى تنتج من الدبوس الصغير حتى الصواريخ العابرة للقارات . ومراكب الفضاء التى تصل إلى القمر ، ولا يكفى فى امتثالهم لأمر الله ، أن يكونوا مثل غيرهم فى علمه وصناعته بل لابد من أن يكونوا متفوقين عليه علما وصناعة حتى تكون لديهم القوة الرادعة التى لا تتوفر لغيرهم والتى تحقق لهم السيادة والعزة التى كتبها الله لهم .

ومن غير المعقول أن يأمر الله المسلمين هذا الأمر ثم يحول بينهم وبين الأسباب التى تساعدهم على تحقيقه ، ومن غير المعقول أن يدعوا الله المسلمين ويحثهم لأن يكونوا أعز أهل الأرض ، ثم يحول بينهم وبين العلم أقوى الدعائم لتحليل هذه العزة .

وإذا كان الإعداد للقوة واجبا شرعيا وهو منطوق الأمر . قوله تعالى : (وإعدوا) . فان من القواعد المسلم بها شرعا وعقلا أن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، واعداد العدة والقوة واجب لايتم هذا الواجب ويتحقق إلا بالعلم والتبحر فيه وبالصناعة القائمة على العلم والمهارة فيها . . . فالتبحر فى العلم بكل فروعه والمهارة فى الصناعة بكل أشكالها ، واجب شرعى على المسلمين ، يحاسبهم الله عليه ويعاقبهم إذا هم أهملوا فيه إن المسلمين الآن مقصرون ، ومخالفون لأمر الله لأنهم أهملوا العلم وتركوا ميدانه لغيرهم فاستذلهم وهكذا أراد الله لهم . . لقد جعل الله إعداد القوة ليست للإعتداء والتخريب بل للردع أو بمعنى آخر لحفظ السلام ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (آية الأنفال ٦٠) . . نعم فهو دين القوة ودين الخلق والسلام ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ (المائدة٣) صدق الله العظيم .

(٦) الدين والعلم الحديث :

يقول الشيخ محمد الغزالى فى كتابه (مع الله) .

يظن نفر من الناس فى هذا العصر أن الدين أمسى من المخلفات البالية ، وأن الأجيال الصاعدة يجب أن تكسر قيوده ، وتعدو حدوده ، وتسير وحدها دون رعاية لرب خالق ، أو تهيُّب لجزاء منتظر .

ويتعلق أولئك الواهمون بان العلم فض مغاليق الكون واكتشف أسرراه ، وأرصد لكل مشكلة علاجا من عنده لم تُبق للدين موضعا ، ولا لقضاياه مكانا . . . . وهذا الكلام إفك كله .

ومهما نقّبت فيه فلن تجد إلا ظلمات الإدعاء والغرور ، ونضج الجهالة واتباع هذا اللغو مفتاح لأبواب من الفوضى والخيبة تلحق العالم آخر الدهر بل إن العالم يتعثر الآن فى بوادرها ، ويوشك أن يسقط فى براثنها مالم يتب إلى الله ، ويقلع عن هذا الغى .

إن الدين - كان ولم يزل ، وسيظل - ملتقى العقول السليمة والفطرة القويمة ما أخطأ منهجه فكر ثاقب ، ولا ضل صراطه طبع نظيف .

وان العلم مهما اتسعت آماده ، وامتدت أبعاده ، وترادفت كشوفه ، فلن يجيء إلا بما يصدق الوحى ، ويدعم الإيمان ، ويمكن لهداية الرحمن ، والإ بما يزيد الأتقياء بصرا بجلال الله ، وقياما بحقه ، وثقة بلقائه الموعود .

ثم أن التهمة التى تُوجَّه إلى الدين الآن ليست جديدة والقول بان الإيمان لون من خرافات الأقدمين إن قاله المشركون من عبده الأصنام : قال الله تعالى :

﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المطففين ١٢-١٤) .

والزعم بأن الدين شيء من خرافات الأولين وضرب من الجرأة التى يتسم بها سفهاء كل عصر ويرمون بها المرسلين .

كأن الإلحاد فى آيات الله ذكاء وتقـ ، والإستجابة لهديه جمود وتأخر ، وذلك هو الضلال المبين فان إتباع والإنقياد لتعاليمه يقتضى تفتحا ذهنيا يتجاوب مع آيات الله كما يقتضى عزيمة قوية لفطام النفس عن المظالم والآثام .

وهذا الجهاد يجعل كفة المؤمنين - فى أية موازنة - أرجح ويجعلهم أحق بالإحترام فى الدنيا والآخرة .

واذا كان إتهام الدين بأنه فكرة متأخرة ، ليس إلا سفاهة قديمة فكذلك ما ينضم إلى هذا الاتهام من تبجح أهل الزيغ وتطاولهم كأنهم ورثوا ذلك الكبر والإلحاد عن فسقة الجاهلية الاولى الذين كانوا يلقون رسول الله فيسخرون منه ويستعجلون العقاب المعد للجاحدين

﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

سورة الأنبياء (٣٦-٣٧)

أما الثرثرة بإسم العلم وتقدمه فهى شكل ليس له موضوع . فإن العلم دليل على الله وقائد اليه . . وهيهات هيهات أن يَفِدَ العلم بقضه تنقض الإعتقاد فى وحدانية الله ووجوب طاعته وضرورة الإعداد للقائه ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾

(النبأ ٣٨-٣٩) إن الإسلام دين يبنى كيانه المادى والأدبى على التعمق فى العلم ، والتزود من الثقافه ، وعلى دوام الصلة بعمل القدرة العليا فى مجال العالم الرحب ، وأولو العلم فى هذا المضمار قرناء لملائكة الله فى التصديق بعظمته والشهادة بعدالته .

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران١٨) والمتأمل فى القرآن الكريم يوقن بأن الكون مدرسة الإيمان الحق ، وأن العلم مدده الموار ونبعه الفوار ، وان كل خطوة إلى الإمام فى دراسته إنما هى زيادة جديدة فى دلائل التصديق ، وأسباب اليقين .

إن الإسلام يربو على العلم كما يربو الجسم على الغذاء الجيد . وينمو بإستبحار المعرفة كما يغلظ النبات على الشعاع والماء فيا عجب كيف يزعم زاعم بأن الإسلام ضد العلم ، أو أن الإسلام ذهب أوانه لأن العلم قد توطدت أركانه؟؟

إن هذا ارتكاس فى الفهم وانطماس فى البصائر .

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ (الجاثيه ٢٣) وقد حصل المستعمرون فى هذا العصر على أنصبة ضخمه من العلم النظرى ، والتفوق المادى ،

فماذا صنعوا به ، وماذا أفادت الدنيا منه؟ . . . ملكوا القوة فكانت فى يد الفاتح الغالب سلاحا للنهب والغضب ، وأداة للجبروت والكبرياء ، ووسيلة لقهر الأمم ، وتكبيل عقولها وضمائرها بالغلال .

إن العالم - فى غيوم الكفر الاسود- قد حرم البركة فى شئونه كلها ، والبركة كلما لا تعنى الجُزاف ، أو الفوضى أو سوء التقدير وغفلة التدبير . . كلا ، كلا ، فتلك معان ولدتها أذهان مريضة . !

إن البركة هى رعاية السماء لعملك المتقن ، فلا يخطئ هدفه ، ولا يفقد ثمرته هى التوفيق لإستغلال الشئ على أحسن وجوهه ، ووضع الأمور فى مواضعها دون عناء أو عوج ، هى الإفادة الكاملة من الوقت والمال ، فلا يضيع هذا فى لغو ، ولا يضيع ذلك فى باطل . . البركة هى هداية الله للجهد الإنسانى ، فلا يذهب فريسة خطأ ولا يفشل نتيجة غضب . . . . . والمرء الكافر محروم من هذه العناية العليا .

والمجتمع الكافر يدور حول نفسه ، فى حركة مجنونة ، عالية الجعجعة ، رديئة التناج ! ! ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ (الرعد ٣١)

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ (محمد ١)

نعم والله- أضل أعمالهم . . لقد رأيت المحرومين من الإيمان والإخلاص يعملون الكثير ، ومع ذلك كأنما أعمالهم بذر وضع فى تربة رديئة ، فهى لا بروز لها ولا ازدهار ، ولا ظل لها ولا ثمار

قال الدكتور «محمد البهى» فى مجلة رسالة الاسلام بتصرف (واذا كان يختفى من حياة الإنسان المعاصر إله السماء ، خفت فيها نور الخير ، واضمحل الباعث عليه فى نفس هذا الإنسان ، وقويت بواعث الأثرة وبالتالى قويت دوافع الإنتقام والسيطرة عنده ، بدلا من أن تقوى دوافع الإنسجام بينه وبين غيره .

فلم يقف استخدام هذه المعرفة الطبيعية والرياضية التي هدى اليها عند حد النافع منها لخير البشرية ورفع مستوى الأفراد صحيا ، وعقليا ، وخلقيا ، بل تعدى ذلك إلى إختراع المبيدات .

(أ) فلم يقف بصنع السيارة عند حد المركبة العادية ، بل صنع الدبابة وقاذفة اللهب .

(ب) ولم يقف بصنع الطيارة عند النوع الذى يساعد على تقريب المسافات البعيدة وتعزيز التفاهم العالمى عن طريق المبادلات التجارية وتبادل الآراء بين الشعوب ، بل صنع قاذفات القنابل ، والطائرات المقاتلة والصواريخ الموجهة .

(جـ) ولم يقف بصنع السفينة عند الأنواع التى تستعمل لنقل المدنيين أو حمل البضائع التى تستهلك فى الحياة العامة ، بل صنع البارجة والمدمرة ، والغواصة .

(د) ولم يقف فى تطبيق تلك المعرفة الرياضية والطبيعية عند حد توفير الغذاء ، واللباس ، والدواء ، بل إخترع الغازات السامة ، وجراثيم الموت والألغام البحرية والبرية .

(هـ) ولم يقف فى صنع الآلات الميكانيكية التى تستخدم فى الزراعة والحياة المدنية عند الحد الذى يساعد على توفير المحاصيل وضمان الراحة له بل صنع ما يهدد الحياة البشرية جملة ، وهى القنابل الذرية والهيدروجينية .

وكلما نجح العلم الحديث فى إختراع آلة للهلاك والإفناء إجتهد فى إختراع ما يقى منها أو يقلل من أخطارها ، عن طريق إستخدام آلات أخرى .

وهكذا . . . تراه يسترسل فى إختراع المهلك أو المبيد ، ثم فى إختراع ما يقلل من آثار الهلاك والإفناء .

وبذلك أصبح مجال العلم الحديث هو التنافس على تكثير مصادر الشر حتى إذا فزعته سعى للنجاة منها ! !

وزاد الإنسان - عن طريق هذه المعرفة الشريرة- فى إختراع وسائل الهدم والإبادة أكثر من إختراعه وسائل الراحة والصيانة للجنس البشرى .

وليس ما اخترعه من وسائل الهدم والتدمير أكثر فقط من وسائل البناء ، والراحة ، والصيانة كما يزيد عنه أضعافا مضاعفة على ما ينفقه فى الحياة المدنية ورخائها المنشود للأفراد والمجتمعات .

ولهذه النفقات المضاعفة على وسائل الهدم ، والقليلة فى ميدان البناء إنخفض مستوى المعيشة . . وظهر عندئذ العامل الإقتصادى فى الحياة المدنية الحديثة ذا أثر قوى فى توجيه سياسة الشعوب . وذا سلطان واسع على إتجاه الأفراد ، وعلى التحكم فى ميولهم وحرياتهم .

ومن ثم أصبح سعى الانسان المعاصر يكاد يكون مركزا فى توفير لقمة العيش ، له ولأسرته .

ومن هنا أيضا خفت القيم المثالية والخلقية فى نفسه ، لأنه أصبح يتخذ من لقمة العيش ميزانا تقديريا للسلوك العلمى فى الحياة)

(تلك نتيجة «العلم الحديث» يدمر ولا يبنى ، ويجيع ولا يشبع ويسترق ولا يعتق»

وكما خلق الانسان المعاصر الآلة الصماء ، أخرس فى دنياه الإنسان المتكلم ! . . . وكما حرك الآله فى غير وعى ، أصاب الإنسان الكامن فيه بفقدان الوعى ، فذبلت مواهبه بل ذابت خصائصه . . .

ولم يصب العلم الحديث الإنسان بسلب خصيصته العظمى إلا لأن هذا العلم إتجه إلى خلق وسائل الشر أكثر من إتجاهه إلى إيجاد وسائل الخير .

ولم يكن ذاك ، إلا لأن الإنسان المعاصر عبده من دون الله ، ووضعه فى الأرض وكان إله السماء ، واستغنى بمخترعاته عن الاستعانة بالله ، وخدع نفسه بأن أصبح رب هذه الارض ، لأنه يملك علم ما فى الأرض ، وكذا علم ما فى السماء . .)

والويل للعالم أجمع من عُقبى هذا الغرور .

(٧) الابحاث فى علوم الدين والدنيا

إن التفكير فى مخلوقات الله هو الذى فتق الأذهان عن روائع الحضارة الحديثة ، ويسر للدنيا هذه الكشوف الجليلة لأسرار الوجود ، وسخر للناس مالم يكونوا يحلمون به وكان على المسلمين أن يستفتحوا أبواب العلم بقوة ، ويرحلوا لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ، ليس علما معينا محدود البداية والنهاية ، فكل ما يوسع منادح النظر ، ويزيح السدود أمام العقل الملهم إلى المزيد من المعرفة ، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود ، ويفتح لها آمادا أبعد من الكشف والإدراك ، وكل ما يتيح له السيادة فى العلم ، والتحكم فى قواة ، والإفاده من ذخائره المكنونة ، ذلك كله علم ينبغى التطلع له ، والتضلع فيه فان علوم الكون والحياة ونتائج البحث المتواصل فى ملكوت السماء والأرض لا تقل أهمية عن علوم الدين المحضة ، بل قد يرتبط بها من النتائج ما يجعل معرفتها أولى بالتقديم من التبحر فى علوم الشريعة ، فعلوم الحياة مساوية لعلوم الآخرة فى خدمة الدين ، وتجلية حقائقه ، وإذا كانت علوم الدين طريقا إلى الجنة إذا صاحبها العمل ، فكذلك علوم الدنيا طريق إلى الجنة إذا ما إستخدمها الإنسان فيما ينفع نفسه وأهله ووطنه وعالمه الذى يعيش فيه .

وان علماء الإسلام السابقين لم تزل نظرياتهم العلمية فى الجيولوجيا والطب والفلك والهندسة مرجعا لكثير من علماء العرب ولا يغيب عن أذهاننا أن الحضارة

الغربية وليدة الحضارة الإسلامية وان علماء الإسلام قد خلفوا آثارا علمية عظيمة أكلتها حرب المغول والحروب الصليبية ، ونهب منها الكثير ، كما لا يغيب عنا أن كتاب أبى القاسم الزهراوى الأندلسى فى الجراحة يعد أعظم كتاب ترجمة الأوربيون وأفادوا منه ، وأن ابن النفيس العالم المسلم المشهور سبق «وليم هارفى» العالم الانجليزى الذى كان يعد أبا الطب الحديث فى إكتشاف الدورة الدموية وان التاريخ عرف من علماء الإسلام الأمجاد فى الرياضيات والفلك والفلسفة والموسيقى والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وغيرها من العلوم أمثال : الكندى ، الخوارزمى ، الفرغانى ، ابن قرطبة والمقدسى ، وابن حيان ، وابن بطوطه والحسن بن الهيثم ويحيى بن ماسونيه ، وابن يختشوع ، وابن إسحاق ، وأبي بكر الرازى وابن سيناء وابن رشد وغيرهم وغيرهم .

وبعد . . . فاذا كان العلم قد وصل بالإنسان إلى مرتبة عظمى فى الإختراع والإبداع والبحث ، وجعله يصل إلى سطح القمر ، وإذا كانت علوم الحياة قد تقدمت فى مختلف المناحى ، وكثرت المخترعات ، فيجب أن توجه هذه القوى التى هى وليدة العلم إلى خير الإنسانية ، حتى تستفيد البشرية منها التقدم والعمران ، والإستقرار والإطمئنان ، وعلى العلماء أن يتوجهوا بأعمالهم وجهة الخير ، ويخلصوا جهودهم للنفع العام ، وأن يتجردوا من الأنانية والأثرة وحب السيطرة والغلبة ، وذلك هو الهدف الأسمى لإسعاد البشرية وتقدمها .

(٨) شخصية العلماء :

(١) **الولع بالعزلة** : كل عالم جدير بهذا الإسم هو إنسان مدفوع بطبعه إلى التزهد والتقشف والبعد عن مغريات المجتمع والحياة فى عزلة زاخرة بالأحلام والرؤى مركزة الجهود فى فكرة واحدة أو فيه مجموعة أفكار تحمل فى أطوائها نعم الحياة .

فاحتقار المظاهر ، وازدراء المتع الدنيوية ، وارتداء مسوح النسك والترهب ، كل هذه الأعراض يشيعها فى نفس رجل العلم حبه العزلة وشعوره بما فيها من صفاء وهدوء ، وقدره خارقة على الإشراف من فوق جبل الفكر على مختلف صور الحياة .

(٢) **التواضع** : يميل رجل العلم إلى التواضع أمام الحقائق ليتمكن من إستجلاء أسرارها والنفاذ إلى جوهرها ، والتواضع عنده نوع من التحايل العقلى فيه لذة عظيمة هى لذة توقع النجاح الفجائى بعد سلسلة من التجارب الفاشلة ، وهذا التواضع العقلى يحدث فى نفس العالم تواضعا خلقيا رائعا قوامه النظر فى نفسه وفى الأشياء والأشخاص بعين محايدة متحفظة بعيدة عن الغلو والإسراف والتعصب والكبر وهو ليقينه بأن العلم دائم التبدل والتحول وأن كل نظرية علمية يعترف بها اليوم قد تنقض فى الغد يزداد حذرا ويزداد تحفظا ويزداد تواضعا وبساطة .

(٣) **رياض النفس على الصبر** : الصبر خادم الإرادة مفتاح شخصية رجل العلم فهو لايعرف اليأس ولا يمكن أن تتطرق إلى قلبه وتضعف زهنه عوامل الخيبة وما تحمل من أسف وحسرة فإن التجربة الفاشلة تحز فى صدره ، ولكنها بدل أن تصرع إرادته تضرم على النقيض كبرياءه فتضاعف صبره وتسوقه بالرغم منه إلى معاودة التجربة مرات ومرات .

والحقيقة إن عظم الفارق بين الإنسان وقوى الطبيعة هو الذى يلهب فى رجل العلم خاصية العناد ، لأنه لو فاز فسيؤكد مرة أخرى قدرة الإنسان الضعيف على إخضاع الصبر ويعتقد أنها سبيل الفرد إلى النجاح .

(٤) **النزعة الإنسانية :** العالـم يبحث ويجاهد متخطيا حدود وطنه مشرئب العنق نحو الإنسانية ، وهذا السر فى ترفعه عن النزاعات الحزبية وبعده عن معارك السياسة وميله الخفى إلى الآراء والمبادئ الإجتماعية ذات الطابع الإنسانى . . وقد تنتفع الدولة بمخترعات ومكتشفات علمائها وتحولها إلى طريق الشر ، ولكن العلماء الحقيقين الذين يهتدون إلى نظريات جديدة لا يمكن أن نعتبرهم مسئولين عن الأساليب التى تطبق بها نظرياتهم والتى تتعارض مع نزعتهم الإنسانية

(٩) المكانة الراهنة لعلمائنا :

إذا أردنا أن يكون للعلم مكانة فى حياتنا تساعدنا على أن نصل به إلى ما وصل الآخرون من أمجاد وفوائد وتقدم وحضارة وسيطرة فلابد أن نفكر بصورة جدية فى المكانة التى يحتلها العلماء بيننا . . لابد أن نسأل أنفسنا هل ينال العالم مكانته بعلمه أم بأسباب أخرى؟ هل يستطيع العالم أن يوظف قدراته من أجل العلم نفسه وهو مطمئن إلى أنه سينال بفضل هذا التوظف مكانة إجتماعية لن ينالها لو إنصرف إلى أنشطة أخرى سواء كانت هذه الأنشطة إجتماعية أو إقتصادية أو سياسية؟

هجرة علمائنا المسلمين ومفكريهم وآثار ها السلبية علينا (للشيخ محمد الغزالى)

إن تربية طبيب كبير أو كيميائى عظيم أو صيدلى مبرز شئ مهم للعالم الإسلامى فنحن فى شئون الدنيا متخلفون ولكى ينتصر الدين لابد أن يتمكن من الدنيا ، فمن لادنيا له لا يستطيع أن يخدم الدين ، وإذا تركنا أصحاب العقول الكبيرة تذهب إلى هنا أو هناك فمعنى هذا أن خسائر فادحة قد حصلت ليست الخسائر المادية التى انفقتها الدولة عليهم ثم يجنى غيرنا نتاجهم ولكن الخسارة الأفدح هى انقطاع صلتهم بنا ، والعالم الذى يحصل على قوته بصعوبة يذهب إلى هناك فيجد الأموال متدفقة تحت قدميه ويجد المسكن الفخم والمرتب الفاره وتتوفر له كل الامكانات ، وعندما كنت فى أمريكا عرفت أن بها عشرة ألف طبيب عربى يعملون بجد ، ويمكن للشركات

الصهيونية الإستيلاء على حصيلتهم العلمية فى نهاية المطاف . . شئ خطير فما سبب ذلك؟ السبب فى ذلك اننا عصينا أمر نبينا ﷺ **«ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه»** (رواه أحمد)

يجب أن تعرف للعالم حقه : إن المعلم والطبيب كليهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما . . فلابد من تكريم هؤلاء والتمكين لهم ، أنا يؤسفنى أن بعض العلماء من العرب كانوا فى جامعات أمريكا من الأوائل ثم جاءوا إلى بلادنا فاذا هم يعملون فى أماكن لا تمت إلى تخصصاتهم بصلة ، وسرعان ما يطويهم النسيان ويغرقون فى الموجة فمن كان الأول على زملائه كسف باله وخمدت ناره وبردت همته وأصبح يعيش كما يعيش الناس كان يجب أن يوجه هؤلاد إلى المجالات التى تخصصوا فيها وأن توفر لهم إمكانات الإبداع والإختراع والأداء الذى ينفع الأمة ، هل العربى فى موسكو أو واشنطن يكون ممتدا جدا هناك ومنكمشا جدا هنا ، وإن هجرة هذه العقول تشكل خطرا علينا ، وفيها إمداد لعدونا هذا من ناحية ومن ناحية أخري فالمهاجرون حتى من صغار الصناع يذهبون إلى بيئة لا تتجاوب معهم لا دينيا ولا لغويا فمن يحدثهم بلغتهم ومن يحى معهم شعائر دينهم . . وأضرب مثلا لذلك : رجل ذو مكانة مرموقة أرسل الينا أنه عائد إلى بلاده مع أنه استاذ فى الجامعة وكذلك زوجته والسبب فى ذلك أنه خشى على بناته من البيئة الأوروبية ، فأوروبا وإن تقدمت علميا إلا أنها من الناحية الخلقية فى الحضيض خصوصا فى النواحى الجنسية فهم يرون أن الممارسات الجنسية أشبه بقضاء الحاجة فلا مساءلة فى مسالكها المختلفة ونحن ربينا على أن الحلال حلال والحرام حرام فلا نستطيع أن نقبل على أنفسنا أن نجد بناتنا فى أحضان الأوغاد ، الذين يتربون كالحيوانات وإن كانوا أصحاب معرفة واسعة فى شئون الكون والحياة ، إن هجرة العقول من بلادنا خطر مضاعف ، خسارة لنا وربح لاعدائنا ، ولكى نزيل هذا الوضع لابد أن نزيل أسباب البلاء .

(١٠) اهمية علماء الدين :

لاشك أن العلماء هم ورثة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- والأنبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر ، وان من علامات رشد الأمة ،ارتباطها بعلمائها الربانيين ، والعمل بآرائهم وتوجيهاتهم ، والذب عن اعراضهم . . .

وقد أنكر سبحانه على من لم يرجع إلى العلماء من الأمور المهمة فقال تعالى :
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ (النساء ٨٣) .

وفى هذا دليل لقاعدة مهمة وهى أنه إذا حصل بحث فى أمر من الأمور ينبغى أن يوكل إلى من هو أهل لذلك ، ويجعل إلى أهله ، ولا يتقدم بين أيديهم فانه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ .

وفيه النهى عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها ، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه هل هو مصلحة ، فيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه .

كما أن من علامات تيه الأمة وضياعها ، البعد عن تراث العلماء ، ومن علامات التيه الخروج على العلماء بمسوغات وتزيينات شيطانية ، كما أن الخروج عليهم بداية الإنحراف وسبيل الضياع ، ولم يخرج بعض الناس على حكامهم إلا بعد خروجهم على علمائهم كما أن وقوع بعض العلماء فيما يظنه البعض خطأ لا يسوغ- بحال من الاحوال- لهؤلاء الظانين هجرانهم والخروج عليهم .

(١١) البحث العلمى فى مناهج الجامعات الاسلامية:

أصبح البحث العلمى من الضروريات فى حياة الأمم ، وقد تقدمت به البلاد المتطورة ، ويحتاج اليه فى البلاد النامية ، والبلاد الاسلامية لن تنهض فى مجالات الحياة

العامة والعلوم والصناعات والزراعة إلا بالبحث العلمى المؤصل فى الجامعات المتخصصة فيها لأن هذه هى وسيلة حل المشكلات المتعددة .

وفى الجانب الذى يمكن للجامعات الإسلامية أن تقوم به نجد الحاجة ماسة إلى تأصيل البحث العلمى والتمرس فيه حتى يمكن لهذه الجامعات أن تكون أدوات فعالة فى توجيه المجتمع وقيادته بدلاً من أن تكون موجهة ومقادة فى كل شئ ، وأن تعيد النظر فى مناهج الدراسات الإسلامية وطرق معالجتها ، وأن تؤصل النظريات الإسلامية فى مجال الفكر الحديث أو القديم كما نشاهد فى كثير من البحوث التى تقدم اليوم فى الجامعات ، لأن مناهج البحوث تعتمد على نظم تقليدية عتيقة لا تدفع إلى الإبتكار والتجديد ، ولا تشجع المبادرات الشخصية فى طرائق البحث ومضامينه ، ولا توافق إلا على ما كان مبقيا على القديم مشجعا الإستمرار فى طريقه . . ثم يكون نتاج ذلك كله حملة ألقاب كبيرة وعلوم قليلة . . وأناس يحسبون على العلم ولا صلة لهم به إلا المحاكاة والإجترار لمقولات السابقين دون فهم أو نقد . ودون زيادة وابتكار مما يفسح المجال لحملة الألقاب من غير المسلمين أن يكونوا فى المقدمة بسعة إدراكهم ، وحسن تصرفهم ، وقدرتهم على التجديد والابتكار والنقد والتوجيه مما يجعلهم قادة وموجهين لحملة العلوم الإسلامية فى شئون الإدارة والتنظيم والسياسة والتعليم ، والإقتصاد والإجتماع ، بينما ينشغل أولئك بقضايا فى الفقه قتلها الفقهاء بحثا ، وتوجيهات فى السنة تهتم بالأشكال والحركات دون المشاعر والنفوس والسلوك والأخلاق ، وإغفال قضايا تمثل جوهر مشكلات المسلمين وتخلفهم ، وأحقيتهم لقيادة البشرية بمنهج الله الشامل للحياة كلها .

(١٢) **مسيرة البحث العلمى :** المتتبع لمسيرة البحث العلمى والرسائل الجامعية فى الجامعات عامة والإسلامية خاصة يلحظ ما يأتى :

أولا : انعدام التنسيق والتعاون بين الجامعات الإسلاميه فيما يقدم فيها من بحوث ورسائل ، الأمر الذى يؤدى إلى تكرار البحوث ، ليس فى الجامعات بل أحيانا فى جامعة واحدة ، وذلك لانعدام الضوابط التى تحكم البحوث وتوجهها ، ولانعدام الفهرسة الدقيقة للبحوث بحيث يسهل على طالب الدراسات العليا أن يلم بطبيعة الموضوعات التى عولجت فى الجامعات الأخرى حتى لا يقدم موضوعا مشابها أو مكررا لما قدم من قبل ، أو يعلم ذلك ولكنه يقدم معالجة جديدة أو يضيف إضافة جديدة على ما اغفل فيما سبقه ، ثم تتبادل الجامعات الإسلامية فهارسها حتى لا يتخلخل التكامل بين بحوث الجامعات ، وقد نبه عدد من علماء المسلمين إلى أهمية أن يقدم البحث ابتكارا جديدا ، أو فكرة رائدة ، أو تكملة لعمل قام به بعضهم ، أو تصحيحا لخطأ فى المنهج ، أو نقص فى الموضوع إلى غير ذلك من القيود المنهجية ، والضوابط الأخلاقية والأمانة العلمية فى البحوث .

وقد اصبح القارئ العادى يلحظ كثرة البحوث والرسائل التى تعالج موضوعا واحدا ، وتكرر الأفكار والآراء ، والإعتماد على مصادر محدودة ، مما يدل على غياب المنهجية التى تمنع الفوضى فى البحث ، وتحدد المعايير التى تضبط بها طاقات البحث العلمى ، وتوجه فى طرق واضحة المعالم وأهداف مرسومة مبصرة ، ولأهمية ذلك تلزم الجامعات ومراكز البحث العلمى فى الغرب على ما يخدم البحوث خدمات متعددة من بينها : التسهيل للباحث أن يطلع على الرسائل العلمية التي قدمت فى المواضيع المختلفة ليس على نطاق أوروبا فحسب بل حتى البحوث التى قدمت فى الجامعات الأمريكية وهى خدمات تقوم بها المكتبات الجامعية خدمة للمنهج وللطالب وللبحث العلمى .

ثانيا : طغيان الناحية الكمية فى البحوث : ويظهر ذلك فى كثرة عدد الرسائل والبحوث التى تعتمد على الخطابية والانشاء دون الأفكار المبتكرة وحين تقاس البحوث العالمية بمدى قدرة الباحث على تقديم مادة غزيرة فى أفكار محددة واوراق قليلة نجدنا نقدم عملا قليلا فى بحوث ضخمة، ومعلومات مفتتة لا تناظر ولا تناسب بينها.

هذا وقد سألت باحثا عن الحكمة فى ضخامة بحثه مع دقة مساحة موضوعه، فأجاب بأنه نبه إلى أن العبرة فى ايامنا بالضخامه والفخامة وحجم الرسالة لا مضمونها فحسب، وهذا هو الذى يضطر كثير من الباحثين أن يكتبوا كل مادة جمعوها مهما تبين بعد صلتها عن الموضوع ، حتى لا يضيع الجهد الذى بذله فى عملية الجمع.

ثالثا : مضامين البحوث والرسائل : تفتقد المعالجة العصرية والمنهجية لمشكلات المسلمين العاجلة إلا أن بعض الرسائل لا تتناول طموحاتهم ووسائل إنقاذهم والوصول بهم إلى أهدافهم، بل لا تعالج فى أغلبها المشكلات التربوية والإجتماعية والسياسية التى يعانى المسلمون من إفتقاد الرؤية الصحيحة لحلولها، وتعانى الأجيال الناشئة من إنعدام الرؤية الإسلامية الواضحة لكثير من مشكلات الحضارة التى يعيشونها والحياة التى يمارسونها.

هذا ونظرة إلى عناوين الرسائل والبحوث التى تنشر فى الصحف تبين لك مدى الطاقات والجهود الضائعة فى أبحاث متشابهة وموضوعات متكررة لا تثير الناظر، ولا توجه إلى شئ جديد باستثناء بعض البحوث التى تمثل نسبة ضئيلة وسط ركام من الرسائل وتلال من البحوث.

رابعا: إنعدام إمكانات البحث وأجوائه : وهو ما يعانى منه المشرفون والباحثون، إذ لا يعنى جو البحث العلمى مجرد الاستاذ المشرف والمكتبة كما يظن بعضهم، بل وجود المكتبه التى تتوفر فيها الوسائل المساعدة من أمناء مهرة موجهين، وفهارس حديثة سهلة، وأجهزة حديثة وغيرها التى تساعد الباحث على أداء عمله دون معاناة، وعلى الوجه المطلوب.

وقد إهتمت كثير من الجامعات فى سبيل تهيئة أجواء البحث العلمى بايجاد جهاز مسئول عن تنسيق البحوث وتوجيهها وتقديم الخدمات العلمية المساعدة على البحث سواء ما تعلق بالأموال اللازمة لإجراء البحوث ومستلزماتها ، أو توفير أشخاص من أصحاب الكفايات العلمية للتخطيط والمتابعة والإنجاز والإشراف، أو الإستعانة بالمؤسسات العلمية ومراكز البحوث للإستفادة من خبراتها وأعمالها وتبادل المعلومات والبحوث معها. هذا ويقوم الجهاز بمعاونة القطاعات المختلفة وخاصة الصناعة فى بحث وايجاد الحلول العلمية لمشكلاتها.

خامسا : ضعف التعليم العام : فى المراحل السابقة للجامعة وفى الجامعة وفى الدراسات العليا وهى المراحل التى يتكون فيها الباحث فإن البحث العلمى ليس معناه: المدرس القديم ، أو الكبير فى السن، أو صاحب اللقب الوظيفى، بل هو المتمثل فى العالم الباحث الذى يستطيع أن يقدم عملا ذا قيمة وإضافة منهجية وفكرا حراً ثريا متفتحا، وكأن الباحث يستمد فيها قيمته من عمله وجهده، وليس من الإعتبارات غير العلمية التى تسود اليوم والباحث الموجه هو الذى ينعكس علمه عليه أولا وعلى طلابه ثانيا خلقا قويما، وسلوكا طيبا ورأيا علميا حرا شجاعا، وتنعكس العقيدة الإسلامية عليه وعلى طلابه، حياة وحبا وتواضعا وفهما وإيثارا وتجردا وتضحية وإخلاصا ، وليست العقيدة أقوالا مردودة، وإنتماءات مكانية، ومظهرا وسمتاً بعيدين عن سلوك المسلم وخلقه.

إن مناهج البحوث والدراسات العليا تحتاج كغيرها إلى إعادة النظر حتى يمكنها أن تؤدى واجبها الثقافى والفكرى فى بناء الشخصية المسلمه والمجتمع المسلم، وأن تخرج باحثين جادين أمناء يقدمون إسهاماتهم فى ميادين العلم والمعرفة إثراء للحضارة الإسلامية خاصة والإنسانية عامة، ولن يتسنى ذلك كله إلا إذا توافرت الظروف التى تهيئ نجاحا للبحث العلمى والباحثين بتجرد لله وإخلاص لدينه، ومواجهة للباطل ، ومنازله له.

(١٣) العالم الإسلامى ومعركة التكنولوجيا :

فى تجربته الحديثه لم يستثمر العالم الإسلامى كل إمكاناته فكانت الحصيلة سلسلة من الإنتكاسات والتخبطات، نظرا لعوامل القابلية للتخلف وشراسة المخططات الجيواستراتيجية التى يبعث على الخوف من أنها مستقبل هذا العالم وطاقاته الواعدة.

إن العالم الإسلامى رغم ذلك - قادر بما يمتلك من رصيد عقائدى ومعرفى وحضارى على خوض معركة التكنولوجيا المعاصرة وكسب رهاناتها.

ولا سبيل إلى ذلك إلا بالقضاء على الأمية ، والنهوض بالبحث العلمى، والوعى بالمعطيات المستقبلية فى ميدان الاتصالات، هذا الميدان الذى يشهد ثورة حقيقة بفضل الجيل الجديد للحواسب والبرمجيات، والطرق الالكترونية السياره، والاقمار الصناعية، وحبال الالياف البصرية... الخ، ولعل إحدى أهم نتائج هذه الثورة هى ميلاد سوق دولية تمكن كل مستفيد - عبر مطراف ذكى «الإنترنت» من إستعمال خدمات الإتصالات عبر شبكات أجنبيه توفر أحسن الظروف من حيث المعرفة والجودة. إن العالم الإسلامى بحاجة إلى إمتلاك ناصية هذه التقنيات، وبحاجة إلى أن يعى أن الطرق الالكترونية السيارة تقطع جميع أعذارد فى عدم تحقيق التكامل العلمى بين أطرافه.

(١٤) التكنولوجيا الصناعية والبحوث العلمية :

قطعت اسرائيل أشواطا بعيدة فى مجال التكنولوجيا الصناعية نتيجة الإهتمام العلمى بالبحوث والإبتكار وتوفير الإعتمادات المالية الكبيرة لها، ونتج عن ذلك أن حققت إسرائيل طفرات تكنولوجية كبيرة أسهمت فى زيادة صادراتها الصناعية إلى مختلف أسواق العالم بما يعادل خمسين مليار دولار فى الوقت الذى لا تتجاوز فيه جملة الصادرات المصرية أربعة مليارات دولار.

ويرجع ذلك إلى أن دور الحكومة المصرية لتحقيق التطور التكنولوجى لم يحقق الفاعلية المطلوبة بسبب عدم توافر الإعتمادات المالية الكافية، وعدم وجود خطة متكاملة لإجراء البحوث التكنولوجية الأمر الذى جعل البحوث العلمية بالجامعات ومراكز البحوث يكون التركيز فيها أساسا على البحوث الاكاديمية وليست التطبيقيه ، لأن تكلفة النوع الأول أرخص، وهى فى نفس الوقت تساعد الباحثين على الترقى والحصول على الدرجات العلمية بدون أعباء ماليه تثقل كاهلهم.

وقد نتج عن ذلك عدم ظهور إبتكارات تكنولوجية فى الصناعة المصرية التى أصبحت تعتمد على نظام التجميع الصناعى بإستيراد وتجميع المكونات كصناعة السيارات والالكترونيات، ولا يسهم الإنتاج المحلى إلا بنسبة بسيطة ضعيفة تتمثل فى إنتاج مواد التعبئة والتغليف.

إن العاملين فى حقل الجامعات ومراكز البحوث يطالبون الإعتمادات المالية من الدولة للبحوث العلمية نظرا لأن النسبة الحالية ضئيلة جدا لا تكفى مرتبات العاملين بالجهاز الإدارى إلا بالكاد، كما يجب الإهتمام بتطوير التعليم والتدريب للكوادر البشرية، وتوفير القاعدة وزيادة الإحتكاك بالدول المتقدمة من خلال الزيارات والمشاركة فى المؤتمرات العلمية.

ويرى رجال الصناعة والمستثمرون أن المدخل إلى التطور يبدأ بإستيعاب التكنولوجيا البسيطة حتى يمكن توفير الكوادر الفنية لإستيعاب المراحل الأكثر تطورا، وهذا يتطلب التوسع فى انشاء المعامل والورش ومراكز التدريب بالمصانع بجميع مراحل التعليم... إن الصناعة المصرية إذا لم تملك التكنولوجيا الخاصة بها فلن تستطيع الحياه فى مواجهة المنافسة الحادة فى السوق العالمية، ولذلك لابد أن تدخل الصناعة فى مجال الإقتحام الشامل للتطور التكنولوجى حتي يكون لها حق الإستمرار والبقاء.

نمـوذج مشـرف لعالـم معاصـر

د. أحمـد زويــل

عـاد إلى مصـر بعـد ٣٠ عـاما بعـد أن حصـل على جائزة بنيامـين فـرانكلين الأمريكيـة للعلوم عن إبتكاره وحده جديدة للزمن خلال الليزر مقدارها واحد على مليون من البليون من الثانية، فأصبح واحدا من ٢٩ شخصبة عالمية ساهموا فى تطوير العلم منهم أنشتين ومدام خورى...

هو ابن مصر.. فخر مصر.. عـالم من العلماء المعاصرين أمثال د. أحمد زكى، د.مشرفة، طه حسين.

إنها شخصية ليست فنانا ولا لاعب كرة ولا حتى شخصيه عامة ذات منصب تنفيذى.. ولكنه شخصية علمية مجالها المعامل والمختبرات والأجهزة الالكترونية وأشعة الليزر.. وهو ما يعيد لنا الثقة فى أنفسنا ويجعلنا نردد أن مصر بخير.

ولد بدسوق عام ١٩٤٦ من أسرة متوسطة الحال تثبت أن النبوغ لا ينتمى لطبقة كانت تربيته إسلامية، راحته وتأملاته فى المسجد المجاور وهو من أسرة كما يقول «ملائتنى بحاجتين الثقة والحنان وهذا أقصى ما يتطلبه شخص مُتطلّع، كما أنها محكة الشعوب العالمية المتقدمة لأن الطفل الذى يفقد الثقة والحنان لا يمكن أن يصل...»

عاش طفولته وشبابه فى حى شعبى بين أهل الحضر حيث الواقعية والبساطة وعدم الكلفة وحيث المتطلبات البسيطة التى تكفى ظروف الإنسان.

تعلم فى مدارس دسوق ودمنهور، واحتضنه مدرس الرياضة لما لاحظه فيه من نبوغ فى علوم الرياضة والهندسة والعلوم.

حصل على شهادة الثانوية العامة بجدارة وسافر إلى الاسكندرية حيث التحق بكلية العلوم بالجامعة التى تدرس العلوم والرياضيات محك نبوغه.

تخرج من الجامعة وسافر لأمريكا فى بعثة ليستكمل هناك آماله بين ما توفره له من أجهزة ومعدات ساعدته فى إكتشافاته وحصوله على أكبر جائزة علمية فى التاريخ.

يقول. د. زويل وهو منشرح عن إكتشاف «الفيمتو ثانية الوحدة الجديدة للزمن باستخدام اشعة الليزر... لقد كان أصغر توقيت واحد على الف من الثانية لذلك كانت هناك عمليات حيوية لا ترى إلا بعد حدوثها، ولكن بعد الوحدة الجديدة التى اكتشفتها التى تبلغ مقدارها واحد على مليون من البليون من الثانية تحدث فيها عمليات تستطيع أن نراها. مثل ذلك أن شعاع الليزر يصل إلى القمر ثم يعود إلى الأرض فى ثانية، وهناك عمليات حيوية من الممكن حدوثها فى هذه الوحدة الزمنية، على سبيل المثال فإن انكسار الشعاع على العين فى هذا التوقيت وبإستمرار بنفس السرعة ترى العين وإلا فاننا سنرى الدنيا سوداء.

ولتقريب فوائد الفيمتوثانيه: إن نبضة الليزر التى تستغرق جزءا من الف مليون جزء من الثانية تحاكى غطاء حركة عدسة الكاميرا، والزمن بين كل نبضة وأخرى هو الزمن بين غلق وفتح عدسة الكاميرا، والجديد فى هذا التصور يتمثل فى متابعة التفاعلات لحظة ولادتها ومشاهدة بناء الفراغ البلورى للعناصر فى لحظات بالغة السرعة.

عاد د. زويل بعد ٣٠ عاما إلى بلدته دسوق موطن الحلم الأول ليجد تكريما له: اطلاق اسمه على المدرسة الإبتدائية التي تعلم فيها، كما أطلق إسمه على الشارع الرئيسى الذى يربط بين مدينتى فوة «بحيرة» ودسوق «كفر الشيخ»

إن تكريم د. زويل فى الخارج هو تكريم لمصر ولأسرة البحث العلمى ونشبه العقول المصرية فى الخارج بمياه البحر التى تتصاعد إلى أمطار تفيض بالأنهار والخير الكثير فى شتى بقاع الأرض، وتعود هذه المياه المتدفقه إلى مصدرها الأصلى لينهل منها كيفما يشاء.

لم ينس د. زويل مصر فهو من حين لآخر يتقدم بخدماته وتوصياته فقد شارك فى إنشاء المعهد القومى لعلوم الليزر عام ١٩٩٤ ومازال يشارك ويعطينا . ومنها أن تقدم بشرح مستقبل البحث العلمى ومكانة مصر العلمية فى الوقت الراهن.، وتناول وسائل النهوض بالبحث العلمى قال: إن بناء المجتمع العلمى ليس فقط بنشر الأبحاث والتقارير فى الإصدارات العلمية، وإنما بانصهار العلوم والتكنولوجيا مع المجتمع، وقد يتوهم البعض أن كثرة الإنفاق وتحديث المباني وشراء الأجهزة العلمية المتقدمة هو السبيل إلى التفوق العلمى دون الاهتمام بأساسيات وقواعد البحث.

ويقول د. زويل لاشك أن مصر تمتلك ثروات طبيعية وبشرية وعلمية، ولديها مخزون ثقافى وحضارى كبير، وعلى وشك قفزة إقتصادية هائلة، وهذه عوامل أساسية فى النهضة، لكن الأهم هو تحديد ماهية الموضوع العلمى وإدارته بعقلانية جديده، فإن الثورات العلمية التى شهدها التاريخ جاءت بعد سلسلة من التجارب والإختبارات، فقد عرف المصريون القدماء حساب الزمن من مراقبة النجوم فى السماء، وسار العلماء والفلاسفة بعد ذلك على نفس الدرب والوتيرة

إنه لولا اكتشاف فراداى الكهرباء ما إخترع أدسون المصباح، ولولا إكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية ما ظهر الراديو والتليفزيون والتلغراف ولولا إكتشاف D.N.A ما فهم الإنسان نظرية الوراثة وطبيعة الخلية الحية، وهناك أساسيات علمية ثابتة تبنى عليها النظريات والإكتشافات وتظهر الفكرة أحيانا دون سابق إعداد مثل

إكتشاف عقار الفياجرا الذى جاء أثناء متابعة مرض شرايين القلب وإكتشاف الليزر أثناء عمل تجارب على الذرة.

إن المناخ العلمى الواعى هنا مطلوب ويتحقق ذلك باشتراك الناس فى مناقشات علمية يومية، وإهتمام الإعلام والصحافة بالثقافة العلمية ومتابعة الإكتشافات الجديدة.

إن مصر لو تقدمت علميا ستجد العالم كله يقدرها لأنها أعطت الكثير على مر العصور ولها مكانتها الجغرافية والسياسية.

هذا وقد تقدم الدكتور زويل لرئيس مجلس الوزراء بمشروع تأسيس مجتمع علمى تكنولوجى متقدم فى مصر للإسهام فى النهضة العلمية لمصر وتخريج كوادر علمية على مستوى عال، واللحاق بعصر التكنولوجيا، على أساس أن مصر تزخر بعديد من علمائها وخبراتها لكنها تفتقد إلى قاعدة علمية يقوم عليها مجتمع علمى من علمائها وخبراتها قوى وقادر.. وهو بشكل معهد علمى متقدم ومستقل، وقد أعد د. زويل مشروعا تفصيليا لكيفية إنشائه وخطة عمله.

إن علم الدكتور زويل ليس لمصر فقط بل للعالم أجمع إن علمه الذى يحصل عليه لا يعد على المصريين فقط بل على الكرة الارضية كلها وعلى العالم أجمع، وهى بلاشك مهمة أرفع درجة ومنزلة وفى ذلك يقول المفكر الفرنسى جاك روسو إن كانت الوطنية عشيقة الشعوب.. فان الانسانية هى أمها الحنون!!! فمع السلامة إلى الخارج لاستكمال أبحاثك ودراساتك واكتشافاتك حيث برزت ، ولكن لا تحرمنا من زياراتك لبلدك اذا سمحت ظروف عملك، ولا تنسى قدرة الله:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (الإسراء ٨٥).

ثانيا : التعليم

(١٥) التربية الدينية والخلق الديني :

ان مدرس التربية الدينية يجب ألا يكون مجرد ملقن ومدرس المواد الدينية فقط بل يجب أن يتطرق الدرس الدينى إلى ظواهر الحياة، ولابد أن يرى مشكلات الطفل فى هذه المرحلة، ولابد أن يلاحظ فى كل مرحلة السلوكيات الشائعة والخاطئة ويعالجها مثل الادمان وشرب السجائر فكل هذه قضايا مهمة جدا يجب أن تتصدى لها التربية الدينية.

إذاً فيجب أن توجه جميع المواد الدراسية وجهة دينية حتى تخلق فى الطالب القدرة على العمل بثقة وايجابية وحتى يربى التلميذ فى إطار من القيم الأخلاقية والإيجابية كما يجب أن تتوافر فى المدرسة مقاييس لقياس سلوك الطالب من جوانب مختلفة مثل مدى تعاونه مع الزملاء وإدارة المدرسة والقيم، كما تظهر فى سلوكه وتصرفاته وتقديره لأحكام الآخرين ومراعاته لمشاعر الغير، ومقدار تحمله المسئولية وسعيه فى البحث واكتساب المعرفة، ونشاطاته الاجتماعية والعلمية.

ويجب أن يتم تعليم المنهج الاسلامى فى جو ملئ بالثقة حتى لا يتحول فكر الطالب وشعوره إلى الدرجة والمجموع والإمتحان وينسى الهدف الأسمى من الدين، كما يجب أن تستخدم فى تعليم الدين الترغيب فى الثواب، ونبتعد عن التخويف والترهيب من الامتحان والمجموع.

إنه لابد عند تعلم الآية فى المدرسة كما يقول عمر بن الخطاب (ض): «كنا نتعلم الآية فلا ننتقل إلى آية أخرى إلا إذا طبقنا السلوك الذى جاء فى الآية، فلاشك أن الدين سلوك وإذا لم يؤد الدين إلى سلوك حسن فلن يتحقق الهدف، وإذا كانت سلوكيات المدرس غير مضبوطة فكيف يتعلم الطالب السلوك القويم

كما أن وسائل الاعلام المرئية تؤثر فى السلوك الدينى فيتحول إلى سلوك واقعى وليست كلمات محفوظة.

فالتربية الدينية ليست مسألة منهج أو كتابُ المهم هو الجانب القيمى المرتبط بمشكلات المجتمع التى تنعكس على المجتمع، فالطالب فى هذه المرحلة يدرس قضايا خطيرة جدا مثل الأجنة والهندسة الوراثية وظواهر مثل الاستنساخ ونقل الاعضاء وأطفال الأنابيب.. مجرد علم فقط ولكن كيف يكون معها أو ضدها... الهندسة الوراثية مفيدة إلى حد معين.. وبعد ذلك من الممكن أن تكون ضارة بالمجتمع، فكيف يتخذ القرار؟... لابد فى هذه الحالة أن يكون هناك جانب قيمى وهو أن الطالب يتعلم بجانب العلم ماذا يقول الدين فى هذه القضايا.. وفى أى مرحلة يجد أن الربط بين الدرس الدينى والدروس المختلفة سواء كانت فى مجال العلوم أو الدراسات الإجتماعية.. هذا الربط غائب تماما عن مناهجنا وخاصة فى المرحلة الثانوية فهى مجرد عرض بحث للعلم يؤد بالطالب إلى البلبلة فى أفكارهم.. فمثلا توجد نظرية التطور لداروين تقول إن الإنسان أصله قرد... فهل هذه النظرية حلال أم حرام... وماذا يقول الدين فيها. فعندما تقال هذه النظريات فى الكتب نكتفى بذكرها كنظريات ومفاهيم علمية بدون وضع الجانب القيمى إلى جانبها، بحيث عندما يكون الطالب مسئولا فى يوم من الأيام يستطيع أن يأخذ القرار السليم

إذا فلابد من ممارسة الدين ممارسة فعلية من الواقع الذى يعيشه الطفل والشاب فى كل هذه المراحل. إن المنهج الدينى من أبرز سماته إنه منهج عبادة، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات ٥٦).

(١٦) إهتمامات فى التعليم:

الأمية : إنه لابد الإهتمام بمحو الأمية أحد أضلاع مثلث التخلف والضياع فى دنيا الناس ونعنى بهذا المثلث - الجهل والفقر والمرض.

إن أى دولة إسلامية يجب، أن تكون حريصة على محو الأمية ونشر العلم ليستجيب لقول رسول الله ﷺ **(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)**

إن إنتشار الأمية بين نصف سكان العالم الإسلامى يشكل أكبر التحديات أمام الأمة الإسلامية كما أنه يشكل أكبر عائق أمام التنمية والتقدم فى جميع المجالات .

الصغار : ضرورة الإهتمام بالصغار منذ نعومة الأظافر فالصغار هو الركيزة الأساسية فى عملية التعليم فاذا غرسنا فى نفوسهم القيم الدينية التى تعلى من شأن العلم كقيمة وفضيلة وأن العلم فريضة على كل مسلم، وان الدين يدعونا إلى الحرص على التعليم والتعلم فإذا عرف الطفل قيمة العلم إستطاع أن يستمر فى كل مراحله الإستمرار السليم الذى يجعله قادرا على تحمل المسئولية ولديه الدافع السليم للعطاء والوفاء والإخلاص للوطن.

الامتحانات : من بين العيب الأكبر فى نظامنا التعليمى هو نظام الإمتحانات فقد أكد علماء التربية إن إصلاح التقويم هو المدخل لاصلاح التعليم، إذا إرتفعت أسئلة الإمتحانات لنقيس المدارك العليا للمعرفة بدلا من إقتصارها على مرحلة الصّم، وإذا كف المسئولون عن التعليم عن التصريح عقب كل إمتحان بان الأسئلة لم تخرج عن المقرر أى لم ترتفع عن المراتب الدنيا ، وإذا تأكد الطلاب أن المطلوب منهم هوتحليل المعلومات وإعادة تركيبها وحل المواقف المشكلة فستكون هذه هى البداية الحقيقية للإصلاح.

القراءة : من أدب المتعلم مع الفقيه أن يأخذ عنه العلم بناء على فهم وبصيرة وان يعمل على احياء العلم ومذاكرته بالقراءة، والقراءة يجب أن تقوم على التدبير القائم على الفكر والنظر وذلك هو المدخل لأدب الطالب وواجب المتعلم.

(١٧) التفريط فى خدمة العربية : إن سماسرة الغزو الثقافى يضاعفون جهودهم فى هذه الأيام العجاف للقضاء تماما على اللغة العربية وذلك فى أغلب ميادين النشاط الفنى والعلمى!

والمفروض أن تكون اللغة العربية لغة عالمية ، فهى اللغة الوحيدة للوحى الإلهى الباقى على ظهر الأرض! وتعليمها وتعميمها واجب كفائى- بتعريف الأصوليين - وبالتالى فهو فرض عين على المدرسين العرب، وعلى المجامع والمعاهد التى خصصت لذلك. وهو أبرك وأغزر مثوبة من قضاء الليل فى التسبيح والتحميد! لأن العربية إذا إنهزمت وانفرط عقدها ضاع القرآن نفسه ، ونشأت أجيال أعجمية لا تفهمه إذا بقى من يقرؤه!! وصورة واقعنا اليوم أن الف مليون مسلم يقدسون الإسلام شكلا، وأن سبعهم من العرب الذين يندر فيهم المجيدون لقواعد اللغة وآدابها، وقد وصل إلى مناصب الحكم دهماء لا يحسنون الخطابة السياسية باللغة الفصحى...

ولغتنا لا وجود لها فى الكليات العلمية لأن الدراسة باللغات الإنكليزية أو الفرنسية أو الروسية. أما الفاظ الحضارة التى نحتت لها فى اللغات الأخرى الوف المفردات والتراكيب فليس لها مقابل لدينا.

والفضيحة الكبرى بدء إنتشار المدارس التى تدرس جميع المواد باللغات الأجنبية دون العربية وتسمى «مدارس اللغات» ويتفاخر ويتباهى أولياء الأمور بأن أبناءهم يدرسون فى هذه الدور بدءاً من الحضانة فانقلبت الأمور حتى أصبحت لغة التخاطب بين الآباء والأبناء بعيدة كل البعد عن لغة الوحى.

فقد حدث أن كانت الشرطة تأخذ أقوال تلميذة مصرية عربية من بنات «الذوات»!! فإذا بها تفتخر بأنها لا تعرف إلا أن تتحدث باللغة الانكليزية والقليل القليل من العامية. على الرغم من تنبيه المحقق لها... فهل هذا هو الجيل الجديد؟

والسؤال الذى يؤرق كل عربى غيور: أين المجامع المتخصصة؟ أين علماء اللغة العربية لغة القرآن الكريم... أين كل مؤمن واللغة تموت يوما بعد يوم؟ إن موت لغتنا يعنى: هلاكنا الروحى والمادى معا.. !!الذلك فيرى أن يبدأ من وزارة المعارف أو وزارة

التربية والتعليم بالغاء تدريجيا هذا النوع من التعليم إلى أن ينقرض تماما حفاظا على الملتحقين به حاليا. وإلا فإن الصبغة المناسبة أن تستبدل بهذا الأسلوب القائم أسلوبا آخر يقوم على مضاعفة حصص اللغات الأجنبية بهذه المدارس على شرط أن تدرس جميع العلوم من رياضيات واحياء، وكيمياء، وفيزياء وغيرها بلغتنا العربية. إنه يجب أن يوضع منهج شامل ميسر لتدريس اللغة العربية بنحوها وصرفها وأدبها بصورة تجعلها محببة لدى الطلاب وأن يقام مشروع قومى يقوم على الإعتزاز بهذه اللغة وياحبذا لو تضمن هذا المشروع تخطيطا لأسلوب نشر هذه اللغة بين الأجانب. ولا مانع من إيجاد المدارس القوية التى تستطيع أن تنافس وإقناع الناس بها، حتى لا يقوم الأثرياء بإرسال أولادهم للدراسة بالخارج فنفشل بهذه الطريقة فى الوصول إلى ما خططناه.

وأخيرا فنوصى أولياء أمور طلبه هذه المدارس بأن يهتموا بالتربية الدينية والأخلاقية فى منازلهم ومتابعة المتحصلات المدرسية لأبنائهم حتى لا تتسرب لهم المفاهيم الخبيثة كما حدث فى كتاب الجامعة الأمريكية بمصر الذى يدرس وهو يحوى افتراءات على الرسول ﷺ.

أما نشر اللغة العربية عالميا خاصة بين جميع الأجناس التى أعتنقت الإسلام، فارى تكوين لجنة منهم من عرب وأتراك وهنود وفرس واندونسيين وزنوج وغيرهم،، لتذويب الفوارق العنصرية فى كيان إسلامى مشترك وسحق كل الثغرات الجاهلية، وجعل اللغة العربية اللغة التالية لكل لغة وطنية، وجعلها اللغة الرسمية العامة فى كل ملتقى إسلامى، كما أنها لسان الوحى ولغة التعبد لله رب العالمين.

هذا ويمكن تجديد ما وهى من أواصر قديمة، كما يمكن التعاون فى مؤتمرات وأسواق مشتركة لمواجهة مستقبل تكتنفه الضغائن والمتاعب.

(١٨) خطر التعليم الأجنبى بمصر :

كانت مقالات الشيخ محمد عبده فى الوقائع المصرية تحت عنوان «تأثير التعليم فى الدين والعقيدة» هى أول من نبه إلى خطورة هذه المدارس على عقيدة أبناء المسلمين المتعلمين فيها خاصة حين يدخله الطفل صغيرا.

وفى نهاية المقال الثانى يقول الشيخ محمد عبده:

«إننا نعيد إنذار الآباء - هداهم الله - بألا يسلكوا بأولادهم فى التربية مسالك توجب لهم قلق الفكر وتشويش البال، وألا يبعثوا بأبنائهم إلى المدارس الأجنبية التى تغير مشاربهم ومذهبهم.. وإن ما سبق منا نشره فى الأعداد الماضية يبين أن المعاشرة نفسها تؤثر فى العقيدة، فلا يؤمن على الأطفال من تغير المذهب»

إن مقالات الشيخ محمد عبده التى كانت ترمى للوقوف فى وجه التيار الجارف للمدارس الأجنبية فى مصر اقنعت رياض باشا- ناظر النظار- أن ينشئ المجلس الأعلى للمعارف، ليشرف على التعليم فى مصر، ويعمل على ترقيته، فانشأ هذا المجلس وجعل الشيخ محمد عبده عضوا فيه وفى هذا المجلس اقترح الشيخ محمد عبده أن تقوم الحكومة بدفع مبلغ كبير من المال للمدارس الأجنبية، نظرا لما تقوم به من خدمة فى تعليم أبناء مصر، فهش لهذا الإقتراح الأعضاء الأجانب فى المجلس وعارضه أغلب المصريين فيه ووافق عليه من المصريين من كان يعرف الخطوة التالية، فصدر القرار بأغلبية الآراء، وفى الجلسة التالية إقترح الشيخ محمد عبده أن تكون المدارس الأجنبية تحت مراقبة نظارة المعارف لينظر مفتشو النظارة فى نظام التعليم وسيره، وإستطاع- بعد جدال- أن يقنع الأعضاء الأجانب فى المجلس على إقتراحه، وإن كان قد تعثر فى التنفيذ، ثم قامت الثورة العرابية، وبعدها الإحتلال الانجليزى فاجهض هذا المشروع كغيره من نواحى النهضة الفكرية والنيابية التى ظهرت فى هذه الفترة.

وظلت المناداة للتحذير من خطر المدارس الأجنبية إلى أن صدرت القوانين عام ١٩٧٥ ثم عام ١٩٥٨ ثم ٢٠ لسنة ١٩٥٩ متضمنة أن يدرس طلبة هذه المدارس المقررات نفسها التى يدرسها طلبة المدارس المصرية فى الدين الإسلامى واللغة العربية ومواد الثقافة القومية، وان تشرف الدولة إشرافا تاما على إمتحانات النقل والعامة منها، وتضمن عدم مخالفتها للنظام والآداب والأخلاق فى البلاد.

(١٩) المدرسة مؤسسة إنتاجية :

إن المدرسة التى تريد أن تلعب دورا فى التنمية الإقتصادية والإجتماعية، لابد أن تصبح مؤسسة من مؤسسات الإنتاج وأن تتطور مناهجها وطرائفها تبعا لذلك، وأن تحقق أوثق الروابط بينها وبين سائر مؤسسات الإنتاج القائمة، وأهم ما يؤدى اليه هذا التغيير فى حياة المدرسة خلق جو مرب، من شأنه أن يضع التوجيه المدرسى فى إطاره الصحيح، وأن يخرج مجتمعاتنا النامية من ذلك الدور الفاسد الذى ماتزال تدور فيه، وقوامه أن التنمية أساسها المدرسة، والمدرسة ماتزال تعيش فى غربة عن حاجات المجتمع وتشتد الحاجة إلى مثل هذا المطلب، مطلب التوجيه المدرسى المربى السليم، فى هذه الفترة فى حياة الأمة العربية التى تجد نفسها أمام إمكانات مالية متزايدة، لا يمكن أن تؤدى إلى تنمية إقتصادية إجتماعية حقيقية وسريعة، إلا إذا توافرت لها الإمكانات البشرية اللازمة ، ورأس تلك الإمكانات البشرية أصحاب الإختصاصات الفنية والتكنولوجية وهؤلاء لا يمكن أن يتكونوا مصادفة، ولا يمكن أن يقذف بهم النظام التربوى التقليدى، بل لابد لتكوينهم من بيئة مدرسية يتوافر لها الربط بين المدرسة والإنتاج، وتتيسر بفضل ذلك أمورا عديدة لازمة للتنمية ، أهمها أن يتجه الطلاب نحو الاختصاصات المهنية والفنية بعد أن يعرفوا حقيقة قابليتهم، ويتعرفوا مطالب مجتمعهم، وحاجات السوق الإقتصادية

* * *

(٢٠) المنظومة الجامعية الراهنة ... (الأستاذ - الطالب - المناهج)

كتب الأستاذ إبراهيم نافع بجريدة الأهرام ما ورد إليه

الأستاذ : يرى أن طالب الجامعة الآن أصبح جاهلا وسطحى التفكير، ولا تمثل الجامعة بالنسبة له غير مكان لقضاء وقت بهيج مع زملائه، أو كما يطلق عليه طلبة الجامعة الآن مكانا (للترويش)!! والرحلات، وكل إهتمامه منصب على مظهره، وليس لديه أي اهتمام صادق بتعلم مهارات مفيدة أو تلقى أي معرفة جديدة.

والطالب : يرى أن الأستاذ يريد أن يفرض عليه شراء كتبه الخاصة والإقتناع بآرائه الخاصة ورؤيته الشخصية لكل شئ، وعلى الطالب السمع والطاعة حيث لا مساحة للمناقشة، أو التعبير عن الرأى بحرية، وإن حاول الطالب ذلك فالعواقب وخيمة، وهناك حالات كثيرة دفع الطالب فيها فى الجامعة سنوات من عمرهم ثمنا لإختلاف آرائهم مع أراء أساتذتهم.

المناهج : يرى الطالب أن ما يتعلمه فى الجامعة لا علاقة له بالحياة العملية ولا بسوق العمل من قريب أو من بعيد، وأما حصوله على الشهادة الجامعية مسألة مظهر إجتماعى فقط لا غير، والغريب أن هناك من طلبة الجامعة من يفضلون البقاء فى الجامعة لأطول فترة ممكنة، والسبب حسب رأيهم هو أنه لا داعى للعجلة مادام التخرج لا يعنى إلا البطالة، فى حين يعنى إستمرار الدراسة أننا مازلنا غير مسئولين عن إعالة أنفسنا.

وكل ذلك يعكس خللا فى ثالوث المنظومة الجامعية: علاقة الطالب بأستاذه، وعلاقة الطالب والأستاذ بالمناهج الجامعية، وعلاقة المناهج وطرق التدريس باحتياجات سوق العمل.. والمطلوب مؤتمر جاد يضم الأساتذة والطلبة لمناقشة هذا الخلل بكل صراحة وكل وضوح.

(٢١) مسئولية المعلم وما يطلب منه قبل تلامذته وطلابه ★

المعلم والمدرس والأستاذ كلهم عليهم مسئولية كبيرة، لأن الذى يناط بهم هو أمر خطير، والذى يطلب منهم هو صياغة الشباب وتشكيل أفكارهم على الصورة التى يرضاها الله سبحانه وتعالى: وهى الصورة التى تنفعهم وتنفع أمتهم فى الدنيا والآخرة. والناشئون حين يرسلهم أهلوهم ويسلمونهم إلى المدرسة والجامعة ، فإنما هم فى ذلك يضعون أفلاذ أكبادهم أمانة فى أعناق المدرسين والأساتذة والمعلمون ويدركون أنهم يربون الجيل الذى سيملك زمام الأمة ويقودها بعد ذلك إلى مستقبلها. فان وفى المعلمون بواجباتهم دراسة وتأدية وتربية فقد صنعوا الجيل الذي تفخر به أمته، ويعتز به أهله، وإن هم أهملوا أو أساءوا فقد خانوا الأمانة وضيعوا الأمة وتحملوا إثما كبيرا.

وقد وضع المربون أصولا للمعلمين طالبوهم بالإهتمام بها والعمل بمقتضاها:

أولا : الشفقة على المتعلمين والرحمة بهم : وذلك لأن المعلم يقوم مقام الوالد، وحقه على المتعلم كحق الوالد على ولده، وحتى الطلبة عليه كحق الأولاد على آبائهم، ولذلك كان ﷺ يقول: «**أنما أنا لكم مثل الوالد لولده**» **(رواه ابو داود والنسائى وابن ماجة)**

فيجب عليه أن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وعذاب الله أولا، ثم إعدادهم إعدادا فكريا، وروحيا، وعقليا يجعلهم صالحين لنفع أنفسهم ونفع أمتهم وليكن حرصه على إنقاذ طلبته من الجهل، ومن الأخلاق السيئة والعادات القبيحة كحرصه على إنقاذ أبنائه من ذلك كله.

وليعلم المعلم أن أبناء الأمة أمانه فى عنقه يسأل عنهم يوم القيامة، فاذا كان قد بذل لهم النصح والجهد والتربية الحسنة ما يجب أن يبذله لأبنائه فقد نجا، وإلا فالويل

له فى الدنيا والآخرة، لأن الأستاذ المهمل، والمعلم المستهتر يصنع نفسه ويضيع طلبته ويضيع أمته والله تعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال آية ٢٧) .

وأنجح الأساليب فى التعليم والتربية هو أسلوب الرحمة والشفقة وإشعار الطالب بالحنان والعطف وشدة الحرص عليه، وليذكر كل معلم ومعلمة أن المربى الأول محمد ﷺ وصفه الله تعالى بقوله:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة ١٢٨) .

(ثانيا) النصح للمتعلم وتوضيح الأمور : فعلي المعلم أن لايترك من نصح المتعلم شيئا ، وذلك بأن يوجهه إلى العلم الذى يبدأ به ثم ما يكون بعده، ويعلمه كيف يحصّل العلم، وكيف يصير على ذلك، ويبين له الكتب التى تساعده على أكبر تحصيل فى أقرب وقت، مع توفير أكبر كمية من كتبه ومذكراته فى مكتبة المدرسة أو الكلية لتسهيل استعارتها لمن لا يقدر على شرائها وعلى أن يكون بيعها عن طريق دور العلم وبأسعار رمزية.

وعلى المعلم أن يبين للطلبة العلماء الذين سبقوا وأدوا للأمة خدماتهم العلمية الجليلة والباقية فى آثارهم. وعلى المعلم أن يبعد المتعلم عن الخلافيات، وعن أسباب النزاع والشقاق بين المسلمين، وأن يبعده عن ازدراء الآخرين والعيب فيهم، ويعوِّده نظافة القلب، ونظافة اللسان، ويزجره عن سوء الأخلاق بطريق التلميح أولا ، فان لم يفد اتبع معه أسلوب التصريح، ولكن مع العطف والرحمة والمودة إن نفع، وإلا فالشدة.

(ثالثا) أن يكون مثلا طيبا للمتعلمين : يجب على المعلم أن يدرك أن أعين المتعلمين معقودة به، وأنهم يتخذونه مثلا لهم، وأنهم يرون أن كل قول يقوله، وكل عمل يعمله صواب يقتدى به وينسج على منواله.. ولذلك يطلب من المعلم أن يكون فى لبسه وفى مشيته وفى قوله وفعله، وفى معاملاته وتصرفاته ملتزما بالأحسن والأكمل ما إستطاع فإن ذلك يغرس فى نفوس طلبته عن طريق التقليد ما يعجز عن غرسه عن طريق القول فى عشرات المربين، والمدرسة التى تتكلم عن الحشمة والملابس الإسلامية وهى تلبس ما يكشف عن عورتها من أعلى وأسفل هى نموذج ردئ جداً للتلميذات. لذلك فتدريس الدين فى المدرسة من قبل هؤلاء المدرسين والمدرسات له أثر معاكس ومضاد للدين.

(رابعا) مراعاة المناسب للطالب : على المعلم أن يدرس عقليات طلبته، ومدى استعداد كل منهم، والمؤثرات التى تأثر بها فى البيت والمجتمع، وغيرها حتى يكون مع الطالب مثل الطبيب، يعطيه ما يناسبه، وما يتفق مع ميوله، وما هو فى أمس الحاجة إليه، وما من شأنه إصلاح أمره، وإفادته الإفادة المطلوبة. فلا يليق بالمعلم أن يلقى إلى المتعلم بما لا يقبله، أو بما لا يعقله، أو بما يفسده ولا يصلحه، وكذلك قال ﷺ **«نحن معشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم»** (رواه أبو داود)

خامسا: المتعلم فى عصرنا : أظن أن القارئ يدرك ما وصلت اليه حالة الطالب فى عصرنا هذا من اجتراء على المعلم وتوقح معه، ومعاملته معاملة سيئة قاسية نابية بعيدة عن الأدب وحسن التربية ويشجعهم على ذلك إخوان السوء، ووسائل الإعلان المرئية، حتى إنك لترى الأستاذ المعلم المربى يداهن الطالب ويداريه، ويوافقه على أشياء كثيرة فيها ضرر بالطالب وضرر بأهله، وضرر بالأمة، ولكنه معذور حيث لا يجد من يشد أزره من الإدارة المدرسية، ولا من المجتمع ولا من الدولة، مع العلم بأن وظيفة التدريس فى عصرنا هذا هى أشق وظيفة، وتكاد تشغل وقت المدرس داخل المدرسة

وخارجها ، مع العلم بأن المدرس هو الفارس الذى يغرس فى الأمة سمو الخلق، وحسن التربية، ونور العلم والمعرفة، وأن أحدا لا يقوم بدوره، وأن كل عامل أو موظف، أو مفكر ، أو أديب، أو فنان انما هو نتاج هذا المعلم أولا...

وكانت نتيجة التهاون والتساهل فى حق المعلمين أن نشأ جيل مستهتر، ممزق العواطف، مشتت الفكر، مضيع الهدف، فمتى تعود للمعلم كرامته وأصالته واهتمام الأمة به ماديا وأدبيا ؟ وعلى كل فالمعلم هو ميزان الأمة، فان رجحت كفته تقدمت أمته، وإن أضاعته الأمة ضاعت معه، ولم يحدث أن بنيت حضارة بغير معلم، وازدهرت حياة أمة ومعلم أبنائها منكس الرأس مضيع.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (الضحى ٥) .

(٢٢) الطالب والمدرس فى هذا العصر :

كتب الأستاذ إبراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام بتاريخ ١٣/٤/٩٨ ص ٣٠.

«حدثنى أحد رجال التعليم الذين قضوا عمرهم كله فى هذا المحراب المقدس قال: إن المدرس اليوم صار فى بعض المدارس يخاف من تلاميذه ويتحاشى عدوانهم عليه، وانتقاصهم من كرامته، أو مساسهم بشيخته، فيؤثر السلامة ويعاملهم بسلبية حيادية، فلا يقاوم سلوكهم، ولا يرشدهم، ولا يمارس عليهم أية ولاية تربوية ولا سلطة توجيهية، ولهذا تحول الفصل الدراسى إلى مجرد لقاء تعليمى فقط وهذه خسارة كبيرة!!»

وسألته:ولماذا يخاف المدرس من تلاميذه؟ أجاب: لأن الأسرة وهى الأصل لم تقم بدورها ولا بواجبها ، فالأب إما مسافر طوال العام خارج مصر، حيث يعمل فى الغربة.. وتنقطع سلطته على أبنائه بانقطاعه عنهم إلا من خلال الإتصالات التليفونية التى لا يمكن أن تكون قناة للتربية الأسرية، وإما مشغول طوال اليوم فى عمل أو أكثر حتى

يحصل لأسرته على مصادر دخل إضافية، والأم مهما كانت جديتها وصرامتها فإنها قد تعجز عن مواجهة إنحرافات الأبناء بمفردها.

وسألته : هل معنى ذلك أن الأسرة هى المسئولة وحدها ؟ وأجاب: نعم لأن المدرسة نفسها لم تعد مؤهلة للقيام بهذا الدور، فالمدرس تحول تحت ضغط الظروف الإجتماعية والإقتصادية الى رجل أعمال يقدم خدماته التعليمية فى الدروس الخصوصية بمقابل مادي، ومن ثم تحول عمله فى المدرسة إلى عمل إضافى أو هامشي، لأنه لا يوفر به إلا دخلا محدودا، وعلى هذا الأساس فإن الدور الأخلاقى والتربوى للمدرس صار مفقودا، وهو دور لا يمكن تحديده بصورة عملية ومادية حتى يتقاضى عليه المدرس أجرا ماليا، وفى السابق كان المدرس يعتقد ويؤمن أن التوجيه الأخلاقى للتلاميذ هو صلب رسالته وهو أساس وجوده وجوهر حياته نفسها، فكان المدرس يجد متعته وسعادته فى التنشئة والتقويم بالدرجة الأولى.

وكان المجتمع بأسره يحيط المدرس بهالة من التقدير والإحترام تشعره بالرضا عن نفسه وعن مهنته فكان يمارسها شغوفا بها ومتمسكا بها، أما الآن فقد اختلف الحال كثيرا، ودفعت الأجيال الجديدة بعض ثمن هذا الإختلاف ودفع المجتمع ككل بقية الثمن الباهظ!!!!

(٢٣) إعداد المعلم المسلم :

إن مدارسنا فى الوطن الإسلامى لا تشكو فقط من أنظمة تربوية يخطط لها أناس أعدوا على أعين العدو إعدادا جعل منهم الأمناء على تحقيق ما يبغونه، لأنه زرع فيهم الإيمان بهذا العدو والاعجاب بما عنده وملأهم بالشك فى قدراتهم والكفر بما لديهم والإحتقار لتراثهم بل تشكو- مداسنا - أيضا من غياب المعلم القادر على نقد هذه المناهج، الواعى لمسئوليته العظمى التى لخصها أحمد شوقى فى بيته: (قم للمعلم وفيه التبجيلا * كاد المعلم أن يكن رسولا).

إن مدارس المسلمين اليوم لا تخلو من نوعين إثنين من المعلمين:

نوع أول: يعتبر مهمة التدريس وظيفة كحملة الوظائف الحكومية، يؤديها مقابل أجرة معينة لا يعنيه بعدها محتوى البرامج ولا نوعيتها ولا وطنيتها فى شئ، وهم مع ذلك يدعون إنتماءهم للإسلام.

ونوع ثان: حاقد على الإسلام عقيدة وفكرا وشريعة، فتراه لا يغفل فرصة إلا إستغلها لخلخلة العقيدة الإسلامية عند الأطفال.

لذلك كان الإهتمام بإعداد المعلم المسلم من أوكد واجبات العاملين للإسلام اليوم، يمكنهم من سد ثغرة تعتبر من أكبر وأخطر الثغرات التى تمكن عبرها المستعمر من الاستيطان فى بلادنا.

لابد من إعداد المعلم المسلم الذى يكون صافى العقيدة، قادرا على نقد كل فكرة غريبة عن الحس الاسلامى، ودحض كل الشبهات التى ترد بين الحين والآخر فى دروس القراءة أو الجغرافيا أو التاريخ أو غيرها، حريصا على الإستزادة من الثقافة والمعرفة الإسلاميتين خاصة، ومعتبرا أن مهمته هى مهمة الداعية الذى لا يبخل بالغالى والنفيس فى سبيل نشر كلمة التوحيد وتركيز شرع الله فى الأرض..

* * *



ﭐدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم
بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ
أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

(النحل ١٢٥)

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

(آل عمران ١٠٤)

الدعـــوة

(١) محمد ﷺ إمام الدعاة

كرم الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد إمام الدعاة حين أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وحيث أم الأنبياء ورأى من آيات ربه الكبري وحيث عرج به إلي السماء وكان من عرش ربه قاب قوسين أو أدنى . . وكل هذا قد جاء تكريما له ﷺ على ما قدم فى سبيل الدعوة وما عانى من تبليغ رسالتها وصبر على حمل أمانتها . . وهكذا يحفز هذا التكريم الإلهى العظيم كل داعية لكي يبذل فى سبيل الدعوة أقصى العطاء .

إن الدعوة واجب دعا اليه ربنا وحث على القيام به وذلك حين قال : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ آل عمران (١٠٤) وقال أيضا ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة (١٢٢) .

الله كفيل للدعاة المخلصين بأكرم الجزاء ، وهكذا أيضا نرى أن ما يقوم به الدعاة على مر الأجيال والأعوام إن هو إلا مواصلة لحمل الأمانة التى بدأها مؤسس الدعوة محمد ﷺ .

فالدعوة إذن واجب ديني تؤكده نصوص القرآن وسنة النبى العظيم وهى إلى ذلك واجب قومى تفرضه ضرورة المساهمة فى إصلاح المواطنين عقيدة وفكرا وسلوكا وخلقا بل هى واجب حياتى تحتمه ضرورة الحيلولة بين المواطنين وموارد الهلاك التي يؤدى اليها خلل الفكر أو تخلفه ونوم الضمير أو غيبته ، الأمر الذى يقضى على الأفراد بل يسلم المجتمعات إلى الضياع والشتات ، وإذا كان عمل الدعاة واجبا دينيا وقوميا حيال مجتمعهم فان على الدولة فى مقابل هذا واجبا نحوهم وهو أن تحسن إعدادهم وتوفر الحياة الكريمة لهم وتيسر كل ما يعينهم على أداء واجبهم . .

٢- الداعية المثالي : (يقول فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى) الصورة المثلى فى نظرى للداعية فى هذا العصر الصعب الذى نعيشه هى صورة الداعية الذى يسلك فى دعوته الوسائل التى أرشده القرآن الكريم اليها فى قوله سبحانه ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ النحل «فهذه الآية رسمت للداعية ثلاث مسائل متى اتبعها نجح فى دعوته :

* **الوسيلة الأولى** : تتمثل فى قوله تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة» أي بالقول المحكم الصحيح الموضح للحق ، والمزيل للباطل ، والواقع فى النفس أجمل موقع .

* **والوسيلة الثانية** : فى قوله سبحانه «و. الموعظة الحسنة» أى وادعهم أيضا بالأقوال المشتملة على العظات الرقيقة التي تهذب النفوس وترغبهم فى إعتناق الفضائل ، وترهبهم فى إقتراف الرذائل .

* **والوسيلة الثالثة** : نراها فى قوله تعالي «وجادلهم بالتى هى أحسن» أى وجادل المعاند من الناس بالطريقة التي هى أحسن الطرق وأجملها ، بأن تكون مجادلتك لهم مبنية على حسن الإقناع ، وعلى سعة الصدر ، فإن ذلك أبلغ فى إطفاء غضبهم وفي التقليل من عنادهم .

وبذلك نرى الآية الكريمة قد رسمت أقوم الطرق للداعية ، وحددت أحكم وسائل الدعوة وانجحها فى هداية النفوس إلي الصراط المستقيم . . إنها تأمر الدعاة بأن تكون دعوتهم إلي الحق لا إلى غيره ، وأن يراعوا أحوال الناس وطباعهم ، وسعة مداركهم وظروف حياتهم ، وتفاوت ثقافاتهم ، وأن يخاطبوا كل طائفة بالقدر الذى يناسبهم ، فمن الحكم المأثورة : خاطبوا الناس على قدر عقولهم ، ومتى فيحل الداعية

ذلك نجح فى دعوته ، والتفت القلوب من حوله ، لأن الله تعالى قال : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ (الكهف ٣٠)

(٣) الدعاة وأحوال الناس وثقافاتهم

كتب الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر فى مجلة المسلمون بتاريخ ٧/ ٢/ ١٩٩٨

إن الدعوة الاسلامية هى رسالة الأنبياء والرسل ، وهي أيضا رسالة العلماء ، لأن العلماء ورثة الأنبياء ، ومن هنا نقف على أهمية الدعوة ومكانة الدعاة .

وللدعوة الاسلامية مكانتها فى نفوس المسلمين جميعا ، فإن سعادتهم دينا وأخرى ترتبط بهاارتباطا وثيقا .

ومن هنا كانت مسئولية الدعاة وأهميتهم ، وكان تفاوتهم فى نقل الدعوة بمنهجها الربانى البليغ ، وبأسلوبها السمح الكريم ، وبما تحتوى عليه من علوم دينية وأخرى دنيوية لابد للدعاة من معرفتها ، حتى تكون الدعوة فى إطارها الصحيح ، ويكون الدعاة قادرين علي نقلها إلي كل البلاد والعباد على نحو دقيق وعميق ، لا تشوبه شائبة قصور أو خلل .

وواضح أن لكل مقام مقالا ، وإذا كانت البلاغة مطابقة الكلام لمقتضي الحال ، فإن أولي الناس بالبلاغة هم العلماء الدعاة ، لأنهم ورثة الانبياء ولأنهم يقومون على نقل أشرف تراث فى الوجود .

احوال السكان :

وعن أهم ما ينبغي علي الدعاة أن يقفوا بين ما يتعلمونه وما يتدربون عليه من علوم هو التعرف على أحوال السكان في البلد الذى يدعونه وعلى عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم والمعلومات التى يمكن جمعها عنهم وعن معتقداتهم ، لأن الدعاة مثلهم مثل

الأطباء قبل أن يصفوا الدواء للمريض ، لابد أن يحددوا أولا نوع المرض وما يلزمه من دواء ، وبعد تشخيص المريض ومعرفة نوع الداء يتحدد الدواء ، وكذلك الحال بالنسبة للدعاة مع الذين يدعونهم ، لابد من التعرف علي السكان وأحوالهم وسياساتهم وعاداتهم ، وما ينتشر فيهم من رذيلة أو تقصير في بعض أمور العبادات أو المعاملات .

اذا فالطبيب لابد له من التعرف على أحوال مريضه وتشخيص الداء لأن ما يصلح من دواء لمريض قد لا يصلح لمريض آخر ، وما يصلح من كمية لإنسان قد لا يصلح لغيره ، فكذلك أيضا الداعية لابد أن يلم بمعلومات وافية عن سكان الموقع أو البلاد الذين يدعوهم .. ليستطيع أن يقدم لهم العلاج الذى يليق بكل واحد منهم ، .. وهكذا نرى أنه لابد من التعرف على المعلومات عن كل منطقة يعمل فيها الداعية ، أو كل مجتمع يؤدى فيه رسالته حتى تكون الدعوة ملائمة ومنسقة مع الذين يدعوهم ، وحتى يتعرف الدعاة على مواطن الداء ، وعلي ما يحتاجه أهل كل منطقة أو بلد لابد من التوجيهات اللائقة بهم .

ولقد كان قدوة الدعاة سيدنا رسول الله ﷺ يسأله أناس كثيرون ، وكان السؤال واحد في كل مرة ولكن إجابته فكانت تختلف من إنسان لآخر ، ومن وقت لآخر ، ومن مكان لآخر ، والسبب فى هذا هو أن الرسول ﷺ كان يجيب كل سائل بما يليق بحاله ويجيب أهل كل مكان بما يليق بحالهم وهكذا .

فقد سأل رجل رسول الله ﷺ أى الإسلام خير؟ قال : **«تطعم الطعام وتقرأ السلام علي من عرفت ومن لم تعرف»** (متفق عليه).

وفي حديث آخر : عن أبى موسى (ض) قال : «قالوا يا رسول الله أي الاسلام أفضل؟ قال : **«من سلم المسلمون من لسانه ويده»** وهكذا كان يجيب كل سائل بما يكون أفضل فى حق السامع أو السائل أو أهل المكان الذين يحدثهم ، فربما يكون قد

ظهر من أحدهم قلة مراعاة ليده ولسانه وإيذاء المسلمين ، وربما يكون ظهر من الآخر الإمساك عن طعام والبعد عن السلام أو ما فيه إستعلاء فأجابه على حسب حاله ، وقد يكون السائل يريد من وراء سؤاله أن يعرف أهم المنهيات والأمور التي يجب عليه تركها فأجابه بقوله : **«من سلم المسلمون من لسانه ويده»** ، ويكون الآخر سأل ليعرف خير الأعمال وأفضلها ، فأجابه **«باطعام الطعام واقراء السلام»** . . ومن المعلوم أن الإطعام مستلزم لسلامة اليد والسلام مستلزم لسلامة اللسان .

وفى حديث آخر يسأله أبو ذر (ض) أى العمل افضل؟ فقال ﷺ **«إيمان بالله وجهاد فى سبيله»** . . قلت فأى الرقاب أفضل؟ قال : **«أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها»** قلت وإن لم أفعل «قال» **«تعين صانعا أو تصنع لأخرق»** قلت . . فان لم أفعل قال **«تدع الناس من الشر فإنها صدقة تتصدق بها علي نفسك»** .

وهكذا نرى إختلاف الإجابة باختلاف الأشخاص وأحوالهم ، مما يدلنا على أن دراسة أحوال السكان وأهل البلاد أو المواقع الذين تتجه إليهم بالدعوة أمر ضرورى ، لذا فان الدعاة فى حاجة ضرورية إلى معرفة تاريخ العالم وأحوال السكان فيه فإن لكل مقام مقالا .

(٤) اقوال الدعاة إلى الله

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى كتابه :

إن الداعية هو من يعلم حكما من أحكام الله فيبلغه إلى غيره ويؤيد ذلك بتطبيقه على نفسه أولاً ولا يشترط فى الداعية أن يكون عالما بجميع علوم الدين إنما يكفي أن يكون عالما بجزئيه بسيطة ويستطيع توصيلها لمن لا يعرف ، وخير دعاية للإسلام أن يكون الداعية ذا سلوك قويم ، أما إذا قال لك إنسان كن صادقا ثم كذب هو ، أو طالبك بفعل شيء لم يفعله هو ، فان ذلك يجعل الناس ينصرفون عن أصل الدعوة ، فليس

الداعية إلى الله هو من يظل يقول : قال الله وقال الرسول- بل إنه كل من يعلم حكما من أحكام الدين ، ثم يبلغه لمن لا يعلمه ويكون دليل صدق فى البلاغ . . هو تطبيق ما يدعو إليه على نفسه أولا وقد يطبق الحكم دون أن يتحدث عنه فتقتدى به الناس ما قاله ويقتدون به . . لأن الأزمة الموجودة الآن ليست أزمة عدم علم بالدين . . لأن الكل يعرف أن السرقة حرام ، وأن الرشوة حرام ، وان الإختلاس حرام ، ولكن الأزمة هى أزمة حمل النفس على مطلوب العلم .

ولعلاج هذه الأزمة يجب أن يستحضر المسلم مع كل منهى عنه عقوبته ، وأن يستحضر مع كل مأمور به مثوبته ، فالطالب الذى يجتهد فى مذاكرة دروسه ويؤجل كل شيء آخر حتى ينتهى من مذاكرته ، يفعل ذلك لأنه إستحضر لذة النجاح والآثار المترتبة عليه ، لان إستحضار الثواب على العمل يشجع عليه ، وإستحضار العقوبة على العمل يشجع علي رفضه ، والداعية الناجح كالطبيب الماهر الذي لا يصنع مزيجا لجميع الأمراض ، لكنه هو الذى يصف لكل مريض دواءه ، وقد تعلمنا ذلك مما كان يفعله النبى ﷺ وكان حين يجيئوه من يهمل في اداء صلاته ويسأله عما يفعله ليدخل الجنة ويقوله له : (**عليك بالصلاة**) وحين يأتى اليه آخر يهمل رعاية والدته ويسأله نفس السؤال يجيبه عليه ﷺ قائلا : (**برك بوالدتك**) أما الذي يجيئوه عابس الوجه فكان يرد عليه ﷺ قائلا (**أن تلقى أخاك بوجه طلق**) . . وهذا معني أن المطلوب من الداعية هو الإخلاص وتوظيف حياته لخدمة الدين ، وأن يكون قريبا من مشاكلهم وعالما بها ، حتى يمكن أن يوجههم التوجيه السليم بنجاح ، وحيث انني داع وواعظ أيضا ، أريد توجيها ونصحا والله تعالى يقول ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت (٣٣) أى أننى أفعل الخير بنية أن هذا هو الإسلام ، فيجب أن نوجه جميعا ، نوجه من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، أى من المنبع الصافى ، وأن ندعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونحرص على أن يكون القول متفقا مع الفعل ، فالناس تحكم علي الشخص من سلوكه حتى ولو لم يتكلم ، فإذا لم ينطبق

السلوك الفعلى مع الواقع مع المبدأ النظري ، انطبق علينا قوله تعالى ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ آل عمران (١٦٧) . ولذلك قول الحق ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف (٢) وكما أن الناس بكل أسف تقارن بين فشل علم الدين ونجاح العلوم الأخرى كالطب والهندسة والزراعة ، لأنهم لا يفرقون بين حقيقة هذا وذاك ، فهذه العلوم قصارى ما فيها أن يقوم معلمها بتوصيل المعلومات إلى ذهن الطالب ، ثم بعد ذلك يقبل عليها الطالب ويستزيد منها ويتمسك بها لأنها ستفيده في مسائل دنياه حتى فى انحرافاته . . . لكن علم الدين شئ آخر . . فالطالب فيه لا يتلقي مجرد الإيمان بالله . . وإنما يطالب بعد إيمانه بأن يفعل بعض الأشياء ولا يفعل أشياء أخرى . . فليس كافيا أن يفهم ، الطالب أحكام الدين بل أن يحمل نفسه على ما يطلبه منه الدين ، ومؤدي ذلك أنه لكى ينمو الدين وتتحقق ثماره لابد من وجود من يعلمه ومن يطبقه ولكننا فى كثير من الأحيان نجد الذى يعلم ولا نجد الذى يطبقه . ولقد جاء القرآن منهجا كلاميا ، وجاء الرسول منهجا تطبيقيا . . ولقد أراد الحق تبارك وتعالى يقول للناس : لا تحسبوا أني جئتكم بالقرآن منهجا نظريا لا يستطيع بشر أن يطبقه ، فهذا رسول الله بشر مثلكم يطبقه فى واقع حياته ، ولذلك كان الرسول البشر قدوة للناس فى تطبيق الأمر الإلهى كما ورد فى منهج القرآن النظري ، وصدق الحق حين قال :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ الأحزاب (٢١) .

(٥) ما يجب ان يتوافر فى الداعية (لفضيلة الشيخ محمد الغزالى)

يجب أن تتوافر فى الداعية صفتان أساسيتان أحدهما علمية والأخرى خلقية حتي يبلغ أهدافه .

* **الناحية العلمية** : إن مدرس اللغة العربية يستطيع أن يؤدى واجبه بالمدرسة إذا ما قرأ كتابا أو كتابين في النحو والصرف أو في علوم المعاني والبيان أو في آداب اللغة أو غيرها . . وكذلك مدرس الفقه أو التاريخ .

أما الداعية فيجب أن يكون صاحب أنصبة متعددة غنية من جميع العلوم الشرعية المتصلة بالكتاب والسنة ، والعلوم الكونية كالفيزياء والكمياء والأحياء والفلك والعلوم الإنسانية كعلم النفس والإجتماع والإقتصاد والتربية وعلوم الجماد وغيرها ،فليس من المقبول من الداعية أن يكون ذا أفق محدود أو ثروة ضئيلة من المعارف الإنسانية ، فهو بطبيعة الحال يخاطب أنماطا مختلفة من الجماهير ومنهم المثقف ومنهم متوسط الثقافة ومنهم من لا ثقافة له ، لذلك يجب أن يكون الداعية فى المستوي الأعلى من الثقافة حتي يناسب هؤلاء جميعا .

إذن فلابد للداعية من الإطلاع الواسع ، لأن خصمنا فى الاسلام ليس بضيق الأفق بل هو واسع الاطلاع . فالمستشرق المجري (جولد زيهر) عندما ألف كتابه «الشريعة والعقيدة فى الإسلام» اطلع على نحو مائتى كتاب جعلها مرجعا له فى آخر كتابه . . رجل مستشرق يطلع على مائتي كتاب هل ينتصب للرد عليه رجل يقرأ كتبا تعد علي الأصابع . . . إن الإسلام يحتاج إلى دعاه قراء يلتهمون الكتب ويطلعون على كل شئ حيث ستتحول هذه القراءات إلى عصارات ذهنية تمد فكرهم بعناصر الحياة كما تتحول الأغذية فى البدن إلى طاقة وقوة ونماء .

* **الناحية الخلقية** : إن الداعية يجب أن يبلغ الحق أي يجب أن يكون صريحا فى الإبانة عن مراد الله فى خلقه ، يجب أن ينفذما أخذ على الكتاب : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران ١٨٧) .

فلابد للداعية أن يبين ولا يكتم ولكن هناك بيانا لطيفا أصارح وأكون مهذب العبارة ،أقول الحقائق وأصنعها فى إطار شهى حلو ، أما أن استثير العناد بالطريقة التى اتحدث بها ، فهذا لا نرضاه للداعية ، وعلى الداعية أن يضع نصب عينيه دائما قوله تعالى﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت ٣٤)

يجب أن نصارح ، وعلينا ونحن نعامل الملاحدة من العلمانيين والحاقدين من أهل الكتاب والشيوعيين والوثنيين ومن عصاة المسلمين وأصناف أخرى من الخلق ، أن نكون متمكنين علميا ثم أخلاقيا بحيث لا نستفز ولا نستثار ، ونستطيع أن نجمع بين الحلم والأناة ونحن نعارض خصومنا ونجادلهم وندعوهم بالتى هى أحسن .

(٦) الإعلام الدينى

إن النواحى الدينية فى الإعلام ففيها نقص شديد لأن عددا كبيرا من الشيوخ عندما يفسر القرآن أو يشرح السنة لا يتعدي شرحه الكتب القديمة وهى كتب ألفت من عدة قرون ، عالجت قضايا أو نظرت إلى العالم الإسلامى من زاوية مفقودة الآن ، إن العالم الإسلامي الان يحتاج إلي علاجات جديدة والخلود لكتاب الله وسنة رسوله وليس الخلود لبعض المؤلفات التى كتبها هذا أو ذاك ، كتبنا قد تصلح لعصرنا وربما يجئ العصر الذى يلى فلا تصلح كتبنا له ،إننا نريد أن نتجدد ثقافيا ، ففى الصحافة الآن يمكن أن تجد الخبر يصاغ فى نصف عمود بعد أن كان يشغل العديد من الأعمدة ، كما تجد الرسم الساخر المعبر عن فكرة ما «كاركتر» إذا لم يكن الإعلام الدينى قد بلغ هذا فإننا سنهزم فى معركة الإعلام أريد تغييرا في عقولنا وفى برامجنا ، وفى طرقنا ، وفى وسائلنا وبذلك فان الإعلام الإسلامي موجود بنسبة لا تتجاوز العشرة فى المائة وأتمني لها النمو والاطراد .

(٧) المنهج القرآنى فى الدعوة

(سبق أن أوضحنا فى بادئ الكلام) : يتلخص منهج القرآن الكريم فى الدعوة إلى الله تعالى فى قوله سبحانه وتعالي : (ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ) النحل (١٢٥) ويتضح من الآية الكريمة أن أسلوب الدعوة يتشكل حسب أحوال الناس الذين ندعوهم فالخاصة منهم لهم الأسلوب المحكم

والرهان القاطع والدليل الساطع بالحكمة . . أما العامة من بينهم فلهم العظة التى يمكن أن تصل إلي مداركهم ، وتستوعبها عقولهم . . والمعارضون لهم المناظرة الهادئة الهادفة والمجادلة بالتي هي أحسن . فلابد للدعاة من معرفة أحوال الناس يدعونهم وأنواعهم وثقافاتهم وطباعهم وما يحتاجون إليه من أسلوب ومن هداية وتوجيه لابد أن يكون الدعاة على بصيرة من الأمر فى كل شأن من الشئون حتى تكون دعوتهم ناجحة . كما دعا المنهج إلى تتبع أحوال الناس وتدبر آيات الله تعالى فى جميع الاقطار والبلدان ومعرفة أحوال الأمم ، ودعا القرآن إلى السير والنظر في الأرض لمعرفة تلك الأحوال .

(٨) العلم والمعرفة للداعية

وفيما يتعلق بتوجيه الإسلام إلى العلم والمعرفة بين الرسول ﷺ وجه أمته إلي الرحلة في طلب العلم والمعرفة ولقاء العلماء فى أي مكان أو وطن في دنيا الله الواسعة فقال ﷺ **(من سلك طريقًا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلي الجنة)** . . وزيادة فى دقة المنهج الإسلامى في تسلح الدعاة بزاد المعرفة وليتمكنوا من مخاطبة السكان والناس في أى مكان فى الأرض ودعا إلي تعلم اللغات وليتمكنوا من مخاطبة السكان، أو الناس فى أي مكان فى الأرض ، ودعا إلى تعلم اللغات الأخري فأمر الرسول ﷺ كاتبه زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية فقال زيد (ض) أمرنى الرسول ﷺ فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية وقال : إنى والله ما آمن يهود على كتابى . . قال زيد (ض) : فوالله ما مر بى نصف شهر حتى تعلمته وأجدته. فيه فكنت أكتب إليهم واقرأ له كتبهم . . وهكذا نرى أن معرفة أحوال الناس ولغاتهم أمر ضروري للدعاة يجب أن يطلعوا به وأن يتسلحوا بأسلحته حتى يؤدوا واجبهم الإسلامي .

وعن مدى أهمية الإلمام بالثقافات والعلوم انطلاقا من عالمية الإسلامية : فلابد أن يلموا الدعاة بالثقافات والعلوم حولهم ، ليتمكنوا من معرفة أحوال الناس والعالم والأقطار التي تحيط بهم ، فان الاسلام دين عالمى لا يقتصر دعوته علي زمان دون زمان ولا علي مكان دون مكان وانما هو دين عالمى للناس كافة وللعرب والعجم والانس والجن أيضا . وقد استهدف الإسلام تعارف الناس فيما بينهم وجعل هذا التعارف هو الغاية من جعلهم شعوب وقبائل قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات ١٣) .

(٩) الانسان والدعوة

إن التنمية الشاملة المأمولة لأي بلد لا يمكن أن تنهض على وجهها الصحيح إلا إذا بدأنا بالإنسان فالإنسان أساس كل تنمية لأنه هو الذى سيقوم بها وهو الذي سيتولى أمرها وهو الذى يسددها إلى غايتها . وتنمية الإنسان تقوم على تصحيح الفكر وإثراء العقل وإيقاظ الضمير وصقل الوجدان وتقويم الأخلاق وتصويب السلوك وهنا يأتي دور الدعاة الهداة لكي يؤازروا بجهودهم المباركة وعطائهم الخصب جهود بقية العاملين في ميدان تنمية الإنسان كالمعلمين والمثقفين والإعلاميين والأدباء والمفكرين .

اننا نحتاج إلي تبصير الناس بجوهر الدين وتجليه جوانبه الأخلاقية السامية وتعاليمه السلوكية الراقية تلك الجوانب والتعاليم التي تربي الضمير وتكون الفرد الصالح والمجتمع الصالح . الفرد الصالح الذي يتمسك بالصدق والأمانة والعفة والطهارة ويستشعر دائما الأخوة نحو الآخرين والمجتمع الصالح الذى تقوم العلاقات فيه علي المحبة والأخوة والترابط والتكافل والذى يندفع بكل طاقاته إلي العمل الجاد والإبداع الراقى والانتاج الوفير والذى يبذل أقصى الجهد من أجل تدعيم الإستقرار وتحقيق الرخاء والوصول بالأمة إلى مرحلة التقدم والإزدهار .

إنه لـو ضاعف الدعاة الجهد وقاموا بالدعوة على وجهها الصحيح وهم أقدر الناس علي تصحيح الرؤية الدينية وعلى التبصر بجوهر الإسلام الصحيح وعلي إيقاظ الضمير عند من نام فى داخلهم الضمير لاختفت من حياتنا كثير من السلبيات التى نشكو منها . . بذلك يكونوا قد ساهموا أعظم الإسهام فى الوصول بالوطن إلى مرفأ الأمان وعهد الإستقرار والرخاء .

إذن فالأمل معقود على الدعاة ليشاركوا فى عملية التنمية الشاملة لأنهم من أقدر الناس على تنمية الجانب المعنوي في الإنسان وذلك، عن طريق ترسيخ العقيدة وإثراء العقل وتصحيح الفكر وإيقاظ الضمير وصقل الوجدان .

(١٠) علماء الدين لا رجال الدين

إن الدعوة علم وتقدم وليس من المعقول أن تترك هذه المهمة الخطيرة بلا ضوابط لغير الدارسين للإسلام القادرين علي الدعوة اليه والإفتاء فى شئونه ، وإذا كان من يتصدون إلى الإفتاء دون علم يحتجون فى اقتحام الساحة بأن الإسلام لا يعرف نظام رجال الدين فقد فات هؤلاء أن الاسلام يعرف بحق نظام علماء الدين ، وهذا يقتضي ألا يتصدى لأمر الإسلام والحكم فى أمور الشرع إلا الدارسون للدين الحنيف القادرون على توضيح أحكامه ، فالإسلام فى الايمان به وإقامه شعائره أمر عام بل واجب على الجميع أما الإسلام فعلم وإرساء فهو أمر خاص بالعلماء المقتدرين والدارسين المتخصصين وهم الوحيدون الذين لهم حق الإفتاء .

فالعلم عند العلماء ولذا لا ينبغى أن يتخلى الدعاة علي رسالتهم ويتركوا مهمتهم لمن ليسوا أهلا لها ولا قادرين عليها لأن ذلك هو الإفساد بعينه فضلا عن إنه إساءة إلى الدين نفسه والسبيل إلى ذلك أن يؤمن الدعاة برسالتهم وأن يرقوا بثقافاتهم ويجودوا طريقة أدائهم ويضاعفوا من عطائهم ويرتفعوا إلى المستوي الذي يجذب

الناس اليهم ويربطهم بهم ويصرفهم عن الدخلاء والأدعياء الذين يزاحمونهم فى ساحتهم ويسببون كثيرا من المشكلات التى يجب أن نصون منها بيوت الله وأماكن عبادته الطاهرة المقدسة .

الداعية العصرى المثقف الواعي

أن الداعية الناجح هو الداعية العصرى الواعى المثقف الذي يحس بنبض الحياة من حوله ويعرف مقتضيات الأحوال ومواجهة المشكلات ويرتبها في أولويات .

فالدين بناء وتعمير ورقى وتقدم ودفع بالحياة إلي الأمام وهو ليس انعزالا أو رهبنة ولا سلبية أو اتكالية .

(١١) رسـالة الدعـاة

إن جهود الدعاة فى مجال درء الأخطار وحل المشكلات تأتى مؤازرة لجهود الأسرة وأجهزة التعليم والتثقيف والاعلام بل إنها تأتى قبل كل تلك الجهود جميعا لأن جهود الدعاة جهود خالصة فى مجال الإصلاح ودرء الأخطار وحل المشكلات ولا يختلط بها واجب آخر بل هى دعوة فقط ودعوة لله فحسب فهى رسالة قبل أن تكون منصبا وهى قربى قبل أن تكون مهنة وهذه الجهود المأمولة والمطلوبة من الدعاة يجب ألا تقتصر على من يترددون على المساجد . ولا ينبغى أن ننتظر من يقدمون إلى دور العبادة بل الواجب أن يذهب إلى الناس حيث يكونون فى المدارس والمعاهد فى المصانع والمزارع فى النوادى والجمعيات والنقابات والمعسكرات وكل أماكن التجمعات والإنطلاق بالدعوة مطلوب والصحوة الكبرى تستدعى التحرك والملاحقة ومواكبة الاحداث ورصد المشكلات وايجاد الحلول وترتيب الأولويات .

ان الداعية يستطيع أن يكون الأب الروحى لقريته وحيه ومنطقة عمله وذلك بالمعرفة الواسعة والثقافة العميقة والقدوة الحسنة والعطاء السخى والأداء القوى والمعلومة الصادقة والمشاركة المخلصة فى حل المشكلات حتى يشعر المواطنون بمكانته

وأهميته واحتياجهم اليه وارتباطهم به ومن هنا يحسنون الأخذ عنه والإستجابة له والتأثر به فتؤتى ثمارها فى إصلاح التفكير وتربية الضمير وتقويم السلوك وتشارك آخر الأمر فى درء المخاطر التى تهدد الوطن وحل المشكلات التى تورق المواطنين . . .

وهذا كله يقتضى حسن إعداد الداعية اعدادا عصريا بحيث يضيف إلى معرفته الدينية كل ما يتطلبه عمله ووضعه ومكانته من ثقافة عامة ووعى شامل ورؤية واضحة مستنيرة وخاصة فى قضايا المجتمع الإقتصادية والإجتماعية والحياتية على وجه العموم .

إن الوطن محتاج إلى جهود كل أبنائه المخلصين والدعاة من أعز أبناء الوطن وأكثرهم إخلاصا لأنهم قبل عملهم الرسمى هم يعملون لرفعة دين الله ومن أجل الدعوة إلى الحق والخير والرشاد .

(١٢) تحرك الدعوة لمحو صورة دار الإسلام عالميا

إن ديننا مجهول عند الكثيرين ، الناس يريدون وصفا للعقل الإسلامى ، والضمير الاسلامى ، والخلق الاسلامى ، والحكم الإسلامى يريدون أن يعرفوا الأسرة كما يبينها الاسلام ، والدنيا كما ينشدها الإسلام ، وموازين العدالة كما ينصبها الاسلام . اننى اعتقد أن إنتشار الكفر فى العالم يقع نصف أوزاره على مدينين بغضوا الله إلى خلقه بسوء كلامهم أو سوء صنيعهم فهم يصورون الإسلام دينا دموى المزاج ، شرس الملك ، يؤخر اللطف ، ويقدم العنف ، ويهتم بقص الأظافر والأشعار أكثر مما يهتم بقص زوائد الأنانية وغمط الناس ! !

والصورة التى تقدم – عالميا – لدار الإسلام أنها الدار التى ينهب فيها المال العام ، ويسودها حكم الفرد ، وتهان فيها كرامة المرأة ، بل تضيع حقوقها . .

وان شوارعها ملأى بالقمامة ، ومدنها وقراها مظهر التخلف المادى والأدبى ، وان الفوضى والتقطع هما الرباط الذى يسود الجماهير .

وان المصلحين الدينين المتطرفين لاجؤار لهم إلا بحرب التصوير والغناء والسفور والتلفاز ، وان العودة إلى الإسلام كما يطلبها الشباب لا تعنى إلا العودة إلى الهمجية الأولى !! ، ومعنى ذلك كله أن الحضارة الإنسانية فى خطر . . !!

هل تسرنا هذه الصورة الكئيبة التى ترسم لنا؟

إن أعداءنا يكذبون علينا ، بيد أننا نشجعهم على الكذب حين يضطرب فقهنا لدينا ، ويضطرب عملنا له ، وتكون حياتنا الخاصة والعامة بعيدة عن جوهر الدين وغاياته العظيمة .

بيد أن أمتنا عفا الله عنها قصرت كثيرا ، فما أنصفت الدين الذي ورثته ! ولا قدمت من نفسها نموذجا حسنا للعمل به ، ولا هى أحسنت تقديمه للعقول الباحثة والنفوس المستكشفة .

(١٣) نشر الدعوة الصحيحة فى الخارج

لا يتأتى ذلك إلا بانشاء مكتب للدعوة الإسلامية يلحق بالشئون الإعلامية بالسفارات فى الخارج يتبع وزارة الاوقاف ويتم عمله بالتنسيق مع المكاتب الأخرى فى السفارات الإسلامية فى نفس الدولة . وأهم عمل له فى الوقت الراهن اعداد الدراسات اللازمة للاستفادة من خدمات شبكة «الإنترنت» العالمية فى نشر الدعوة الاسلامية الصحيحة فى جميع انحاء الدولة الموجود بها . كما يقوم بالتركيز على قنوات الإتصال الحديثة التى تخدم الدعوة إلى الله .

كما يقوم بتأسيس قنوات مباشرة بين العلماء فى الدولة ومكاتب الدعوة بالخارج كتخطيط هواتف أو أجهزة فاكسميلى للإستشارات الخارجية المستعجلة وذلك لنقل إستفسارات وإستشكالات المسلمين فى الخارج إلى العلماء والرد عليها بآرائهم ونصائحهم . كما يقوم بإعداد ملتقى للدعاة التابعين له ، وذلك للرفع من مستواهم الثقافى والعلمى والشرعى ليتمكنوا من أداء واجباتهم الدعوية على خير وجه .

وكذلك تقوم وزارة الاوقاف بطبع مجموعة من الكتب والمراجع ووضعها فى ما يسمى «حقيبة الداعية» باللغات العربية والأجنبية لتوزيعها على الدعاة بمعرفة هذه المكاتب . هذا ويكلف المكتب الدعاة بكتابةتقارير وأبحاث عن موضوعات تهم الدعوة والمسلمين هناك فى الخارج وكذلك ترجمة بعض الابحاث والمقالات إلى اللغة العربية للاستفادة منها فى إتصال هذه المكاتب مع بعض الجهات الإعلامية فى هذه الدولة لإيصال المعلومات الإسلامية وتبليغها .

ويشرف المكتب على التوسع فى إنشاء المدارس الإسلامية فى الخارج للرفع من المستوى الثقافى والوعى الدينى بين المسلمين وأبنائهم بهذه الدول ، إذ أن من أهم الأساليب التى تفى أبناء المسلمين من الناشئة والشباب من الإنحراف وراء الأفكار الهدامة لأعداء الإسلام هو الإهتمام بالمدارس الإسلامية لكونها حجر الأساس .

(١٤) الدعوة بين ابنائنا فى الخارج

حديث مع الإمام الأكبر د . سيد طنطاوى شيخ الأزهر بالاهرام ٤/ ٢/ ٩٨

* دور بعثات الأزهر هو تعليم أبناء المسلمين فى كل مكان فى أفريقيا وفى آسيا وفى أوروبا وإستراليا وأمريكا ، أبناء الأزهر يذهبون إلى تلك الدول المتعددة لكى يعلموا أبناء المسلمين الأمور الشرعية والتكاليف والأحكام الشرعية وكذلك اللغة العربية وهو دور أساسى لتلك البعثات فنحن لدينا مبعوثون علماء الأزهر فى مشارق الأرض ومغاربها أما مسألة تقديم الرعاية فهى الرعاية الدينية .

* أما الرد على التيارات المتطرفة وتصحيح صورة الإسلام هو أحد أدوار البعثات الرئيسية ، فما ذهبت إلى الخارج إلا لتوضح سماحة الإسلام وتبين عدالة الإسلام وأحكام الإسلام وتبين أن الإسلام دين يجمع ولا يفرق ، يصلح ولا يفسد وأن الإسلام دين أمان وسلام ولا يرفع سيفه أو سلاحه إلا فى وجه المعتدى بدليل قول الله تعالى :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة (١٩٠) .

وهو نفس الدور الذى نقوم به هنا فى مصر حيث نذهب بين الحين والحين إلى أسوان والأقصر والغردقة لنؤدى صلاة الجمعة ونقيم الندوات لنبين للناس أن الإرهاب نكبة دينية ودنيوية وأن الإسلام برئ ممن أرتكبوا حادث الأقصر الشنيع وكذلك العقول الإنسانية بريئه منهم والأديان السماوية بأكملها بريئة منهم لأن السائحين الذين جاءوا إلى مصر ليشاهدوا آثار وحضارة مصر لم يعتدوا على أحد حتى يقابلوا بمثل هذه الجرائم التى تقشعر من هولها الأبدان .

أما دور الأزهر وعلماء الأزهر هو تقديم الخدمات الدينية والإجابة على الأسئلة التى يريدها المصريين المغتربين وأبنائهم وبناتهم ، يوضح لهم ما هو الحلال وما هو الحرام ، ما هو خير وما هو شر ، ما هى الفضائل وما هى الرذائل . . . وأملنا أن تريح إجابتنا أبنائنا وبناتنا فى الخارج ، وكلنا نعمل من أجل خدمة ديننا وخدمة أمتنا كل فى حدود إختصاصه وفى حدود ما أعطاه الله عز وجل له من علم .

وفى كلمة يوجهها شيخ الازهر إلى كل مصرى مغترب فى كل مكان على خريطة العالم... ماذا يقول؟

كلمة اود ان اوجهها إلى كل مصرى مغترب اقول له : اذكر بلدك مصر وانت فى غربتك وكن وجها مشرفا لها . كن وجها نقيا طاهرا يشرف بلده ويؤدي واجبه نحو خالقه ونحو امته وايضا نحو المجتمع الذى يعيش فيه لانك فى هذه الحالة سوف تسعد وسوف تسعد بك مصر وتكون بذلك اديت الامانة التى ائتمنك عليها الله سبحانه وتعالى.

كذلك اريد ان اقول لكل المغتربين فى هذه الايام المباركة كل عام وانتم بخير ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يسدد خطى بناتنا وابنائنا فى الخارج وان يصلوا الى مقاصدهم الشريفة التى سافروا من اجلها وان يعودوا الينا سالمين غانمين ناجحين وقد عادوا ومعهم علمهم الذى تنتفع به امتهم.

شيخ الإسلام الإمام الدكتور عبد الحليم محمود
غزالى القرن الرابع عشر

سيرته: ولد يوم ١٠ مايو ١٩١٠ فى قرية السلام بناحية بلبيس شرقية.

* حفظ القرآن فى القرية .. ثم التحق بالأزهر إلى أن أتم الدراسة به ونال شهادة العالمية عام ١٩٣٢، ثم سافر إلى فرنسا ودرس بجامعة السربون علم نفس، وعلم الإجتماع، وتاريخ الأديان حتى حصل على شهادة الليسانس ثم الدكتوراه بدرجة إمتياز مع مرتبة الشرف، وكان موضوع الدكتوراه: التصوف الإسلامى (أستاذ السائرين المحاسبى).

عاد لمصر متنقلا فى التدريس ثم العمادة فى كليتى اللغة العربية، وأصول الدين ثم عضوا بمجمع البحوث الإسلامية، ثم وكيلا للأزهر، ثم وزيراللأوقاف ثم شيخا للأزهر عام ١٩٧٣.

* سافر للتدريس والدعوة إلى جميع الدول الإسلامية فى أفريقيا وآسيا وكانت أسفاره تعبا ومشقة وكفاحا مريرا فى سبيل تبليغ الرسالة، فرسالته كانت واسعة فهى رسالة الدعوة الإسلامية: الدعوة العالمية للأبيض والأحمر والأسود، وهو بقية الخلافة الإسلامية: يشعر بالواجب المقدس على عاتقه يدفعه ليبلغ الناس ما نزل إليهم من ربهم «إن عليك إلا لإبلاغ»، «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » على هذين الأساسين، وجوب التبليغ والتكليف بقدر الطاقة.

* جعل منصب شيخ الأزهر منارا للهداية، والعمل الدائب، والنزول إلى الجماهير، والدعوة إلى الدين الصحيح. وقد ساعد أفقه الفسيح وعلمه الغزير، ومزجه بين الثقافتين الشرقية والغربية، على أن يضطلع بهذا الواجب أتم ما يكون الإضطلاع تأثيرا فى الناس، وجذبا لهم إلى طريق الهداية والنور .. كان دائما يردد: «انه من أجل نهضة

الأمم الإسلامية يجب أن نأخذ بالعلم المادى إلى أقصى ما يمكن أن نأخذه به فى هذا الجانب المادى .. أما الجانب الآخر: الروحى والإجتماعى فإننا نأخذ بما رسمه الله سبحانة وتعالى فى نظام الأخلاق، وما رسمه الله سبحانه وتعالى فى العقائد، ونأخذ بما رسمه الله تعالى فى نظام المجتمع».

هذا ولقد كان يجدد دائما سيرة أئمة الإعلام من الصوفية ويبث بما يكتبه عنهم من سيرهم ومناقبهم من حرية فكر وصلابة عمل وبناء متصل ومكارم أخلاق.

* كان فى مؤتمراته الإسلامية .. لم نجد فيه إلا الغيرة الصادقة المخلصة على أحوال المسلمين، وما آل إليه أمرهم من فوضى خلقية، وضياع روحى فكان لهم نعم القائد والمرشد حتى أتهمه البعض بالتطرف فى الصوفية.

لم يعرف فى حياتة العلمية الطويلة الخوف ولا التراجع، رغم قوة المعارضين وأموال المخربين والمنحرفين.

إن الجميع كانوا يأملون نجاح المؤتمر القادم الذى كان شيخ الإسلام د. عبد الحليم محمود يدعو إليه العلماء المسلمين لإرساء قواعد دستور إسلامى عام لقوافل المؤمنين، وليرفرف علم الإسلام كما أراده خفاقا «بالدستور الإسلامى» الكامل الشامل المتكامل بصيحة الحق ... والذى أعده وقدم للجهات المسئولة والبرلمان من خلال مجمع البحوث الإسلامية وقبل وفاتة عام ١٩٧٨. فليهدأ فى قبره، حيث أدى دوره للرسالة وبلغ الأمانه.

* وبسبب تقوى الشيخ وصلاحه فقد أخرج فيضا من الكتب كان يكفى أن يشغل وقت شخص منقطع للتأليف والبحث ولاعمل له غير ذلك فقد ألف فى مختلف الجوانب العلمية - وفى التفسير والحديث والفتاوى وسير الصالحين للتأسى بها ولتكون قدوة للجميع وفى الفلسفة والفكر الإسلامى، كما حقق وراجع كتبا أخرى، ولكنه خص التصوف بمزيد من عنايته لأن «التصوف هو خلقه وطريقه فى الحياة» وإذا كانت سمة

الصوفية هى الزهد فى الحياة، والعفه عن المال، فإن الشيخ عبد الحليم عاش ومات لم يقتن ضيعة، ولم ينشئ عمارة، ولقد كان فى كتبه وأحاديثة الإذاعية ما يكفى لأن يعمل لنفسه أكثرمما عمل الآخرون ولكنه عمل لآخرته ما لم يعملوا ولا يستطيعون ... فقد كان يؤثر بكل ما يملك بيوتا من الفقراء والمحتاجين وطلاب العلم الشريف.

* وله دور فريد فى الأزهر: فقد تعاقب على الأزهر أيام وأيام وجاءه كثير من المشايخ والقادة، وصار الأزهر قبلة المسلمين شرقا وغربا، ولم تفلح الحكومات الفردية المطلقة فى تحويل الأزهر عن رسالتة، وفشلت محاولاتهم عقب ما يسموه بتطوير حياة الأزهر ودراسته على أيدى بعض رجاله، وقد بدأ سيرته الكبرى لحياة الأزهر العلمية بعد صرخة الإمام محمد عبده أحد أبناء الأزهر المجددين .. وجاء دور الفقيد الإمام الأكبر «الدكتور عبد الحليم محمود»، وأتم رسالته مع تطوير الأزهر وأداء رسالته يملأ الدنيا بنور الله من متطلبات العصر ويصلح ما إعوج من رسالة الطهر والإيمان على أيدى جحافل الظلم والطغيان، ويدعو مخلصا لعودة هيئة كبار العلماء كما وقف صامدا ضد دعوة عاتية لسلخ الكليات العلمية عن الأزهر، وكان أول المستجيبين له الشيخ متولى الشعراوى وزير الأزهر آنذاك الذى عدل عن تقديم مشروع تطوير تسلخ الكليات عن الأزهر. إذ لا صله بين ضعف خريجى التعليم الأصلى بالأزهر وكلياته الدينية وبين وجود تلك الكليات العلمية الناجحة من طب وهندسة وصيدلة وغيرها تحت عمامة الأزهر يستمتع أبناؤها بأنوار علوية الدين الحنيف .. وانتصر المخلصون، وانفض سامر الوشاية والتخريب.

* لقد قام بتطوير الأزهر فعلا .. فانشأ المعاهد الكثيرة، حتى أدخلها القرى، ودعا إلى التبرع لها والاقبال عليها، ثم بدأ عددا من المشروعات الرائدة: دائرة معارف قرآنية، وتفسير جديد للقرآن، ونشر الأحاديث النبوية، ومشروع للدستور الإسلامى ومشروع لتحفيظ القرآن.

كما تقدم بمشروع قانون إسلامى عرض الفقه على هيئة مواد قانونية مقارنة بالقانون الوضعى جمع فيها المذاهب الأربعة لتسهيل مهمة تطبيقه لدى القضاء حين إقراره، وكان قد كون عدة لجان من علماء المذاهب الأربعة ومستشارين لكل مذهب، وقد تم وطبع مشروع القانون وارسلت نسخ للمسئولين ومجالس التشريع ينتظر النوايا المخلصة لله وللدين.

وهكذا كانت عقلية رائدة، ونشاطه متجدد، كل ذلك يؤدًى فى صمت وهدوء، وبدون لجوء إلى دعاية واعلانات .. فقد كان قمة شامخة لم يكف لحظة عن رفع راية الإسلام عالية.

لقد خلت الحياة بعد وفاته من قدوة كانت تحتذى، ومثل أعلى كان يتبع، وروحانيات يرفع الله بها وبرجالها مقته عن الناس .. ويقول النبى ﷺ فى ذلك (لولا شيوخ ركع ...).

اللهم أرض عن شيخنا، وعوض الإسلام والمسلمين فيه خيرا وأحلل من بركاته على الأزهر حتى يستمر فى أداء الرسالة، فتطبق الشريعة ويعلن دستور الإسلام، ويعم الصدق وتزكوا الأخلاق الفاضلة، وتنشر مبادئ الادارة الرحيمة العادلة الميسرة وترتفع راية التوحيد فى الآفاق.

وبعد..

فهذا هو شيخ الإسلام والأزهر الإمام عبد الحليم محمود فى سيرته الطيبة وأعماله الصالحة .. قدوة فريدة ونبراسا مضيئا لمن شاء القدوة وأحب الصراط المستقيم.

نموذج فريد للعالم الداعية
إمام القرن العشرين

إمام العصر والمفكر المجدد وصاحب الفكر المستنير والأسلوب البليغ والأدب الجم الرفيع والتفسير السهل الممتنع فى السيرة الذاتيه والقضايا الإسلامية والفتاوى العصرية، علما من أعلام الإسلام الأفذاذ

شيخ الإسلام فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى
(الذى فقدناه،فى ١٧ يونيو ١٩٩٨)

** **أولاً**: يقول عنه فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر:

نحتسب عند الله تعالى علما من أعلام الإسلام الأفذاذ، وعالما من علماء الأزهر الشريف قلما يجود الزمان بمثله، ملأ علمه مشارق الأرض ومغاربها ، ذلك العالم الجليل والإمام الداعية الذى قضى حياته مجاهدا فى سبيل إعلاء كلمة الله، وشارحا الإسلام بمفاهيمه الصحيحة، وتفسير القرآن بأسلوب فريد جذب قلوب الخاصة والعامة، بما أنعم الله عليه من نور البصيرة والحكمة

هذا ويقول فضيلتة: ان الفاظ اللغة العربية لا تكفى للتعبير عما نشعر به من حزن عليه الذى ملأ الدنيا باسلامه النافع .. انه كان قدوة طيبة لغيره فى مكارم الأخلاق.

** **ثانياً**: د. محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف:

نحتسب عند الله تعالى عالمنا الأكبر وشيخنا الجليل وداعية الأمة المجدد رجل الخير والعطاء والبر والإحسان: ذلك المجاهد الفذ الذى أخلص لله فى علمه وعمله فكان مثالاً للمؤمن الحق الذى لايخشى فى الله لومة لائم، والذى يتحرى الدقة والموضوعية فيما يعرضه من قضايا الدين والدنيا مستلهما فى هذا حبه لله وانتمائه لوطنه وأمته العربية والإسلامية .. وإذا كانت الأمة قد خسرت بفقده علما من أعلام

الحق فى كل موقع فان عزاءها فيه، ما خلفه من علم نافع وعمل صالح سيظل نبراسا تهتدى به الأجيال فى أمتنا والعالم أجمع.

ثالثاً: يقول فضيلة الشيخ د. نصر فريد واصل مفتى الجمهورية:

نحتسبه عند الله تعالى، جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين من خير وعطاء ومدد علمى، وزاد لكل طالب علم وفقه، ولا ينقطع أبدا، لإستمرار تبليغ دعوة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ورسالة الإسلام إلى العالم رسالة خير والأمن والسلام لكل انسان مع إختلاف الأجناس والعقائد والألوان.

رابعاً: د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر:

نحتسب عند الله تعالى علما من أكبر الاعلام وإماما من أئمة الإسلام أثرى الفكر الإسلامى بأحاديثه وتفسيره، ونافح عن الدعوة وجلى حقائق الإسلام وإستخرج كنوزا، واستطاع بقلبه الموصول بالحق أن يلمس بحديثه شغاف القلوب يأسرها، وأن يعبر بنبراته الخاشعة الأجواء والمحيطات فتفاعلت معه الأحاسيس المؤمنة والعواطف الجياشة فكان قدوة للدعاه وإماما للهداة وخلف من ورائه تراثا من البيان والمعرفة، واستجابت له القلوب فى مشارق الأرض ومغاربها ، إنه كان إماما فى كل شئ فى التفسير وفى الحديث وفى الفقه.

نعم إنه كان إماما فى كل شئ فى التفسير وفى الحديث وفى الفقه، وأعطاه الله بصيرة نفاذة.. وقد تتلمذ على يديه كثير من الأئمة حيث قال الرسول ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها** » والإمام الشعراوى هو أحد هؤلاء الذين على رأس هذه الأمة الذين لهم قدم صدق عند ربهم.

رحل فقيد الإسلام والعروبة إمام أئمة الدين وشيخ شيوخ الإسلام فى هذا العصر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى بعد ٨٧ عاما حافلة بالعطاء لنشر الإسلام والدعوة إلى الله بالحسنى والكلمة العاقلة المتزنة الخارجة من القلب كانت تصادف قلوب الملايين من كل أرجاء الأرض.

ورحل إمام الدعاة

لا اعتقدان هناك رجل دين إجتمع الناس على حبه مثل الشيخ متولى الشعراوى، لقد استطاع هذا العالم الجليل أن يملأ الساحة الدينية والفكرية بحضوره الطاغى وشخصيته الفذه وحبه الشديد لكلام الله... ولهذا كان ظاهرة فريدة فى كل شئ فى سلاسة لغته وتبسيطه للأشياء.. وقوة حجته فى الحق وتوج ذلك كله القبول الذى منحه الله لواحد من أكثر عباده تواضعاً.. ومع رحيله يفقد الإسلام واحدا من أكبر فرسانه.. ويفقد القرآن الكريم واحدا من أكبر عشاقه، وتفقد اللغة العربية زاهداً من زهادها الكبار.

ولا أعتقد أن المحبة التى اجتمعت عليها قلوب المسلمين تجاه الشعراوى كانت شيئاً عاديا لا شك أنها كانت صورة من صور رضاء الخالق سبحانه وتعالى عن هذا الشيخ الجليل وأنا واحد من محبى الشعراوى، وفى لقاءاتى أشعر فى رحاب هذا الرجل بنوع غريب من الطمأنينة والهدوء النفسى. كان مجاملاً كريما عف اللسان وكان محبا لله ورسوله.

وكتب فاروق جويدة بجريدة الأهرام: إن رحلة الشعراوى رحلة ثريه وان كان أعظم ما فيها أنه أعطى عمره للإسلام داعيا إلى الله ومبشراً بدينه الحنيف ومدافعا عن كل ما يراه الحق حتى لو أختلف الناس معه.

ودخل معارك كثيرة كانت أخطرها وأكثرها ضراوة معاركه مع الشيوعيين والناصريين ومع الإرهاب الذى يتستر باسم الدين، ورغم الشيبة والجسد الواهن ظل فارسا مقاتلاً شرسا حتى آخر لحظات حياته. هذا ولم يترك تجربة حية إلا وعاشها.

إغترب عن مصر سنوات طويلة، وتغيرت به البلاد ما بين السعودية والجزائر ولكنه فى كل الحالات إختار طريق الله مسلكا وغاية.

واقترب الشيخ الشعراوى من السياسة خاصة عندما عين وزيرا للأوقاف وخرج منها بعد معارك طاحنه، وإن كنت أعتقد أنه كان من أكثر رجال الدين عندنا إهتماما بالسياسة، وكان يفهم الكثير من خباياها رغم أنه لم يكن يظهر ذلك.

وتعتبر رحلته مع القرآن الكريم أكثر رحلات عطاء وثراء وقيمة، إن تفسيره للقرآن الكريم إبداع جليل سوف تعرف قيمته الأجيال القادمة حينما يصبح الإسلام غريبا كما بدأ غريبا وكان من حظه وحظنا أن سجلت هذه التفاسير فى التليفزيونات العربية والإسلامية وأرجو ألا تضيع شرائطها كما ضاع غيرها من قبل.

فى تفسير القرآن الكريم إجتمعت صوفية الشعراوى وقدرته اللغوية الفائقة وحسه الإيمانى العميق الذى جعله يتسلل فى معانى الكلمات ويقدمها للناس فى بساطة أقرب للإعجاب، واستطاع أن يقدم القرآن الكريم بصورة بسيطة لم يسبقه اليها مفسر آخر ومع هذا بقى ذلك الخيط العميق من الحب والمودة الذى ربط بينه وبين الناس.

وكانت احاديثه دروسا فى الدين.. والمنهج... واللغة.. ولهذا لم يكن غريبا أن يصبح الشعراوى بأحاديثه وأسلوبه وطريقته نجما من نجوم حياتنا فى الدين والفكر والثقافة.. فالشيخ الشعراوى واحد من عشاق الحياة الكبار ولم يكن يرى تعارضا أبدا بين أن يسلك الإنسان طريقه لله.. وإن يعيش حياته ويستمتع بخيرات الله، ولهذا كان يقول إن الله تعالى يحب أن يرى نعمته علي وجوه عباده وعندما هاجمه البعض بأنه يعيش فى بيت كبير يشبه القصر فى الهرم قال لهم هذا فضل الله وهو مال حلال «وكان فضل الله عليك عظيماً».

ومع هذا كان أسلوبه فى الدعوة إلى الله يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة ولهذا كان يدين الإرهاب باسم الدين لأن الإسلام عنده كان يعنى السماحه والترفع وإحترام آدمية البشر حياة وحقوقا وفكرا.

ومع رحيل الشعراوى فقد العالم الإسلامى واحدا من أكبر رموز الإسلام فى هذا العصر وفقد الشارع المصرى وجها من أقرب الوجوه إلى قلبه ووجدانه وفقدنا نحن محبيه أبا كريما وعالما فاضلاً وإنسانا جليلا.

ويبقى من الشيخ الشعراوى هذا المد الإلهى الذى امتعنا به سنوات طويلة وترسب فى قلوبنا وعقولنا. ويبقى منه رحلته الثرية مع كتاب الله وهى من أجمل الرحلات التى عاشها الشيخ ومنحها حياته، ويبقى من الشيخ دعوته إلى الله نصف قرن من الزمان كان فيها نموذجا للداعية الجليل... سوف تفقد الحياة أشياء كثيرة برحيل الشعراوى.. كان وجود هذا الشيخ الجليل فى حياتنا يشعرنا أن هناك أبوابا كثيرة مفتوحة بيننا وبين السماء .

رحم الله العالم الجليل.. وإمام الدعاة فى هذا العصر.

الشعراوى شاعراً: لو لم يكن الشيخ الشعراوى الداعية الإسلامى الكبير لكان على الأقل من أكبر شعراء العربية على الإطلاق، ولكن يبدو أن فيوضات الرحمن عليه وشهرة أسلوبه السهل الممتنع المحبب إلى النفوس قد طغت على شهرته كشاعر كبير.

ومن مفارقات الأيام أن ذكرى الإسراء والمعراج كانت أيضاً هى المناسبة التى بهر بها الشيخ الشعراوى جمهور المشاهدين من خلال برناج «نور على نور» للمذيع أحمد فراج .

الشعراوى فى الحركة الوطنيه: كان له دورا بارزا وملموسا في الحركة الوطنيه فى فترة شبابه فقد تم تشكيل لجنة وطنيه برئاستة من شباب المدارس الأميرية والأزهرية، وتعرض للسجن ٣٠ يوما بسبب وطنيته المفرطة حيث تزعم فى الأزهر الشريف «حركة الشيخ المراغى» ثم انتهت الحركة بالبطش، ثم اعيد لسجنه ٣٠ يوما بزنزانه انفراديه بسجن الزقازيق بتهمة العيب فى الذات الملكية فى بيان نشره فى الصحف، واعتبر هجوما على موقف الملك من الأزهر ولكن خرج شيخنا من السجن أشد بأسا وأقوى عزما، يؤيد ذلك مواقفه ومشاركته بفكره وقلبه فى الثورات فيما بعد.

أعمال الخير ومساعدة الفقراء

* يقول صديقه الدكتور إبراهيم بدران: ان العالم الجليل كان يستفسر - قبل دخوله الغيبوبة بدقائق - عن الإلتزام بعهده مع جمع من الفقراء كرماء النفس الذين لم يكن أحد يعرفهم، وكان معتادا منذ عشر سنوات نحر الذبائح لهم يوميا فى موقع صغير بجوار مسجد السيدة نفيسة، وتقوم السيارات الثلاجه بإيصال اللحوم اليهم فى عبوات نظيفة، وكان إهتمامه الأكبر بغذاء نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية بالذات.

* كان حبه الشديد لأعمال الخير ومساعدة الفقراء والمحتاجين يفوق أى شئ وكان إذا علم أن أحدا من أهل بيته رفض طلب محتاج أو مساعدة مسكين يغضب ويثور فقد كان يعلمهم - أهل بيته من صغرهم - أن مساعدة المحتاج أهم من الدنيا كلها.

* إن ما قدمه شيخنا الراحل لقريته أكبر من أن يوصف بالقلم لأنه كان يقدم مع المبانى والمنشآت الحب والخير وتعليم الصغار حب القرآن وحفظه. فقد انشأ مجمعا طبيا ومعهدا يضم جميع التخصصات، ومعهد لحفظ القرآن ومعاهدا أزهرية، وعددا من المساجد تكلفت هذه المشروعات الخيريه أكثر من ستة ملايين ونصف المليون جنيها ووهب عائدها وخدماتها للمحتاجين من أهالى قريته

- هناك عشرات الأيتام الذين تربوا فى كنف الشيخ وتحت رعايته فالبعض منهم تبناه وهم فى الثانوية الأزهرية وظل ينفق عليهم طوال سنوات الدراسة حتى يكملوا تعليمهم ويتخرجوا من الجامعة

يقول شيخنا الراحل فى آخر حوار معه : أنصح الناس أن يقرأوا قول الله تعالى:

﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى ٢٣).

* الخلاف فى غير الرأى دمار، والاختلاف فى مطامع الحياة تدمير

* الطريق إلى السلوك: إذا تخليت عن العلائق، وتحليت بمنهج الله تجلى الله عليك بفيضه.

* الصبر ثلاث: صبر أنت تقدر عليه وهو صبر الطاعة، وصبر تستطيع تفاديه وهو الصبر على المعاصى، وصبر يحتاج منك إلى تفويض وتسليم وهو الصبر على قضاء الله وقدره.

* خير ما يتركه الإنسان لورثته: علم ينتفع به، صدقة جارية، ولد صالح يدعو له. وأسأل الله أن يهدينى الثلاث.

* مرادي فى الحياة: لقاء الله، واتمام خواطرى فى القرآن وزيارة قبر الرسول فى هذه الأيام لأننى مشتاق اليه!!!!

فى اللحظات الأخيرة : يقول الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر:

* طلب منى الإمام الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى : أن أطمئنه على ما يخص العمارة التى تبرع لها بنصف مليون جنيه لبنائها لطلاب مدينة البعوث الإسلامية فطمأنته إلى أن الأزهر بدأ بالفعل تشييدها لتستوعب ما لا يقل عن ٣٠٠ طالب.

*** قلت لشيخنا الراحل عما أوصانى به قبل رحيله:**

"إننا سنسير على العهد الذى كلفتنا به بأن نعمل بكل طاقاتنا على أن يكون الأزهر الشريف حصنا للدين ولحفظ القرآن الكريم وللدراسات الشرعية واللغوية العميقة والأصيلة وكان آخر كلماته سمعتها من إمام الدعاة تعقيبا على ما قلت

(على بركة الله سيروا والله يوفقكم)

رحم الله العالم الجليل إمام أئمة القرن العشرين.



﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾

(النساء ٥٨)

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾

(المائدة ٤٩)

القضـــاء

(١) القضاء حكماً :

سمى القضاء حكماً لما فيه من منع المظالم مأخوذ من الحكمة التى توجب وضع الشئ فى محله ، والأصل فى القضاء الكتاب والسنة وإجماع الأمة . فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء ٥٨) . ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ (المائدة ٤٩) .

ومن السنة قوله ﷺ : **(إذا أجتهد الحاكم فاخطأ فله أجر واحد ، وإن أصاب فله أجران)** الشيخان .**(إذا جلس القاضى فى مكانه هبط عليه ملكان يسددانه ويوفقانه مالم يجر فأذا جار عرجا وتركاه)** (البيهقى) .

والقاضى : (إسم لكل من قضى بين إثنين وحكم بينهما سواء كان خليفة أو سلطانا أو نائبا أو وليا أو كان منصوبا ليقضى بالشرع ، أو نائبا له ، حتى من كان يحكم بين الصبيان فى الخطوط إذا تخايروا) هكذا ذكر ﷺ وهو ظاهر .

والأحاديث السابقة وما ورد فيها كله في القاضى الذى هو بصفة القضاء العالم بالأحكام ، أما من ليس أهله كالجهلة والفسقة كقضاة الرشوة ، والبراطيل (لباس الإرتشاء) فهم بشهادة سيد الأولين والآخرين ﷺ فى النار لقوله : **(القضاء ثلاثة : قاض فى الجنة وقاضيان فى النار ، قاض عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة ، وقاض عرف الحق فحكم بخلافه فهو فى النار ، وقاض قضى على جهل فهو فى النار)** (أبو داود وغيره) وقوله ﷺ **(من كان قاضيا فقضى بالجهل كان من أهل النار ، ومن كان قاضيا فقضى بالجور كان من أهل النار ومن كان قاضيا عالماً فقضى بحق أو بعدل يسأل التفت كفافا)** (ابن حبان) .

قال العلماء : كل من ليس بأهل للحكم فلايحل له الحكم ، فان حكم فهو إثم ولا ينعقد حكمه سواء وافق الحق أم لا ، لأنه اصابه الحق إتفاقا ليست صادرة عن أصل

شرعى فهو عاص فى جميع أحكامه وأحكامه مردودة لقوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (النحل ٤٣) .

(٢) الرسول ﷺ قاضياً:

كان رسول الله ﷺ يتولى أمور القضاء فى الأمة الإسلامية ، وكانت الطريقة التى يعتمدها فى القضاء تنحصر فى تنفيذ قول الله تعالى : ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ (المائدة ٤٨) . ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ سورة النساء

وكان الرسول الكريم يحكم بين الناس بما ينزله الله عليه من الوحى ، ويحضر المتخاصمان إليه مختارين ، فيسمع كلام كل منهما ، وكانت طريقته هى الإثبات بالبينة وباليمين وبشهادة الشهود وبالكتابة وغيرها ، وكان يقول **(البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه)** الترمذى ، والبينة فى الشرع ، إسم لما يبين الحق ويظهره ، بمعنى أن المدعى ملزم بإظهار مايبين صحة دعواه ، فاذا ظهر صدقه بإحدى الطرق حكم له ، وروى مسلم أنه ﷺ قال**(إذا اجتهد الحاكم فاصاب له اجران ، وإن أخطأ فله أجر)** وكان ﷺ لا يحابى أحدا من المتخاصمين ، فقد ورد فى الأثر (فإذا جلس بين يديك الخصمان ، فلا تقض حتى تسمع كلام الآخر كما سمعت كلام الأول ، فإنه أحرى أن يتبين لك وجه القضاء) .

ولما انتشرت الدعوة الإسلامية ، اذن الرسول الكريم لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس ، طبقا للكتاب والسنة والقياس والإجتهاد ، وكان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر فى كتاب الله فإن وجد فيه مايقضى بينهم قضى به ، وإن لم يكن فى الكتاب وعَلَمَ من رسول الله فى ذلك الأمر سنه قضى بها ، فإن أعياه ، خرج فسأل المسلمين وقال أتانى كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله قضى فى ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع عليه النفر

كلهم يذكر عن رسول الله فيه قضاء فيقول أبو بكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به ، وكان عمر بن الخطاب يفعل ذلك فإن أعياه فى القرآن والسنة نظر هل كان فيه لأبى بكر قضاء فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به - وإلا دعا رؤوس المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر قضى به .

(٣) صفات القاضى :

من لا يصلح للقضاء تحرم توليته ويحرم عليه أن يتولى القضاء ، كما يحرم عليه أن يطلبه لما تقدم من الأحاديث ، وإنما يصلح للقضاء من توفرت فيه الشروط التالية :

(١) **الإسلام** : فلايجوز تولية القضاء لكافر لا على المسلمين ولا على غيرهم لأنها ولاية وليس الكافر أهلا لذلك ، فقد قال عمر (ض) عنه : (لا تدنوهم وقد أقصاهم الله ، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله ، ولا تأمنوهم وقد خونهم الله ، وقد نهيتكم عن إستعمال أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا) .

(٢) **البلوغ والعقل** : لأن الصبى والمجنون إذا لم يتعلق بقولهما حكم على أنفسهما فعلى غيرهما أولى . فلابد من العقل أن يكون صحيح التمييز جيد الفطنة بعيدا عن السهو والغفلة ليتوصل إلى وضوح المشكل من الأحكام .

(٣) **الحرية** : لأن العبد ناقص عن ولاية نفسه فعن ولاية غيره أولى .

(٤) **العدالة** : لأن الفاسق إذا منع النظر فى مال الإبن مع عظيم شفقته فمنع ولاية القضاء أولى .

(٥) **الذكورة** : لقوله تعال : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ (النساء ٣٤) . ولقوله ﷺ (**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**) (البخارى والحاكم) وقال : (إنه على شرط الشيخين) .

(٦) أن يكون عالما بالأحكام الشرعية فلا يتولى الجاهل بها لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ (الاسراء ٣٦) .وقوله ﷺ : (وقاض قضى على جهل فهو فى النار) ولأن الجاهل لايصلح للفتوى فالقضاء أولى .

(٧) أن يعرف كلام العرب لغة وإعرابا ليستعين بها على فهم الكتاب والسنة ولأن الشرع ورد بالعربية .

(٨) أن يكون سميعاً بصيراً ، لأن الأصم لايفرق بين الإقرار والإنكار ، والأعمى لايعرف الطالب من المطلوب .

(٩) أن يكون متيقظا فلايصح قضاء مغفل إختل رأيه ونظره بمرض أو كبر ونحوهما .

(١٠) أن يكون ناطقا لأن الأخرس لايقدر على إنفاذ الأحكام .

(٤) اجتناب الشبهات :

اولا : وجوب التسوية بين المتخاصمين

لاشك أن منصب القضاء موضوع العدل ، وميل القاضى عن ذلك جور وظلم ، فلهذا يجب التسوية بين الخصمين فى المجلس فلايقرب أحدهما على الآخر ، ولا يمازح أحدهما ، ولايشير إليه ولايساوره ، ولايلقن المدعى ولا المدعي عليه بما فيه صلاحهما ، ولايخص أحدهما بشىء دون الآخر . قال تعالى : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ (النساء ١٣٥) .

ثانيا : حكم الهبة والرشوة

لاشك أن الرشوة حرام لأنها من قبيل أكل أموال الناس بالباطل وهى من صفات اليهود : قال ﷺ (لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم) (الترمذى وأحمد) . ولفظ ابن ماجه : لعنة الله على الراشى والمرتشى .

وأما الهدية فالأولى سد بابها ، نعم إن كان له عادة بالهدية لصداقة أو قرابة قبل ولاية القضاء فله أن يقبلها ، فمن لم يكن له عادة قبل الولاية فلايقبل هديته لقوله ﷺ (هدايا العمال غلال) ، أى خيانة وفى رواية (سحت) وهى الحرام رواه أحمد ، وفى الصحيحين (مابال العامل نبعثه فيقول : هذا لكم وهذا اهدى إلىّ هلاَّ جلس فى بيت أبيه أو أمه؟ والذى نفسى بيده ، وفى رواية (والذى نفس محمد بيده لا يأتى بشىء إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر) ثم رفع يده حتى رأينا عقرتى إبطيه ، (الا هل بلغت ثلاثا) وإذا كان هذا بالنسبة له فالقاضى أولى ، والحكمة فى ذلك أن قبول الهدية سبب حامل على ترك العدل ولاسيما وقد فسد الزمن .

إن الهدية لغير الحكام كهدايا الرعية بعضهم لبعض ، إن كانت لطلب محرم أو إسقاط حق أو إعانة على ظلم حرم القبول والشفاعة ، والمتوسط بين المهدى والمهدى إليه من قاض وغيره وكذا بين الراشى والمرتشى حكمه كحكم موكله ، أما إذا كان الراشى أو المهدىَ معذورا لأجل خلاص حقه حرم على المتوسط لأنه وكيل الآخذ وهو محرم عليه ، وإن كانت لطلب حق أو دفع ظلم فلاتحرم على المعطى دون الآخذ .

ثالثاً إنحراف ، معاونوا القضاة :

من المسلمات التى لاتنفك تقرر لسمع المشتغلين بالقانون أن القاضى هو عصب السلطة القضائية لاينال من هذا وجود معاونين له يغشونها ويؤثرون فيها ، وبغير إلتزام هؤلاء جادة الصواب فى أدوارهم تستحيل أحكامه إلى مجرد حبر على ورق ، ولعل أهم الأعوان : أمناء السر ، ومعاونو التنفيذ والمحامون والخبراء .

(١) فأمناء السر هم يد القضاء حيث تنبسط لإستقبال مايرفع إلى المحكمة من دعاوى ثم تقيدها وتصنفها أو تعرضها على القاضى فى مجلسه ، وتدون مايجرى فى الجلسات إلى أن تحرر مايصدر فيها من أحكام .

(٢) ومعاونو التنفيذ هم أصحاب الحظوات الذين يسعون إلى الخصوم فى مواطنهم لإعلانهم بالجلسات ثم يلاحقونهم بالأحكام الصادرة عليهم كى تتوثب حياة تنفيذها على أرض الواقع ، ومن أجل ممارسة هذه المسئوليات الجسيمة يجب أن يعاد النظر فى تأهيل أولئك الأمناء والمعاونين فى نطاق خطة أعم لتطوير نظم كليات الحقوق بما يتمشى مع تخريج مثل هذه الوظائف وبما يتلاءم مع ماقد يمارسونه مستقبلا من جليل المهام بنزاهة واقتدار ، بوضعهم فى كادر خاص متميز تحصينا لهم من شعور البعض بالدونية وهى الثغرة التى تؤدى إلى مباذل اللامبالاة ومعاول الإنحراف .

(٣) أما قضاؤنا الواقف «المحامون» فحماية لمهنتهم وللمتقاضين عامة وقطعا لدابر الدخلاء ندعو إلى تعديل قانون المحاماة حتى لايترافع محام فى غير درجة التقاضى المسموح له بالترافع أمامها .

(٤) أما الخبراء عيون القضاء فى خفايا الأمور الفنية أصحاب المهام الخطيرة . . الفيصل فى تحديد الدلائل والإستحقاقات للمتخاصمين فهؤلاء يجب أن نفرد لهم جناحا خاصا بهم فى المحكمة تدعو مرتاديها إلى إجلال القضاء ، مع اغداق الحوافز المجزية تقديراً لهم ولإبعادهم عن مباذل الإنحراف التى تفشت بينهم .

(٥) إجتناب القضاء فى عشرة مواضع :

عند الغضب ، وعند الجوع ، والعطش ، وشدة السهر والحزن والفرح المفرط ، وعند المرض ، ومدافعة الأخبثين: البول والغائط وعند غلبة النعاس ، وعند شدة الحر والبرد ، والأصل فى ذلك كله قوله ﷺ **(لا يقضى القاضى بين اثنين وهو غضبان)** (رواه الشيخان) ومعلوم أنه ﷺ لم يرد الغضب نفسه بل الإضطراب الحاصل بسبب الغضب المغير للعقل والخلق ، ويقاس عليه الباقى لأنها مغيرة للعقل والخلق أيضا .

وليس للقاضى أن يلقن أحد الخصمين مايضر بالآخر ولايهديه إليه إلا فى الحدود لأنها تدرأ بالشبهات ، ولايجوز له أن يعارض الشاهد فى الفاظه بقصد صرفه عن الشهادة لأن فى ذلك حيلا على المشهود له وقد يقضى إلى ترك الشهادة كما لايجوز أن يصرخ فى الشاهد أو ينهره ، ولايقبل شهادة الشهود إلا بشروط لابد من إستيفائها :

اولا : ثبوت العدالة فإذا شهد عند القاضى شهود فعرف فسقهم رد شهادتهم ، وإن عرف عدالتهم قبلها لأنه لايجوز الحكم بشهادة الفاسق ، وإن رضى الخصم - لقوله تعالى : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾(الطلاق ٢) .

ثانيا : عدم التهمة ولها أسباب منها العداوة فلا تقبل شهادة العدو على عدوه إذا كانت لأمر دنيوى لقوله تعالى : ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾(البقرة ٢٨٢) أى أقرب إلى عدم الريب والعداوة أقوى الريب ، ولقوله ﷺ : (**لاتجوز شهادة خائن ولاخائنة ، ولامجلود حدا ولا ذى غمر ولا جنة ولاظنين فى قرابة**) (رواه أبو داود) والغمر بكسر الغين الشحناء ، وذى جنة المجنون والظنين المتهم - ومنها - البغضية التى تشمل الأصول والفروع فلاتقبل شهادة الوالد لولده وإن سفل ، ولا شهادة الولد لوالده وإن علا لقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾(البقرة ٢٨٢) .

وماشهدت به البينه حق فوجب الحكم به ، ولقوله ﷺ لزوجة أبى سفيان : (**خذى مايكفيك**) فانه قضاء على غائب وقام علمه ﷺ بانها زوجته مقام البينة ، وقوله ﷺ (خذى) دليل على انه ليس بفتوى وإلا لقال : (لابأس به) وقال عمر (ض) فى قضية الأسيفع (من كان له دين فليأتنا غدا فإنا بايعوا ماله وقاسموه بين غرمائه) وكان غائبا (رواه مالك فى الموطأ) وفى آخر الأثر (واياكم والدين فان أوله هم وآخره حرب) ولان الامتناع عن الحكم على الغائب إضاعة الحقوق فاذا حكم حاكم على غائب نفذ حكمه ، والمحكوم به حق فى ذمته .

(٦) رسالة عمر بن الخطاب فى القضاء :

كتب عمر بن الخطاب رسالة فى القضاء إلى ابى موسى الأشعرى جمع فيها جمل الأحكام ، واختصرها بأجود الكلام ، وجعل الناس بعده يتخذونها إماما ، ولايجد محق عنها معدلا ، ولا ظالم عن حدودها محيطا وهى :

[إن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أولى إليك فانه لايَنْفعُ بحق لانفاذ له ، أس بين الناس «أى سوِّ بين الخصوم» فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لايطمع شريف فى حيفك (ظلمك) ، ولاييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراما أو حرم حلالا ، لايمنعك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك ، مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى إليه ، فان أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية ، فانه أنفى للشك وأجلى للعمى و المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجلودا فى حد ، ومجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا فى ولاء أو نسب ، فإن الله تولى منكم السرائر ، ودرأ بالبينات والايمان ، واياك والغلق ، والضجر ، والتأذى بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق ليعظم الله الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته واقبل على نفسه كفاه الله مابينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله ، فما ظنك بثواب عندالله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته] .

مشتملات الرسالة : القضاء واجبا وجوبا لازما ، وهو الحكم بين الناس بالحق فهو ضرورى لمساس الحاجة إليه لإنصاف المظلوم من المظالم وقطع المنازعات التى هى سبب الفساد ، والقضاء سنة متبعة ، أى طريقة مسلوكة فى الدين يجب اتباعها ، **الإدلاء :** رفع

الخصومة إلى القاضي ، والفهم : إصابة الحق ، أى عليك بذل المجهود فى إصابة الحق إذا أدلى إليك ، وقيل إسمع كلام كل واحد من الخصمين وافهم مراده والقاضي يسوى بين الناس إذا تقدموا إليه على إختلاف مللهم ، وتحذر الرسالة من إنصاف الظالمين لمن تكون الحكومة له أو بالمعرفة ، والشهادة غير مقبوله إن كانت من زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب ، وطالبت الرسالة بكظم المشاعر والعواطف وعدم الضيق والضجر ، ودعت إلى الصلح ، وفى ذلك يقول عمر : **(رددوا الحكم بين ذوى الارحام حتى يصطلحوا ، فإن فصل القضاء يورث الضغائن)** .

(٧) رسالة على بن ابى طالب فى اختيار القضاة :

كتب كرم الله وجهه إلى عامله فى مصر ، ينير له الطريق إلى السياسة العليا فى إختيار القضاة وصفاتهم : [. . . ثم إختر ليحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ممن لاتضيق به الأمور ، ولاتمحكه الخصوم ولايتمادى فى الزلة ، ولايحصد من الفئ (أى الغنائم) إلى الحق إذا عرفه ولاتشرف نفسه على طمع ولايكتفى بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم فى الشبهات واخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، واجبرهم على تكشف الأمور ، واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لايزدهيه اطراء ، ولايستميله إغراء ، ثم أكثر تعاهد قضائه ، وافسح له فى البذل مايزيل علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس واعطه من المنزلة لديك مالايطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك إغتيال الرجال له عندك] .

وقال عمر بن عبد العزيز:

إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم على الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاركة أهل العلم والرأى .

***

من هذا يتبين : أنه قد إختار الخلفاء المسلمون القضاة أحسن إختيار ولم يعينوا فى منصب القاضى إلا كل من وقفوا على أخلاقه وسيرته ، بل إنهم كانوا يمتحنون القضاة قبل أن يسندوا إليهم هذا المنصب الرفيع .

أما رسالة عمر بن الخطاب السابقة : فقد أرست قواعد القضاء فى الإسلام لما تضمنته من نصائح غالية للقضاة تهديهم سواء السبيل وتحول بينهم وبين إقتراف المنكر أو الجنوح نحو الباطل ، والإنحراف عن العدالة .

(٨) قاضى القضاة والمحكمة العليا :

إتخذ العباسيون نظما جديدة للقضاء تلائم الحياة المتطورة . وفى طليعة ما إبتكروا وظيفة قاضى القضاة ، وهى شبه بوظيفة وزير العدل وأول من لقب بهذا اللقب أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم فى عهد الخليفة هارون الرشيد .

يقول المقريزى : «فلما قام هارون الرشيد بالخلافة ، ولى القضاء أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم أحد أصحاب أبى حنيفة بعد سنة سبع مائة ، فلم يقلد فى بلاد العراق وخرسان ومصر إلا من أشار به القاضى أبو يوسف ، وأصبح لقاضى القضاة من بعده الحق فى تعيين قضاة بغداد ، ثم امتد ذلك إلى تعيين قضاة الأقاليم» .

وامتد القضاء ، واتسع إختصاص القضاة ، فضم إليهم الشرطة والقصاص والحسبة ودار الضرب والمال ، فتركزت فى أيديهم كل القوى التى تهيمن على مصائر الدولة ، وتتصل بشئون الناس ، وكان القضاة يمنحون رواتب سخية ، حتى تفرغوا للأحكام بعد آن يطمئنوا على معاشهم ورزقهم .

وقد إتسعت أرزاق القضاة لما ولى عمر بن الخطاب ، يقول محمد بن سعد فى «الطبقات الكبرى» ، أن عمر منح عياض بن غنم حين ولاه حمص كل يوم دينارا وشاة واحدة ، وكان راتب القاضى فى مصر الف دينار .

وفى الدولة العباسية كان راتب القاضى فى المدينة المنورة أربعة آلاف دينار ثم عرف الإسلام نظام ديوان المظالم «وهو هيئة قضائية عليا ، يقول عنها ابن خلدون مانصة «وهى ولاية ممتزجة من سطوة السلطان وصفوة القضاء وتحتاج إلى علو يد ، وعظيم رهبة ، تقمع الظالم من الخصمين ، وتزجر المعتدين ، وإليها النظر فى البينات والتقارير واعتماد الإمارات والقرائن وتأخير الحكم إلى إستجلاء الحق ، وحمل الخصم على الصلح وإستحلاف الشهود وذلك أوسع من سلطة القاضى . . . وكانت المحكمة العليا تعقد فى المساجد ويحاط صاحبها بخمس جماعات ولاينتظم عقد جلساتها إلا بحضورهم :

أولاً : الحماة والأعوان : وكانوا من القوة بحيث يستطيعون التغلب على من يلجأ إلى العنف أو يحاول الفرار من وجه القضاء .

ثانياً : الحكام : ومهمتهم الإحاطة بما يصدر من الحكام لرد الحقوق إلى أصحابها ، والعلم بما يجرى بين الخصوم فيلمون بشتات الأمور الخاصة بالمتقاضين ، وكان القضاة يستفيدون من وراء حضورهم هذه الجلسات .

ثالثاً : الفقهاء وكان يرجع إليهم صاحب المظالم فيما أشكل عليه من المسائل الشرعية .

رابعاً : الكتاب : تدوين كل مايدور فى الجلسات .

خامساً : الشهود : لإثبات مايعرفونه عن الخصوم والشهادة من الأحكام لاينافى الحق والعدل . . . وبذلك أصبح القضاء قوة عليا واسعة النفوذ واسعة الإختصاص تمديدها وعدالتها إلى كل متمرد عليها ، أيا كان بأسه وسلطانه .

(٩) ماورد فى الدستور المصرى :

أولا: السلطة القضائية فى الدستور المصرى «الوضعى»

* السلطة القضائية مستقلة ، وتتولاها المحاكم على إختلاف أنواعها ودرجاتها وتصدر أحكامها وفق القانون .
* القضاة مستقلون ، لا سلطان عليهم فى قضائهم لغير القانون ولايجوز لأية سلطة التدخل فى القضاء أو فى شئون العدالة .
* القضاة غير قابلين للعزل ، وينظم القانون مساءلتهم تأديباً .
* جلسات المحاكم علنية إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام أو الآداب وفى جميع الأحوال يكون النطق بالحكم فى جلسة علنية .
* يسهم الشعب فى إقامة العدالة على الوجه وفى الحدود المبينة فى القانون .
* مجلس الدولة هيئة قضائية مستقلة ، ويختص بالفصل فى المنازعات الإدارية وفى الدعاوى التأديبية ، ويحدد القانون إختصاصاتهم الأخرى .
* أما المحكمة الدستورية العليا فهى هيئة قضائية مستقله قائمة بذاتها . وتتولى دون غيرها الرقابة القضائية على دستورية القوانين واللوائح ، وتتولى تفسير النصوص التشريعية وذلك كله على الوجه المبين فى القانون ، ويعين القانون الإختصاصات الأخرى للمحكمة وينظم الإجراءات التى تتبع أمامها ، وينظم القانون كيفية تشكيل المحكمة الدستورية العليا ، ويبين الشروط الواجب توافرها فى أعضائها وحقوقهم وحصانتهم ، وأعضاء هذه المحكمة غير قابلين للعزل وتتولى المحكمة مسألة أعضائها على الوجه المبين بالقانون .
* أما المدعى الاشتراكى فهو مسئول عن اتخاذ الإجراءات التى تكفل تأمين حقوق الشعب وسلامة المجتمع ونظامه السياسى والحافظ على المكاسب الإشتراكية والتزام

السلوك الإشتراكى ، ويحدد القانون إختصاصاته الأخرى ويكون خاضعا لرقابة مجلس الشعب ، وذلك كله على الوجه المبين فى القانون .

(ثانيا) سيادة القانون فى الدستور المصرى «الوضعى»

* سيادة القانون أساس الحكم فى الدولة . . .
* وتخضع الدولة للقانون ، واستقلال القضاء ، وحصانته ضمانان أساسيان لحماية الحقوق والحريات .
* العقوبة شخصية ، ولاجريمة ولاعقوبة إلا بناء على قانون ولاتوقع عقوبة إلا بحكم قضائى ، ولاعقاب إلا على الأفعال اللاحقة لتاريخ نفاذ القانون .
* المتهم برىء حتى تثبت إدانته فى محاكمة قانونية تكفل له فيها ضمانات الدفاع عن نفسه ، وكل متهم فى جناية يجب ان يكون له محام يدافع عنه .
* التقاضى حق مصون ومكفول للناس كافة ، ولكل مواطن حق الإلتجاء إلى قاضيه الطبيعى ، وتكفل الدولة تقريب جهات القضاء من المتقاضين وسرعة الفصل فى القضايا .

هذا ويحظر فى القوانين على تحصين أى عمل أو قرار إدارى من رقابة القضاء .

* حق الدفاع أصالة أو بالوكالة مكفول ، ويكفل القانون لغير القادرين ماليا وسائل الإلتجاء إلى القضاء والدفاع عن حقوقهم .
* لاتقام الدعوى الجنائيه إلا بأمر من جهة قضائية ، فيما عدا الأحوال التى يحددها القانون .
* يبلغ كل من يقبض عليه أو يعتقل بأسباب القبض عليه أو إعتقاله فوراً ويكون له حق الإتصال بمن يرى إبلاغة بما وقع أو الإستعانة به على الوجه الذى ينظمه القانون ، ويجب إعلانه على وجه السرعة بالتهم الموجهة إليه ، وله ولغيره التظلم أمام القضاء

من الإجراء الذى قيد حريته الشخصية ، وينظم القانون حق التظلم بما يكفل الفصل فيه خلال مدة محددة ، وإلا وجب الافراج حتما .

* تصدر الأحكام وتنفذ بإسم الشعب ، ويكون الإمتناع عن تنفيذها أو تعطيل تنفيذها من جانب الموظفين العموميين المختصين جريمة يعاقب عليها القانون ، وللمحكوم له فى هذه الحالة حق رفع الدعوى الجنائية مباشرة إلى المحكمة المختصة .

(١٠) القضاء عدل وإصلاح وتوجيه :

[١] مثال راهن

(جاء بجريدة الاهرام بتاريخ ٣/ ٢/ ٩٨)

قال الإرهابى القاتل - وقبل أن ينطق رئيس المحكمة بالحكم بالإعدام - «انه لايجوز شرعا قتل المؤمن لسبق قتله كافراً» فقاطعة رئيس المحكمة المستشار صلاح الدين بدور بعصبية شديدة رافضا إتهامه للمجنى عليه بالكفر ، وقال أنه «ذمى» (أى من أهل الذمة)» وحق على الإسلام والمسلمين حمايته وليس إهدار دمه وسفكه» . ثم واصل رئيس المحكمة النطق بالحكم .

وكانت هذه المناقشة القصيرة تعبيراً عن نظرة الجماعات التى ينتمى إليها المتهم لمن لايدين بالإسلام ، ووجوب محاربته ، ولكن رد رئيس المحكمة كان بمثابة الخط الفاصل الذى يقطع الشك باليقين عن وجوب حماية أهل الذمة وليس الإعتداءعلى حقوقهم . وهذا المضمون ورد أيضا فى رد فضيلة المفتى على إستطلاع المحكمة لرأيه فى شأن إعدام المتهم .

مرجع الإرهاب والجرائم الغريبة

وقالت المحكمة فى أسباب حكمها أن ظاهرة الإرهاب وغيرها من الجرائم الغريبة على أسماعنا ترجع أساسا إلى بعض الأمراض التى أصابت مجتمع هذا

الزمان حيث لانجد داخل البيت دفئا أسريا، ولانجد خارجه تعاطفا إجتماعيا، فقد نسى الرجل مسئوليته نحو أسرته، ونسيت المرأة أمومتها، واهتمت بأنوثتها فسقط الأبناء فى بئر الضياع واتسم معظم أفراد المجتمع بالأنانية وحب الذات. وفى المدرسة لانجد ذلك المدرس الذى يهتم بالتربية الأخلاقية بقدر اهتمامه بجمع أكبر عددمن تلاميذ الدروس الخصوصية.

وقال: أما عن التوعية الدينية فقد أصبح عالم اليوم يكرر ماكان يردده بالأمس حتى كلت القلوب، وملت الأسماع عن كثرة التكرار والترديد، مع أن التجديد هو سنة الله فى خلقه، ولن نجد لسنة الله تبديلا واختتم كلامه بحيثيات الحكم قائلا: إن أعوان الشيطان ليس لهم فى هذا الزمان مكان، وإن حياة الإنسان لايزعجها نعيق الغربان وأن الخفافيش أبدا لن تعيش، وان الجرذان مكانها فى الجحور وأما الخلود فهو الرضا والنور.

مثال [٢] محاكمة العائدين من الخارج

(فى حكم آخر للقاضى نفسه بتاريخ ٥/ ٥/ ٩٨)

انعقدت المحكمة برئاسة المستشار أحمد صلاح بدور ، ونطقت بأحكامها ضد القتلة من الارهابيين حيث قضت بالاعدام وبالاشغال الشاقة ، وفى أسباب حكمها قالت المحكمة :

«أن هؤلاء المتهمين لايمكن أن يكونوا من أحفاد ذلك المصرى القديم الذى تشبع بحب مصر لدرجة الإعتقاد بأنه إذا مات خارجها فإن روحه لن تعود إلى جسده يوم البعث لأن الروح الطيبة لا تعود على أرض مصر الطاهرة ، ولهذا السبب كان الشعب المصرى من أقل شعوب العالم حبا للهجرة وأكثرها حبا لوطنه .

وقالت المحكمة إنه قد ثبت لديها بيقين أن هؤلاء المتهمين قد وصلوا إلى مرحلة الشعور بعدم الإنتماء لهذا الوطن ، وهى حالة إذا أصابت الشخص فإنه يستوى عنده بعد ذلك الموت مع الحياة .

وأضافت المحكمة إنه علاجا لهذه الحالة فإن المحكمة تذكر الجميع ليس نصحا منها أو نسيانا منهم ولكنها ذكرى سوف تنفع المؤمنين وهى أن كل إنسان يولد على الفطرة، ولهذا فإنه يجب توجيه التوعية أساسا إلى جميع الأشخاص المحيطين به والمؤثرين عليه منذ الطفولة وتعنى بهم المحكمة الوالدين فى البيت والمدرسين فى الحضانه حتى الجامعة فضلا عن وسائل الاعلام خاصة التليفزيون، فيجب ان يكون الوالدان قدوة صالحة لأبنائهما فى القول والعمل، وأن يزرعا فى نفوسهم الحب والأمل، ويجب أن تتركز العملية التعليمية فى المقام الأول على التربية الأخلاقية، ولاتكتفى بمجرد حشو العقول بالمواد العلمية، أما عن التليفزيون فيجب الإبتعاد عن أفلام العنف الأجنبية وغيرها والإعلانات التى يقدمها بطريقة مبتذلة وإستفزازية مع زيادة البرامج الثقافية، وترشيد المواد الترفيهية، فإذا استقامت هذه الروافد الثلاثة، وهى الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام التى تصب فى نهر الحياة جاء هذا النهر قويا فتيا مثقفا يشق طريقة نحو هدفه المنشود وهو بناء الوطن السوى الصالح.

(١١) اعجب حكم فى التاريخ

تتوغل جيوش المسلمين فى فارس وما وراء النهر، حتى تدخل مدينة سمرقند، فيرسل أهلها إلى عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين أن القائد الاسلامى قتيبة الباهلى قد دخل مدينتهم عنوة، فيرسل عمر إلى والى خرسان يأمره بعرض هذه القضية على القاضى "جميع بن حاضر البلغى" فقضى القاضى بأعجب حكم فى التاريخ، قضى بإخراج الجيش الإسلامى من "سمرقند" لانه دخل المدينه عنوة، وهو حكم لم تعرفه الدنيا إلا للقضاء الإسلامى، عدالة شامخة لاتعرفها عدالة الأرض، عدالة حتى فى ميادين الحروب وساحات النضال... وتتسع رقعة الدولة الإسلامية، وتمتد إمتدادها التاريخى العظيم.



﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الأنعام ٨٢)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (الحج ٣٨)

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ (النساء ١٠٧)

يقول ﷺ «من آوى محدثا (جانيا) فقد برأت منه الذمة»

المحاماة

نشأة المحاماة قديما :

يقترن حق الدفاع عن النفس والغير بأول حلقة من حلقات هذا الوجود للإنسان ، فالإنسان مفطور على حب المخاصمة والمجادلة تطبيقاً لقوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف٥٤) ، ولقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص ٣٣ ، ٣٤) .

كان الإنسان فى بدء الخليقة يتقاضون بأنفسهم مستعينين أحيانا بأصدقائهم وذوى قرباهم ، فكان الخصم يحاط بأهل وده وأقربائه ويترافعون عنه بالتعاقب تبعا لإتفاق القاضى معهم على الطريقة الواجبة الإتباع فى مثل هذا الدفاع .

ثم تطور الأمر تطورا بعثت عليه ملابسات كل جيل ودعت إليه مقتضيات العصر ، فقد ظهر فى اليونان رجال يشتغلون بما يشبه حرفة المحاماة اليوم أمام القضاء ، وأظهر ظاهرة فى عصرهم حل المشاكل التى كانت تقوم عليها الخصومات بين الناس وفض ما بينهم من منازعات ، وكانوا فى عملهم هذا لا يتقاضون ممن يدافعون عنه أجراً لأن حكومة ذلك العصر كانت قد جعلت لهم جعالة يتقاضونها من بيت المال علي إعتبار أنهم عنصر قوى فى السلطة القضائية ، فقد كان القضاة ينتخبون من بينهم بعد أن يمضى على الواحد منهم زمن يكفى لتكوين أهلية قضائية فيه .

وقد وجد عن المصريين والهنود والكلدانيين والفرس وأهل بابل رجال من أهل العلم والذكاء يلجأ الناس إليهم فى المشورة القضائية .

كان فيهم الخطيب الذى يخلب الألباب بسحر بيانه ، وفيهم البليغ الذى يدخل كلامه على القلوب بلا إستئذان ، وقد ظل الحال كذلك فى تلك الأمم حتى إخترع الفنيقيون الكتابة لتكون أداة للتخاطب وسبيلاً إلى التفاهم .

فكان بديهيا أن يحجروا على أولئك الرجال من هذا الصنف الرشيد أن يترافعوا فى الخصومات فى ساحة القضاء إلا بالكتابة ، وعلة ذلك الحجر أنهم خشوا أن المترافع يختلب ألباب القضاة بسلامة منطقه وقوة بيانه ، واتساق حجته وبرهانه ، وجهورية صوته واتزانه ، حتى أن البعض كان يذرف الدموع سخية ويرسل الصوت متهدجا إذا عن له أن يأخذ على القاضى سبيل تفكيره ، إرادة أن يوجهه فى سبيله ، وأن يقيه بتلك المؤثرات التى قد تأخذ على القاضى عنها مفرا ولا حولا ، ولما كانت الكتابة قد لا تتهيأ أسبابها لكثرة من الناس وكان فى البلاد عاميون وأنصاف عاميين ، أوجبت الضرورة الملحة أن كل من يجهل القراءة والكتابة يستعين بمن يجيدها ويحذقها ، ثم إنتقل هذا الفن بعد ذلك من المصريين إلى اليونانيين ، فازدهر فيها كما إزدهرت جميع فروع العلم ، فإنه ما من دولة نبغ فيها العدد الكثير من الفلاسفة والحكماء المشرعين مثل الذين نبغوا فى دولة اليونان .

كانت الفصاحة مهملة عند سواد الأمم ، فعنى بها اليونان وأضحت ذات أصول وقواعد ورواد فى مختلف أنحاء البلاد لا تنال إلا بالتلقى ، ولا تعرف حدودها ورسومها إلا بالمدارسة والعلم ، وغدت لهم أساتذة اتخذوا للخطابة منابر يرقون إليها ، ودرج الخصوم على أن يستعينوا أمام محكمة تلك المدينة العظمى وسائر المحاكم المنبثة فى أنحاء البلاد ببعض مشاهير الخطباء ليؤدوا بهؤلاء حجتهم فى إدعائهم ودفاعهم .

وقد بدأ هؤلاء الخطباء المحامون فى ساحة التقاضى عملهم بإلقاء الخطب بأنفسهم أمام المحاكم ، وكان الغرض من ذلك أن يستولوا على مشاعر القضاة بعد أن يكونوا قد مهدوا لموضوع خصومتهم بتلك المقدمة الرائعة التى تمسك بمشاعر القاضى وتوجهه توجيها خاصاً .

وقد كان خطباء المحامين فى العهد اليونانى يعتقدون أن عملهم منحصر فى خدمة العدالة والكشف عن الحقيقة فى ثوبها القشيب ، ولكن هذه العقيدة لم تكن حليفة

الواقع ، فقد كان بعضهم يستخدم للفوز على خصمه حيلاً تضلل القضاة وتزهق روح العدالة ، فاستشعر أولياء الكلمة في اليونان ذلك الخطر الذى يحيط بالعدالة ويكتنفها من أطنابها فاصدروا قانونا حظر على المحامين أن لا يتخذوا المقدمات الأخاذة وسيلة فى دفاعهم إلى الظفر بقلوب القضاة ، وأن يمتنعوا عن كل شئ يكون من شأنه إستجلاب الرفق بالمتهمين ، أوإستثارة مكامن الغضب ضد خصمائهم ، كما حظروا على القضاة أن لا ينظروا إلى المتهم نظرة تأثير حين يحاول إستعطافهم وإستثارة كوامن الرحمة فى نفوسهم ، حتى لقد إحتاطت السلطة التنفيذية فأمرت بأن يضيح صائح عند إفتتاح كل جلسة بتذكير المحامين بتلك النصوص التى اشتمل عليها قانونهم الجديد ، ولفت نظرهم إلى ما يترتب على تلك المخالفات من فوادح الجزاءات حتى تبقى تلك النصوص ماثلة فى قلوبهم ، وحتى لا يستخدم أحدهم الوسائل غير المشروعة للفوز فى خصومة باطلة ، وكان من أثر إصدار هذا القانون فتور عزائم الخطباء من المحامين وانحطاط فن الخطابة بينهم .

وقد إستمر المهيمنون على الدولة اليونانية والإمبراطورية الرومانية يتعقبون سير المحامين فى خصوماتهم ويتجسسون مواطن الضعف حين يرون أن العدالة تكاد تنتقص من أطرافها ، حتى لقد تبينوا أن بعض المحامين يطيل فى دفاعه إطالة قد تكون فى كثير من الأحايين سببا فى إملال القضاة ونسيان نقط الدفاع والغفلة عن مناحى الإتهام ، فصدر قانون يحدد زمن كل محام ، وجعلت مدته الكبرى ثلاث ساعات ، واتخذت فى قاعة الجلسة ساعات مائية لملاحظة ذلك .

وقد صدرت تعليمات من السلطة التنفيذية فيما يشبه المنشورات الدورية ، حدت من فضول المحامين وخروجهم عن جادة الإعتدال ووقفتهم حيث تصان كرامة القضاة ، وكان جزاء من إرتكب مخالفة لتلك التعليمات التغريم .

وكذلك منعت النساء من المحاماة لما ينبغى لذلك النوع من التوافر على الحشمة والدعة والوقار ، ولما تقرر من قواعد الفلسفة القديمة أن المرأة وهى كثيرة الإضطراب فى الآراء سريعة السير مع الأهواء لا تعدل الرجل فى عقله وسلامة إدراكه وقوة إستنتاجه .

وقد كانت حظيرة المحاماة التى تشبه نقابة المحامين اليوم ، معدودة من الأماكن المقدسة التي لا يجرى فى فنائها ولا أرجائها هجر ولا لغو ، لانهم كانوا يرون فيها يومئذ أداة الإنقاذ وكشف الحقيقة وإسترداد الحقوق الضائعة ، وفى دوائر القضاء إنصاف المظلوم ، وإغاثة الملهوف وتشييد صروح العدالة على قواعد من الأدلة والبراهين التى أولى بها المحامون ، فهم والقضاء سواسية فى تلك التجلة وذلك الإحترام ، فاذا حان وقت إقامة المنصة ونصب ميزان العدل ، رش المكان بالماء المطهر رمزاً إلى أنه مكان فوق مستوى الأمكنة العادية ، فلا يجرى فيه إلا ما له صلة بمصلحة الجمهور .

نبذة عن المحاماة :

المحاماة فى اللغة أصلا من «مَحَا» الشيء - مَحْواً : أذهب أثره فهو تمْحُو ، وبنفس المعنى «محى» الشيء- مَحْيَاً ، وتَمَحَّى من القوم أى طلب منهم أن يمحو عنه ما جنى عليه . ومنها محاماة أى محو ما بين الخصمين من نزاع عن طريق الصلح أو التراضى أو التعاقد أو الإتفاق أو الإتجاه للقضاء .

المحامى وكيل عن شخص ، وتقول اللغة : وكلت أمرى إلى الله أى ألجأته إليه ، واعتمدت فيه عليه ، ولذلك قالوا إن المتوكل على الله هو الذى يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل علي غير .

ويقال وكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجز عن القيام بأمر نفسه . والوكيل عرفاً أن تُوكل إليه بعض الأمور كما يحدث بين الناس بعضهم ببعض كما يوكل شخص محاميه فى الدفاع عن قضيته .

أما التوكيل فى كل الأمور فهذا لا يصح إلا فى حق الله تعالى ، ولذلك قال القرآن الكريم ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الانعام ١٠٢) ، ولهذا ينبغى أن نلاحظ أن هناك فرقاً كبيراً واسعاً بين وصف «الوكيل» إذا اطلق على إنسان ، ووصف «الوكيل» إذا أطلق على الله سبحانه وتعالى .

تعريف مهنة المحاماة :

المحاماة مهنة حرة تشارك السلطة القضائية فى تحقيق العدالة وفى تأكيد سيادة القانون ، وفى كفالة حق الدفاع عن حقوق المواطنين وحرياتهم . هذا ويمارس مهنة المحاماة المحامون وحدهم فى إستقلال ولا سلطان عليهم فى ذلك إلا ضمائرهم .

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الاحزاب ٥١)
﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سبأ ١١)

مهام المحامى :

(١) الحضور عن ذوى الشأن أمام المحاكم المدنية والجنائية وهيئات التحكيم والجهات الإدارية ذات الإختصاص القضائى وجهات التحقيق الجنائى والإدارى ودوائر الشرطة والدفاع عنهم فى الدعاوى التى ترفع منهم أو عليهم والقيام بأعمال المرافعات والإجراءات القضائية المتصلة بذلك .

(٢) إبداء الرأى والمشورة القانونية فيما يطلب من المحامى

(٣) صياغة العقود وإتخاذ الإجراءات اللازمة لشهرها أو توثيقها أما محامى الإدارات القانونية فى الجهات المختلفة فيقوم بفحص الشكاوى وإجراء التحقيقات الإدارية وصياغة اللوائح أوا لقرارات الداخلية لهذه الجهات .

مهنة الدفاع عن الحق : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج ٣٨)

إن المحاماة فى حقيقتها مهنة «الدفاع عن الحق» وكل خصومة أو نزاع أو إتهام أو مشكلة ، فيها حق وفيها باطل ، سواء أكان الحق فى ناحية والباطل فى الناحية الأخرى ، أو كان هذا بعض الحق وبعض الباطل ، ولكن من طبيعة المتخاصمين أن يظن كل واحد منهما أنه علي الحق الكامل وخصمه على الباطل الكامل ، وبهذا يثور النزاع ويصل إلى القضاء ، ولا يتصور عقلاً أن يكون المتخاصمان كلاهما على الحق الكامل أو على الباطل الكامل ، إذ لا يمكن أن يسمى النزاع نزاعاً إلا أن يكون فى الأمر صراع بين حق وباطل ، أو بين ضدين متناقضين .

هذا وكثيرا ما يلجأ المتخاصمان إلى السعى لحل النزاع ودياً ، فإن عجزا وصمم أحدهما أو كلاهما على رفع الأمر للقضاء ، فهنا تكون مهمة القاضى أن يستمع إلى حججهما وأدلتهما ثم يقضى بينهما بحكمه ، ولا يمكن أن يطلب من القاضى أن ينزل إلى أحد الخصمين ، أو كليهما ليغطى عجزه أو ينقب عن الأدلة ويسعى لتوفيرها ، سواء بالبحث أو التقصى العلمى أو بتجهيز الشهود والبيانات والمستندات ، لأن القاضى إن فعل ذلك يكون قد فقد حيدته التى هى شرط لازم لمن يتولى القضاء ، فضلا على أن هذا يخرج عن طبيعة عمل القاضى ، ولا يطيقه فى خضم الأقضية التى بين يديه .

مساعدة الخصوم فى الإسلام والعصر الحديث :

مع تشابك المصالح وتعدد المنازعات وتعقدها ، ومع كثرة القوانين واللوائح والنظم فى العصر الحديث ، أصبحت الحاجة ملحة لإيجاد عناصر تقوم بمساعدة الخصوم فى المحاكم على تجهيز دفاعهم ، وترتيب حججهم ، وتنسيق مستنداتهم ، وإجراء البحوث الشرعية والقانونية التي تؤيد الحق لا الباطل فى كل دعوة ، بشرط أن

تكون هذه العناصر من الأشخاص المثقفين ثقافة شرعية وقانونية عالية ، ومن المدربين تدريبا جيدا على هذا العمل العلمى والفنى ، وأن يكون ممن صلحت أخلاقهم واستوى صلاحهم ، وأن يكون هدفهم خدمة الحق وإظهاره ودحض الباطل وإنكاره فى كل قضية ، وهؤلاء هم المحامون ومهنتهم هذه هى «المحاماة» أو «الدفاع» .

وبغير مساعدة هؤلاء سيغم الأمر على القضاء وتضيع حقوق الناس ، خصوصا فى العصر الحديث ، والقاضى بشر يخطئ ويصيب وقد يغم عليه الأمر ، وخير الهدى هدى سيدنا محمد ﷺ إذ يقول فى قضائه ما مبناه ومعناه **(تختصمون إلىّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له ، فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما هو قطعة من النار)** .

وقال ﷺ عن سهل بن حنيف **(من لجأ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله على رءوس الأشهاد يوم القيامة)** (سند حسن) .

وقال ﷺ عن أبى هريرة **(من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه ومن أشار على أخيه بعلم أن الرشد فى غيره فقد خانه)** (سند صحيح) .

وقال ﷺ **(من ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار)** «ابن ماجة» .

وفى هذا الدفاع والخصيم يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء ١٠٥) . أى لا تكن مدافعاً ومخاصما عن الخائنين تجادل وتدافع عنهم !!

ويتبين من الأحاديث : أنه إذا كان هذا هو حال الرسول ﷺ وفى زمان كانت المنازعات فيه بسيطة ، وسبل حلها ميسرة وكانت الأخلاق فى قمتها ، فما بالنا بحال الناس اليوم ، وهذه أخلاقهم وهذا زمانهم المعقد فى كل جوانبه ونظمه وقوانينه ، وهذه

مصالحهم التي لا حصر لها ولا حدود ، وهؤلاء قضاتهم من الناس ، هل نترك الخصوم لحالهم دون سند أو مساعدة نرتبها وننظمها لهم حتى يظهر الحق ، ويغيب الباطل .

وليس هذا هو مجال المحاماة فقط ، بل منها كما سبق ذكره :

المشورة والنصيحة والصلح بين الناس ، ودفع مظالم السلطات العامة . وغير ذلك كثير لصياغة العقود والمشاركة فى وضع مشروعات النظم واللوائح والقوانين ، والطعن فى الأحكام لتصحيحها .

والأصل فى المحامى لا يقبل الدفاع إلا عن الحق لا الباطل ، فإذا عرضت عليه قضية درسها ، فان وجدها على حق قبلها ، وإن وجدها على باطل رفضها ونصح صاحبها .

وهذا ما يطبقه كل محام ملتزم بدينه ، وعددهم وفير ونجاحهم كثير والحمد لله ، ولا يضرهم أو يمنعهم من ضل عن النهج القويم .

إذ أن بعض المحامين يسيء التصرف ويخالف أصول المحاماة بأشكال مختلفة . . فهذا شيء وارد وصحيح ، ويقع مثله فى كل المهن الأخرى ، ولكن لا يجوز أن ينسحب أثر هذه التصرفات والأخطاء على المهنة ذاتها أو على الملتزمين بأصولها وآدابها وأخلاقياتها .

المحاماة جائزة بل ملزمة :

الحقيقة أن المحاماة جائزة فى كل القضايا بل واجبة فى الخطير منها ، ومن ذلك قضايا الحدود ، لا على أساس أنها شفاعة كما يدعى بعضهم إنما لأنها تساعد القاضى فى تبين وجه الحق فى كل أطراف الموضوع وبيان دفاع المتهم التوضيحى المبنى على بيان الصواب من الخطأ فى عقوبة من أخطر العقوبات التى ستلحقه ، ولو لم يكن للمتهم محام لعينت له المحكمة محاميا .

فمثلا فى الدولة الإسلامية فى العصر الحديث لو إرتكب شخص فعلا يستحق عليه العقاب ، حداً أو تعزيراً أو قصاصاً ، فإنه لا يتصور ولا يكون مقبولا أن يقوم رجل الشرطة أو عامة الناس بجر المتهم إلى القاضى مباشرة لتوقيع العقوبة دون إجراء تحقيق ، وسماع أقوال المتهم وسماع الشهود نفيا وإثباتاً ، وجميع البيانات والأدلة ، ثم تحديد التهمة تحديداً دقيقاً بإعطائها الوصف الصحيح ، وتقديمها للقاضى مشفوعة بأدلتها .

ويقوم بهذه المهنة رجال تخصصوا فى هذا بالعلم والممارسة ، وهؤلاء هم الإدعاء أو ما نسميه بالنيابة العامة ، التى تقف بهذه المثابة من المتهم موقف الخصم ، القوى المزود بالعلم والخبرة وهى تدافع عن حقوق الله و حقوق الناس والمجتمع ضد هذا المتهم ، الذى يغلب عليه فى هذه الحالة الجهل بالأحكام الشرعية وشروط العقاب .

بعض ما جاء فى القانون الوضعى للمحاماة :

وفيما يلى يمين المحاماة

«أقسم بالله العظيم أن أمارس أعمال المحاماة بالشرف والأمانة والاستقلال ، وأن أحافظ على سر مهنة المحاماة وتقاليدها وأن أحترم الدستور والقا نون»

واجبات المحامى :

(١) أن يلتزم فى سلوكه المهنى والشخصى بمبادئ الشرف والإستقامة والنزاهة ، وأن يقوم بجميع الواجبات التى يفرضها قانون المحاماة وآدابها .

(٢) يلتزم بأن يدافع عن المصالح التى تعهد إليه بكفاية ، وأن يبذل فى ذلك غاية جهده وعنايته

(٣) تقديم المساعدات القضائية للمواطنين غير القادرين .

(٤) التوقير للهيئات القضائية وعلاقته معها قائمة على التعاون والإحترام المتبادل ، وفى معاملته لزملاته يراعى ما تقضى به قواعد اللياقة وتقاليد المهنة .

ما يراعيه المحامى:

(١) الإحتفاظ بما يفضى إليه موكله من معلومات .

(٢) الإمتناع عن ابداء المساعدة والمشورة لخصم موكله .

(٣) الإمتناع عن تقديم رشاوى ماليه أو مادية لأى من المحضرين أو الخبراء أو كتبة المحاكم أو أمناء السر للتلاعب فى مصلحة موكله أو ضد المدعى عليه .

(٤) متابعة ومراقبة العاملين بمكتبه من المحامين أو الكتبة حتى لا تتسرب أية معلومات خاصة بقضايا موكليهم .

وأخيرا فإنه بصرف النظر عن عيوب الممارسة عند بعض المحامين خاصة الشباب منهم الذين خرجوا عن أصول مهنتهم وآدابها وأخلاقياتها فإن الأمر يستلزم على كل حال تنظيم مهنة المحاماة لمحو كل ما يسئ إليها ويزيل كل ما هو متعلق بأذهان الناس من أى شوائب تضر سمعة مهنة فى دولة الإسلام التى ننشدها جميعا فى العصر الحديث ، وكذلك فإن القضاء بفروعه ودرجاته فى حاجة الى ترتيب وتنظيم حتى يستقيم العدل على نهج الشريعة الغراء . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد ١١) .



﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل ١٢٥)

الدبلوماسيـــــة

ص

(١) تعريف ونبذة تاريخية

الدبلوماسية فى لغة السياسة الحديثة هى مجموعة العلائق التى تربط دولة من الدول بالدول الأخرى ومجموعة النظم والأساليب التى تجرى عليها فى تنظيم هذه العلاقات، أو هى بعبارة أخرى، السياسة الخارجية لدولة من الدول وماتنطوى عليه من بواعث وأهداف.

وقبل أن نتحدث عن الدبلوماسية فى الإسلام لابد أن نلقى الضوء على أصول الدبلوماسية العربية القديمة التى لاينبغى تجاهلها، فالجزيرة العربية مهد الرسالات السماوية ومهبط الوحى الإلهى وحصن الديانات الأولى، ولكى تبلغ الرسالات السماوية إلى الأمم والشعوب فلابد من قنوات دبلوماسية تحملها من النبى المرسل إلى المعنيين بها فى عصره ومن هنا نشأت السفارات والبعثات «الدبلوماسية» فى بلاد العرب. هذا إلى جانب ماكانت عليه بلاد العرب من علاقات تجارية وسياسية مع الأمم والشعوب، حتى فى زمن الفترة التى إنقطع فيها وحى السماء عن الأرض كانت هناك إتصالات وبعثات تنظم العلاقات الدولية مابين الدول العربية الأولى، كالدوله الحميرية الثانية والمملكة النبطية وإمارات البحرين واليمامة والدوله السبئية وممالك عمان والشام والحجاز. وكانت بين هذه الدول وبعضها البعض علاقات مستمرة وتبادل البعثات بينها وبين الدول غير العربية وكان لقاءات وتبادل السفارات فى مجالات شتى، فى مجالات العلاقات التجاريه والعسكرية وسواهما من مصالح مشتركة، وهذه الأمور طبيعية بين المجتمعات البشرية. ومن الوصايا المهمة التى كانت معروفة عند العرب آنذاك والتى يوصون بها سفراءهم: إنتهز الفرصة فإنها خلسة وبت عند رأس الأمر لا عند ذنبه، وإياك وشفيعا مهينا فإنه أصعب وسيلة، وإياك والعجز فانه أوطأ مركب، وعليك بالصبر فإنه سبب الظفر ولاتخض الغمر حتى تعرف القدر.

فى عهد الرسول تحولت «الدبلوماسية» إلى ميدان العلاقات الدولية السياسية، وبذلك أصبحت وسيلة فعالة فى تنفيذ السياسة الخارجية للدول العربية الإسلامية التى كانت عاصمتها المدينة المنورة.

(٢) دبلوماسية الرسول ﷺ :

الدبلوماسية التى أرسى قواعدها النبى ﷺ كان أول ثمارها إقرار الأمن والنظام فى المدينة المنورة، وتخفيف حدة التوتر والعنف المتصاعد بين «الأوس والخزرج» المتصارعين على التزعم والحكم والسيطرة على المدينة وماجاورها من مناطق، وباستقرار النبى ﷺ فى المدينة أصبح المرجع الوحيد الذى ترفع إليه جميع الشئون الدينية والسياسية ليعالجها بحكمته ويزيل جميع الأسباب الداعية لوجودها، ويهئ الأرض المشتركة التى تحقق منطلقات الوفاق بين جميع القبائل بمن فيهم اليهود الذين رأوا التفات قبائل يثرب حول قيادته، فلم يكن من بديل غير الدخول معه فى نوع من العلاقات السياسية كبقية القبائل الأخرى.

وبذلك نجحت الدبلوماسية الإسلامية فى تنظيم التحالف والإتحاد بين جميع القبائل، ويمثل ذلك مرحلة جديدة فى خط سير القوة الإسلامية الصاعدة الهدف منه أهداف شتى منها: تحقيق ضمان ثابت لحياد القبائل تجاه المسلمين وإتاحة الفرصة لوجود نوع من التعاطف المتدرج نحو الدعوة الإسلامية، وبذلك يكسب المسلمون مودة القبائل قبل أن يدعوهم نحوه دعوة صريحة إلى الإسلام، كما سيقوم هذا التحالف دفعا حثيثها لمسار الخط السياسى الذى رسمه النبى ﷺ لتحقيق مسعاه الدينى فقد سبق له ﷺ ان إرتبط باتفاق مع الأوس والخزرج قبل قدومه إلى المدينة يقضى بحمايته وأصحابه من أى هجوم عليهم.

لقد إستخدمت الدبلوماسية الإسلامية أساليب منها فى حقن دماء المسلمين والتى جنبت المدينة المنورة هجوما من الأحزاب ألا وهو هجوم الأحزاب الكبير الذى ألقت فيه قريش والقبائل العربية غير المسلمة بثقلها العسكرى الرهيب.

جاء إلى الرسول ﷺ الداهية «نعيم بن مسعود الأشجعي» - الذى قد أخفى إسلامه عن قومه - وقال للرسول ﷺ «مرنى بما شئت» فقال ﷺ «إنما انت فينا رجل واحد فخذل عنا إن إستطعت فالحرب خدعة، فإذهب فشتت جموع الأعداء والق بينهم بدهائك». وفعلا نجح نعيم فى تشتيت العدو بدهائه وتصدع بنيان الأحزاب وحدث الإنشقاق فيما بينهم .. وبذلك فقد إستفاد المسلمون من خلال الحوار الدبلوماسي المفعم بالحجج والمنطق المعقول تقدير الصورة الحقيقية لعواقب الأمور بأن يضفوا علي بلادهم وأنفسهم وقاية الهجمات من جنود الأحزاب الذين أتوا من شتى البقاع لمحاربة المسلمين فى عقر دارهم والقضاء عليهم قضاء مبرما، ولكن الله سبحانه وتعالى أيدهم بنصر من عنده، وكان فضل الله عظيما.

وتأتى الخطوة التالية من الدبلوماسية فى العصر النبوى.. فكان الإهتمام بتنظيم سياسة الدولة الخارجية لتحقيق المبادئ السامية التى من أجلها أنشأت الدولة الإسلامية، فدولة الإسلام تؤهلها عقيدتها بأن تكون دولة عظيمة تضم مختلف الأمم والشعوب لاتتقيد بإقليم محدد ولابعنصر بشرى معين مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧).

فالهدف الأسمى لدولة الإسلام هو إسعاد البشرية والتخفيف من ويلاتها، ولاسيما فى ذلك العصر الجاهلى الذى إتسم بالعنف وإسترقاق الإنسان لأخيه الإنسان ... وجاء الإسلام يحمل السلام إلى الأمم والشعوب لتمكين الإنسان من إسترداد حريته وكرامته، وبذلك يتحقق القصد المرجو من أهداف السياسة الخارجية التى تهدف إلى اشاعة التعايش السلمى.

لذلك وضع رسول الله ﷺ منهاجاً مناسبا لتبليغ رسالة الله إلى الأمم والشعوب لانها رسالة عالمية ومن حق البشرية جمعاء أن تصل إليهم هذه الرسالة، ففى نطاق هذا المنهاج تكونت الأطر المناسبه التى هيأها النبى ﷺ للقيام بمهام السياسة الخارجية

والإضطلاع بأعباء السفارة إلى الملوك وزعماء الأمم والقبائل، وقد إختار لهذه المهمة نخبة من صحابته الأكفاء المتصفين برجاحة العقل وسعة الحلم والعلم وحسن التصرف وعمق الفطنة متمكنين من الحجج المعقولة والحكم المقبول محيطين بتاريخ بلادهم وشريعة دينهم وكان رائدهم الدبلوماسية الراقية فى الإقناع.

وقد إنطلق هؤلاء السفراء ليحملوا للعالم نور الهدى ليخرجوا به البشر من عبادة البشر إلى عبادة الله، ومن ظلام الكفر إلى نور الإيمان ومن قيود الجهل إلى حرية العلم، ومن الغفلة والمهانة إلى العزة والكرامة. لقد كانت مهمة السفارة فى هذه الظروف مهمة صعبة للغاية إذ لم يكن طريق السفراء مفروشا بالورود، ولكن كان طريقا شاقا تفترشه الأسنة وتحفه المخاطر، لذلك بشر المصطفى ﷺ سفراءه فقال: **(من ينطلق بصحيفتى هذه إلى قيصر الروم فله الجنة)**.

لم يكن سفراء النبى مجرد حملة رسائل مكتوبة وشفهية إنما كانوا دعاة مخلصين إتسموا بالحكمة والفصاحة وهى أمور لابد منها أن تتوافر فى السفير حتى تجدى سفارته وتثمر وفادته، لذلك هيأ المصطفى ﷺ نخبة من صحابته الكرام وكلفوا بالسفارات إلى: هرقل عظيم الروم، وكسرى ملك فارس، النجاشى ملك الحبشة، المقوقص ملك مصر، فعمرو بن العاص سفيراً إلى جيفر «عبد» ابن الجلندى ملكى عمان، المنذر بن ساوى ملك البحرين، الحارث بن شمر الغسانى ملك نخوم الشام، والحارث بن عبد كلال - الحميرى ملك اليمن. وقد شهد لهؤلاء السفراء حسن عرضهم فى مواقفهم مع الملوك وقوة بيانهم وبرهانهم. مماجعلهم جميعا ينجحون فى هذه المهام الخطيرة.

فى عصر الخلفاء الراشدين :

فقد نجحت الدبلوماسية الإسلامية فى تحقيق الإعتراف الدولى بكيان الدولة الإسلامية وأصبحت وسيلة فعالة لنشر الإسلام وأداة قادرة على عقد الإجتماعات وعقد المعاهدات.

وفى العصر الأموى:

فقد أسدت الدبلوماسية الإسلامية خدمات جليلة فى تثبت أركان الدولة، وكانت وسيلة لتنفيذ السياسة الخارجية فهى السبيل الوحيد إلى دفع الحروب وعقد المحالفات وتثبيت شروط الهدنة ودفع الجزية.

وفى العصر العباسى:

مرت الدبلوماسية الإسلامية بتطورات جديدة فالسفراء يزودون بكتب وأوراق إعتماد تشبه إلى حد كبير وثائق الإعتماد التى يقدمها السفراء والممثلون إلى الملوك والرؤساء فى هذا العصر. ولاشك أن علو شأن الدولة وإزدياد إرتباطها والتقدم الذى كان فى مبدئها له أثر كبير فى هذا التطور فقد إستخدمت الدبلوماسية الإسلامية كوسيلة لتحقيق التوازن الدولى الأمر الذى أدى إلى قيام سفارات مستمرة بين بغداد وبيزانطة وسفارات مماثلة بين قرطبة والقسطنطينية. كما قامت الدبلوماسية الإسلامية بمهام توثيق العلاقات الثقافية والتجارية والسياسية والعسكرية.

(٣) إنطلاق الدبلوماسية الإسلامية وثمارها

إن أساس العمل الدبلوماسى بدأ بانطلاق أول بعثة إسلامية بتوجيهات من الرسول الكريم ﷺ لتعلن للعالم بأن الإنسان كما جاء عنه فى رسالة الإسلام ليس مادة صماء يسير وفق قوانين جامدة وليس حيوانا تحكمه الغريزة العمياء وليس ملكا معصوما، وانما هو مخلوق له إرادته وطاقاته وإمكاناته، فإيمانه بالله الذى خلقه والذى هداه إلى سبيل الخير والرشاد يصون هذه الطاقات من أن يستنزفها الناس بالتواكل والسلبية أو أن يستنزفها الكبر والبطر والغرور.

كما أعلنت الدبلوماسية الإسلامية للأمم والشعوب ماجاء به الإسلام من حماية لحقوق الإنسان ومادعا إليه الإسلام من إذابة الفوارق الطبقية بمعايير تحقق التوازن بين الحق والواجب وبين حق الفرد وحق الجماعة ولقد اضطلعت الدبلوماسية الإسلامية بنشر نور الإسلام فى فجاج الأرض وبين كل الأقوام البشرية بدون تمييز أو محاباة بهدف ترسيخ رسالة الله فى الأرض لإعلاء كرامة الإنسان وتمكينه من أن يسمو بإنسانيته ويتحرر من الرق والعبودية. فالإنسان فى نظر الإسلام هو صاحب الحياة وكل مافيها يجب أن يكون مسخراً لها..

ثم إنطلقت الدبلوماسية الإسلامية فى مساعيها إلى التعايش السلمى ودعت الأمم والشعوب إلى إقامة علاقات طيبة فيما بينها على أساس الود والتفاهم وإحترام حقوق الإنسان فى السلم والحرب وبشرت بما جاء به الإسلام فى الضمانات اللازمة لاقرار السلام ورفض الفوارق الجنسية والعصبية وتحريم الغدر والخيانة وقتال غير المقاتل ومنع التخريب وهتك الأعراض.

لقد تولت الدبلوماسية الإسلامية عبر العصور مهمة اشاعة الأمن والسلام وفق ماجاء به الإسلام.

(٤) الدبلوماسية الحديثة فى الدعوة الإسلامية

سبق أن ذكرنا أن الدبلوماسية الحديثة هى العلاقات والتنظيمات التى تربط دولة بالدول الأخرى والأساليب التى تجرى عليها تنظيم هذه العلاقات وهى عبارة عن السياسة الخارجية لها.

وفى العصر الحديث نستخدم الدبلوماسية كأسلوب فى العلاقات الدولية للحصول على حل هادئ للمشكلات التى تعترض بعض العلاقات لظروف طارئة متبعة دبلوماسية الإقناع.

إن الإقناع فى نظر الدعوة الإسلامية يقوم على إحترام المخاطب فى مشاعره، وعقليته، وآدميته وقد أوجب الله تعالى على المسلم الصدق والوضوح وحرم الكذب والغدر والخيانة.

أما الدبلوماسية الحديثة فأغلبها الكذب والغموض وهذا طابعها ولقد إتسعت رقعة الزمن فى عملية الإقناع واتسعت كذلك أساليب الخطاب والمعاملة، وفى العهد الإسلامى إتخذت الدبلوماسية - كما سبق أن أوضحنا- عديدا من أدلة الإقناع فقد أدت لهم الدعوة أدلة البراهين العقلية والوجدانية. وغرتهم بأساليب للترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، وردت على كل سؤال أثاره الخصم وأشركتهم فى عملية الاإناع بطرح العديد من الاسئلة التى لا نجد عندهم من جواب إلا أن يقتنعوا ويؤمنوا.

لكن الدبلوماسية الطويلة النفس التى نفذت هذه المناهج كانت أعجوبة فى العمل الرائع، فلم تستعجل الدعوة النتائج ، ولم يزهق صبرها لغلظة الرد وعنف القول بل كررت الدعوة وسائلها وغيرت من أساليبها لذلك كانت جاذبية الدبلوماسية الإسلامية فى تبليغ الدعوة آية فى العمل الأخلاقى.

ولأن الدعوة الإسلامية عنوانها السلام، فهى تريد هداية الناس لاحربهم ولا أضرارهم ولأنها تريد هدايتهم بالحسنى لا بالإكراه قال الله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسنةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل ١٢٥) ولذلك فهى لم تستعجل نتيجة لأى عمل.

فالحرب هى العمل الأخير للدبلوماسية فعندما تستنفذ جميع الطرق والوسائل تحاول الأمم أن تحصل على أهدافها بالحرب، ولهذا فهى فى جوهرها محاولة للحصول بالقوة على ما فشلت الدبلوماسية فى الحصول عليه بالعمل السلمى.

لكن للأسف فان الدبلوماسية البشرية الراهنة تضع الحرب وسيلة من وسائل تحقيق أغراضها لأن الهدف عندها هو تحقيق الغرض بأية وسيلة، فى السلم يستخدم

الغش والخداع والكذب فاذا لم تفلح هذه الدبلوماسية فالحرب أجدى فى نظرها للحصول على الأهداف المرجوة.

أما الإسلام فعلى العكس تماما فانه يستخدم الدبلوماسية لايقاف الحرب كما حدث فى يوم بدر، وكما عرض الرسول ﷺ على قريش وهى فى حالة من التحير والإنهاك النفسى أن ترجع عن الحرب فأرسل اليها سفارة ندعوها إلى العودة إلى مكة. قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة ٦).

★ السياسة الخارجية والقوة الداخلية

إن فاعلية الدبلوماسية فى إحدى الدول تعتمد إلى حد كبير على قوتها الداخلية، فاذا كانت إحدى الدول تعانى حربا أهليه مزمنة أو تقاسى من إفلاس مالى فان دبلوماسيتها لا يمكن أن تكون فعالة مهما إستخدمت من أساليب ماهرة، ومهما كانت قدرة القائمين عليها، وذلك أن التغييرات الدائمة فى الحكومة وتبديل السياسة.. والضعف الداخلى الذى يؤدى إلى التردد فى العمل فى الدولة حتى ولو اعتبرت دولة كبرى. لابد ان يؤدى كل هذا إلى إنعدام ثقة الدول الاجنبية فيها وبهذا لا يمكن أن يكون لدبلوماسيتها أي وزن.

لذلك فالسياسة الخارجية يجب أن تعكس القوة الداخلية والإستقرار فى الدولة.

★ ترتيب بناء المجتمع

يجب ترتيب المجتمع الداخلى للدولة لكى لا يكون المال دولة بين الأغنياء فتتخلخل الجبهة الداخلية فلا تقوى الدولة على ممارسة دبلوماسية فعالة مع الدول المجاورة ... ولذلك أفلح الإسلام فى سفاراته ومعاهداته وحروبه كلها لأنه رتب المجتمع ترتيبا رضى الكل فيه عن عدل ولم يبق محتاج ولا فقير.

المعاهدات والاتفاقات

سجل التاريخ الإسلامى ان ماتم من معاهدات وإتفاقات قد وضعت موضع التنفيذ بصراحة وبوضوح ولا يحمل التاريخ لجماعة المسلمين إلا الوفاء بالعقود فقال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ المائدة ١.

وأن نشيد طلع البدر علينا ليمثل الصورة السياسية الرائعة لتنفيذ أهل يثرب معاهداتهم مع رسول الله ﷺ

أما فى العصر الحديث يتخذ من المعاهدات ذريعة لبث سموم الأطماع والفتن فى البلاد المجاورة كما فعلت إسرائيل بعد اتفاق كامب ديفيد حيث إحتلت الجنوب اللبنانى وضربت المفاعل الذرى العراقى، وهاجمت تونس، وضربت قياده منظمة التحرير، لأنها نوت عند الإتفاق على أن تأخذه لمرحلة التنفيذ مخططاتها... وكذلك تفعل الدول المعاصرة حيث تخبئ سوء النية وهى تفاوض وتوارب عند المحادثات، وتخادع عند طلب التنفيذ كما فعلت أيضا ذلك بعد اتفاقية اوسلو، وإذ سنحت لها الفرصة للتبرء من الميثاق فعلت.

وهكذا دائما تظهر عظمة الإسلام وإنسانيته وفضائله فى كل جانب من جوانب الأخلاق والتشريع والحياة.

لقد بات المجتمع الإسلامى فى عافية من مزعجات الحرب الأهلية ولذلك عبرت جيوشه صحراء العرب فى أسيا حتى جبال البرانس فى غرب أوروبا فى أقل من قرن فنشر الإسلام حضارته التى نقلت البشرية من الهمجية الصاخبة إلى النظام المستقر فعاش الناس فى كنف هذا الدين أحبة على سرر متقابلين فهل سنفيق ؟؟

تلك هى الاتجاهات فى دبلوماسية الدعوة الإسلامية التى ورثنا لها مولانا رسول الله. فمن اراد التاسى فى مجال الدعوة فعليه أن يسير على الدرب وأن يأخذ بالسنة دون تأويل او زيغ فإنما يعقل أمر هذا الدين الراسخون فى الإيمان.

(٥) النظرية الإسلامية فى العلاقات الدولية :

بزغت شمس الإسلام بنورها الوهاج تنشره فوق أرجاء الجزيرة العربية فخرجت طلائع الدعوة الجديدة تحمل إلى أرجاء الأرض رسالة الحق والتوحيد، داعيا اليها بالحكمة والموعظة الحسنة، وإنهارت قلاع الظلم والوثنية أمام الموجات المتقدمة الهادرة، فاندمجت شعوب عريقة فى مدنيتها فى المجتمع الإسلامى الجديد، ونشأت مدنية إسلامية جديدة لها طابعها المتميز إمتدت من الهند إلى جبال البرانس ومن جنوب روما إلى قلب أفريقا، وارست دعائم سياسة الدولة الجديدة على أساس الدين والدنيا، وتبادل علاقات الود مع جيرانها على أساس من حسن الجوار وتبادل المنافع وإحترام السيادة الإقليمية والتعهدات المبرمة بين الدول الإسلامية وغيرها من الدول.

وقد ساعد على قيام هذه العلاقات الطيبة بين الدول الإسلامية الجديدة والبلاد المجاورة موقع الجزيرة العربية بين هذه البلاد منذ كانت الجزيرة معبرا للقوافل التجارية قبل الإسلام، وقد أتاح ذلك الموقع لأهل الجزيرة العربية قبل الإسلام مركزا تجاريا ممتازا وعلاقات ودية حميدة فى العالم المعروف حين ذاك، وتبادل عرب الجزيرة مع غيرهم من ملوك البلاد المجاورة الرسل والسفارات، وعقدت بينهم مفاوضات لتصفية المشاكل المعلقة، وقدمت إلى العرب بعثات من الممالك والبلاد المجاورة تخطب ودهم وتطلب مؤزارتهم.

★ البدايــة : نشأة العلاقات الدولية الإسلامية :

فلما بعث النبى ﷺ افتضت طبيعة الرسالة أن يسلك سبيل الدبلوماسية والدعوة لنشر رسالته في الجزيرة العربية ومنها إلى أرجاء العالم، وكانت العلاقات الدبلوماسية- إذا جاز لنا القول - كما سبق أن ذكرنا - التى أقامها الرسول إن ذاك قاصرة فى بداية الأمر على الإتصال الشخصى وإرسال الكتب والرسائل وايفاد البعثات إلى القبائل العربية وإلى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها للتعريف بالإسلام والدعوة إليه.

ولما أثمرت الدعوة وتحققت للعرب- لأول مرة - وحدتهم السياسية، وقامت أول دولة إسلامية فى المدينة برئاسة النبى ﷺ أصبح انتهاج الدبلوماسية ضروريا لدعم أركان الدعوة الناشئة، وإقامة علاقات وطيدة بينها وبين غيرها من الدول خاصة تلك الدول المحايدة التى لم تنشأ بينها وبين الدولة الفتية حروب فى محاولة لإستقطابها أو المحافظة على حيدتها.

وكان عهد الخلفاء الراشدين إمتدادا لعهد النبى الكريم، والدولة الإسلامية منصرفة إلى توطيد أركانها، ومن سلطانها فى أرجاء الأرض، فهى تخرج من فتح إلى فتح ومن نصر إلى نصر ، ولا تزال أهداف سياستها تتركز فى بث الدعوة إلى الإسلام أو إعلان الحرب دفاعا عن حماه والتمكين له بعقد المعاهدات..

وهكذا نشأت نظرية جديدة فى العلاقات الدولية.. تلك هى نظرية العلاقات الدولية الإسلامية :

وهذه النظرية تستمد أصولها من التشريع السماوى، ومن الحديث النبوى المكمل والمفسر له، إلا أن هذا التشريع قد جاء فى معظم حالاته فى هيئة قواعد عامة خلو من التفصيلات، وترك للأمة مهمة تفسيرها على هدى من روح العقيدة الإسلامية.

ومن هنا فان خلافات فى الرأى قد نشأت بصدد تحديد طبيعة النظرية الإسلامية فى العلاقات الدولية، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى إختلاف مناهج البحث فى هذه المسألة، كما أنه يعود أيضا إلى أن القواعد والأصول الدبلوماسية الإسلامية وردت مبعثرة بين بواطن الكتب والمخطوطات التى لم تستقل بدراسة المسائل السياسية، ولكن هذه المسائل السياسية، كانت ترد فى معرض دراسة ومعالجة علوم وأمور أخرى كالأدب والفلسفة والفقه وغير ذلك من علوم وفروع التراث الإسلامى والعربى القديم. وعلى اية حال فإن هناك نظريتين اشتهرتا فى هذا الصدد:

النظرية الأولى : وهى المعروفة بنظرية دار الإسلام ودار الحرب ودار الإسلام هى تلك الأقطار التى دانت بالعقيدة الإسلامية وطبقت شعائرها وخضعت لأحكامها..

النظرية الثانية : فتختلف مع الأولى ولا تلتقى معها، وتقرر أن العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من أمم الأرض، ما قامت إلا على أسس من السلم والتعايش السلمى وحسن الجوار.

وتفصيلا لمفهوم كلتا النظريتين نجد أن أصحاب نظرية (دار الإسلام ودار الحرب) قد قالوا بان المسلمين قسموا المعمورة إلى هذين الدارين، وانتفاء العصمة بينهما دعت البعض إلى الإعتقاد بأن العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول والممالك غير الإسلامية لا تقوم إلا على حد السيف، ومن ثم فانه لا سبيل إلى قيام علاقات طبيعية هادئة بين الدارين المتناهضين ويستند هؤلاء فى تفسيرهم هذا إلى أنه قد ورد فى القرآن الكريم فى ايات متعددة أمر للمسلمين بالجهاد فى سبيل الله لنشر الدعوة الإسلامية، ومحاربة غير المسلمين حتى ينضووا تحت لواء العقيدة الجديدة، وأمر الإسلام أتباعه أن يفرضوا على أولئك الممتنعين عن الدخول فى الدين الجديد جزية يدفعونها وهم صاغرون.... ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ﴾ (الانفال ٦٥) و﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾. (التوبة ٢٩).

ومن الأحاديث النبوية الآمرة بالجهاد والقتال قوله ﷺ (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله**)

ومن هنا بنى أصحاب النظرية الأولى رأيهم على إنتفاء العصمة بين دارى الإسلام والحرب، فالعلاقات بينهما أبدا علاقات حرب وقتال، وإن خمدت الحرب بينهما فهى هدنة إلى حين، لتستأنف بعد ذلك أشد ضراوة وأكثر عنفا.

التعايش السلمى :

إن أصحاب هذه النظرية فيقررون أن السلام هو أساس العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من دول العالم - وهو الأمر الطبيعى- وأما الحرب فهى إستثناء وضرورة فقد وردت أيات كثيرة أوضحت نصا وروحا أن القتال ما فرض إلا لسبب واضح واقتضاء لظروف معينة كصد الأذى عن النفس ورد الاعتداء عن المسلمين فيتقبلوا هذا الإعتداء بالإسلام والخنوع، وفى هذا الصاق لصفة الضعف بالمسلمين وإهانة للعقيدة الإسلامية.

وهذه الآيات تدل على ذلك :

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾(البقرة ١٩١) و﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة ١٩٤) و﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾(النحل ١٢٦) ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى ٤٠).

★ **الإسلام لا يأمر بشن الإعتداءات الغاشمة** : على غيرهم كما هو واضح فى الآيات السابقة، وكذلك لا يأمر بالإعتداء للنيل منهم بقسوة وعنف كذلك جاءت كثير من السور الحاضة على القتال مبينة فى نفس الوقت للسبب الذى من أجله شرع هذا القتال، والاسباب هى لا تخرج عما يلى :

١- دفع الظلم عن المسلمين وغير المسلمين من أبناء الدولة الإسلامية.

٢- القضاء على الفتنة التى تستهدف إغواء المسلمين عن دينهم.

٣- الدفاع عن النفس، وهو حق شرعته كل القوانين الدينية والوضعية.

٤- حماية الدعوة الإسلامية من أعدائها.

وربما وردت هذه الأسباب فى سورة البقرة رقم ١٩٠ . ١٩١ . ١٩٢ قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) ﴾ سورة البقرة كما يخاطب الله تعالى رسوله الكريم بقوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة ٦).

هكذا كان أمر الله إلى المسلمين فى شأن تعاملهم مع غيرهم ، فلا تعسف أو غطرسة أو إنغلاق على أنفسهم وإنعزال عن غيرهم.

★ العدل والتسامح مع غير المسلمين :

دار الزمن دورته وارتفع صوت الوجدانية مجلجلا بدعوة الحق والخير والسلام وقويت شوكة المسلمين وعز جانبهم ولم يعودوا يخشون بأس أعدائهم فنزل اليهم أمر الله ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦) وقال تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف ٢٩).

وقامت دولة الإسلام وحوت من ظلوا على عقيدتهم وارتضوا دفع الجزية لبيت مال المسلمين لقاء تمتعهم بكافة الحقوق المدنية التى يتمتع بها المسلمون.

ويلخص نظرية التعايش السلمى فيما يلى :

أولا : دعوة غير المسلمين إلى الإسلام فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فواجب الأمة الإسلامية أن تنظم الدعوة إلى الإسلام باعداد الدعاة وتجهيزهم ثم ايفادهم إلى الأمم التى تدين بغير الإسلام أو التى لا دين لها، وهى

كثيرة فى أفريقيا وبعض مناطق آسيا ويجب إمدادهم بجميع الوسائل التى تمكنهم من أداء مهمتهم على خير وجه.

ثانيا : أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلام وهو العلاقة الطبيعية ، ولكنه إذا ما طرأ على ظروف العلاقات بين هؤلاء وأولئك ما يستوجب قيام الحرب وإعلان الجهاد فواجب المسلمين أن ينهضوا مجاهدين ضد الخطر الذى يتهددهم، مثال ذلك إعتداء غير المسلمين على المسلمين، أو إشاعة الفتنة بين صفوفهم أو مقاومة دعوتهم بمنع الدعاة اليها عن أداء مهمتهم أو وضع العقبات فى سبيلهم.

ثالثا: لا تعتبر حالة الحرب قائمة بين المسلمين وغير المسلمين وهو ما يسمونه بإختلاف الدارين وإنتفاء العصمة بينهما- إلا إذا بدأت دولة أوروبا غير إسلامية بالعدوان على المسلمين، أو حالت دون نشر الدعوة الإسلامية ووضعت فى سبيلها العراقيل.

تطور الدبلوماسية الإسلامية :

التاريخ يروى أن الدبلوماسية الإسلامية قد تطورت تطورا هاما بإنتهاء العصر الأموى. فقد إتسع نطاق العلاقات الدولية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية المجاورة. فازداد النشاط الدبلوماسى، وتبودلت بين الدولتين السفارات والرسل لتوثيق الصلات التجارية والثقافية وتبادل الأسرى وتبادل العطايا وفض المنازعات وعقد المعاهدات ذات الأغراض المختلفة. وكانت الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية أعظم قوتين سياسيتين فى ذلك الحين فقد امتدت رقعة الدولة الإسلامية من أطراف الصين شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا هذا فضلا عن إمتداد أرجائها شمالا وجنوبا ، وكانت إمبراطورية الروم المسيحية (الدولة البيزنطية) تبسط ظلالها على آسيا الصغرى وبلاد البلقان وإيطاليا.

يقول الاستاذ (بييربونسواى) فى كتابه (الإسلام والجدل): يعلم الناس اليوم أكثر من ذى قبل أن المسيحية والإسلام فى العصور الوسطى لم يلتقيا للتقاتل فحسب، فهناك وقائع محققة تشهد بأنه قد وجد بين صفوتيهما المسئوليتين- فيما وراء التلاعن والتقاتل- كثير من التآلف ، ولكنه لم يكن تآلفا ناشئا من تبادل التفاهم السطحى الناجم عن المصادقة بل كان إتحادا روحيا حقيقيا لعبت فيه الثقافة الإسلامية أثناء عدة قرون دور الملهم والمرشد»

(٦) السلك الدبلوماسى بمصر (القانون الوضعى)

ترجع العلاقات بين الشعوب والدول إلى عهد قدماء المصريين حيث نظمت تلك العلاقات بمعاهدات كان من أبرزها المعاهدة التى عقدها رمسيس الثانى مع ملك الحيثيين عام ١٢٧٩ ق.م. والتى إتسمت بحسن تبويبها وتكافؤ الطرفين فيها وتجديد بعض أحكام المعاهدات التى سبق أن عقدت بين الطرفين.

وتتخذ العلاقات الدولية أشكالا مختلفة منها ما هو سياسى ومنها ماهو إقتصادي أو عسكرى أو غير ذلك، ونظرا للظروف السياسية لمصر الحديثة، فان أول قانون للسلك الدبلوماسى المصرى صدر فى ١٩٢٥/١٠/٢٠ وقد أدخلت عليه عدة تعديلات حتى صدر القانون ١٦٦ لسنة ١٩٥٤ ليساير التطورات والأوضاع الحديثة ثم صدر القانون رقم ١٩٨٢/٤٥ ليعالج الثغرات والقصور فى القانون السابق. وبما يتمشى مع ما اصبحت عليه مصر فى وضع دولى يسمح لها بالقيام بدور طبيعى فى المجال الدولى يتفق ومكانتها على المستويين العربى والدولى فى إطار العلاقات الثنائية من ناحية والمنظمات الدولية الإقليمية والعالمية من ناحية أخرى.

ونظرا لإتساع النشاط الإقتصادى والتجارى لمصر فى الخارج وإزدياد أهمية الدور الذى يقوم به الممثل التجارى فى تنمية العلاقات الاقتصادية الدولية بين مصر

وغيرها من الدول والهيئات والمنظمات الدولية، لذلك أنشئ سلك خاص للتمثيل التجارى يتبع وزارة الاقتصاد ثم التجارة الخارجية

اليمين الذى يحلفه عضو السلك الدبلوماسى

: «اقسم بالله العظيم أن أؤدى أعمال وظيفتى بالإخلاص والأمانة والصدق وأن إحترم الدستور والقوانين»

هذا وعلى أعضاء السلك الدبلوماسى الإلتزام فى سلوكهم العام والشخصى بالواجبات التى تفرضها صفتهم التمثيلية ويقتضيها الحفاظ على سمعة البلاد وكرامة وظائفهم، وان يظهروا بالمظهر اللائق بالوظائف التى يشغلونها وألا يفضوا بمعلومات، وإيضاحات عن المسائل التي ينبغى أن تظل سرية بطبيعتها أو بمقتضى تعليمات خاصة، ويظل هذا الإلتزام قائما ولو بعد إنتهاء خدمتهم بالسلك الدبلوماسى.

(٧) نموذج دبلوماسى مشرف لدولة إسلاميه

إنتصار الدبلوماسية المصرية فى إستعادة منطقـة طابـا

طابا قطعة غاليه من تراب الوطن العزيز شهدت أحداثا كثيرة فى أوائل القرن العشرين بين مصر والدولة العثمانية، إنتهت بإستقرار الحدود بينهما، ولكن المشكلة المعاصرة تقع بين مصر وإسرائيل هذه المرة.. فقد إحتلت إسرائيل سيناء بما تشمله من طابا، وجاءت حرب العاشر من رمضان فانتصرت مصر بإعادة أرض سيناء، ولكن العدو الإسرائيلى إتفظ بمنطقة طابا دون سند قانونى.

ومن هنا تحركت الدبلوماسية المصرية، منتهيه بعرض الأمر على محكمة العدل الدولية... وانتصرت الدبلوماسية المصرية وأعيدت منطقة طابا لمصر.

وترجع أهمية هذه المنطقة الحيوية إلى كونها:

إحدى بوابات خليج العقبه فهى منطقة إستراتيجية هامة تتحكم فى الطرق المؤدية إلى داخل سيناء وإلى غزة، وهى قريبة من مصادر المياه العذبه خالية من الشعب المرجانيه لكون مياهها عكرة فهى صالحة للملاحة.

فى منتصف عام ١٩٨٥ بدأت مصر تؤكد على أن حل مسألة طابا لا يتحقق إلا بالتحكيم بعد فشل جميع المباحثات والإتصالات الخاصة بالتوفيق بين طرفى النزاع للتوصل إلى حل مرض للقضية .

وفعلا شكلت مصر لجنة للدفاع تحت إشراف وزارة الخارجيه بما لها من دبلوماسية للدفاع عن طابا ضمت ممثلين عن بعض الوزارات المختصة برئاسة وزير الخارجية وعضوية بعض السفراء كما ضمت اللجنة بعض المستشارين المصريين

العالميين فى هذه المسائل الدولية (منهم الدكتور وحيد رأفت، د. مفيد شهاب، د. صلاح عامر، د.طلعت غنيمى، د. يوسف ابو الحجاج، د. يونان لبيب رزق، مستشارين فتحى نجيب، وأمين المهدى، والمحامى صادق القشيرى، والعقيد محمد الشناوى، المقدم محمد القرشى.

تمت الإتصالات وعقدت الإجتماعات، ودارت المباحثات مع الجانب الإسرائيلى، ولكنها فشلت جميعها.. وبعد أن استنفذت الدبلوماسية المصرية كل إحتمالات التوفيق، وجدت أنه لا سبيل إلا الإلتجاء إلى محكمة العدل الدولية.

قبلت إسرائيل التحكيم الدولى بعد ضغوط خارجية كثيرة. وبهذا فقد شكلت مصر لجنة للدفاع عن القضية أمام محكمة العدل الدولية برئاسة السفير د. نبيل العربى وعضوية عدة سفراء، والمستشارين الموجودين فى اللجنة الرئيسية.. وبلغ من ذكاء الدبلوماسية المصرية أن ضمت إلى هيئة الدفاع إثنين من القضاة العالمين كانا يمثلان هيئة تحكيم تقوم بمناقشة الدفاع كمحكمين وتبدى له نقاط الضعف ونقاط القوة، كذلك كان يقوم بعض القانونيين بدور (محامى الشيطان) ويتناقش الدفاع المصرى مبينا النقاط التى يمكن أن يستغلها الدفاع الإسرائيلى (هما المستشار امين المهدى، والمستشار فتحى نجيب).

وكان الهدف هو التوصل إلى أفضل وأدق وأوضح صياغة للوصول إلى عقل هيئة التحكيم الأصلية وتفكيرها، والطرق والأساليب التى يجب البعد عنها.. هذا وقد تصدر السفير العربى هيئه الدفاع المصرية، وعينت المحكمة خبرائها بموافقة الطرفين، وقد إختارت مصر الدكتور حامد سلطان أستاذ القانون الدولى بحقوق القاهرة ورئيس الجمعية الدولية للقانون الدولى بباريس مرشحا لمصر فى هيئة التحكيم.

وقد اتبع الجانب المصرى خطوات عملية نحو تأكيد حقه فى أرضه، فاتبع الخطوات التالية: تقديم الحقائق المادية وإثبات الحقوق، وتفنيد الإدعاءات وقد شملت

الحقائق المادي: وقائع وأحداث وخرائط وأسانيد قانونية وجغرافيه وتاريخيه، وشهادات الشهود التى قدمها كل طرف لإثبات دعواه ودحض رأى الطرف الآخر، وتفنيد أسانيده وذلك قبل المرافعات لإثبات الحقوق وتفنيد الإدعاءات.

وهنا نشير إلى الجهود المضنيه التى بذلتها مصر فى الحصول على بعض الوثائق والخرائط الهامه من داخل مصر وخارجها خاصة من تركيا، كما شارك بعض المواطنين المصريين المخلصين فى جهود الدفاع عن طابا، فكل من وجد خريطة قديمه عن طابا تثبت حق مصر فيها سارع بتقديمها إلى وزارة الخارجية أمثال العميد طبيب آمون كامل غبريال، وكذا اسرة المرحوم اللواء فؤاد صادق باشا.

وبدأت المرافعات واستمرت مددا طويلة، وبعد إنتهائها كلها حكمت المحكمة للتداول لمدة ثلاثة أشهر قبل النطق بالحكم.

ثم جاءت حيثيات الحكم قبل النطق بالحكم وملخصها كما قرأها أمين سر المحكمة عرض فيها الحجج والأسانيد القانونيه والجغرافيه والتاريخيه، وتحدث عن الإجراءات التى إتبعتها المحكمة فى سماع المرافعات والوثائق والمستندات.

جاء الحكم اخيراً إنتصارا لمصر مؤيدا لما حددته مصر بخصوص العلامات العشر على الحدود ومساحتها ٢ر١٠ كيلومترا مربعا تدخل فيها منطقة طابا ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ (آل عمران ١٩٥).

وبذلك فقد نجحت الدبلوماسية المصرية فى إعادة الحق لمصر ومن الدروس المستفادة فى هذه المشكلة:

* التصميم على الإرادة المصرية الصلبة والتمسك بالسيادة الوطنيه فى الدفاع عن الحق الشرعى.

* لا ييأس صاحب الحق فى إسترجاع حقه مهما طال المدى.

* القضاء على الخوف وإزالة عدم الثقة، ورفع معنويات النفس المصرية الأبية.

* لا يكفى رفع دعوى قضائيه أمام المحاكم الدولية، ولكن يجب بجانب هذا أن تحسن العرض والدفاع وإقناع الآخرين.

* اتباع الأسلوب العلمى الصحيح فى الإعداد لأى قضية، ويقتضى ذلك إختيار العناصر الصالحة للدفاع عن الحق مع الإعداد الجيد بالحجج والأسانيد التى تثبت الحق وتؤكده:

وختاما: أؤكد أن إسرائيل لا تراهن على جواد خاسر. لأنها تعلم جيدا أن طابا مصرية، ولكنها كانت تظن أن الدبلوماسيين المصريين لن يحسنوا الدفاع عن حقهم..

إلى لجنة الدفاع فى قضية طابا والخبراء المعاونين لها:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) ﴾ (الاحزاب).



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران ٢٠٠)

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

(الأنفال ٦٠)

الجندية

(١) التربية العسكرية فى الإسلام

ينفرد الإسلام بأن التربية العسكرية على قيم الطاعة والنظام والإنضباط والقيادة وتحمل المشاق ووعى الأمن وغيرها تبدأ مبكراً جدا منذ مرحلة بناء الشخصية، فالإسلام لاينتظر حتى يشب الفتى ويدخل الجيش فيعلمه هذه القيم ويغرسها فيه.

لذلك فمنهج الإسلام فى التربية العسكرية يتناول عناصر: العلم والحرية والكرامة والإنسانية وتربية النفس والإنضباط الذاتى والقيادة والطاعة.

وحرص المسلمون على تربية أولادهم على الثبات والشجاعة، ومن ذلك أن على بن أبى طالب (ض) أعطى الراية لإبنة محمد وقال له: **«تزول الجبال ولاتزول، وأعلم أن النصر من عند الله سبحانة»**

وعنى الإسلام بتربية المسلم على تقدير المسئولية والإخلاص فى العمل يقول ﷺ **«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»** رواه أبو يعلى وأمتدح الله الصادقين والأوفياء فى قوله : ﴿**من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه**﴾(الأحزاب ٢٣) وفى قوله تعالى: ﴿**ومن أوفى بما عاهد عليه اللَّه فسيؤتيه أجراً عظيماً**﴾ الفتح (١٠)

(٢) الزامية الجندية

إننا لا ننسى عما كان عليه أجدادنا وآباؤنا الأولون من الجندية والزامها على كل فرد منهم، حتى عاشوا فى عزة وعظمة وكرامة تحت ظلال السيوف، آمنين مطمئنين فرحين مستبشرين، وإنما ذلك نتيجة لجنديتهم واعتناقهم لها اعتناق المبدأ فى سبيل الحياة الشريفة الآبية.

أن إلزامية الجندية على كل مسلم، ووجوبيته إعداد القوة إلى حد المستطاع، وفرضيه الجهاد فى تعاليم الإسلام، لم تكن إلا حكمة عظيمة وسياسة قويمة، تحفظ

للعالم الإسلامى كيانه وكرامته، وماهيته وعظمته ليعيش المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها آحرارا آمنين، كرماء مطمئنين وذلك فى شئون دينهم وشئون دنياهم وحياتهم التى ينشدونها.

ومن المعلوم أن الجيش لا يتمكن من القيام بمهمة الجهاد والدفاع إلا إذا كان مسلحا بأسلحة يستوعبه عصره وظروفه، وذلك بعد أن يأخذ إستعداده بمقومات الجندية ومؤهلاتها للخوض فى المعارك ضد العدو المعتدى، فعليه يجب على كل جندى أن يتسلح بالقوتين المعنوية والمادية.

(٣)مبادئ الجندية: القوة المعنوية فيجب أن تقدم على القوى المادية.

فالقوة المعنوية: هى الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى فى كل عمل يؤدى:

* الطاعة لأولى الأمر (الحكومة المتبوعة) والانقياد لأوامرها أينما صدرت ومتى صدرت. * والعلاقة الصادقة الفعالة مع الوطن. * وحبه والتفانى فى تلبية داعيه. * الاتصاف الكامل بأوصاف الشجاعة. * الصبر على المصائب والمكاره. * والثبات فى الميادين. * والتغلب على العوائق. * التضحية فى سبيل النصر. * الاخلاص فى العمل وتأدية الواجب وإنكار الذات ا لتزام الإنضباط. * التمسك بمبدأ الأخوة والاتحاد والايثار والتعاون بين أفراد الجيش وضباطه. وقد أهتم الإسلام (فى مبادئ الجندية) بهذه القوة المعنوية أى اهتمام، وأنزل بشأنها آيات كثيرة فى القرآن المجيد، كما وردت أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ .. آيات وأحاديث يطول ذكرها ورواياتها وتفسيرها.

* الطاعة من الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ النساء (٥٩). فقد أمر الله عز وجل بهذه الآية عامة المؤمنين بإطاعته (إلى تنفيذ أوامره وإجتناب عما نهاهم عنه) وأمرهم بإطاعة رسول

الله ﷺ، أى بإتباع أوامره وسننته والإجتناب عما نهاهم عنه، وإطاعة أولى الأمر، بتنفيذ أوامرهم وإجتناب عما نهوهم عنه.

والمراد من «أولى الأمر» فى الآية من أوجب الله طاعته من الحكم (الملوك والرؤساء المسلمين) ولا شك أن هذه الإطاعات الثلاثة قوة معنوية عظيمة لجميع المسلمين، ولاسيما الجنود والضباط فى صف الجهاد والنضال ومنها: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال٤٦).

فإن هذه الآية وإن كانت مطلقة إلا أن الإمام الخازن فى تفسيره لها أنها موجهه إلى الجنود: «وأطيعوا الله ورسوله» يعنى فى الأمر بالجهاد، والثبات عند لقاء العدو، «ولاتنازعوا فتفشلوا» يعنى ولاتختلفوا فإن التنازع والإختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن، «وتذهب ريحكم» يعنى قوتكم وفى تفسير آخر دولتكم «وأصبروا» يعنى عند لقاء العدو ولا تنهزموا عنهم «إن الله مع الصابرين» بالنصر والمعونة. أى أن هذا التفسير ينصب خصوصا فيما يتعلق بالجهاد والجندية.

إن المجتمع الإسلامى لا يمكن أن يعيش فى شئونه وكيانه بدون قائد أو حاكم، لذلك فإن إدارة شئون البلاد، وانتظام تأدية الواجب لا يمكن تصورها بغير قائد يقودها ويرشدها ويهديها ولا سيما الجيش، فإنه لا يمكن قيامه بشئونه وواجبه إلا تحت قيادة قائدة، وهذا أمر طبيعى.

فالإسلام إذن أوجب إطاعة أولى أمر المسلمين وفيهم قائد الجيش الأعلى ومن بعده من القواد والضباط، والواقع أن إطاعة القائد فى نظام الجندية وأصول سوق الجيش والإمدادات الحربية، أكبر عامل أساسى للتغلب على العدو والتقدم والفتح، كما

أن الخروج من الإطاعة (حتى الإختلال فيها) مما يؤدى إلى غلبة العدو وغيرها من النتائج السيئة.

هذا ويجب أن تشمل الإطاعة جميع الشئون الكلية منها والجزئية فكم من شأن جزئى يؤول إلى أضرار كثيرة نتيجة لفوات الإطاعة فيه وعدم إتباع أمر القائد. فإطاعة القائد الأعلى فى كل شئون الجهاد ولو كان أى شأن منها على خلاف ما يرونه من رأى، وإلا فإنه يؤدى بهم إلى الإنكسار.

ومما يثبت ذلك ما وقع فى غزوة أحد، إذ أن القائد الأعظم الرسول ﷺ أوقف على الجبل رماة الجيش كقوة لحماية ظهر المجاهدين، وأمرهم بألا يبرحوا المكان إلا بأمره ومهما حدث، ولكنهم خالفوا (سهوا منهم) أمر الرسول ﷺ وهو القائد الأعلى ذلك أنهم شاهدوا الاعداء يولون الأدبار بعد إنكسارهم وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم، فتركوا أماكنهم فوق الجبل وانطلقوا إلى الميدان يجمعون الغنائم، فلما رأى العدو خلو الجبل من الرماة وانشغال المسلمين فى جمع الغنائم أنقضوا عليهم فوقع ماوقع الذى سجلة التاريخ الإسلامى بكل أسف .. وكان ذلك بسبب مخالفة الرماة أمر قائدهم الأعلى وأنطلاقهم نحو متاع الدنيا. .. وفى ذلك درس عظيم لجنود المسلمين فى إطاعة قائدهم وعدم مخالفة أمره أى أمر كان.

(٤) التعاون ووحدة الصف والهدف

التعاون أساس العمل المتكامل وعلى قدر تعاون الأفراد يكون رقى الأمم ونهضتها وتكون أيضا قوة جيشها، ولقد حث القرآن الكريم على التعاون: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة (٢)

وحذر الإسلام أيضا من التنازع لأنه يبعد من بين النفوس، ويذهب بروح التناصر يكون أبعد أثرا وأشد تنكيلا بالأمة وبالجيش مما يفعله العدو:

قال تعالى: ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (الأنفال ٤٦)

وحرص الإسلام الحرص كله على أن يحرر الأمه من أغلال العبودية والضعف ومن ضلال التمزق والتفرق، فقال الرسول ﷺ **(المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم)** رواه إبن ماجه.

وفى هذا النص النبوى الكريم تصوير للمساواه الفاضله بين أبناء الأمة الواحدة وإشعار لهم بأنهم متكاملون متكافئون، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **إنما المؤمنون أخوة** ﴾ ويقول الرسول ﷺ **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»** البخارى .. وفيه أيضا تصوير لتضامن هذه الأمة، فكل فرد فيها صالح بإيمانه وإخلاصه لأداء الواجب وحفظ الأمانة ومقياس التقدير والتفضيل هو التقوى والعمل الصالح لقول الله تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (الحجرات ١٣).

وفى الحديث أيضا تصوير لتكتل الأمة المؤمنه ضد أعدائها ووجوب تجميعها لصيانة مقدساتها وحرماتها وحماية ديارها ، فهى تأتلف بكل وحداتها وطاقتها لدرء أى خطر يهددها أو يهدد جانبا منها، لأنها فى وحدتها كالبنيان الواحد إذا أصيب منه ركن إختلت بقية الأركان، ومن هنا قال الرسول ﷺ ويصور الأمة فى تضامنها وتعاونها، **«مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»** مسلم . ثم تتمثل الوحدة والتضامن والتعاون والتماسك فى أرفع صورها فى قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ (الصف ٤).

(٥) التدريب على الرماية وأساليب القتال

وحث الإسلام على التدريب على أستخدام أسلحة الرمى وأساليب القتال، واتقانه والمداومة عليه، وهذا بعض ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ الانفال (٦٠)

ومن ذلك قوله ﷺ **(إلا أن القوة الرمى)** كررها ثلاثا (مسلم) وقال ﷺ **(كل ما يلهو به المرء المسلم باطل إلا رميه بقسوة وتأديب فرسه وملاعبة أهله)** (الخمسة) وحذر الرسول ﷺ من الإنقطاع عن التدريب وعده من المعاصى إذ قال ﷺ **(من ترك الرمى بعد ما علمه فإنما هى نعمة جحدها)** أبو داود.

الحذر والإستعداد

وعنى الإسلام أشد العناية باتخاذ الحيطة والحذر والتأهب والإستعداد لحرمان العدو من المفاجأة فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ** ﴾ (النساء ٧١) وورد فى القرآن الكريم بأخذ الحذر أثناء الصلاة فى الحرب.

﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً** ﴾ (النساء ١٠٢).

- توضح الآية الحذر والتأهب حتى فى الصلاة، وتجسد الآية عواقب الغفلة وترك الحذر ويقرر الرسول ﷺ المعيار الصحيح لدرجة الإستعداد لدى المجاهدين فى أنها: القدرة على العمل الفورى فى مواجهة المواقف المفاجئة فيقول ﷺ **(خير**

الناس رجل ممسك بعنان فرسة فى سبيل الله كلما سمع هيعه (أى صيحة خطر) طار إليها) مسلم وهذا الحديث دليل على الإستعداد الكامل والمستمر للإنطلاق بمجرد الإنذار، كما تدل كلمة (طار) تعبير عن أسرع شكل للإنطلاق، كلمة (خير الناس) تنطوى على تكريم المجاهد الذى يقف على أعلى حالات اليقظة وهو تكريم يستحقه لقاء العناء والجهد الذى يبذله ليكون متأهبا مستعدا وكذا الفضل يرجع إليه فى إنذاره لأمته وتنبيهها إلى الخطر حتى لا تأخذ على غرة، كما تنطوى على معنى تربوى عظيم هو تحريض المجاهدين جميعا على أن يكونوا فى أعلى درجات الاستعداد للعمل الفورى لدفع الخطر عن أمتهم حتى يحظوا بوصف «خير الناس».

(٦) وعى الأمن القومى

من الضروريات الحيوية لأمن الأمة وسلامتها، الحفاظ على الأسرار وكتمان ما يستفيد منه العدو، من أجل ذلك فإن الإسلام يعد الأسرار أمانة من الأمانات التى على المسلمين أن يحافظوا عليها فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ (الانفال ٢٧)

وقال الرسول ﷺ **(إذا حدث الرجل الحديث ثم ألتفت فهو أمانة)** عن جابر رواه أبو داود والترمذى وقال أيضا **(إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره)** رواه ابن المبارك والحاكم، وقال ﷺ: **(ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)** أحمد.

وحذر ﷺ من المغامرة بالحديث أو التعجل بالقول وحث على ضرورة الحذر والتدبر فى الكلام، فقد قال **(إن أحدكم ليتكلم الكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغته فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وأن أحدكم ليتكلم الكلمة عن سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها سخط إلى يوم القيامة)** الترمذى صحيح. وقال ﷺ **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)**

متفق عليه وقال **(من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)** الترمذي. كما نهى ﷺ عن إطلاق الكلام في قوله **(كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)** وحث ﷺ على سرية الأعمال والخطط في قوله **(أستعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان)** الطبراني والبيهقي.

قال أنس بن مالك (عما يغرسه المسلمون من وعى الأمن وكتمان الأسرار في أبنائهم منذ الصغر) فقال (أتى على رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت ما حسبك (أي أخرك) فقلت بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت ما حاجته؟ قلت: أنها سر قالت لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا) (مسلم).

وقال العباس بن عبد المطلب لإبنه عبد الله (إني أرى هذا الرجل (يعني عمر بن الخطاب) يقدمك على الأشياخ (يعني كبار الصحابه) فأحفظ عني خمسا: لا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا يجرين عليك كذبا، ولا تعصين له أمرا، ولا يطلعن منك على خيانة) الإحياء.

(٧) التحريم والإذن بالقتال

كان القتال محرما على المسلمين قبل الهجرة طيلة ثلاث عشره سنة هي عمر الدعوه في مكة .. وعبارة الأسنوي في ذلك « لما بعث ﷺ أمر بالتبليغ والانذار بلا قتال، فقال له ربه. **(وأعرض عنهم)، (وأصبر)**. ونحو ذلك، ثم أذن له بعد الهجرة في القتال إذا بدئ بالقتال بقوله تعالى: ﴿**فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**﴾ البقرة (١٩١). ثم أمر بالقتال ولو لم يبدءوا بالقتال في غير الأشهر الحرم بقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (التوبه ٥).

ثم أمر بالقتال مطلقا سواء فى الأشهر الحرم أو فى غيرها وسواء قوتلوا أو لم يقاتلوا .. ما دام المعارضون يقفون حجر عثرة فى سبيل الدعوة والدعاة، وذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ التوبة(٣٦).

فالهدف من شريعة القتال ليس لذات القتال، وإنما لإسماع من لم يسمع كلمة التوحيد وإبلاغه بالدين الحق وبدعوة الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ التوبة(٦) ثم استقر أمر الكفار بعد نزول صورة التوبة على ثلاثة أقسام:

١- **المحاربون** له ﷺ وهم من ليس بينهم وبين المسلمين عهد ولاعقد وهؤلاء يحاربون فى كل عام من على الكفاية.

٢- **المعاهدون** بلا جزية، المصلحون من الكافرين على ترك الحرب وعدم مظاهرة الأعداء، وهؤلاء يؤمنون على أموالهم ودمائهم.

٣- **أهل الذمة** وهم أصحاب عقد الجزية وهم كالقسم الثانى .. وأما المنافقون الذين دخلوا الإسلام تقية من القتل فقد قبل منهم الإسلام علانيتهم، وترك أمر سرائرهم إلى الله تعالى، فالمقاتل المسلم لا يقدم على القتال إلا وهو كاره له ابتداء دفعه وتفاديه بوسيلة أو بأخرى عملا بقوله ﷺ : **(لاتتمنوا لقاء الأعداء وأسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا فإن الجنة تحت ظلال السيوف)** (البخارى).

ولذلك جاء الأمر فى القرآن الكريم للمقاتلين من المسلمين بأن يتلمسوا أو هن الأسباب لحقن الدماء، وأن يكتفوا بما يظهر من علامة مؤثرة على السلم والسلام ولو فى مواقف الحرج فقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء ٩٤).

وسبب نزولها كما رواه البخارى عن ابن عباس (ض) قال (لحق المسلمون رجلا فى غنيمة له فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته، فنزلت الآية الكريمة ومعناها: إذا سافرتم وذهبتم إلى الغزو، فاطلبوا بيان الأمر وثباته، ولا تعجلوا فيه .. لمن حياكم بتحيه الإسلام فتتهموه بالتقية والتعوذ من القتل لكى تستولوا على ما معه من المال الذى هو حطام الدنيا الزائل. فعند الله مغانم أكثر وستغنيكم عن قتل أمثاله، وأذكروا أنكم كنتم مثله من قبل، فلما نطقتم بكلمة الشهاده أحرزتم دمائكم وأموالكم من غير أن تعلم مطابقة قلوبكم لألسنتكم .. فافعلوا بالداخلين فى الإسلام ظاهرا، ما فعل بكم سابقا .. ولا تبادروا قتلهم ظنا بأنهم يتقون السيف أو يخافونكم .. فإن إبقاء ألف كافر بالأرض أهون عند الله تعالى من قتل أمرئ مسلم بغير حقٍ (البيضاوى) وروى أنها نزلت كذلك فى مرداس حين قتله أسامه بعد أن قال له: (لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم) وأنكر عليه النبى ﷺ ما فعل وقال له : (فكيف بلا إله إلا الله) وروى كذلك فى أسباب النزول : أن الحارث بن يزيد كان شديدا على النبى ﷺ فجاء مهاجرا وهو يريد الإسلام فلقية عباس بن أبى ربيعه .. وهو لا يعلم أمره فعاجله بالقتل فأنزل الله تعالى فى كتابة الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا﴾ (النساء ٩٢).

(٨) الثبات فى الميدان

حث الإسلام المسلمين على الثبات فى الميدان والإخلا ص فى الحرب فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال (٤٥) ونهى الإسلام عن الفرار من الصفوف وعده من الكبائر قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الأنفال (١٥ - ١٦)

وحرص المسلمون على تربية أولادهم على الثبات والشجاعة، ومن ذلك أن على بن أبى طالب (ض) أعطى الراية لإبنه محمد وقال له: (تزول الجبال ولاتزول ، وأعلم أن النصر من عند الله سبحانه)

(٩) دستور المقاتلين «أخلاقيا وانسانيا»

وضع الإسلام للمقاتلين دستورا أخلاقيا وإنسانيا ينم عما يتحلى به هذا الدين القويم من قيم وفضائل وما تتميز به أحكامه من رحمة ورفق وبر ووفاء ومن ذلك: تقديم المصالحة بإعتناق الإسلام ثم الجزيةمع تأمين المخالفين ثم القتال .. وفى كتابى الولاه والقضاة للكندى: أن عمرو بن العاص (ض) حاصر حصن بابليون حين أراد فتح مصر وكان حصنا منيعا فحاصره سبعة أشهر حتى نفذ صبر أهل الحصن فأرسلوا يطلبون المفاوضة فقال عمرو للرسل «لا مفاوضة وإنما واحدة من ثلاث : إما الإسلام، وإما الجزية، وإما القتال » فرجع الرسل بتلك الشروط إلى عظيم مصر، وزادوا عليها:

«وأينا قوما الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعه، ليس لأحد منهم فى الدنيا رغبة ولا نهمه، جلوسهم على التراب، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف كبيرهم من صغيرهم، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون فى صلاتهم».

ومن ذلك نهى، الرسول ﷺ عن قتل النساء والولدان الذين لافائدة من قتلهم، وكان إذا بعث سرية أوصاهم بتقوى الله، وقال لهم سيروا بإسم الله، وفى سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا .. وكان ينهى عن السفر إلى المعركة بالقرآن حتى لايظفر به الأعداء فيسيئوا إليه .. وقد جاء الأمر بمراعاة العدل وضبط النفس حين الإنتقام من الأعداء فقد روى أنه ﷺ رأى حمزة عمه يوم

مقتولا وقد مثل به الأعداء تمثيلا شنيعا فقال: «والله لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ النحل (١٢٦)

ومن أخلاقيات المقاتل فى الإسلام ألا ينسى ربه فى هذه الأوقات الحرجة، التى يخرج فيها المقاتل عن طوره .. وذلك بالمحافظة على الصلاة التى تقوى صلته بخالقه إلى قلبه باب الطمأنينة والثقة والإيمان، ولذلك شرعت للصلاة نماذج خاصة بالمقاتلين، سميت فى كتب الفقة: صلاة الخوف ولقد صلاها الرسول ﷺ وأصحابه أول ما صلوها فى عسفان فى السنة السادسة من الهجرة، ثم فى ذات الرقاع ثم فى الطائف وقد ذكر أبن حجر فى فتح البارى لصلاة الخوف كيفيات كثيرة وأكتفى منها بخمس، وأوصلها ابن العربى إلى ست عشر ة صورة، وزيد فى شرح الترمذى فصارت سبع عشرة .. ويمكن أن تتداخل .. لأن المقصد الأساسى منها التحوط حين لقاء الأعداء، وأخذ الحذر عملا بقول الله تعالى: (خذوا حذركم) وأقواها ما رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى عن ابن عمر (ض) قال: «غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فوازينا عدونا، فصففناهم فقام رسول الله ﷺ (وكانت صلاة العصر) فصلى بنا وقامت طائفة معه، وأقبلت طائفة أخرى على العدو وركع بمن معه ركعه وسجد سجدتين، ثم إنصرفوا مكان الطائفة التى لم تصل، فجاءوا فركع بهم ركعه وسجد سجدتين ثم سلم، فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعه وسجد سجدتين.

ومن أخلاقيات المقاتل التى تزيده عند ربه قبولا، أن يتحلى بالطاعة التامه للقائد وضبط النفس ومقاومة الطمع الدنيوى للمواقف والمناصب ، وفى الحديث **(طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه إن كان فى المقدمة وإن كان فى الساقة كان من الساقة)** ومن وصايا أبى بكر ليزيد بن ابى سفيان وكان قائدا لجيش من جيوش الشام: (وإنى

موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيا ، ولا كبيرا هرما ، ولا تقطعن شجرا مثمرا ، ولا تخربن عامرا ،ولا تعقرن شاة، ولابعير إلا لمأكله، ولا تحرقن نخلا، ولاتغرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن) رواه مالك فى الموطأ.

(١٠) الجهاد

الجهاد قمة العبادات فقال عنه رسول الله ﷺ **(مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر عن الصلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله)** وفى حديث آخر **(من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله)**.. وتأكيدا لهذه النيه الصادقة أدب الرسول أصحابة على استمرار العزم فى القلب مصاحبا للإستعداد الدائم فقال: **(من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشة)**.

وحذرنا الرسول من التكاسل عن الجهاد فقال: **(من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبه من النفاق)**.. فأين هؤلاء من الذين ينادون بالتطبيع والإستسلام للعدو الذى أغتصب الأرض والعرض والمال والدم؟ فهؤلاء على موقفهم الحالى مشكوك فى إسلامهم لأنهم يهاجمون الإسلام ورموزه، وفى نفس الوقت فهم يساندون العدو الصهيونى ويدعون لتحقيق أهدافة .. فهؤلاء هم منافقوا العصر الحديث.

وواجب على حكام المسلمين اعداد جيوشهم للجهاد لإسترداد الحقوق المسلوبة ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة .. فالتحام القائد بجنوده وقربه منهم أمر حتمى لإكتساب النصر .. وقد عدل الرسول صفوف أصحابه يوم بدر بنفسه وخرج إلى الناس وحرضهم قائلا : **(قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)** .. فقال رجل من الأنصار: «عرضها السموات والأرض؟ قال نعم . فقال الرجل بخ . . بخ فقال له الرسول القائد **(ما يحملك على قولك بخ .. بخ)** قال الرجل: « رجاء أن أكون من أهلها » فقال

الرسول (**فأنت من أهلها**)، فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه وأخرج تمرات فجعل يأكل منهم ثم ألقى بقيتهم من يده وقال: «لئن أنا حييت حتى أكلهن إنها لحياة طويلة .. !! وفى رواية «إنى حريص على الدنيا إن جلست حتى أفرغ منهن. فرمى ما فى يده وحمل السيف فقاتل حتى قتل.

ولم ينتصر المسلمون في حياتهم أبدا بالعدد فقط وإنما قبل العدد الإيمان الصادق بأن الله ناصر من ينصره حتى وإن كانوا الأقل عددا مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (٦٥) الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الأنفال (٦٥/٦٦)

(١١) الدولة المتقدمة بالأسلحة المدمرة

نسمع كلمة (الدول المتقدمة) تتردد على ألسنة كثير من المتحدثين من مسئولين وغيرهم فى البلاد الإسلامية وخصوصا الإعلاميين فى الإذاعات والصحف، وقد أعطت هذه الكلمة مفهوما خاطئا لدى أكثر الدول الإسلامية وحتى أفراد الناس المختلفة مما جعل هؤلاء يشعرون بالضعف والذبذبة ودخل عليهم الشك فى هذا الباب فى أساس عقيدتهم.

فإذا كنا ننسب هذه الصفة إلى تلك الدول فهذه هى عين الهزيمة وهى مصدر فخر وإعتزاز لمن نسبت إليه فيشعر أنه متبوع وغيره متبع والمتبوع أفضل من التابع عادة ولا شك أن هزيمة المسلمين تقع على أيدى أبنائة وهم لايشعرون.

إذا كان الصاروخ والطائرة والقنبله الذرية وتلك النووية وسائر الأسلحة الأخرى المدمرة فى نظر هؤلاء أقوى من كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله » أو مساوية لها نعوذ بالله من ذلك فإنهم ما قدروا الله حق قدره ولم يعرفوه حق المعرفة لأن التسوية بين القوى القادر والضعيف المريض عمى وضلال. ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج (٤٦)

فعلى المسلمين أن يكفوا ألسنتهم عن تشجيع الأعداء والتصفيق لهم فإن ذلك مصدر قوة لهم وضعف للمسلمين ودعوة للإنحلال عن الدين والتخلى عنه ورجحان لكفة ميزان الكفار والملاحدة.

المسلم الحقيقى الذى يؤمن بالله ربا قادرا ومهيمنا وبالإسلام دينا قائدا وبمحمد نبيا هاديا لايمكن بحال أن يخشى أى قوة على وجه الأرض مهما بلغت من القوة والعدة لهذا فهو يعتبر القوة لله وحده ومن إتبع هدى الله فهو كفيل بنصره على عدوه، على المسلم فقط أن يجهز نفسه بما يملك ويقدر عليه قوة مادية وأن لا يتمنى لقاء العدو ويسأل الله العافية فإذا بغى باغ وإعتدى عليه معتد فليكن شجاعا قويا حازما فإن كان أميرا على سريه أو قائدا إذا رأى عدوه رأى العين صف جنده وخطبهم ووجههم وقوى عزائمهم وأستشارهم ثم أستقبل القبله على مرأى منهم ثم دعا الله وأستنصره وأستغاثة ثم يقول سيروا على بركة الله سلاحكم الله أكبر لا قوة إلا بالله ودروعكم حم لا ينصرون :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران (٢٠٠)

(١٢) تصعيد الروح المعنوية قوة ونصر (٦ اكتوبر ١٩٧٣)

فى ذلك اليوم تجلجلت الإذاعات معلنه أن المصريين أقاموا معابر على القناة، وأنهم أخذوا يتدفقون حول خط «بارليف» وأن التكبير يقصف كدوى الرعد من شمال

إلى جنوب، وأن الرمال الساكنة تحولت إلى خلايا محمومه لاتسمع منها إلا بؤار الجنود باسم الله.

وأخذت مطارق المؤمنين تنهال ببأس شديد على سلسلة الحصون التى شيدها النبوغ العسكرى، وبرز فيها آخر الإبداع الأمريكى ! فإذا المدافع التى تتحرك من تحت الأرض قاذفة الحمم تتلبد، وإذا البروج المشيدة تندك.

والمفزع هذا التكبير الذى لاتنقطع أصداؤه بين حصن وحصن إن طنينه يصم الآذان. إن المسلمين المقاتلين تحولوا جنا لا يقفهم شئ! ولقد تلاشى الخط المنيع المبنى من أحدث الإستحكامات، أمام هذا السيل الذى يضرب بإسم الله ويسحق ما يعترضه..!

إن جتودنا قاتلوا فى ذلك اليوم فقط بطبيعتهم الإسلامية.

لقد أصابت القيادة غيبوبة بعد هزيمة ١٩٦٧ أضعفت قبضتها على كل شئ ، وإنتهز الضباط المؤمنون الفرصة وأعادوا الوعى الإسلامى إلى أفئدة الرجال، فعادت الصلوات وإرتفع الأذان واستيقظ حب الله وطلب الآخرة والغضب للعار القديم، فإذا هذا الفيضان من الرجال ، وهذا الهدير من طلاب الآخرة، وهذا العشق للإستشهاد فى سبيل الله.

(١٣) نور الأمل

إذا كان هناك بعض من يعميهم الإحباط عن رؤية سنة الله فى خلقة المتمثلة فى الإبتلاء ومواجهة المحنه والإرتكاز على قاعدة . ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (الحج ٧٨). فإن هناك قوما آخرين يملكون بالفعل نور البصيره وثبات اليقين وعزيمة المجاهدين، ويضربون المثل فى الصبر والمثابرة، ويزرعون فى أيامنا بذور الأمل الإسلامى الظافر.

إننا لو أرجعنا البصر عبر الشرق سوف نجد نماذج فذه للبطولة الإسلامية النادرة، كانت تؤدى دورها على أرض الأفغان، وتواجه الإلحاد والقهر والسحق، بكل ما عرفته الإنسانية فى عصرها من عظمة الأبطال وصلابة المجاهدين، ورغم إستشهاد قرابة المليون أفغانى، وضراوة الصراع غير المتكافئ مع دولة الإلحاد الشيوعى فإن الأمل الإسلامى تفجر والحمد لله بالنصر عندما تفجر مع هتافات المجاهدين بإسم «الله أكبر» وصيحة التوحيد التى ترددت عبر الجبال والوديان كما ترددت فى العاشر من رمضان بسيناء.

إن المسلم يملك إمكانات هائلة، وطاقات بغير حدود، وحين يعقد العزم على العمل والحركة تلين له الصخور الصلدة ويذوب أمامه الحديد بإذن الله.. والذين يتصورون فى عصرنا أن المسلم قد أصبح محكوما بالهزيمة والهوان واهمون ومخطئون ويائسون، فهناك موعدة وعدها الله عباده المسلمين، وهى النصر والجنة إذا نصروه. ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد (٧)

وعلينا كمسلمين أن نؤدى فعل الشرط، ولن يتخلف وعد الله فى تحقيق الجواب. ومهما يكن من شئ فإن المحنه التى تمر بها الأمة الإسلامية - على أرض العرب خاصة - ينبغى أن تدفعنا إلى الأمل، وأن تكون إرهاصا بالغد الجميل الذى نكون فيه حقا وصدقا خلفاء الله فى أرضه بالإيمان والعلم والعمل جميعاً. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑤ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ الروم (٤ - ٦)

(١٤) نماذج إسلامية مشرفة
قصة إستشهاد قائد
بطولة الشهيد اللواء مهندس أحمد حمدى عبد الحميد
نائب مدير سلاح المهندسين وقائد لواء الكبارى
يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ ؟

* كانت تعليمات قيادة الجيش بأن يتم تركيب كبارى عبور القناه فى أول الليل ليتيسر عبور ونقل القوات والمعدات فى جنح الظلام، ثم يكون حلها قبل الشروق فى الصباح، وهكذا يوميا حتى لا تكشفها طائرات العدو.

* فى صباح يوم ١٤ أكتوبر عاد اللواء أحمد حمدى إلى موقعة بعد المرور اليومى طول الليل، على جميع الكبارى المقامة، والإطمئنان على إستعمالها فى نقل القوات ثم الإطمئنان على إعادة حلها فى الصباح الباكر.

* وفى الساعة التاسعة صباحا فوجئ بتعليمات من القيادة بإعادة التركيب الفورى لكوبرى الكيلو ١٤١ - استثناءً نهارا - للحاجة الملحة والأهمية لسرعة نقل معدات صواريخ الدفاع الجوى للقيام بالهجوم فى العمق.

* وفى أثناء التركيب إكتشفته طائرات العدو وأخذت تنهال عليهم القذائف وبسرعة أمر القائد الجنود وضباطه بايقاف استكمال الكوبرى والعودة مسرعا إلى البر، وبعد أن إطمأن على سلامة عودة الجميع. لم ينتقل من موقعة على الكوبرى على الرغم من صياح الجنود والضباط لعودته. بل أخذ ساترا وهو فى موقعة آملا سرعة استكمال تركيب الكوبرى عندما يتوقف الضرب.

* وفعلا توقف الضرب بعد دقائق معدودات خرج بعدها من مكمنه ولوح بالإشارة لقواته للعودة للكوبرى حتى جاءت إرادة الله وهو فى موقفه هذا بإصابته بشاظية غادرة من العدو إستشهد بعدها البطل الشهيد أحمد حمدى فداء لمصر ولجميع جنوده الذين كانوا لا يزالون على بر القنال .. وبذلك تحقق الإستشهاد وهو ما تمناه فى خطابة لجنوده وضباطه قبل أيام قليلة من الفاجعة.

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران ١٣٩)

وإن أمة يتزاحم أبناؤها من أجل الشهادة لاتعرف الهزيمة

الشرطة

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الأنعام ٨٢)

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران ١٠٤)

الشرطة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٤).

(١) تعريف ونبذة عن الشرطة «جهاز الأمن الداخلي»:

الشرطة كلمة عربية صرفة إستخدمها العرب بعد ظهور الإسلام، والشرطة أصلاً نسبة إلى «الشرط» أي العلامات التي تميز زي رجال الشرطة أو تميز مواقعهم في صورة أعلام ورايات كانوا ينصبونها على مراكزهم ومجالسهم لكي يعرفها ويعرفهم بها الناس.

الأمن في ربوع الدولة هو المطمأن الذي يمارس المجتمع مختلف مناشطه في ظله الوريق في دأب ويسر واقبال .. لا يعوق التوفر عليه محنة عدوان أو رهبة تهديد، مما قد يجهد الفكر أو يبتز الجهد أو يغتصب المال أو يهدد السلامة، أو يثير الحقد والبغضاء .

ويتساهم تبعة الأمن العام في الدولة مرفقان أساسيان : الضبط والعدل، ويعملان متعاونين متكاملين لتحقيق هدف مشترك يخلص في تأمين المجتمع ودفع الإفتئات عنه، وإشاعة العدالة وحسن الفهم بين أفراده.

وإذا كان من أجلى مهام الدولة الإسلامية منذ قيامها إستتباب الأمن وإشاعة العدالة بثا للطمأنينة ووأدا للفتن، فقد عنيت بتشكيل هذين المرفقين بالقدر المتاح، وبالصورة التي تحقق الهدف فيهما.

مرفق الضبط : تنحصد وظيفة الضبط من بين أجهزة الأمن في تحقيق الإنضباط في المجتمع ومفادة تطبيق القانون، وبث الطمأنينة بين أفراده وتأمينهم على سلامتهم في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

وذلك بالقيام بأعباء الحراسة ومراقبة الإلتزام بالقوانين وتعقب الجانحين والعمل على غل أيديهم دون التطاول بالشر والأذى، وضبط من تسول لهم نوازع البغي الإخلال بأمن المواطنين وسلامتهم.

وقد أخذ مرفق الضبط في العصر الإسلامي الأول مظهرين متميزين هما الشرطة والعسس.

فأما الشرطة فانهم أعوان الوالي لشئون الضبط عامة، وأما العسس فهم الطوافون بالليل خاصة لمراقبة أهل الريبة وتعقبهم.

ولم يكن لهذين الجانبين صفة إدارية رسمية في عهد الرسول ﷺ وكان تضامن المسلمين وشعورهم بمسئولية الأمن المشتركة فيما بينهم كفيلين بأن يضطلعوا بهذه المسئولية وإعتبار كل مسلم من نفسه حفيظا على سلامة المجتمع وإستتباب الأمن في محيطه بوازع ديني وحافز إنساني، عملا بقوله تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة ٢) وقوله جل شأنه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ٧١) . وقول الرسول ﷺ **(من رأي منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)** «مسلم». وقوله ﷺ **(كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقطرنه [التيقطرنه: لتردنه]، ولتقصرنه أي لتحبسنه عليه] على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم)** «أبو داود والترمذي».

وقد ظل الحال على ذلك طوال عهد الرسول وخلافة أبي بكر إذ لم تكن له مندوحة لإستحداث أنظمة إدارية لم تكن معروفة في عهد النبي لإنشغاله بتوطيد دعائم الدولة وقتال المرتدين عن الإسلام.

فلما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كانت الدولة الإسلامية قد ترامت أطرافها وتضاعفت أعباؤها، كما عظم شأن المدينة عاصمة الخلافة وغصت بالوافدين إليها من قدامى المسلمين ومن حديثي العهد بالإسلام فنشط الخليفة لإستكمال ما تفتقر إليه الدولة من تنظيم إداري يستعين به على إحكام ضبطها وسياستها والإشراف عليها.

وكان مما أستحدث من الأجهزة الإدارية نظم العسس، فعين من ذوي الثقة والأمانة من يعس بالليل لحفظ الأمن والحيلولة دون الإخلال به، وكان يشرف معهم بنفسه على إستتبابه والضرب على أيدي الجانحين بكل قسوة وصرامة. وقد عني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بتنظيم مرفق الأمن فانشأ جهاز الشرطة للعمل على حراسة المواطنين وضمان أمنهم بصفة دائمة وعهد به إلى ذوي العصبة والنفوذ حتى يكون لهم من المهابة والإحترام ما يوفر لهم كمال الطاعة ومضاء الكلمة. وأطلق على رئيس ذلك الجهاز **صاحب الشرطة**.

(٢) أنظمة الشرطة :

صاحب الأحداث : جهاز للشرطة في خلافة بني أمية غلب عليه الطابع العسكري لحماية النظام والقدرة على القمع وإخماد الفتن ومطاردة الثائرين وكان جهاز الشرطة يومها أقرب لنظام «الأمن المركزي» المعروف حاليا في مصر وكان عددهم في مدينة «الكوفة» وحدها من مدن العراق أربعون ألف رجل شرطي. ؟!

توسع الإختصاصات لجهاز الشرطة : في العصر العباسي فيقول ابن خلدون وكان أيضا النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولة العباسية والأموية بالأندلس والعبيد بمصر والمغرب راجعاً إلى صاحب الشرطة.

هذا وقد سموا الشرطي «**الحاجب**» وهو الذي يهدف الحماية والحراسة وكان مسلما ومؤهلا لهذه المهمة خاصة لحماية رئيس الدولة مما يخشاه من إغتيال الخوارج وغيرهم وهو ما نسميه اليوم «الحرس الملكي أو الجمهوري، وحرس الوزراء والمنشآت الهامة، وظهر أيضاً وظيفة «**الحسبة**» الدينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له ومن مهام المحتسب على سبيل المثال :

منع الخلاعة والمجون العلني (شرطة الآداب اليوم) . التفتيش على الأسعار ووحدات العملة ومنع الغش في المكاييل والموازين (مباحث التموين اليوم). ومنع تحميل السفر لأكثر مما لازم أو السير في جو عاصف (الشرطة النهرية اليوم).

نظام المباحث : عرف في العصر العباسي وعصر بني أمية فقد كان للخليفة العباسي «المأمون» عدد من النسوة العجائز يمدونه كل مساء بأخبار اللصوص وقطاع الطرق والمعارضين السياسيين، وكان هناك جهاز مماثل للخليفة هشام بن عبد الرحمن بالأندلس.

المرشدون والمخبرون: وكانوا يختاروا كما في عصرنا من أصحاب السوابق لسابق إختلاطهم بالمجرمين وكان يطلق عليهم أسم «التوابين» نسبة إلى توبتهم وفي العصر العباسي تغير إسم صاحب الأحداث إلى صاحب الشرطة كما كان وأضيفت له بعض الإختصاصات «القضائية» و «الحربية» وشغل بعض القادة العسكريين منصب صاحب الشرطة ومن مهامه رئاسة الحرس الخاص بالخليفة ومقره وحرس المدينة وأبوابها وأسوارها (حرس الحدود اليوم).

أما كلمة «كراكون» الشهيرة والشائعة على لسان العامة في مصر وغيرهم من بلاد العرب أصلها «تركي» فقد كان الشرطي يطلق عليه أسم «قلق» وأصلها في التركية «قول لق» أو «قرا قول» ونطقها العامة «كراكون».

المراقبة، البطاقات الشخصية : هذه الأنظمة عرفتهم الشرطة لأول مرة في عهد الخلافة «الأموية». فنظام المراقبة هو ما نعنية اليوم بالوضع تحت مراقبة الشرطة، هذا وتم في عهد معاوية بن أبي سفيان وضع سجل خاص بالمشتبه فيهم من ذوي الميول والنشاط الإجرامي لمراقبتهم ومكافحة الجريمة قبل وقوعها.

أعمال السجل المدني : عرف في عهد الخلافة الأموية بنظام «البطاقة الشخصية» وكانت تسمى السجل يحملها المواطن في أسفاره وانتقالاته، وللشرطة الحق في القبض على من لا يحمل سجله الخاص -ووضع نظام خاص «استبدال فاقد» لمن يفقد أو يتلف سجله.

(٣) وظيفة الحسبة في الإسلام:

الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، فهي وظيفة دينية، لأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرض على القائم بأمور المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلا له، فيتعين فرضه عليه بحكم الولاية، وان كان غيره من فروض الكفاية.

كانت الحسبة منصبا دينيا، وكثيرا ما كانت تجمع إلى القضاء، ويقول أبن خلدون «ان الحسبة خادمة لمنصب القضاء، وكان القاضي في مصر والمغرب والأندلس يولى فيها باختياره من يقوم عليها. وقد تضاربت أقوال المؤرخين في منشأ الحسبة فبعضهم يرى أن الرسول ﷺ كان أول محتسب، إذ نهى عن الغش فقال «من غشنا ليس منا». ثم مارس الإحتساب من بعده عمر بن الخطاب والخلفاء لمراقبة التجار وأصحاب الحرف.

وظهرت الحسبة كمؤسسة إدارية لها نظامها في عهد الخليفة المنصور العباسي، حيث بدأ يعين المحتسب بقرار من الخليفة، وكانت تجمع أحيانا إلى الشرطة أو القضاء.

هذا وتشمل أعمال المحتسب النواحي الأخلاقية والدينية والعمرانية والأدبية:

● مراقبة التجارة وأصحاب المهن: فيراقب أصحاب الحرف، سواء كان طبيباً أم معلماً أو قصاباً ... وكان للمحتسب أساليب بارعة جداً في معرفة طرق الغش التي يلجأ إليها أصحاب المتاجر والصناعات، حتى أنه كان يراقب الأطباء، ويأخذ عليهم عهد أبقراط، ويحلفهم على ألا يعطوا دواء مضراً، ولا يذكروا للنساء دواء للإجهاض، ومنع الاحتكار في التجارة.

● مراقبة الأسعار والموازين مع إجبار الباعة على وضع تسعيرة لبعض المواد مثل اللحم والخبز.

● مراقبة الأخلاق العامة: كآداب الطرق ومضايقة المارة، ومنع شرب الخمر والشعوذة.

● مراقبة العبادات: كمراقبة المسلمين في صلواتهم، ومنعهم من الإفطار في رمضان والعناية بنظافة الجامع، والنهي عن المنكر.

● مراقبة الأبنية والدور: كهدم المباني التي يبرز بها أصحابها إلى الطرق العامة وهدم البيوت المتداعية، ومنع فتح النوافذ في الأبنية التي تشرف على الجيران، وكنس مياه الأمطار بسبب ما ينتج عنها من أوحال.

● كما يقوم بالرفق بالضعفاء، وإجبار أصحاب الحيوانات على عدم استعمالها فيما لا تطيق، والمحافظة على اللقطاء ومنع الصبيان من ضرب الأطفال.

وهي بهذا تشبه وظيفة رئيس البلدية، ورئيس الشرطة الأخلاقية (الآداب) ومدير الشئون الإجتماعية، ومدير التموين.

(٤) الشرطة في دولة إسلامية :

الشرطة هيئة تنفيذية تعمل على إنصاف المظلوم من الظالم وأخذ الحق من القوي للضعيف تحقيقاً للعدالة وإعادة الحقوق لأصحابها وقد أوضح الخليفة أبو بكر الصديق سياسته في قوله: (الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه).

وإذا كانت الشرطة في العصر الحديث تأخذ بالعلم لكشف غوامض الجريمة واكتشاف مرتكبيها الذين يحاولون إخفاءها بشتى الطرق فهذا أسلوب يتفوق على حيل المجرمين وألاعيبهم، لكن الشرطة في عصور الإسلام كانت تعمل جاهدة للوصول إلى الجناة عن طريق أعوان الشرطة، وعن طريق ذكاء رجالهم وفطنة المحتسب ورجاله فهؤلاء أعينهم يقظة ساهرة لمراقبة كل من يحاول أن يعبث بالشريعة بالإعتداء على حقوق الناس، بإشاعة الفساد في الأرض، ولهذا أعتبر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، أن صاحب الشرطة أحد قواعد الحكم التي لا ينتظم الملك بغيرها، وصارت لصاحبها مكانة سامية فصار ينظر في الحدود والدماء بإطلاق بعد أن أفردوها من نظر القاضي -كما يذكر ابن خلدون في مقدمته- أن صاحب الشرطة في الدولة الإسلامية يقيم أحكام الجرائم واستيفاء الحدود، وان هناك شرطة كبرى للخاصة والدهماء تضرب على أيديهم في الظلمات، وعلى أيدي أقاربهم ومن إليهم من ذوي الجاه والسلطان.

أما صاحب الشرطة الصغرى فيختص بالعامة، وقد نصب لصاحب الشرطة الكبرى كرسي بباب دار السلطان، وفي دولة الموحدين كان لصاحبها حظ من التنويه ولا يليها إلا رجال من أسرة الموحدين وكبرائهم، أما في دولة بني مرين فولايتها في بيوت من مواليهم وأهل اصطناعهم ليؤدي مهمة القضاء على الفساد، وتخريب مواطن الفسق وتفريق مجامعه مع إقامة الحدود الشرعية.

ولم يغفلوا عن المنكرات ومحاربتها ومقاومة المسكرات والتعدي على حقوق الغير والتطلع على النساء والتعرض لهن في أثناء سيرهن في الطريق أو ذهابهن إلى الأفراح والحمامات والأسواق ومنعهن من التبرج بإرتداء ملابس تبدي مفاتنهن.

كما حددت شرطة الآداب أطوال الثياب وسعتها وأشكالها بحيث لا تكون ملتصقة بالجسم فتثير الأحاسيس والغرائز، فالآداب العامة مطلوب حمايتها، والمحافظة على الفضيلة ومحاربة الرذيلة أمور إهتم بها الدين طبقاً لقوله عز وجل: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران ١١٠).

* * *

(٥) الشرطة في مصر الإسلامية :

اولاً : نبذة عامة تاريخية .

أولاً : كان صاحب الشرطة في مصر ينوب عن الأمير في الفسطاط إذا غاب عنها، ولهذا يعبرون عن هذه الوظيفة أحيانا بخلافة الفسطاط، وكان صاحب الشرطة هو الذي يصلى بالناس إذا غاب الأمير أو الوالي (تماما كما يحدث حاليا أن مدير الأمن يحل محل المحافظ في حالة غيابه) وصاحب الشرطة هو الذي يتولى أعطيات الجند وغير ذلك من الأعمال، وبعد أن فتح العرب مصر سنة ٢٠ هـ أصبح للشرطة ديوان في مدينة الفسطاط، فلما أسس صالح بن علي العباسي مدينة العسكر سنة ١٣٢ هـ أنشئت فيها دار أخرى للشرطة أطلق عليها دار الشرطة العليا، كما أطلق على دار الشرطة الأولى دار الشرطة السفلى (وسميت العليا لأن مكانها على جبل يشكر وطولون) أعلى الفسطاط، ولما فتح جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨هـ نقل الشرطة العليا من العسكر إلى القاهرة.

وكثيراً ما كانت الشرطة والحسبة تسندان لشخص واحد مما يدل على خطورة مركز صاحب الشرطة في الدولة الفاطمية، وكان ينوب عن صاحب الشرطة موظفون يعملون على حفظ النظام واستتباب الأمن في الأقاليم، ويساعد القاضي .

ومن المناصب الهامة التي ظهرت في عهد المماليك، وظيفة «الولاية» وهي تقابل الشرطة، ويقوم صاحبها بحفظ النظام والقبض على الجناة والمفسدين .. الخ. وكان يقوم بهذه الوظيفة ثلاثة أمراء، يتولى أحدهم المحافظة على الأمن في القاهرة وفض المشاكل التي تحدث بين سكانها، والثاني نفس العمل في الفسطاط، والثالث يراعي الآداب العامة في زيارة القبور والمواسم والأعياد، وحفظ النظام في الجنازات. وكان صاحب العسس في القاهرة يتولى الإشراف على المطافئ، فيجلس بعد صلاة العشاء أحيانا بمحطة المطافئ وأمامه مشعل ومعه السقاءون والنجارون وغيرهم من العمال لإطفاء الحريق الذي قد يحدث في الليل.

ومن ذلك نرى أن الشرطة كانت تابعة للقضاء في أول الأمر، تقوم على الأحكام القضائية ويتولى صاحبها إقامة الحدود، ولم تلبث أن انفردت عن القضاء، واستقل صاحبها بالنظر في الجرائم، وكانت الشرطة تؤهل صاحبها للحجابة أو الوزارة.

ثانياً: الأنظمة وإختصاصات كل منها في مصر الإسلامي :

(١) نظام جوازات السفر :

وإذا كانت الشرطة في العصر الحديث تهتم بالجوازات باعتبارها وثيقة إثبات شخصية وبطاقة رسمية يسجل بها إسم الشخص ومكان وتاريخ مولده وعمره ومهنته بالإضافة إلى تاريخ إصدار الجواز ومدة صلاحيته فان الشرطة في الإسلام كانت رائدة في هذا المجال وقد أصدر والي مصر عبد العزيز بن مروان نظاما للسجلات الشخصية التي تعرف الآن ببطاقة التعريف أو جواز السفر، وأنه لا يجوز لمن ليس لديه هذه الوثيقة أن يترك الناحية التي يقوم فيها إلى ناحية أخرى دون إذن ولي الأمر، وأن والي

مصر أصدر أمره سنة مائة هجرية بالقبض على من وجد مسافراً أو متنقلاً من مكان إلى مكان من غير سجل، ومن خرج بدونه فقد يتعرض لغرامة قدرها عشرة دنانير، كما كان لا يسمح لأي إنسان بركوب سفينة أو مغادرتها قبل الإطلاع على سجله الخاص، أليس هذا ما يفعله موظفوا الجوازات في المطارات بالتدقيق في أسماء وعدم السماح للممنوعين من السفر بسبب جريمة أو دين من مغادرة المطارات والحدود البرية أو البحرية دون موافقة الشرطة على السماح لهم بذلك.

وقد أصدر أحمد بن طولون -والي مصر- أمرا بأنه لا يجوز لأحد أن يخرج من مصر إلا بجواز، ولابد أن يدرج فيه كل من يرافقون المسافر حتى لو كانوا عبيده.

(٢) دور الشرطة في التحري عن المجرمين :

أثبت رجال الشرطة وأعوانهم مهارة ومقدرة في الوصول إلى المجرم والقبض على الجناة حيث كانوا يتفرقون في الدروب والأسواق ويراقبون الأماكن التي يختفي فيها المجرمون كدور اللهو والقمار للوصول إلى الخيط الذي يؤدي إلى الوصول إلى الجريمة.

وبعد إلقاء القبض على المشتبه فيهم يبدأ أعوان صاحب الشرطة في إجراء الأبحاث للتحقق من هؤلاء وذلك بالتحقيق معهم وتضييق الخناق عليهم لمعرفة أين كانوا وقت حصول الحادث، ولابد من أدلة دامغة وبراهين واضحة تثبت براءتهم إذا ما أريد إطلاق سراحهم وسرعان ما ينكشف أمر الجناة ويستدرجون إلى الاعتراف.

(٣) جلسات التحقيق في القضايا المالية والإستجوابات :

الجدير بالذكر أن نظام التحقيق مع الجناة كان يقام علنا على رؤوس الأشهاد، حيث يتصدر المجلس صاحب الشرطة، ويجلس أعوانه بجانبه وكذلك كاتب الجلسة الذي يدون كل الأسئلة والإجابات في محضر رسمي، كما كان يختار بعض الخبراء فمثلاً في جرائم المال يستدعي أحد رجال الخراج وأحد المسئولين عن الإقطاعات والأراضي كما حدث في قضية سليمان بن وهب حين أستجوب لمسائل مالية فانعقد

المجلس بحضور هؤلاء المختصين، وسئل سليمان عن الأموال التي جمعها وكيف جمعها؟ ومن أين له الأموال والإقطاعات التي اشتراها لنفسه؟

وكان السؤال واضحاً: لقد أخذت ضياع السلطان واقتطعتها لنفسك وأجرتها واستمر استغلالها لك حتى حصلت على الغنى دونهم.

ولا يقع الاستجواب فقط في مجلس صاحب الشرطة بل يقع عند تنفيذ الأحكام فالعدالة في دولة الإسلام تتطلب حكماً لا يصدر إلا بعد الاعتراف أو التأكد من ارتكاب الجريمة دون إكراه أو جلد بدون وجه حق.

(٤) كاتب الشرطة :

وضماناً لسير العدالة والأمانة في التحقيق كان يشترط فيمن يتولى وظيفة كاتب الشرطة أن يكون عارفاً بكتاب الله وأحكامه في الحدود والديات والجراح والجنايات، رقيقاً على المستورين وذوي الهيئات، حريصاً على ستر المسلمين من أهل المروءات فيعمل بالواجب أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، وأن يكون العفو أحب إليه من العقوبة ما لم تكن بينة على حد، أما إذا قامت البينة على وجوب الحد فينبغي التحرص على إقامته وألا تأخذه رأفة بصاحب الحد وتأخذه رقة على مرتكبه وذلك تنفيذاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة ١٧٩).

(٦) تأثر الغرب بنظام الشرطة عند المسلمين:

في دولة أمية بالأندلس بلغت الشرطة عند المسلمين أزهى وأرقى عصورها حتى تأثرت بنظامها «الإسبان» وبالتالي دول غرب أوروبا وكان لها الفضل الأول في العدل الطويل بطريق مباشر أو غير مباشر فيما وصل إليه نظام الشرطة العصرية.

وكان نظام الحراسة الليلية بواسطة «العسس» الذي كان بدأ في نظام الشرطة ووضع أساسه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد تطور في عهد بني أمية بالأندلس وأطلق

عليه إسم «خطة الطواف بالليل» وأطلق على المكلفين به إسم «الدرابين» نسبة إلى «درب» حيث قسمت الأحياء إلى دروب، وكل درب له باب يغلق على سكانه بعد غروب الشمس ويحرسه جندي من الدرابين في عهدته «سراج» معلق و«سلاح» يرهب به اللصوص ويطارد قطاع الطرق و«كلب» يستعين به على المجرمين. كما كانت وظيفة «الحسبة» قائمة بطبيعة الحال في عهدهم امتثالا لغرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعرفت لديهم بإسم «خطة الإحتساب» وكان «للمحتسب» موكب يمر في الأسواق يفتش فيها ومعه ميزان يتحقق به من سلامة الوزن وعدم الجشع أو الغش والتدليس من جانب الباعة.

وأما جهاز الشرطة الأصيل والعمود الفقري في عملية تحقيق الأمن والأمان والمسئول عن المهمة التي تقوم بها «المباحث الجنائية» في عصرنا والمسئول عن تنفيذ الأوامر الصادرة إليه من السلطة أو سلطة الرئاسة التنفيذية من ضبط وإحضار وتنفيذ للعقوبات من حبس وجلد وإعدام -وهو الجهاز الذي يغلب عليه وينطبق عليه بالأكثر إسم الشرطة!! فقد أطلق عليه فعلا بالأندلس «خطة الشرطة» . وقد تطورت لديهم وبلغت ذروة التقدم في التنظيم حسب إمكانيات وظروف العصر فاصبحت هناك شرطة كبرى وتختص بالخاصة والدهماء، وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على أيديهم في الظلمات وعلى أيدي أقاربهم، وكانت ولايتها للأكابر من رجال الدولة حتى كانت ترشيحا للوزارة والحجابة.

أما عن أثر نظام الشرطة عند المسلمين في أوروبا عن طريق الإسبان وتأثرهم بنظام الحكم الغربي في الأندلس، فقد أخذوا عن المسلمين نظام الحسبة، ونظام مراقبة المكاييل والموازيين في الأسواق والتفتيش على الأسعار، واستخدموا كلمات «صاحب الشرطة» والمحتسب في لغتهم بلفظها وأصلها العربي.

(٧) العلمانية والشرطة في بلاد المسلمين :

بعد ما دب الوهن والضعف في خلافة آل عثمان وفي العهد الأخير من تاريخها وفي الأيام الأخيرة من عمرها كان المستعمر الأوروبي قد تمكن من وضع يده على أكثر بلاد المسلمين وبالذات بلاد العرب.

فقامت فرنسا باحتلال الجزائر ١٨٣٠م، وتونس ١٨٨١م، والمغرب ١٩١١، وقامت إيطاليا باحتلال ليبيا ١٩١١م. وقامت بريطانيا باحتلال العراق ١٩١٤، وباحتلال مصر ١٨٨٢م، واحتلال جزيرة بريم المواجهة لباب المندب عام ١٧٩٩م، وعدن عام ١٨٣٤ وفي عام ١٩٢٠م وضعت فلسطين والأردن تحت الإنتداب البريطاني ووضعت سوريا ولبنان تحت الإنتداب الفرنسي.

وفي كل بلد من بلاد المسلمين حل فيه المستعمر الأوروبي فرض على أهل البلاد بطبيعة الحال نظمه وأساليبه في الحكم وتأثرت مرافق البلاد ومنها مرفق الشرطة بالنظام الغربي وبما هو معمول ومأخوذ به في بلاد الغرب العلماني، وحتى بعد رحيل المستعمر بقيت الفلسفة العلمانية هي الحاكمة حتى عهد قريب وبقي للمستعمر في بلادنا حكام ورجال على اتصال بالغرب العلماني وقلة بالشرق الملحد يأتمرون بأوامره ويعتمدون في بقائهم على عرش السلطة على رضاه ومساندته ومساعدته، وبقى للعلمانية ولسياسة الفصل بين الدين والسياسة في المنطقة ومن بين أبنائها مفكرون وإعلاميون ورجال سياسة يؤمنون بنظريتها إيمانا مطلقا ويستميتون في الدفاع عنها على حساب دينهم وعقيدتهم الأم.

أما تأثير العلمانية على الشرطة في بلاد المسلمين نقول !! ان الشرطة في بلاد المسلمين بوضعها الحالي أخذت من العلمانية شر وأسوأ ما فيها وتركت أحسن وأفضل ما فيها » أي عملت بالخبيث وتغاضت عن الطيب واستقبلت بوجهها وجه العلمانية القبيح وادارت ظهرها للوجه الحسن للعلمانية.

ففي معظم بلاد المسلمين اليوم أو قل الجميع باستثناء بلدين فقط أو ثلاثة توجد مصارف للربا، وموائد للقمار، وملاهي ليلية للرقص والشرب وحانات الخمارات وشواطئ للعري، وفي عدد لا يستهان به في بلاد المسلمين اليوم توجد بيوت للدعارة وأحزاب للإلحاد. هذا علاوة على أن جهاز الشرطة في بلاد المسلمين يلجأ إلى أسلوب الضرب والتعذيب مع المتهم خاصة السياسي وراجع هذا إلى أن أغلب هذه البلاد تحكمها نظم دكتاتورية لا تراعى فيها حقوق الإنسان. ومع أن الإسلام دين الرحمة والتراحم والمرحمة.

(٨) مهام الشرطة العصرية في الدولة الإسلامية:

في واحد من أهم بلاد المسلمين وهو (مصر) جاء في المادة ١٨٤ من الدستور الدائم الصادر في عام ١٩٧١م الآتي:

(الشرطة هيئة مدنية نظامية رئيسها الأعلى رئيس الجمهورية، وتؤدي الشرطة واجبها في خدمة الشعب وتكفل للمواطنين الطمأنينة والأمن وتسهر على حفظ النظام والأمن العام والآداب وتتولى تنفيذ ما تفرضه عليها القوانين واللوائح من واجبات وذلك كله على الوجه المبين بالقانون). إذاً فواجب الشرطة العصرية -التي هي هيئة مدنية من أهم هيئات السلطة التنفيذية بأن تكون مهمتها ومسئوليتها حفظ الأمن العام وتوفير الأمان للمواطنين حتى ينصرف الناس لأعمالهم وينتشروا في أسفارهم في ليلهم ونهارهم آمنين مطمئنين على أرواحهم وأموالهم وأولادهم.

وهي نفس الوظيفة التي كانت من أهم وظائف الخليفة، وهي وظيفة الشرطة طبعاً كان الخليفة يكلف بها «صاحب الشرطة» كما يكلف رئيس الدولة أو رئيس الوزراء اليوم «وزير الداخلية» (كما سبق أن ذكرنا).

ولكن يخطئ من يتصور اليوم أن مهمة الشرطة العصرية في بلاد المسلمين حصر في حفظ الأمن حتى ولو كانت تلك مهمتها على عهد الخلفاء الراشدين وغيرهم

من الخلفاء وذلك لسبب بسيط جداً وهو أنه في ظل زمان الخلافة كان هناك بجوار مهمة الشرطة ووظيفة صاحب الشرطة كانت هناك مهمة «الحسبة» ووظيفة «المحتسب».

وبعد الغاء الخلافة وتعطيل الشريعة وفي ظل الغزو العلماني لبلاد المسلمين اختفت وظيفة «الحسبة» وفي ظل ظروف العصر ومع الرغبة في تصحيح الأوضاع نحو الأفضل والأقرب لروح ومقاصد الشريعة لا يناسب وظيفة «الحسبة» ولا يصلح لعمل «المحتسب» اليوم غير رجل الشرطة، وبذلك يصبح من مهام الشرطة العصرية في بلاد المسلمين اليوم شرعاً مهمة المحتسب بجوار مهمة «حفظ الأمن».

ليس هذا فقط !وإنما على الشرطة العصرية اليوم في بلاد المسلمين مهمة أخرى لازمة شرعا لتصحيح أوضاع فرضتها ظروف التخلف والتبعية التي مرت بشعوب المسلمين .. وهذه المهمة هي «المطلوب من رجال الشرطة المسلمة في العصر الحديث اليوم «تبنى وجهة نظر الشريعة» في مجال تخصصه وتقديم الحل الإسلامي في مجال مكافحة الجريمة.

(٩) معاناة الشرطي المسلم في هذا العصر:

لا يوجد مسلم واحد مهما قل نصيبه من العلم والتحصيل يجهل من أمور دينه تكليف رب العزة لعباده الصالحين بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران ١٠٤).

وقال ﷺ **(من رأي منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)** «رواه مسلم».

فكيف يكون الحال إذا وجد رجل الشرطة المسلم نفسه في ظل نظام الدولة الحديثة بحكم الدستور وقوة القانون مطالبا وملزما بحراسة المنكر وحمايته والسهر على راحة أصحابه وتوفير الأمن والأمان للمترددين على أماكن اللهو والفسق والفجور؟!.

ونرى ما الذي يدور بخلده وبعقله وبوجدانه إذا كان من رجال الشرطة في بلد إسلامي كمصر مثلا ومن العاملين في عاصمتها القاهرة.. وكلف في شهر من الشهور بنوبة الحراسة الليلية في «ميدان الأزهر الشريف» وحي الحسين بن علي بحفظ الأمن ويوفر الأمان لمشايخ الإسلام وسائر المصلين من عباد الله الصالحين القائمين بالليل وفي الفجر والناس نيام يحميهم من لص يسرق اشياءهم وأحذيتهم وهم في صلاتهم ويتلقى منهم لحظة قدومهم وانصرافهم تحية الإسلام المعظمة بدعواتهم المباركة وتسعد وتطرب أذنه لسماع الأذان وتلاوة القرآن وترتيله في جوف الليل والناس نيام!.

ثم شاءت الظروف وكلف نفس رجل الشرطة في الشهر التالي بنوبة الحراسة الليلية في «شارع الهرم» ليجد نفسه مكلفا بتوفير نفس الأمن والأمان للسكارى وطالبي المتعة الحرام في جوف الليل والناس نيام وحراسة ملاهيهم وخماراتهم وسياراتهم من لص يسطوا على أشيائهم وأموالهم وزجاجات خمرهم، وهو مسئول عن تنظيم حركة المرور لعرباتهم لحظة قدومهم وأثناء إنصرافهم وهم يترنحون من النشوة الحرام والشراب واللذة الحرام ولا تسلم أذنه طوال نوبة حراسته من سماع ضحكات العواهر والراقصات والتقاط مفضوح الكلمات!!.

كيف تهضمها نفسه المؤمنة والموحدة ؟؟ وكيف تستسيغها فطرته السوية والسليمة؟! رجل الشرطة المسلم الحارس المؤتمن على بيوت الله وبيوت العباد.. كيف يطلب منه رسمياً في نفس الوقت بذل نفس القدر من الأمانة ونفس الجهد في حراسة لملاهي والخمارات؟؟

إنها حقاً «مشكلة»! يشعر بها جيداً ويعاني منها الأمرين رجل الشرطة المسلم صاحب الفطرة السوية والذي جبل على الغضب في الله ولله، وهي مشكلة معقدة ومركبة، ليس أسوأ ما فيها أن يجد رجل الشرطة المسلم نفسه بحكم وظيفته ملزما بحماية المنكر وحراسة منابعه وتوفير الأمن لزبانيته ولكن أسوأ من ذلك أن يجد نفسه في نفس الوقت مقيداً وعاجزاً عن الحركة والإعتراض وغير قادر على التغيير لسببين رئيسيين تفرضهما طبيعة تركيبة الدولة الحديثة :

الأول : كما هو معروف أن التشريع في ظل نظام الدولة العصرية ذات السلطات الثلاث من إختصاص السلطة التشريعية، أي أن الحلال والحرام والمباح والمحظور يقنن ويشرع بواسطة السلطة التشريعية المسئولة عن الوضع الراهن بعبله -بشرِّه وخيره- في بلاد المسلمين حالياً، أما جهاز الشرطة فجهاز تنفيذي يتبع السلطة التنفيذية ويسأل فقط عن مدى إمتثاله للتنفيذ طبقاً للشريعة القائمة أي طبقاً لحكم الدستور والقوانين التي شرعتها وأقرتها السلطة التشريعية.

الثاني : وهو الأهم أن الشرطة وإن كانت هيئة «مدنية» إلا أنها في نفس الوقت مدنية «نظامية» وفي حوزة أفرادها سلاح ويحكمها نظام قائم على الضبط والربط وضرورة طاعة صاحب الرتبة الأقل لصاحب الرتبة الأعلى والإلتزام بالأوامر وإلا اختل الجهاز من أساسه. وعلى ذلك يصبح مبدأ الإجتهاد الشخصي والتصرف أو القرار الفردي هنا غير وارد حتى لو كان المتصرف وصاحب القرار على الحق إن «المحتسب» قديما كان يغير المنكر بالقوة لأن الدولة كانت معه تؤيده وتحميه بل وتحاسبه لو قصر. أما في حالتنا الراهنة فنظام الدولة هو الذي يقنن ويبيح هذا المنكر ويمنحه الشرعية. والحل الأمثل والأكثر أمانا هو الذي يتم الوصول إليه عبر القنوات الشرعية المتاحة المعترف بها، فالحل الأسلم هنا هو الذي يتم عن طريق «السلطة التشريعية».

(١٠) الشرطة والمتهم:

. إن إحقاق الحق مقصد مهم من المقاصد الإسلامية، وهو ركن متين من أصول النظام الذي سنه الإسلام للمجتمع الإسلامي، وله مزيد ارتباط بأصل الحرية، لأن استعمال الحرية محوط بسياج الأخلاق ومما له علاقة باحقاق الحق ورعاية الحريات موضوع معاملة المتهم وتمكينه من ممارسة حقوقه، في الوقت الذي يجري فيه العمل على تبين وجه الحق الذي عليه الناس.

والتهمة في مجمل كلام الفقهاء المسلمين هي: إخبار بحق لله أو لآدمي على مطلوب موضوع معاملة المتهم وتمكينه من ممارسة حقوقه، في الوقت الذي يجري فيه العمل على تبين وجه الحق الذي عليه الناس.

والتهمة في مجمل كلام الفقهاء المسلمين هي: إخبار بحق لله أو لآدمي على مطلوب تعذرت إقامة البينة عليه في غالب الأحوال، وهي عند علماء القانون إسناد القاضي إلى المتهم فعلا يعاقب عليه القانون بعد إجراءات قضائية. وقد إتجهت الشرائع والقوانين منذ القديم إلى توقيف المتهم والتحفظ عليه إذا أيدت القرينة جدية موضوع إتهامه. وقد ذكر أن صاحبي النبي يوسف عليه السلام احتجزا بتهمة محاولة قتل الملك ودس السم له في الطعام.

١- **مشروعية التحفظ** : يستدل على مشروعية توقيف المتهم والتحفظ عليه بقوله تعالى : ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ﴾ (المائدة ١٠٦) ففي هذه الآية الكريمة إرشاد إلى حبس المتهم وتوقيفه للتهمة التي أحاطت به، وهو أصل من أصول الحكمة وحكم من أحكام الدين وذهب أكثر الفقهاء إلى مشروعيته توقيف المتهم والتحفظ عليه، واعتبروا ذلك من السياسة العادلة، إذا تأيدت التهمة بقرينة قوية، أو ظهرت إمارات الريبة على المتهم. على أنه لا يجب ولا يجيز للحاكم أن يأخذ الناس بالشائعات والتهم والظنون العادية عن القرائن أو بالدعاوي الكيدية..

وقد أخذت القوانين الإنجليزية والفرنسية والأمريكية بمبدأ توقيف المتهم وحبسه، ولكل رأي في طبيعة الأفعال المبررة لهذا ، هل هي جنائية أم جنحة أم متلبس بها، أو مهيأ لها، وقد اخذت بهذا المبدأ القوانين العربية ولها أحكام مفصلة في ذلك، والغاية من التوقيف تختلف باختلاف أحوال المتهم، وإن كان كل ذلك يرجع إلى قصد الإستيثاق منه، حتى يتبين أمره وينكشف حاله فيما إدعى عليه من حقوق أو نسب إليه من جرائم ومظالم وتهم، وهذا ما عبر عنه الفقهاء، فان الحاكم قد يكون مشغولاً عن تعجيل الفصل فيؤخر المتهم إلى أن يفرغ من شغله أو إلى أن يطلع النهار، أو تنقضي الأجازت الرسمية.

وبهذا يتضح أن التحفظ على المتهم إجراء وقائي إحتياطي لابد منه، منعا لهرب المظنون فيه وضياع الحقوق الفردية والجماعية، وهو أيضاً تضييق لدائرة الجريمة وإمساك بأسبابها ومحاولة معقولة للتوصل إلى الجاني الحقيقي حتى ينال جزاءه.

٢- **جهة التوقيف** : إن للوالي والقاضي أن يحبسا بتهمة، وهو قول مالك وأحمد وأصحابه، وليس لذلك حد لازم في الشرع، فقد يدخل في ولاة القضاة في بعض الأزمنة والأمكنة ما يدخل في ولاية غيرها في زمان ومكان آخر وبالعكس وهذا القول تؤيده الشواهد التاريخية الإسلامية، ويتفق مع حاجة المجتمع وتطوره وتقلبه. وقد أخذت بعض القوانين العربية بمبدأ تفويض الجهات القضائية التابعة لوزارة العدل في تقرير توقيف المتهم وحبس المشتبه فيه في حين ذهبت قوانين عربية أخرى إلى تفويض الجهات التنفيذية التابعة لوزارة الداخلية -كالمحقق المقيم في مخفر الشرطة- في تقرير حبس المتهم بجنحة، وتفويض الجهات القضائية التابعة لوزارة العدل -كالنائب العام- في تقرير حبس المتهم بجناية.

٣- ملاحقة المتهمين والمجرمين : إن الإمساك بالمتهمين لتضييق ساحة الجريمة من العوامل المساعدة على التوصل إلى المجرمين الحقيقيين، والحق إن رجال الشرطة الإسلامية عبر عصورهم القديمة، قد أثبتوا مهارة فائقة في الكشف عن الجريمة والقبض على الجناة، والأمثلة على ذلك مثبوتة في كتب التاريخ والقضاء والأدب والسياسة الشرعية.

وكان من المعتاد أن يقدم المتهم إلى مجلس صاحب الشرطة لمواصلة التحقيق معه، ويحضر هذا المجلس كاتب يدون محضر التحقيق، وحوله أعوان من الحرس مدججون بالسلاح في مجلس مهيب، وقد يستعين بأصحاب الخبرة إذا احتاجت القضية. وهكذا يتابعون السؤال والبحث والتحقيق والمواجهة بين المتهمين حين يضيقوا الخناق عليهم ويمسكوا بالجاني الحقيقي.

٤- معاملة المتهم عند توقيفه : تسلّم الشريعة الإسلامية بأن الأصل براءة المتهم حتى تثبت إدانته بصورة واضحة بينة، غير أنه قد يضطر إلى بعض التصرفات مع المتهم كنتيجة طبيعية للقرائن التي علقت به والشبهات التي حامت حوله: كعزل المتهم، وتقييده، وتحليفه، وضربه.

فعزل المتهم عن غيره لإستكمال سلامة التحقيق، وتقييده إذا خيف هربه أو تمرده، وتحليف المتهم إذا لم يكن معروفا بالفساد متجرئا على الشعائر الدينية والنظام الإجتماعي العام غير مبال بحدود الله، هذا ولا يجوز ضربه إذا كان مجهول الحال لا يعرف بصلاح أو فساد، إنما وقعت فيه الريبة لقرائن وشواهد ولئن سمحت الشريعة الإسلامية بضرب المتهم وتقييده، فإنها حددت ذلك بحدود، ومنعت تجاوزها إلى عدد أو وصف يخرج بالغاية عن المبادئ الإنسانية، فهي لا تجبر جعل الأغلال والسلاسل في أعناق المتهمين وإقتيادهم أمام الناس كما لا تجيز تعذيبهم بالكهرباء، وتعريضهم للبرد والحر المتلاحقين وإهدار كرامتهم الإنسانية.

٥- إقرار المتهم مكرها : من المقرر في الشريعة الإسلامية أنه لا عبرة بإقرار يلازمه إكراه. فقال ﷺ **(رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أستكرهوا عليه)** «ابن حبان» وعليه فينبغي عدم مؤاخذة المكره إلا إذا أقر بعد توقف أسباب الإكراه عنه فيعتبر غير مكره في إقراره الثاني ويؤخذ به. هذا ولئن منحت بعض القوانين الحديثة المتهم الموقوف حق الطعن في إقراره الذي يصاحبه إكراه بالضرب -وهو ما فرغت منه الشريعة منذ قرون-.

٦- مدة توقيف المتهم : تتفق النصوص الإسلامية على أنه لا يحل تأخير حبس المتهم عن الحد اللازم، بل يجب تعجيل الكشف عنه وإستبراء ساحته قدر الإمكان. وذكر الفقهاء أن المتهم أحد رجلين : مجهول الحال، أو معروف بالشر والفساد. وأكثر مدة التوقيف للمتهم المجهول الحال يوم واحد أو يومين أو ثلاثة على الأكثر وقيل هي باجتهاد الحاكم حتى ينكشف حال المتهم.

أما المتهم المعروف بالشر والفساد فغاية حبسه شهر واحد وقيل (جمهور الفقهاء) أن المدة بحسب ما تقتضيه ظهور حاله ولو طالت.

هذا وقد يترك للقاضي تقدير مدة التوقيف على أن يجعل لذلك سقفا أعلى لا ينبغي تجاوزه على حسب اختلاف الجرائم والأفراد.

مع ملاحظة أن جميع فقهاء الإسلام لا يجيزون التباطؤ في الكشف عن المتهم، وتأخير مدة حجزه لئلا تكون إقامته في الحبس ظلما له، لأن الحبس من العقوبات البليغة، وقد قرنه الله تعالي مع العذاب الأليم في قوله: ﴿**إلاَّ أن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أليم**﴾ (يوسف ٢٥) وعد النبي يوسف عليه السلام الإنطلاق منه إحسانا إليه : ﴿**وَقَدْ أحْسن بي إذْ أخْرجني من السِّجْن**﴾ (يوسف ١٠٠) .

(٧) تعويض الموقوف عند ظهور براءته : من المقرر في الشريعة الإسلامية أنه إذا نُفذ حدّ أو قصاص في شخص ثم رجع الشهود لظهور خطأ فعليهم الدية، وإن بدا لهم خطأ فرجعوا عن شهادة بمال بعد الحكم به وإستيفائه غرموه.. وكذلك الحكم فيما أخطأ فيه الحاكم وتلف، فهو المكلف بالضمان والتعويض.

يقول ﷺ **(لا ضرر ولا ضرار)** «ابن ماجة» فمن الواجب إزالة الضرر إذا وقع على شخص وثبت براءته، والحنابلة تقول: ان من غصب حرا وحبسه فعليه أجرته، والمالكية: أن من سجن غيره بقصد تفويت منفعة عليه يضمن ذلك ويعلم قصده هذا بقوله أو بالقرينة ومجمل المسألة : أنه إذا تسببت جهة في إحتجاز المتهم من غير قرينة مقبولة، أو أطالت حبسه من غير مبرر ولا موجب شرعي، ضمنت ما لحقه من أضرار مادية ومعنوية، وكانت تحت طائلة العقوبة الجزائية والتأديب الوظيفي، وبذلك يضمن حق الأمن الفردي الذي قررته الشريعة الإسلامية للناس جميعاً.

(١١) الشرطة والتعذيب :

منذ تحولت الخلافة الرشيدة إلى ملك عضوض بدأ استخدام التعذيب والبطش والضرب والقمع أسلوبا من أساليب الحكم وتعامل السلطة الحاكمة مع المحكومين من المواطنين.

ولكن الشرطة كانت هي الأخرى تتعامل مع المجرمين والمتهمين غير السياسيين بنفس أسلوب البطش والتعذيب.

وهناك فريق من العلماء والفقهاء قد أباح الضرب والتعذيب «سياسة» أي من باب «المصلحة المرسلة» على أساس تقديم مصلحة المجتمع علي مصلحة الفرد.. ومن باب «إختيار أخف الضررين» فضرب متهم واحد درءا للجريمة أخف من ترويع وتهديد أمن مجتمع بأسره!!.

وقال ابن خلدون في مقدمته عن وظيفة الشرطة «توسع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلاً فيجعل للتهمة في الحكم مجالا وبفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم..»، وقوله أيضاً «وللسياسة النظر في إستيفاء موجباتها بإقرار يُكْرِهُه عليه الحاكم إذا إختفت به القرائن لما توجبه المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الإستبداد وبإستيفاء الحدود بعدد إذا تنزه عنه القاضي يسمى «صاحب الشرطة» ثم يستدرك ويستثني ابن خلدون فيقول : «ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس إنما كان حكمهم على الدهماء وأهل الريب والضرب على أيدي الرعاع والفجرة».

أما الإمام مالك بن أنس قد أجاز ضرب المتهم بالسرقة للإقرار والإعتراف على أساس أن المصلحة العامة وحماية المال العام مقدمة على مصلحة المضروب فإذا ثبت أن المتهم بريئ؟!... والرأي المختار عند الأحناف وعند الغزالي من الشافعية من رأي الليث بن سعد وضد سياسة ضرب المتهم، وفي ذلك يقول الشيخ السيد سابق: «فالرأي المختار عند الأحناف وعند الغزالي من الشافعية أن المتهم بالسرقة لا يضرب لإحتمال كونه بريئا فترك الضرب في مذنب أهون من ضرب بريئ وفي الحديث: **«لأن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»**. إن إحترام حقوق الإنسان والمتهم أيضاً -من أعظم ما حرصت عليه نصوص الشريعة الإسلامية.

(١٢) توبة المتهم :

قال تعالى ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّه تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (التحريم ٨) وقال تعالى ﴿وَتُوبُوا إِلى اللَّه جَميعًا أَيُّها الْمُؤْمنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلحُونَ﴾ (النور ٣١) وقال النبي ﷺ **(إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)**.

هذا الحديث وتلك الآيات واضحة الدلالة على أن الإسلام يفتح أبواب الأمل أمام المذنبين، وأن المعصية مهما يكن أمرها لا تتأبى على غفران رب كريم وسعت رحمته

كل شيء علماً وفضلاً، وقد شرع التوبة لتكون بابا يدخل منه العصاة فيحصلون على عفو ربهم وكرمه ومغفرته، وإذا كانت التوبة من مكونات علم الفقه ومعرفة الداعية فمن الواجب أن ينعكس معناها في ميدان عملهما.

والإسلام بهذا المسلك الحكيم في فقهه وسلوك دعاته، ينقذ أنفساً كثيرة من براثن اليأس والقنوط، ويحول بينهم وبين الأسباب التي دفعت بهم إلى إقترف الجريمة أو التردي في مهاوي الإنحراف، حتى لا يكونوا ضحية إستمرارية الحكم عليهم بأنهم مجرمون عاصون، فالإسلام بهذا المنهج القويم يعلن عفوه عما يسبق التوبة النصوح، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ (الزمر ٥٣).

وذلك حتى لا ييأس عاص من حياته، ولا يفقد ثقته في وجوده، فينقلب على مجتمعه كالذئب اللئيم أو الحية القاتلة، حين يحترف الجريمة أو يعتاد عليها من جراء مطاردة الناس له وتعييره بما سبق منه، وحتى يعي المجتمع هذا المعنى، فلا يصدون عاصيا عن باب التوبة، ولا يعيرونه بما بدر منه فيعينوا عليه الشيطان، وإذا كان ذلك المسلك من أهم واجبات المجتمع الفاضل فإنه يكون أشد وجوبات على الفقهاء والعلماء في المساجد والسجون، والإجتماعيين في دور الشرطة.

والعفو عن سوابق المتهم :

وتأكيداً لهذا المعنى يرشد النبي ﷺ إلى أنهم يجب عليهم أن يستوعبوا العاصين منهم، حتى لا يكونوا معيناً لهم على الإستمرار في الإنحراف، ومن لوازم ذلك أن لا يعيرونهم بما ارتكبوا من جرائم، فقد سمع النبي ﷺ قوماً يعيرون رجلا بعد أن أقيم عليه الحد في إحدى الجرائم بقولهم : «أخذاك الله» فقال النبي ﷺ **(لا يعينوا عليه الشيطان)** وقد جاء في الأثر «رب معصية أورثت ذلاً وإنكسارا، ورب طاعة أورثت عزاً وإستكباراً».

ومن يدري ؟ فربما إستقام سلوك العاصي، وحسنت توبته، وقدر الله له حسن الخاتمة فيكون خيراً ممن عيره، والأعمال بخواتيمها كما جاء في الحديث.

* * *

(١٣) الخاتمة :

إن «الأمن» الذي هو هدف وقوام رجال الشرطة والأمان الحقيقي والأمن العام والأمن السياسي والأمن العضوي والأمن النفسي لجميع المواطنين في مجتمعنا المسلم لن يتحقق إلا إذا التزم كل مواطن في موقعه بصفة عامة ورجال الشرطة بصفة خاصة بأمرين هامين ورد النص عليهما في كتاب الله الكريم وهما «الإيمان» و «عدم الظلم» -والتعذيب أشد الظلم والتزوير من الظلم، وليس من الإيمان إباحة الخمر والعري والرقص والربا. وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ (الأنعام ٨٢).

(١٤) نماذج إسلامية مشرفة

وسام على صدر الشرطة المصرية

ان الشرطة بكافة قطاعاتها. تعمل من أجل تحقيق الأمن وتدعيم الأمان، للمواطنين من جموع الشعب، وهي في أدائها لأعمالها لا تنسى أبداً أن أفرادها يمثلون نبض الجماهير، يخرجون من بينهم ويجاهدون من أجل رخائهم، يضعون أيديهم في أيدي اخوانهم من أبناء القوات المسلحة إذا لزم الأمر، عاملين جميعاً على إعلاء البناء ودعم الإستقرار، وإذا كان رجال الشرطة يؤدون دورهم الوطني على مختلف مراحل التاريخ، فذلك واجبهم، وقدرهم، لا يطلبون به مجداً أو جاها، إنما هم يؤدون عملهم في صمت، وتضحية لا يبغون غير صالح الوطن وأبنائه، إنما من حقهم علينا، على كل حال أن نسجل للتاريخ مواقفهم الوطنية، علها تكون زادا للقادم من الأجيال، يستمدون منه القدوة للإستمرار في طريق النضال، ودروب الكفاح، لعزة مصر وكرامتها.

معركة ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢

لأبطال الشرطة في مذبحة محافظة الإسماعيلية

في الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ دخلت القوات البريطانية المغيرة مدينة الإسماعيلية... فاشتعل الموقف، والتهبت المشاعر الوطنية وانفجرت في ذلك الصباح، فانصهرت تلك المشاعر الفياضة التي جمعت الشرطة والشعب في موقعة واحدة، وتظهر قوات الشرطة صنوفا أخرى من المشاركة العظيمة بينها وبين باقي فئات الشعب، ويذوب الجميع في الدفاع عن الوطن الغالي «مصر».

والحقيقة أن عظمة أحداث هذا اليوم، وما بذله فيه رجال الشرطة من إستبسال وتضحية وفداء، دفاعا عن الوطن ودفاعا عن الحق كانت له اصداء واسعة، محلية وعالمية، فأشاد الجميع وعلى رأسهم قوات الإحتلال نفسها بعزيمة قوات الشرطة،

ودورها البطولي في هذا التاريخ، ليصبح ٢٥ يناير من كل عام عيداً قوميا للشرطة، تحتفل فيه الأمة جمعاء بأبنائها من رجال الشرطة الذي ضحوا بحياتهم في سبيل أرضنا الطيبة ففي ذلك الصباح تحركت الدبابات البريطانية من معسكراتها، بأعداد كبيرة إلى قلب مدينة الإسماعيلية، ثم قامت قوات المظلات بإحتلال جميع الطرق والشوارع، وظلت القوات البريطانية تتدفق على المدينة حتى إحتلتها كلها.

لم يكن بالمدينة، في ذلك الوقت قوات مصرية، اللهم إلا بعض جنود الشرطة في مبنى المحافظة، وقوات من بلوكات النظام داخل ثكناتهم المجاورة لهذا المبنى.

ومع إشراقة النهار، إستدعت القيادة البريطانية اليوزباشي شريف العبد ضابط الإتصال المصري، حيث أبلغه قائد الإحتلال عن توافر معلومات تفيد باحتماء بعض الفدائيين بمبنى المحافظة، ولابد من تسليمهم للقيادة البريطانية، وحتى يتم ذلك، فقد طلب ذلك القائد إصدار الأمر إلى ضباط وجنود الشرطة، المقيمين بالمبنى، بالخروج، رافعي الأيدي، إلى حديقة المحافظة، وتسليم أنفسهم، ليتسنى للقوات البريطانية الدخول إلى المبنى والإستيلاء على أسلحتهم.

كانت قوات الشرطة بالإسماعيلية تبلغ نحو الألف فرد منهم أربعون ضابطاً وكان بقسم مبنى المحافظة يعسكر بالخيام خلف المبنى كتيبة قوامها ٣٠٠ فرداً بقيادة ضابط. وكان قائد قوات الشرطة اللواء أحمد رائف اتخذ من مبنى المحافظة مقراً له نهاراً، وقد قام بتقسيم قواته إلى فصائل يرأس كل منها ضابطاً برتبة بكباشي، يعاونه عدد من الضباط، وتأهب الجميع لرد العدوان. إجتمع ضباط الشرطة في محل إقامتهم في الفندق المجاور لمبنى المحافظة وتعاهدوا على النضال بتلاوة فاتحة القرآن الكريم متجهين إلى الله أن يمنحهم العون، ويلهمهم الصواب، وتوجه إلى المحافظة كل من اليوزباشي مصطفى رفعت واليوزباشي عبد المسيح مرقص الذي صمم أن يشارك اخوانه في قراءة الفاتحة.

تم حصار محافظة الإسماعيلية بمختلف أنواع الأسلحة والعتاد الحربي والمدافع موجهة إلي المبنى ووقفت الدبابات في الحديقة أمام المبنى عشرون دبابة في مواجهة المبنى وخمس دبابات في كل من الجانبين للمبنى وعند دخول اليوزباشي مصطفى رفعت ووجه بإنذار قائد القوات المحاصرة بخروج كل من بالمحافظة وإلا فسوف يدكون المحافظة على من فيها رد مصطفى رفعت على هذا الإنذار قائلاً للقائد «أحب أن تعلم أن هذه الأرض أرضنا، ولنا قيادة مصرية نتلقى منها الأوامر، أما عن المهلة الممنوحة لنا فإنها حتى لو أصبحت عشر سنوات، لن نتلقى أمراً من غير قادتنا».

واتجه الضابطان المصريان إلى داخل مبنى المحافظة، حيث إستقبلهما الجنود في شبه مظاهرة حماسية، وعلى الفور شرع الضباط المصريون في إجراء التحصينات بالمبنى، وتوزيع الأدوار، وتحديد المسئوليات وتوزيع الذخيرة على الجنود.

نفذت القوات البريطانية إنذارها، وبدأت بإطلاق نيران أسلحتها على مبنى المحافظة، فردت قوات الشرطة من داخله بإطلاق بنادقها «اللي انفليد»!! وظل القتال دائرا حتى صباح اليوم التالي.

وكان جنود العدو يرتدون قبعات حمراء مثبت في أعلاها ريش أسود، فأصدر مصطفى رفعت تعليماته إلى جنوده بأن يحددوا هدفهم بالريشة السوداء أعلى القبعة حتى لا تطيش ضرباتها (حيث أنها توضح رأس العدو المحتمي خلف ساتر لكل منهم... وبالفعل أحسن الجنود التصويب نحو الهدف مما كبد البريطانيين خسائر كبيرة، وضاعف من رغبتهم في الإنتقام، وعلى الرغم من تزايد إصابات الجنود المصريين فإن حماس الجنود يتصاعد، وراحوا يقاتلون في غير هوادة غير عابئين بما يصيبهم من جراح ولما زادت المعركة حدة، وتحولت حجرات المحافظة ومبنى القشلان إلى بحيرات من دماء رجال الشرطة وتساقط الشهداء، طلب مصطفى رفعت من قائد البريطانيين دخول الإسعاف طبقاً لقانون الحرب. ولكن القائد رفض إلا بالإستسلام.

وهنا قال له «مصطفى». أبداً لن نستسلم، بل سنستمر في القتال، ولن تدخل هذا المكان إلا فوق جثثنا، وقد تحصل على وسام تقديراً من حكومتك، لكن تذكر أن الله سيحاسبك وأن وراءنا عشرون مليون مصريا سيأخذون بثأرنا.

وفي الساعة الثانية ظهراً إتصل «فؤاد سراج الدين وزير الداخلية، باليوزباشي مصطفى رفعت يستفسر عن الموقف، ويشد أزره بمجرد قوله: «شد حيلك» ثم عاد «مصطفى رفعت» لإستئناف القتال، وتكاثف الهجوم بنيران مكثفة على مبنى المحافظة والمدفعية الثقيلة تبدأ في نسف المبنى. وشبت النيران في الطابق العلوي من المبنى، وانفجرت التركيبات الكهربائية، كما انفجرت أنابيب المياه، ولف المبنى دخان كثيف، وأخذت المياه تتدفق على الجرحى من الجنود الذين تعذر إسعافهم فتزايدت آلامهم مبرحة عنيفة وبدأت الذخائر تنقص بسرعة، ولكن الضباط رفضوا الإستسلام.

قاربت الساعة الرابعة مساءً والمذبحة مستمرة فقرر «مصطفى رفعت» الخروج لمقابلة «القائد البريطاني» لمحاولة وضع حد لهذه المهزلة، خاصة وقد وافقت وزارة الداخلية على الإستسلام إزاء حرج الموقف.

توقف إطلاق النار، ووقف القائد البريطاني إجلالاً وتقديراً، مبادراً بأداء تحية عسكرية للضابط المصري، الذي رد التحية تلقائياً طبقاً للتقاليد العسكرية.

قال القائد البريطاني «لمصطفى رفعت» لقد قمت ورجالك بأكثر من واجبكم، إنني شاركت في معارك كبرى، ولكنني أعترف بموقفكم المشرف، وإزاء هذا، فإني على إستعداد لتلبية كل مطالبكم، ورد «مصطفى رفعت» قائلا إننا نطلب إسعاف جرحانا، وان نخرج ومعنا علمنا مرفوعا، تاركين أسلحتنا بالداخل، يجب أن تعاملونا بشرف، وهنا إزداد تقدير القائد البريطاني وإحترامه لقوات الشرطة المصرية، فقال: سنعاملكم بكل الشرف.

إعترض الجنود الخروج وأصروا على المقاومة حتى الفناء، غير أنه «مصطفى رفعت» تمكن من إقناعهم بمغادرة المبنى، لأنه لا جدوى من التشبث بالبقاء فيه. خرج

موكب الأبطال في طابور عسكري منتظم، حيث أصدر القائد البريطاني أوامره للجنود البريطانيين كي يؤدوا لهم التحية العسكرية، ثم أصطف الجنود المصريون أمام مبنى المحافظة بغير أسلحتهم.

وعندما دخل القائد البريطاني مبنى المحافظة هاله ما رآه وصاح بغير تدبر «لقد أدينا عملاً قذراً» وبدأت الإسعاف عملها مباشرة ونقل الجرحي إلى المستشفى ويروي اللواء «مصطفى رفعت» إنه عندما عاد إلى القاهرة، منحته وزارة الداخلية أجازة مفتوحة، ولم تعده إلى مقر عمله الأصلي بكلية الشرطة، خاصة بعدما تظاهر طلاب الكلية أثر إشاعة أنباء عن إستشهاده.

وقد أثار موقف قوات الشرطة، في معركة ٢٥ يناير، تعليقات متعددة خاصة لدى الصحافة البريطانية، التي ملأها الإعجاب بالموقف الباسل لهؤلاء الأبطال الذين واجهوا قوة ضخمة لا قبل لهم بها، في غير تكافؤ مادي وإنما بإصرار روحي لا يعرف روح الهزيمة أو الإستسلام.

هذا وقد بلغ عدد جنود الشرطة الشهداء في معركة الإسماعيلية حوالي خمسون فرداً.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

(آل عمران ١٦٩).

التوظف

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة ٧-٨)

التوظف

(١) النظام الإسلامى لإدارة شئون الأفراد

إن الإسلام شرع نظاما للحكم، وجعل دعامته الرئيسية الفرد المسلم لأنه أساس المجتمع المتحضر، ولبنة من لبناته فلا يصح قيام مجتمع متحضر بدون الفرد الصالح، ولو أن كل مجتمع راعى فى نظامه الأخذ بما شرع الإسلام لعَمَّ الخير وساد الاصلاح.

والنظام الذى أقره الإسلام وراعى فيه المصلحة العامة أخذ به الفكر الحديث. ففى مجال الاختيار والتعيين كان الإسلام قائما على مبدأ تكافؤ الفرص والمقدره الفنية والسمات الشخصية للعامل.

وقد أخذ الموظفون فى الإسلام قسطا وافرا من العناية بنظامهم، ومن العدل أن نذكر بعض ما أخذ به النظام الإسلامى فيما يخص إدارة شئون أفراده وموظفية . . وقد أخذ النظام الإسلامى بقسط كبير فيما يتعلق بالفحص الطبى للأفراد عند الحاقهم بوظائفهم، من ذلك أن الشبان الذين يراد إلحاقهم بالوظائف العسكرية يجردون من ثيابهم للإطلاع على عيوبهم من الوجهه الطبية حتى إذا كان هناك بالجسم عيب يحول دون إحسان العمل، نحو صاحبه عن الخدمة العسكرية.

وقد كان للسن اعتبار خاص فى هذا الموضوع، وهذا حرص من أولى الأمر على أن من يتولى وظائف الدولة يجب أن يكون مسئولا مسئولية كاملة، والحكومات فى العصور الحديثة تشترط سنا معينة لا يقبل طالب الوظيفة قبلها، لأن أى تقصير أو عبث بالمصالح العامة منهم ينصب ضرره عليها ويكون التقصير صادرا منهما، وليس فى الدنيا حكومة رشيدة تقبل أن ينسب إليها لوم أو تقصير.

ومن أعجب ما تحوية المكتبة الإسلامية ما جاء فى تاريخ الطبرى من أن «عمر ابن الخطاب» كان يتعقب الموظفين فى سيرتهم الخاصة وفى تصرفاتهم كذلك، وينصحهم إلى ما فيه المصلحة ولو كان على حساب مصلحتهم الخاصة، ومن ذلك أن

«حذيفة بن اليمان» تزوج من أجنبية فطلب إليه عمر أن يطلقها مع انه تزوجها على شريعة الله، ولكن عمر يرى أن زواجهما إضرار ببنات العرب وتضيق عليهن حيث قال عمر «إن فى نساء الأعاجم خلابة، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم» وهذا شعور الحاكم الذى يعتبر نفسه مسئولا عن رعيته، فالذكور لهم حظهم، والإناث لهن نصيبهن وهذا هو ما يسمى بالشعور الوطنى فى هذه الأيام.

وإذا أمعنت النظر فيما يفعله عمر وفيما يفعله ولاة الحكومات العصرية فإنك واجد تشابها فى منع الموظفين السياسيين من الزواج بالأجانب وقد كانت سياسة عمر لها عظيم الأثر فيما خلفة من ولاة المسلمين حيث أنهم كانوا يحملون الموظفين إثم تقصيرهم وإخلالهم بواجبهم ومسئولياتهم فيما يتولون من أعمال عامة.

فالموظف الذى يعفى نفسه من المسئولية عليه مسئولية ذلك، قال أبو سيف للرشيد وإذا صح عندك من العامل والوالى تعد بظلم وعسف وخيانه لك فى رعيتك وإحتجاز شئ من الفئ، أو سوء سيرته، فحرام عليك إستعماله والإستعانه به، وإن تقلده شيئا من أمور رعيتك، أو تشركه فى شئ من أمرك، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من غير أن يتعرض لمثل ما تعرض له، وإياك ودعوة المظلوم فإن دعوته مجابة.

ومن أقوال عمر على منبر حمص - لا يزال الإسلام منيعا ما إشتد السلطان وليست شدة السلطان قتلا بالسيف، ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل.

الحيطة فى إختيار الموظف وإنتقاء الصالح منهم الذى يتمتع بكفاءة وأمانة فى أداء العمل، بحيث يكون هذا العمل موافقا لما أحله الله ومطابقا لشريعته .. كما جاء فى قول الرسول ﷺ أنه قال:

(المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) ابو داود، ومن آداب الموظف لزوم العفاف والصيانه فيما يتولاه من أعمال. والتعفف عن المطامع الذميمة والمطاعن الوخيمة، والترفع عن المكاسب اللئيمة، فإن ذلك يحقق القرب من الله سبحانه وتعالى، والحظوة عند السلطان يقرب من كان بعيدا على من كان قريبا، ومن لا مكانة له ولا حرمة على من كان له مكانة وحرمة لديه مادام كفئا وبذلك يتمتع الموظف بحسن السيره لدى الرعية.

والإسلام قد وضع نظاما خاصا لرواتب الموظفين لها قواعد منسقة تنسيقا عادلا فلا يعطى عامل إلا على قدر عمله، ولا يمنح أقل من كفايته ومن دواعي زيادتها أن يبدى الموظف فى عمله كفاية وحكمة قال تعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة ٧ -٨)

وقد روى أبو داود: أن رسول الله ﷺ كان إذا آتاه الفئ (الغنيمة) قسمه فى يومه، فأعطى الآهل (المتزوج) حظين وأعطى العزب حظاً، فهو يراعى الحالة الإجتماعية، ومن يعولهم الموظف من أفراد أسرته،وهذا هو ماتوصلت إليه نظم الموظفين الحديثة بعد كثير من العناء والمشقة والجدل والمرء على الرغم من أن الإسلام كان سابقا لها ومتقدما عليها.

والنظام الضريبى له أصل فى الإسلام وبخاصة «ضريبة الدخل» فقد كانت الزكاة المستحقة على أصحاب الأعطيات تخصم من أعطياتهم قبل أن يستولوا عليها ولا يسلم إليهم إلا ما بقى بعد خصم الزكاة، هداهم إلى هذا فطرتهم وإستقامة فكرهم. حيث أن مؤلفى علوم المالية الحديثة لم يتوصلوا إلى ما إنتهوا اليه إلا بعد أن إجتازوا ما فيها من التعقيد وصولا إلى ما وصل إليه الفكر الإسلامى العريق، وقد رأى خلفاء المسلمين إنصاف الموظفين بوضع نظام عادل لرواتبهم، فأمير المؤمنين على كرم الله

وجهه يوصى أحد عماله أن يسبغ الأرزاق على الموظفين. فإن ذلك قوة لهم على إصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا الأمر أو ثلموا الأمانة. .. ولعمر بن عبد العزيز محاورة فى ذلك تدل على مبلغ حرصه على إنصاف الموظفين قيل له: ترزق الرجل من عمالك مائة دينار ومائتى دينار فى الشهر وأكثر من ذلك؟ فيقول: «أراه لهم يسيرا ان عملوا بكتاب الله وسنة نبيه وأحب أن أفرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم».

وكان أهم ما جرت عليه الإدارة فى عهد المأمون التوسعه على العمال يراد بهذا حفظ حقوق الرعية والسلطان.

ولعمرى أن ذلك حزم وبعد نظر، وحسن بصر وبصيرة بالأمور، فإن من تولى أمور الناس وأعطى الفصل فيها وتصريفها يجب أن يكون مرزوقا موسعا عليه، ولا يشعر بضيق ولا تلذعه حاجة، لأن الشعور بالضيق فتن .ولذع الحاجة مدرجة للخيانة، فتمتد يد الموظف إلى ما فى أيدى الناس، وتتطلع عينه إلى المعونةبما يملكون.

ونظام المعاشات والمكافات فى الإسلام معروف، فقد أجرى رسول الله ﷺ على قيس بن مالك من همزان لما استعملة على عربهم وعجمهم ومواليهم، فاقطعه من درة (نسار) مائتى صاع ومن زبيب (خيوان) مائتى صاع،جار له ذلك ولعقبة من بعده أبدا، أبدا، أبدا.

وعمر بن عبد العزيز أمر أن يرفعوا إليه كل يتيم ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بالسوية، وقرض للعوانس الفقيرات .. وكان لا يفرض للمولود حتى يفطم فنادى معاوية «لاتعجلوا أولادكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الإسلام»

وراعى الإسلام العجزة من موظفى الدولة ومنحهم رعاية إجتماعية، فقد كتب

عمر بن عبد العزيز إلى أمصار الشام أن يرفعوا إليه كل أعمى فى الديوان أو مقعد أو من به فالج أو من به زمانه تحول بينه وبين القيام للصلاة، فأمر لكل أعمى بقائد، ولكل أثنين من الزمنى بخادم، وعلى هذا النحو كانت رعاية الولاة العادلين لمصالح الموظفين بل للمسلمين أجمعين.

وليس بعزيز على من يشعر بأنه مسئول أمام الله عن كل صغيرة وكبيرة من أمور رعيته أن يسد حاجتهم بل ليس بعزيز عليه أن يغنيهم، وأن يلبث ساهرا لا تغمض له عين وفى رعيته جوعان حتى يشبع، أو ظمآن حتى يروى، ولا يقصد بذلك إلا وجه الله.

وعن أبى هريرة (ض) أن الرسول ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل: هل ترك لدينه فضلاً؟ فإن حدث أن ترك لدينه وفاء صلى،وإلا قال للمسلمين : صلوا على صاحبكم فلما فتح الله عليه الفتوح قال: إنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعلى قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته» البخارى .

٢ - دواوين الوظائف فى الإسلام (الوزارات)

الديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنه من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال.

ويعتبر عمر بن الخطاب واضع أسس الحكم الإسلامى من الناحية العملية وذلك لإتساع رقعة الدولة، فقد وضع الدواوين لتنظيم الإدارة وكلمة ديوان فارسية الأصل تعنى السجل الذى يكتب فيه ما يختص بشئون الإدارة، ثم أصبحت تدل على المكان الذى يعمل فيه الكتاب.

كانت الدواوين فى عهد عمر تشمل:

أ - ديوان الجند وقد سجل فيه أسماء المحاربين حسب قبائلهم. كما حددت رواتبهم.

ب- ديوان الخراج: يسجل فيه واردات بيت المال من خراج وغنائمهم وجزية وزكاة، ومقدار أعطيات كل مسلم، وكانت تشمل جميع المسلمين فسجل بنى هاشم حسب أقدمية إسلامهم وقرابتهم من رسول الله | كما سجل الأنصار مبتدئا برهط سعد بن معاذ من الأوس ثم الأقرب وهكذا..

تطورت النظم الإدارية والدواوين فى العصر الأموى، فاتسعت المرافق والخدمات، وأستخدمت دواوين جديدة تواكب هذا التطور منها:

جـ- ديوان الرسائل: أوجدها معاوية بن أبى سفيان، وكان يشرف على الرسائل المتبادله بين الخليفة والأمصار والدول الأجنبية، وكان الخليفة يختار لهذا الديوان الأشخاص الذين أشتهروا بأمانتهم لما تتضمنه الرسائل من أسرار.

د- ديوان الخاتم: أستحدثه معاوية ليمنع التزييف فى الرسائل، وكان يحفظ فيه نسخه من كل رسالة، بينما يختم الرسائل الأصليه وتبعث إلى الجهات المقصوده، وقد أستحدث ذلك بعد تزوير كتابة مائة ألف درهم إلى مائتى ألف درهم.

هـ- ديوان البريد: ومهمته نقل الرسائل بسرعة لتسهيل الإتصال السريع بين الخليفة والولاة. وكان أصحاب البريد يقدمون التقارير الدورية عن أحوال الولايات، فهم يقومون بدور المخابرات اليوم.

و- ديوان الطراز: ومهمته الإشراف على مصانع إنتاج الألبسة الرسمية والرايات، وكانت تنقش عليها أسماء الخلفاء بخيوط من القصب الفضية والذهبية، وكانت تكتب عليها عبارات الفأل والدعاء.

وقام العباسيون باستحداث: دواوين: الضياع للإشراف على ممتلكات الخلفاء، والمصادرة الذى يشرف علي الممتلكات المصادرة، والاحشام لشئون خدم القصر، والأزمة وديوان لحسابات الدواوين، من واردات ونفقات وغيرها.

٣- التنظيم والهياكل التنظيمية فى الإسلام

وضع رسول الله ﷺ نظاما محكما بلائم حاجات ذلك العصر، ويصلح أن يكون مثلا يحتذى فى كل زمن فقد كان عليه السلام يعين فى كل غزوة من يتولى جمع الغنائم وحفظها حتى تصرف فى مصارفها ويسمى (صاحب الغنائم) أو .. (صاحب المغانم) وهو ما يسمى فى الفكر الإدارى المعاصر بالمسمى الوظيفى وكان الرسول يعين بعض أصحابه كتابا له وقد بلغ كتاب النبى ﷺ أثنىن وأربعين رجلا وممن كتب له أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وخالد وأبان أبناء سعيد بن العاص وحنظله الأسيدى، والعلاء بن الحضرمى وخالد بن الوليد وعبد الله بن رواحه ومحمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبه وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم.

وكان صاحب سرد حذيفة بن اليمان وكان الحارث بن عوف الراعى على خاتمه أو يضع خاتمه عند حنظله بن الربيع بن صفى وكان معيقب بن فاطمة يكتب مغانم الرسول، وحذيفة بن اليمان يكتب خرص تمر الحجاز والزبير بن العوام يكتب أموال الصدقات والمغيرة بن شعبه والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات والعلاء بن عنيبة وعبد الله بن الأرقم يكتبان بين الناس فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء.

وكان عبد الله بن الأرقم يجيب الملوك عند الرسول ومعاوية بن أبى سفيان يكتب فيما بينه وبين العرب.

وهذا ما نسميه فى عصرنا بالإختصاصات وتوزيع الأعمال على الموظفين. وعين النبى ﷺ أمين هذه الأمه أبى عبيدة بن الجراح لتحصيل الجزية. من أهل نجران والبحرين، ومعاذ بن جبل على اليمن وعمال على الخراج منهم عبد الله بن رواحه.

وعمال الصدقات وهم كثيرون منهم المستوفى الذى كان يقبض الصدقات من العمال ويقدم بها على النبى، وكان رسول الله ﷺ وصحابته والتابعون بإحسان يعملون على وضع كل إنسان فى مكانة المناسب.

وكان الرسول ﷺ يقول ارحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرأهم أبى بن كعب، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح كما قال ﷺ **(خذوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة)**.

الهيكل التنظيمي في عهد الرسول

كان الرسول ﷺ يمثل السلطة العليا فى الجهاز الإدارى للدولة الإسلامية ويعاونه من يختاره من المسلمين الأوائل ممن شهد لهم بالعقل والفضل والتفانى فى دعوة الإسلام، ولقد قنن الرسول ﷺ مبدأ الشورى فى التنظيم الإسلامى، وكان الرسول ﷺ يستشير أصحابة الذين كانوا بمثابة الوزراء فيما يعن من الأمور التى تتصل بالوحى عملا بقوله تعالى ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ وكان له نقباء من ذوى الرأى والفضل من المهاجرين والأنصار يستشيرهم فى مضمار الإدارة والسياسة.يقول الإمام القرطبى فى تفسير الآية «وشاورهم فى الأمر» الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، وقد مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ وواجب على الولاه مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحروب ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها، قال البخارى «وكانت الأئمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحه ليأخذوا بأسهلها. والشورى تدعم جماعية الفكر والتفاهم

المشترك وتقوى أواصر الأخوه والتآلف بين المسلمين والتآلف والترابط الجماعى فى المواقف يقول الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ عمران (١٠٣).

وقد كان رسول الله ﷺ لا يأخذ عن غيره فيما نزل فيه وحى وإنما أخذ عن الله جل شأنه، يقول الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ النساء (١١٣).

وما لم ينزل فيه وحى فقد كان يجتهد فيه الرسول ﷺ، أما الأمور الحياتية وما يتعلق بأمور الدنيا فقد قال لهم الرسول ﷺ **(أنتم أعلم بأمور دنياكم)**. فالرسول هو القائد الأعظم الأول وهو القدوة وهو القائد الذى أصطفاه الله ليبلغ أعظم رسالة.

وبناء على ما تقدم تتضح صورة الهيكل التنظيمى فى عهد الرسول ﷺ وهو ما يسمى فى العصر الحديث بالشجرة التنظيمية حسب التسلسل الهرمى بالشكل التالى.

الهيكل التنظيمى فى عهد أبو بكر.

لقد تعدل الهيكل التنظيمى فى عهد الخلفاء الراشدين تبعا لمقتضيات موقف وظروف البيئة كضرورة إدارية حتمتها التوسعات فى الدولة الإسلامية ومعنى تعديل الهيكل، أنه لا يجوز أن يكون هناك هيكل تنظيمى ثابت، لدولة ما، فى وقت كان تعداد الدولة خمسة ملايين ثم أصبح تعداد الدولة خمسين مليونا.. أو بمعنى آخر يكون هناك هيكل تنظيمى لشركة رأس مالها ثلاثة ملايين من الجنيهات وتعداد العاملين ألف عامل، وأصبح بمرور الزمن رأس المال ستين مليونا وتعداد العاملين خمسة آلاف عامل.

وبذلك يتحتم تطوير وتعديل الهيكل حسب التوسعات والظروف الخاصة بنظام العمل. وكان التعديل فى عهد أبى بكر، اسناد القضاء إلى عمر، والإشراف على أسرى الحرب إلى على، وأمانة بيت المال إلى أبى عبيدة بن الجراح، وقسمت الولايات إلى:

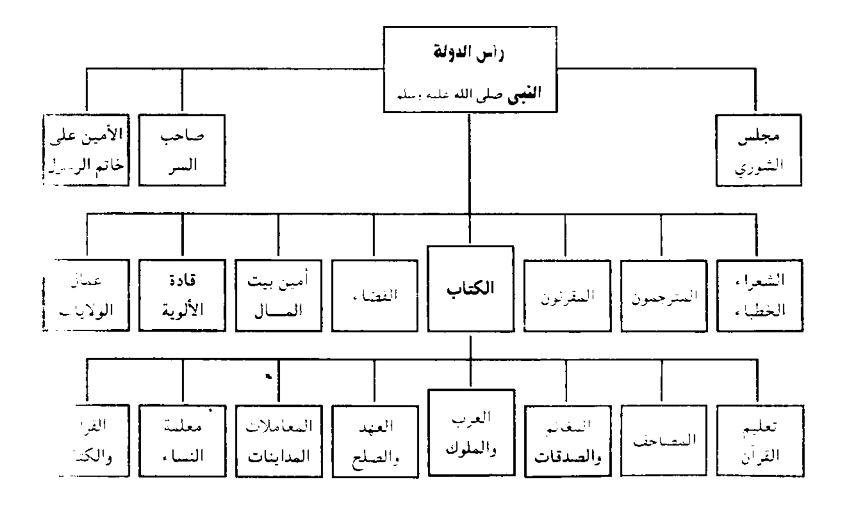
* الحجاز ثلاث ولايات.

* واليمن ثمان ولايات.

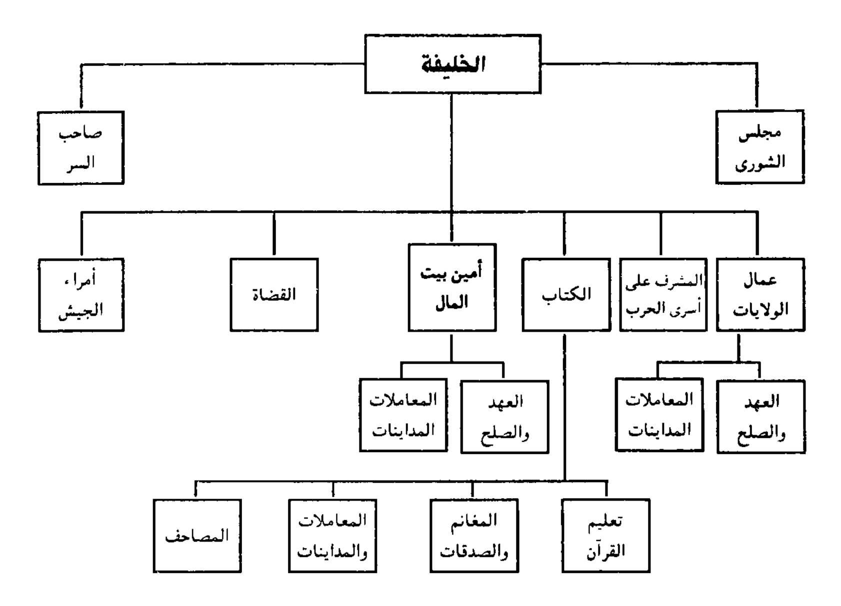
* والبحرين وما إليها ولاية واحدة، وهم مكة، المدينة، الطائف، صنعاء، حضرموت، جولان، زبيد، رمع، الجند، نجران، حرش، البحرين.

وقد ظل مجلس الشورى فى التنظيم كما هو. وقد سلك الدرب الذى سلكه الرسول ﷺ فى التنظيم الإدارى.

الخريطة التنظيمية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم



الخريطة التنظيمية في عهد أبى بكر



النظم الإدارية والوظائف فى عهد عمر بن الخطاب

لا يعنينا هنا إستقصاء المنشئات والوظائف التى أقتضت إتساع الدولة الإسلامية فى عهد عمر إستحداثها، بقدر ما يعنينا الأساس التشريعى الذى بنيت عليه، والذى لا شك فيه أنه يجب على المسلمين - فى عصورهم المختلفة - الاستفادة من كل ما يتيسر لهم إكتشافه، أو الاطلاع عليه. مما ييسر لهم ظروف الحياة وأساليبها ، ولا يوجد فى النصوص الدينية الخاصة أو العامة - ما يحول دون ذلك، بل ربما كان ذلك هدفا من الأهداف الرئيسية التى إبتغت من وراء الدعوة الملحة إلى العلم والنظر والتجربة، مما جاءت به النصوص التشريعية الإسلامية فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة فى كثرة تغنينا عن الإستقصاء أو التمثيل.

وإذا كان عمر بن الخطاب ممثلا لأزهى فترة طبق فيها التشريع الإسلامى بعد عصر الرسالة - فإنه يعتبر أيضا - المؤسس الحقيقى للإدارة السياسية فى الإسلام، وقد قسم البلاد المفتوحة إلى إمارات وولايات ، أبقى فيها النظم الإدارية ودواوين القضاء ، والإحصاء، والمحاسبة والبريد بلغات أهل البلاد المفتوحة، وأقر موظفيها دون الخبرة على أعمالهم وفى بلادهم، واستفاد من كل هذه النظم الفارسية أو الرومية الأصل فى الجزيرة العربية نفسها، حيث قسمها إلى خمس ولايات عين لكل منها واليا يصلى بالمسلمين، ويلقى خطبة الجمعة التى كانت غالبا (بيانا سياسيا).

واعتبر الأهواز والبحرين ولاية، وسجستان ومكران وكرمان ولاية، وكلا من طبرستان وخرسان ولاية مستقلة، وولى ثلاثة أمراء على جنوبى فارس، وأميرين على العراق، أحدهما فى البصرة، والآخر فى الكوفة، وقسم الشام إلى ولايات شمالية مقر واليها حمص، وجنوبية مقر واليها دمشق وجعل فلسطين ولاية مستقلة، وأسس فى أفريقيا ثلاث أمارات: الأولى فى مصر العليا، والثانية فى مصر السفلى، والثالثة فيما وراء صحراء ليبيا، وتم مسح الأرض، وتنظيم المواصلات، وإقامة شبكة من الترع والمصارف ونظمت حركة الرى إلى آخر ما تطلبتة حركة تحسين نظم المعيشة فى البلاد المفتوحة.

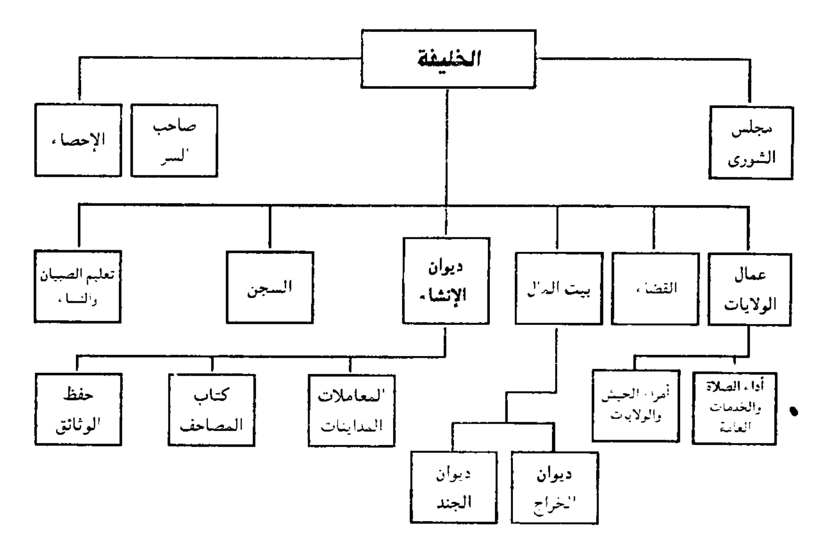
وقد أضاف عمر إلى التنظيمات التى أقرها فى البلاد المفتوحة، وظائف أخرى تطلبها وجود المسلمين بها، مثل وظيفة إمام الصلاة، والقضاء، وغيرها من أمور الدين، ومن الوظائف المستحدثة لتنظيم أمور العمران: وظيفة (العامل على أرض الحمى) وروى الطبرى أن عمر كان قد إتخذ فى كل مصر على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين عدة لكون إن كان، وكان عامله عليها فى الكوفة سلمان بن ربيعة، وفى البصرة جزء بن معاوية، وهكذا فى كل مصر.

ومنها وظيفة (العاشر) أخذ عشور التجارة، ووظيفة (عامل الخراج) فى كل بلد، ووظيفة (خازن بيت المال) ووظيفة (المصدق) الذى يعد على الناس، ويراجع ما يملكونة، ليتحقق من صحته وصدقهم عند جمع الزكاة، ومنها وظيفة (عامل عمر ورسوله إلى الولاة) وقد اشتهر بهذا العمل فى عهد عمر محمد بن مسلمة، ومن أطراف الوظائف التى استحدثت فى خلافة عمر وظيفة (العامل على البحر) ويبدو أن مهمته كانت مراقبة شواطئة، والصيد فيه، وما يتصل بذلك، ووظيفة (صاحب الأقباض) الذى كان يصحب الجيوش الإسلامية، ويقبض المغانم، ويسجلها، ووظيفة (واعظ الجيش) وكان من القراء، ويقوى الروح المعنوية بقراءة آيات الجهاد وما يتصل بها.

ومن التنظيمات الداخلية للجيوش الإسلامية منصب (قائد مائة) الذى كان يرأس مائة مقاتل، ويبلغهم أوامر قائد الجيش، وقد أمر عمر قواد جيوشة ألا يولوا أحدا من رؤساء أهل الردة فى زمان أبى بكر هذا المنصب، بالرغم من رجوعهم إلى الإسلام بعد هزيمة المرتدين تحوطا، ومن المنشات التى استحدثت فى خلافة عمر (دار السجن) والمقصود التشريعى من الحبس إنما هو (تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء) ومتى تحقق هذا التعويق بأية وسيلة فقد تحقق المقصود الشرعى.

وأمر عمر باتخاذ (دار للضيفان)، المغتربين القادمين من الآفاق، واتخذ عمر (دار الدقيق)، فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إلية، يعين به المتقطع والضيف، ووضع فى طريق المسافرين ما بين مكة والمدينة ما يصلح من ينطع به، ويحمل من ماء إلى ماء.

الخريطة التنظيمية فى عهد عمر (رضى الله عنه)



واستمر بعد ذلك التعديل فى التنظيم فى عهد الخلفاء الراشدين وما بعدهم

لقد تعدل التنظيم الإدارى فى عهد عمر رضى الله عنه وقد سلك الدرب الذى سلكه الرسول ﷺ وأبو بكر، وقد أضاف إليه المؤسسات الجديدة تبعا للتوسع الذى حدث فى رقعة الدولة الإسلامية وظل مجلس الشورى كما هو مؤسسة إستشارية فى أمور الحكم، هذا وقد احتفظ بإدارة بيت المال لنفسه، ووزع باقى الأعمال على الصحابة فقال «من أراد أن يسأل عن الفرائض (الميراث) فليأت زيد بن ثابت ومن أراد أن يسأل عن الفقة فليأت معاذ بن جبل ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى فإن الله جعلنى له خازنا وقاسما.

وكان عمر أول من وضع الدواوين فى الإسلام فأسس ديوان الخراج والأموال والإنشاء وديوان الجند الذى يتخصص فى تنظيم الجند، ومن إبداعاته فصل القضاء عن

الإدارة فى الولايات، وعمل نظام الإحصاء للناس ولتقدير الخراج، وتقدير مساحة الأرض لتقدير الخراج عن الحصاد، وثبت أنه كان له سجن ومكاتب لتعليم الصبيان وتأديبهم.

٤- الاشتغال بالوظائف كتب الدكتور يوسف القرضاوي

للمسلم أن يكسب رزقة عن طريق الوظيفة، سواء كان تابعا للحكومة أم لهيئة أم لشخص، مادام قادرا على تحمل تبعات عمله، وأداء واجباته ولا يجوز لمسلم أن يرشح نفسه لعمل ليس أهلا له، وخاصة إذا كان من مناصب الحكم أو القضاء.

فعن أبى هريرة (ض) أن ﷺ قال **(ويل للأمراء، ويل للعرفاء (الرؤساء) ويل للأمناء (الحفظ على الأموال) ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم معلقتبالثريا، يدلون بين السماء والأرض وأنهم لم يلوا عملا)** أبن حبان.

وعن أبى ذر: قلت يا رسول الله ! ألا تستعملنى؟ (أى فى منصب) قال: فضرب بيده على منكبى ثم قال **(يا أبا ذر، إنك ضعيف، إنها أمانه وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها)** مسلم

وقال علية السلام **(القضاه ثلاثة: واحد فى الجنة، وإثنان فى النارفأما الذى فى الجنة ، فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار، فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار)** أبو داود والترمذى. والأولى بالمسلم ألا يحرص على تلك المناصب الكبيرة، ويسعى وراءها ولو كان لها كفئا، فإن من إتخذ المنصب ربا إتخذه المنصب عبدا، ومن وجه كل همه إلى مظاهر الأرض حرم توفيق السماء.

وعن عبد الرحمن بن سمره قال: قال لى رسول الله ﷺ **(يا عبد الرحمن لاتسأل الإماره، فإنك إن أعطيتها من غير مسأله أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسأله وكلت ليها)** متفق عليه.

وعن أنس أنه ﷺ قال (**من إبتغى القضاء وسأل فيه شفعاء وكل إلى نفسه، ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده**) الترمذى وأبو داود. هذا ما لم يعلم من نفسه أنه لا يسد الفراغ غيره، وإذا لم يقدم نفسه تعطلت المصالح، وأضطرب حبل الأمور، وقد قص علينا القرآن قصة يوسف الصديق وفيها أنه قال للملك ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ (يوسف ٥٥) هذا هو أدب الإسلام فى طلب الوظائف السياسية ونحوها.

٥- الإختبار قبل الإختيار للوظيفة فى الإسلام

الإختيار لملء الوظيفة الشاغرة مبدأ أساسى فى الإسلامية فقد روى إنه عندما أسند رسول الله ﷺ منصب القضاء إلى معاذ بن جبل سأله، «بم تقضى؟ » فأجاب «بكتاب الله» فسأله فإن لم تجد؟ أجاب بسنة رسول الله ، فسأله فإن لم تجد أجاب أجتهد (رأى ولا آلو). فقال رسول الله ﷺ «**الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى الله ورسوله**».

وكان عمر (ض) لا يبعث إلى الأمصار واليا إلا إذا إختبره بالملاحظة والمناقشة، ومن ذلك ما روى من أن كعب بن سور كان جالسا عند عمر وجاءته إمرأة تشكو زوجها فقال لكعب: (اقض بينهما) فلما قضى بما يعتقده الصواب وأعجب عمر ما قضى به قال له «إذهب قاضيا إلى البصره» ولم يكن كعب يعلم من قبل أنه سيعين قاضيا للبصره.

تحديد مهام الوظيفة:

كان عمر (ض) عندما ينصب واليا أو عاملا يعطيه عهد تعيين يشمل على تنصيبه وما يخوله من سلطات وما يكلفه من واجبات ويحمل الأمر خاتم الخليفة وتوقيعه ويشهد عليه عدد من المهاجرين والأنصار، وقد سبق عمر أمير المؤمنين كل علماء الإدارة الحديثة فى عملية تصنيف الوظائف كخطوة أولى من خطوات التعيين للوظيفة يتم الإختيار والتعيين حسب متطلبات تصنيف الوظائف ثم جاء بعده العالم الإمام إبن تيمية وحدد فى كتابه السياسة الشرعية معرفة الأصلح للوظيفة والإختيار لشغل الوظائف بالتفصيل.

ونلاحظ أن المتبع حاليا حسب قوانين العمل الحديثة أن العامل عندما يتم تعيينه يوضع تحت الإختبار لمدة ستة أشهر لتقدير مدى صلاحيته للعمل إذا صلح تم تثبيته فى التعيين. وإن هذا المبدأ كان معمولا به فى عهد الخلفاء الراشدين، ويروى أن عمر (ض) قال لأحد عماله (إنى قد عينتك لأبلوك فإن أحسنت زدتك وإن أسأت عزلتك). ثم بعد التعيين أيضا يحدد لكل عامل الواجبات والاختصاصات والمسئوليات وحصر كل ما يملكه، فيما يسمى حاليا بإقرار الذمه الماليه، وكان ذلك ينفذ فى صدر الإسلام فقد حدث أن صادر عمر (ض) جزءا من أموال الولاه من الصحابه أنفسهم كما عزل بعضهم حينما اعتراه الشك فى سلامة الأسلوب الذى جمع به الوالى ثروته.

وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب

إن وضع الشئ المناسب فى المكان المناسب، قاعدة أساسية فى نظام الحياه ليست خاصة بأعمال الناس وحدهم، بل ان الكون كله : السماوات والأرض وما فيهن، لم يسر بهذا النظام الدقيق البديع الذى نراه إلا لأن كل شئ فيه قد وضعه الحكيم العليم فى مكانه المناسب ليؤدى وظيفته التى خلقه الله من أجلها كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ الأعلى (٢-٣) ويقول جل جلاله: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه (٥٠). وقد سار كل شئ فى هذا الكون حسب النظام الذى وضعه الله فيه وخلقه من أجله يؤدى وظيفته التى خلقه الله من أجلها بدقة وإحكام. ولهذا لم نرى أى إختلال أو فساد ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ الملك (٢-٤).، لم يشذ عن هذه القاعدة إلا الإنسان الذى يخلط عملا صالحا وآخر سيئا وتتدخل فى حياته وشهواته وأغراضه، فيضع الشئ فى غير موضعه ، وتستخدم نعم الله عليه فى غير ماخلقت له، ويضع الرجل فى غير المكان المناسب له، برغم إدراكه ما فى ذلك من خطر وفوضى ، ولكنها الشهوه والغرض يطغيان على الحقائق والمصالح العامة فيجلبان المرض.

والإسلام الذى جاء ليصحح خط سير الإنسان فى هذه الحياة ليجعلها حياة مثمرة، آمنه مستقره، يقف بالمرصاد لإنحراف الناس عن هذه القاعدة. وإندفاعهم وراء شهواتهم وأغراضهم وعدم تقديرهم نتيجة تهاونهم فى وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب وما يجره ذلك على الفرد والمجتمع من إختلال الأعمال، ونقص الإنتاج،وضياع المصالح والأوقات.

فالعقاب قاصر على المجتمع الذى يتهاون فى تطبيق هذه القاعدة ويسند الأعمال لغير المتخصصين فيها، ولكل أمة أجل، والتاريخ والحياة كلها عبررأيناها تنطبق على المثل العربى الذى يقول «أعط القوس باريها» وفى المثل الشعبى المعروف «اعط العيش لخبازينه ولو يأكلوا نصه» وكل هذا يتجمع ليكون صوتا قويا ينطلق من الأعماق لوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب وإسناد الأعمال للمتخصصين فيها الذى يحسنون القيام بها، وإلا فهذا تحذير الرسول ﷺ **«إذا وسر الأمر لغيرأهله فانتظروا الساعة»** صلى الله عليك وسلم يارسول الله ياخير قائد وهاد ومعلم.

٦ - المدير والقيادة الإدارية فى الإسلام

إختيار القائد والتعيين: الدين الإسلامى دين مستمر متجدد على أرقى ما يكون من التنظيم والاحكام والمبادئ وحسبه شرفا وخلودا أنه تنزيل رب العالمين وتشريع أحكم الحاكمين وأنه يفى بحاجات البشرية فى كل زمان ومكان ويمد الإنسانية بتشريعات حيوية راقية متكاملة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها شعاره فى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة (٥٠).

إن إختيار القيادة التى تتحمل مسئولية العمل تقع على أفراد يتم إختيارهم من بيننا ومن ذلك يتضح أنهم منا وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ **(كما تكونوا يولى عليكم)** فالولاه علينا هم منا فإذا كان العيب فيهم فهو منا ونحن منهم.

وكان الرسول ﷺ يوصى بالرياسة فى أى مكان وأى تجمع فى مكان **ما** طالما زاد عن فرد واحد فى قوله ﷺ **(إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم)** وكان ﷺ يرسل الجيش وعليه أمير خليفة، وخليفة للخليفة إذا أصيب بشئ يقعده عن العمل وكان ذلك بالإختبار حسب شروط الكفاءة فى الرماية ومعيار الإختبار فى قوله ﷺ **(أيما رجل أستعمل رجلا على عشرة أنفس، علم أن فى العشرة أفضل ممن أستعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين)**

والرسول ﷺ يقر أمانة الإختيار على المسئول عن تعيين القادة بل يضم إليه كل من يستشار فى أمر الإختيار، فيقول ﷺ **(من شهد على مسلم شهادة ليس لها، بأهل فاليتبوأ مقعده من النار)**.

إن الإختبار أمانة وشأن من يستشار ولا يقول بصدق وإخلاص وإختيار الأصلح شأنه مثل شأن من يشهد الزور، والشهادة الكاذبة من مظالم اللسان التى يضيع بها الحق وتخفى معالم العدل والله يحذر من قول الزور ويساويه بعبادة الأوثان فيقول الله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ الحج(٣٠) وشأن من يتجنب إبداء الرأى فى إختيار الأصلح للقيادة شأن من يكتم الشهادة ﴿ **وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُه**﴾ البقرة ٢٨٣) وقال ﷺ **(من كتم شهادة إذا دعى إليها كان كمن شهد الزور)**.

وأمانة الإختيار تتطلب الموضوعية والتجرد من كل هوى إلا من خلال الحق والصدق والعدل فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا**﴾ الأنعام (١٥٢) .﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ المائدة (٨). وقال ﷺ **(إذا ضيعت الأمانة فأنتظروا الساعة)** قيل يارسول الله وما إضاعتها قال **(إذا إسند**

الأمر لغير أهله فأنتظروا الساعة) (البخارى وأبو هريره) هذا الحديث هو دستور كامل لعمل إدارة شئون الأفراد أو المسئولين عن التعيين فى القواعد والأساليب الخاصة بالعمل والعاملين لتحقيق الكفاءة فى الأداء والإجراءات الخاصة بإختيار العاملين وتعيينهم وتدريبهم وتنميتهم وترقيتهم وإسناد الأعمال إلى ذوى الكفاءة والنزاهه والقوة حسب كل موقف من الأعمال جلس عمر (ض) يوما بين أصحابة وقال: (أعيانى أهل الكوفة، إذا إستعملت عليهم لينا إستضعفوه وإن وليتهم القوى شكوه، ولو وددت أنى وجدت قويا أمينا مسلما إستعمله عليهم، فقال أحد جلسائه (أنا والله أدلك على القوى الأمين المسلم) فقال عمر (من هو) قال الرجل: (عبد الله بن عمر) فقال عمر (قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا) ثم اختار واليا آخر ورفض تعيين إبنه.

وقال عمر رضى الله عنه يوما لأصحابه (فقولوا ما عندكم فإنى أريد رجلا إذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم، وإذا كان فيهم هو أميرهم كان كأنه أحد منهم) فقالوا (نرى لهذه الصفة الربيع بن زياد الحارثى) فأحضروه وولاه ووفق فى عمله، فشكر عمر لمن أشاروا عليه بولاية الربيع.

ويجدر القول هنا ما توصل إليه سيدنا عمر من صفات القائد التى عرضها هى صفة المدير الناجح والفعال التى توصل إليها الفكر الإدارى المعاصر بعد عدة قرون وإن الإختيار بهذه الصورة هو عملية جماعية بمشورة الجماعة كما حدث لأن إختيار الجماعة أقدر من إختيار الفرد.

وقد حدث فى هذا المجال أن عزل أمير المؤمنين عمر (ض) لزياده بن أبى سفيان عن ولاية العراق فقال له لم عزلتنى يا أمير المؤمنين العجز أم الخيانة: فقال عمر (لم أعزلك لواحدة منهما ولكن كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس. نرى فى هذا الموقف عظة لزيادة درجة ذكاء القائد على التابعين.

٧- أحاديث الرسول ﷺ فى العمل والجزاء والعدل الإلهى

(١) قال رسول ﷺ **(إنكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بحسن أخلاقكم)** إن أى موظف مسئول يتصدى لخدمة الجماهير لا يستطيع أن يكفيهم حاجاتهم المادية كلها، ولا أن يحقق جميع مطالبهم لأن بعضها يتعارض مع القوانين والقرارات، وقد أدرك الرسول ﷺ هذه الحقيقة فأوجد البديل لها هو سعة الناس بحسن الخلق وهذا ما يستطيع كل مسئول أن يفعله، وسعة الناس بحسن الخلق لها أساليب متنوعة حسب ما يتناسب مع كل شخص، والرئيس اللبق هو الذى يختار لكل فرد المعاملة التى ترضية وتقنعه، وتخرجة راضيا من عنده، فسعة الخلق تكون برد السلام، وحسن الإستقبال، وجميل الترحاب، ومد اليد لمصافحة من يريد مصافحته وتقديم تحية رمزية لمن يدخل عنده، سواء كان مرءوسا أو صاحب حاجة والمخاطبة بأسلوب هادئ، وبكلمات رقيقة، والإقناع فى هدوء وبوضوح فهذه الأمور التى لا تكلف شيئا تفعل فعل السحر فى الزائر، وتشعره بأنه يتعامل مع إنسان له قلب، وله روح، وعنده فكر سديد، ومنطق سليم، وفهم شامل لما يكلف به من أعمال ، وأنه يعامل الناس معاملة إنسانية ولديه أخلاق حسنة واستعداد للتفاهم مع الناس. وهذا الشعور كاف للقضاء على كل ما يجول نفس الزائر من مخاوف وأفكار خاطئة، وعلى ما هو فيه من قلق وإنفعال وإرتياب، فيتبدل الخوف بالأمان، والأفكار الخاطئة بالأفكار الصائبة ، والقلق بالإطمئنان، والإنفعال بالهدوء والإرتياب بالثقة، وبذلك تتطبع فى نفسه صورة مشرفه عن الإدارة وطريقة المعاملة فيها ، فيقتنع حينئذ بكل ما يقال له وإن كان عكس آرائة الخاصة، وينصرف راضيا وإن لم يتحقق مطلبه لأنه قد إقتنع بكلام من يخاطبه، واطمأن إليه، ووثق فيه، وعلم أنه لو كان هناك سبيل لإجابة طلبه لتحقق، كما ينصرف شاكرا حسن اللقاء وحسن المعاملة، وبذلك تسود الثقة بين المواطنين وبين المسئولين عن قضاء حوائجهم، وبين الرؤساء والمرءوسين، وتصفوا النفوس، ويسود العمل والهدوء والإنطلاق بعيدا عن القيل والقال وسوء الظن وكثرة الشائعات.

(٢) قال رسول الله ﷺ **«إن من نعم الله عليكم حوائج الناس إليكم فلا تملوا النعم فتدروها نقما»** .

نعم الله كثيرة وأنواعها متعدده، وشكرها واجب، والشكر المطلوب هو الشكر العملى، أى إستعمال النعمه فى الوجوه التى شرعها الله سبحانه وتعالى، أو فى عمل يبتغى به مرضاته، والإبتعاد عن إستخدامها فى ما حرمه الله على عباده. ولذلك قال تعالى لآل داود ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا** ﴾ سبأ(١٣) أى اعملوا عملا يدل على شكركم العملى لنعم الله تعالى.

والنعمة التى ينعم الله بها على الرؤساء هى حاجة الناس إليهم لقضاء حوائجهم، وهذه من أفضل النعم وأشد خطرا، وأوثقها صله لشعور الجماهير وإحساسهم وأكثرها تأثيرا فى حياتهم، وأصحاب هذه النعمه أكثر الناس عرضة للإنحرافات النفسية، والمزالق المادية، لأن النفس أمارة بالسوء والشيطان يزين لهولاء الغرور وسبل الإنحراف والإستغلال فيقعون فى الهاوية من حيث لا يدرون، لأنه يوهمهم أن بيدهم مقاليد الأمور، وأنها ستظل بأيديهم ماداموا على قيد الحياة، فيتصرفون كيف يشاءون، وكما يحلولهم، ويستغلون موقفهم كيفما يريدون، ويستعلون على الناس، وبذلك يقعون فى حبائل الشيطان، وينزلقون إلى سوء المصير، وصدق الله إذ يقول: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ يوسف(٥٣) والذين يرحمهم الله من هذه الفئه هم الذين يدركون أن حاجة الناس إليهم نعمة يختبرهم الله بها، وأن هذه النعمة ستزول يوما ما، وكما قيل لبعض الأمراء (لو دامت لغيرك ما وصلت إليك) وإن الواجب عليهم شكر هذه النعمة، وشكرها يكون بقضاء حوائج الناس بدون استعلاء عليهم أو إذلال لهم، أو إستغلالهم فى المطالب الشخصية، بل يقضونها لهم وهم يعلمون أن هذا حقهم، وأن الله سخرهم لتوصيله إليهم، ولذلك حذر الرسول ﷺ فى نهاية الحديث الذين لا يقدرون هذه النعمة حق قدرها

فلا يقضون حوائج الناس ويستغلون عليهم، ويذلونهم، ويستغلونهم فى مطالبهم الشخصية، حذر الله هؤلاء من سوء العاقبة والجزاء العادل من الله تعالى وهو أن تنقلب هذه النعمه إلى نقمة، ونعم الله كثيرة ولا يستطيع أى إنسان أن يعرف كيف ينتقم الله منه إذ لم يشكر هذه النعمة الشكر الواجب.

والرئيس الذى يؤمن بذلك تراه يبحث دائما على حقوق الناس سواء كانوا مرءوسين أو أصحاب حاجات ويرحب بهم إذا قصدوه، وييسر لقضاء حاجاتهم، لأنه يعتبر عمل هذه النعمة أعطاها الله له، وليس ضامنا ما يأتى به الغد.. فربما احتاج إلى أصحاب الحاجات الذين يأتون إليه، لأن كل إنسان فى هذه الحياة صاحب حاجة سواء كان رئيسا أم مرءوسا، وهى بيد غيره فمن يسر على الناس قضاء حوائجهم يسر الله له قضاء حوائجه.

وقضاء حوائج الناس بهذا الإيمان من أسمى العبادات، ومن الأمور التى حث عليها الرسول ﷺ فقال: **(من كان فى حاجة أخية كان الله فى حاجته)**. وليس معنى الحث على قضاء حوائج الناس أن يخالف الرئيس القوانين والقرارات لتنفيذها، فهذا ذنب كبير، وخطأ عظيم يقع فيه من يفعله لأنه يعتبر خائنا للأمانة التى حملها، وانما تقضى حوائج الناس مادامت تسمح بها القوانين والقرارات. فإذا لم تسمح بها يكون الإعتذار اللطيف لصاحب الحاجة وإرشاده إلى الطريق الصحيح لقضاء حاجاته، فالدين النصيحة كما يقولون.

بهذه العقيدة يسعى المسئولون إلى قضاء حوائج الناس بدافع ذاتي ووازع دينى، وإرتياح نفسى،ويطمئن كل صاحب حاجة على قضائها بدون استعلاء أو إذلال أو إستغلال، وبذلك تسود القيم السامية والثقه فى المسئولين، وتحفظ كرامة الناس، ويقضى على شائعات السوء، وإفتراء المغرضين وهذا هو عوامل رقى المجتمع.

(٣) قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران (١٥٩)

هذه الآية تبين عوامل الإرتباط النفسى والقلبى بين الرئيس والمرءوسين، كما تبين الوسائل التى يستطيع بها الرئيس أن يجذب إليه مرءوسيه، ويقيم معهم علاقة حب وإخلاص ، ومودة وصفاء علاقة إنسان بأخية الإنسان الذى يحب أن يكرمه ويحترمه، ويعطية شخصيته الإنسانية التى من الله عليه بها، وهذه العلاقة قد تدفعهم إلى التعاون معه فى العمل، وبذل الجهود الصادقة لرفع مستواه، وهذه الوسائل خمس هى: لين الجانب، ورقة القلب ، والعفو عمن يصلحه العفو، وطلب المغفرة لهم من الله، والتشاور فى الأمر .

فلين الجانب: من أسباب إستئناس الإنسان لأخية الإنسان وإستئناس المرءوس لرئيسة، وشعوره بمعاملته الإنسانية، وأخلاقة الرقيقة، ونفسه العالية، وهذا الشعور كاف للتقارب بين الإثنين، وتفاهمهما معا، وثقة أحدهما بالآخر، ودفع المرءوس إلى أن يبوح لرئيسة بكل ما تكنه نفسه نحوه، وبكل ما يجول بخاطره من أفكار، وبكل ما مر به من تجارب وبكل ما يحتوى عليه العمل من أسرار، وبكل ما يجرى فى مجال العمل من مواقف وآراء .

ورقة القلب: دليل الإدارة الإنسانية التى تؤمن بأن الإدارة ليست أوامر تصدر ولكنها أهداف تتحقق، ولن تتحقق الأهداف إلا بالأسس الإدارية التى نتحدث عنها، ورقة قلب الرئيس تدفعه إلى العطف على مرءوسيه عطفا هادفا إلى الصالح العام وإلى إثارة الغيرة على العمل والحماس له، كما أنه تدفعه إلى معاملتهم بالحسنى، وهى معاملة التى تقوم على اللين من غير ضعف، وعلى الحزم من غير قسوة، فهى معاملة تشعرهم بأنهم يعملون جميعا فى حقل واحد ، لهدف واحد، بشعور واحد وأخوة متحابيين متعاونين بدون خروج على قانون أو مخالفة لقرار. وليس معنى رقة قلب الرئيس أن يكون سلبيا مع الخاطئين فيتغاضى عن خطئهم، ولا أن يكون متهاونا مع المفسدين فيتركهم يعبثون فسادا فى مجال عملهم، فهذا مفهوم خاطئ عن الرئيس ذى

القلب الرقيق وذلك لأنه يجب أن يواجه المخطئ بخطئة، ويوجهه عند أول خطأ ولا يعاقبه، فإذا تكرر خطؤه ولم يستجب للنصح كان لابد من العقاب الرادع له ولغيره. كما يجب أن يقف أمام المفسدين وقفة تصدهم وتمنعهم من الفساد فإذا لم يمتنعوا عن الفساد كان الجزاء الذى يوقظهم من غفلتهم ويكون عظة لغيرهم.

والعفو عن المسئ : الذى يصلحه العفو يشعر المرءوسين بأن رئيسهم يميز بين إنسان وإنسان، وبين مسئ ومسئ، هو رجل يفهم من يتعامل معهم ويعامل كلا منهم بالمعاملة التى تناسبة. فإذا ما ساوى بين جميع المسيئين فى المعاملة، كان معنى ذلك أنه لايفهم كل مرءوس من مرءوسيه، وبذلك يعطى الفرصة للمسيئين أن يتمادوا فى إساءتهم، فيضطرب جو العمل وينتشر الفساد فيه، ولكن إذا عفا عن المسئ الذى يصلحه العفو فقط شعر المرءوسون بأنه لا يتصيد الأخطاء لهم ولا يتعقبهم وينتهز الفرصة لعقوبتهم، ولا يتعمد ايذاءهم، ولا يتبع أسلوب العقاب إلا مع من لا يصلحه العفو حتى لا يتمادى فى إساءته واهماله عمله، وحفظا على حسن سير العمل وإنجاز المطلوب منه.

وبهذا يشعر المرءوسين بسمو أخلاقه، وحرصه على الإنسان قبل المال، وعلى الخير قبل الشر ، وعلى العمل قبل العقاب، وعلى علاقته الطيبه قبل إشعارهم برئاسته.

وطلب الرئيس المغفرة من الله للمذنبين: من مرءوسيه شعور يدل على حبه لهم. وعطفه عليهم . وحرصه على طهارتهم نفسيا وقلبيا وماديا وعلاقة وتعاملا، كما يدل على إيمانه بأن هذه الطهارة عنصر جوهرى فى شخصية العامل الذى يطلب منه أن يؤدى عمله بإتقان وينجزه على ما يرام وإذا شعر المرءوسون بشعور الرئيس نحوهم عمليا، ووجدوا هذه الطهاره فى سلوكه كان قدوة لهم فى هذا السلوك الدينى العملى الذى يعتبر المؤثر الأول فى حسن سلوكهم أخلاقيا وفى العمل، وفى حسن علاقتهم مع بعضهم ،

وفى تعاونهم، وفى أداء العمل المطلوب منهم بإتقان وإخلاص، وفى إنجازه فى الميعاد المحدد له، كما يفهمون أن الدين عنصر أساسى فى الإدارة الناجحة التى تنشد الكمال دائما، وهى بذلك ترضى ربها، وترضى مرءوسيها، وترضى جمهورها، وتقضى مطالب أصحاب الحاجات إيمانا منها بأن هذا واجب إنسانى قبل أن يكون واجبا وظيفيا، وتؤدى رسالتها للمجتمع بدافع من العقيدة والإيمان بالله والحرص على رضائه، لا بدافع الكسب المادى، والنفاق الإجتماعى، وهذا أسمى الدوافع وأحثها على أداء العمل الذى يكلف به الإنسان على أكمل وجه .

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة (١٨٨).

(٤) ظاهرة الرشوة بين الموظفين: قد يكون هذا الموظف أمينا وهذا العميل جاهلا بطرق الرشوة ومسالكها، لكن الرشوة على أى حال قد تفشت وإنتشرت، حتى ضيّق كثير من الورعين أعمالهم كى لا يقعوا فى إثمها، وأما غيرهم فقد راحوا يزايدون فيها، لكى يرسو المزاد على أعلاهم سعرا . .!؟ وإن كثيرا من الناس ليتضايقون كلما كانت لهم معاملة مع الجهات الرسمية أو غيرها، لأنهم يعرفون أنهم سيذهبون وسيجيئون ويضيعون الوقت وينفذ صبرهم، وحتى ولو دفعوا المال فإنهم غير مطمئنين إلى مصير المعاملة. لأن المرتشين كذابون، ولأن هناك من يدفع إليهم الكثير، فيلقى منهم أولوية فى العناية.

وربما تورط فيها (الرشوة) بعض المتدينين ظنا منهم أن الضرورة أوالحاجة أو المصلحة لا بد داعية إلى ذلك، وان الحقوق نفسها لم تعد تنال إلا بالرشاوى فدفعها يؤدى إلى القبول أو الإسراع فى البت وكسب الوقت والجهد، أما المال المدفوع فيعوض ذلك أن التجار الفجار إنما يضحون بالقليل ليدر عليهم الكثير .

إن هذه الرشاوى تقع يوميا فى أغلب الدواوين .. لموظفى المالية، المصارف الجمارك، وفى المحاكم القضاة والخبراء والمحضرين وأمناء السر.. وغيرهم، وقد صرنا نسمع أن فلانا من رجال الأموال والأعمال يدفعون سرا رواتب شهرية منظمة لبعض الموظفين فى كل الجهات التى يحتاجون إليها لـ (تزييت) المعاملات، وتسريب المعلومات وإفشاء الأسرار، وشراء الضمائر، بل إنهم قادرون على توظيف بعض الأشخاص فى الوظائف التى يريدون، وعلى تسريح الشرفاء.. أو تنحيتهم عن الوظائف الفاعلة أو الضغط عليهم لتهجيرهم وتنفيرهم.

فالرشوة إذن ما يستنكره الناس على دفع نقود أو عروض أو خدمات أو منافع فى صورة هدايا أو غيرها على سبيل الملاطفة والمصانعة والإستماله بقصد المحاباه، إحقاق الباطل إبطال حق وربما تؤخذ على واجب يلزمه أداؤه، أو باطل يلزمه تركة، وقد تؤخذ الرشوة بالإكراد، أو بالتواطئ والتراضى بين الراشى والمرتشى لتحقيق مصالحهما الشخصية المنافية لمصلحة الجماعة ولا شك أن إثم أخذ الرشوة لباطل أكبر من إثم من امتنع عن الحق إلا بها. فالرشوة حرام فى حق الراشى والمرتشى والرائش (الواسطة بينهما) إذا كانت لإعانة على الظلم. وهضم حقوق الآخرين، فهى فى هذه الحالة ما يدفع طلبا لباطل. قال القرطبى « ولاخلاف بين السلف أن أخذ الرشوة على إبطال حق، أو مالا يجوز، سحت حرام» .. وقد تكون حراما فى حق المرتشى مباحة للراشى أو مكروهه، إذا خاف على نفسه أو عياله أو ماله وقصد بها رفع الظلم عن نفسه أى (طلب حق أو دفع باطل) القرطبى وإن كان الأفضل التنزه عنها كلما أمكن حتى لا يعان المرتشى على الرشوة، وحتى لاتنتشر آفتها فى المجتمع، وقد أنكر الشوكانى هذا التمييز واعتبر الرشوة حراما عليهما فى الحالين.

ولا شك أن إثم آخذ الرشوة لباطل، وأن الرشوة لا يجوز دفعها ولا قبضها ،إذا قبضت فلا يجوز الإنتفاع بها، بل يجب ردها إلى بيت المال وصرفها فى مصالح المسلمين، عقوبة لهما، وربما جا ز ردها إلى أصحابها إذا دفعوها للحق مكرهين ، وأمكنت معرفتهم وإذا لم تمكن تصرف إلى الفقراء.

يقول ﷺ **(من أستعملناه على عمل، فرز قناه رزقا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول)** رواه أبو داود وعن معاذ بن جبل قال بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال **(لا تصيبن شيئا بغير إذنى فإنه غلول)** حديث صحيح إن شيوع الرشوة والفساد من أخطر العوامل المساعدة على تثبيت حالة التخلف والضياع التى تعانى منها مجتمعاتنا .. إننا نحتاج إلى الرقابة والصرامة ولم نعد بحاجة إلى المجاملة والتراخى، ومصيبتنا إننا خالفنا فضائلنا العربية والإسلامية وعمينا عن فضائل المجتمعات المتقدمة، وتهالكنا على رذائلهم، إنهم يتقهقرون ولكنا أسرع منهم تقهقرا، وبذلك يبقون متقدمين، ونبقى نحن متخلفين، والسعيد من تمسك بطاعة رب العالمين، وأعتقد إعتقادا راسخا أن الرزق والفلاح من الرزاق ذى القوة المتين والشقى المحروم من سلك سبل الشياطين.

٨- ضياع الوقت وإهمال الموظف فى مصالح الجمهور وتناقضات إدارية.

أ- **ضياع الوقت:** إن الشعوب التى تضيع الوقت يكون ضياعه سببا فى ضياعها ومن ضياعها ومن كثرة ضياع الوقت فى الدول النامية يتردد قول: (الإدارة ضياع) لأن الإدارة التى لاتستخدم الوقت بالطريقة الصححة بفاعلية ونجاح حسب الأولوية يكون ذلك هو الضياع لأن الوقت هو أندر مورد للإدارة وليس من الممكن تعويضه ولا يمكن إدخاره.

وإن الكثير من ضياع الوقت نراه فى المجادلات والمناقشات التى لا طائل منها، وإن ضياع الوقت يعتبر نوعا من التبذير والإسراف وإدارة الوقت هى إدارة الذات لأن من يستطيع أن يدير وقته يستطيع أن يدير نفسة وذاته. ولقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالوقت فى سورة الفجر **﴿والفجر وليال عشر﴾** وفى سورة الضحى **﴿والضحى والليل إذا سجى﴾** وفى سورة الليل **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾** وسورة العصر **﴿والعصر* إن الإنسان لفى خسر﴾** وفى سور أخرى عن الوقت وذلك لمدى أهمية قيمة الوقت.

وفى الكثير من أحاديث الرسول ﷺ نرى أهمية عمل كل شئ فى الوقت المحدد له ومدى خطورة عدم تنفيذ الشئ فى وقته : قال الرسول ﷺ فى وقت الزكاة «ذكاة

الفطر» وكيف أن العمل إذا لم يؤد فى وقته وتم تأجيله يكون شيئا آخر مختلفا عن المقصود به تماما (**من أداها قبل الصلاة فهى زكاة متقبله ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقه من الصدقات**) . وفى تحديد وقت الصوم من الفجر إلى غروب الشمس فماذا لو أفطر الإنسان قبل المغرب بدقائق يكون وكأنه لم يصم اليوم كله وهذه هى شعائر الإسلام تعلمنا دقة الوقت والإلتزام بتعاليم الله فى العمل وفى الحياة الدنيا:

أنظر بعينيك وقلبك وعلمك والعقل الذى وهبه الله لك لكى تتدبر به، أنظر وتأمل فى الكون من حولك تجده ساعة مضبوطة فلماذا لا تنضبط معها، تأمل حركة الأرض والقمر والشمس والكواكب والمجرات كلها تخضع لقوانين ثابته لا تعرف أى خلل ولو كان جزء من المليون من الثانية، إن الله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يونس (٥) ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ الإسراء (١٢).

ب- إهمال الموظف فى مصالح الجمهور

إن العمل الذى يتولاه أى موظف فى الجهاز الحكومى أو المؤسسات أو الشركات العامة هو ولاية عامة، أى ليس عملا شخصيا يعود نفعه أو ضرره على القائم به وحده، وإنما هو يرتبط بمصالح الآخرين معه فى المجتمع وبمصلحته هو كذلك، والأجر الذى يتقاضاه على العمل ليس هو أجرا على عمل الوظيفة فقط، وإنما هو أجر عن كافة أصحاب المصالح فى المجتمع.

وصاحب الولايه العامة - أو صاحب الوظيفة العامة فى الدولة، هو موظف يؤجر من الجميع على عمله، ولكل واحد، وبالتالى حق فيما يقوم به من عمل وينتحى

تحليل وضع صاحب الولاية العامة إلى أنه موظف يعقد مع كل فرد من أصحاب المصلحة فى وظيفته، ومن يوليه العمل ويسند إليه الوظيفة يوليه نيابه عن الآخرين، أى عن صاحب المصلحة، فالتعاقد بينه وبين الولى العام تعاقد مباشر وبينه وبين أصحاب المصلحة تعاقد غير مباشر.

ومن يهمل إذن من أصحاب الوظائف العامة أو الولايات العامة فى حق صاحب مصلحة فى عمله ووظيفته من أفراد المجتمع، يكون قد أخل بالعقد غير المباشر، بينه وبين صاحب المصلحة فى عمله ويكون فى وضع من يأخذ أجرا ولا يعطى عملا مقابل ما يأخذ وهذا أكل الأموال بالباطل المنهى عنه فى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ النساء (٢٩) والذى يبيح لنفسه الإهمال بسبب الكسل، فى مصالح الناس - وهو فى وظيفة عاليه - يبيح لنفسه إذن أن يأكل أموال الناس بالباطل وجزاؤه كما وعد القرآن الكريم فى آية آخرى بعد النهى السابق فى قوله تعالى ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ النساء (٣٠) وهو يأكل المال بالباطل، أى يأخذ الأجر فى مقابل الإهمال فى العمل، قد إعتدى على حق من أهمل فى مصلحته، وظلمه فى الوقت نفسه.إن الذى يستمر فى الإهمال فى أداء وظيفته العامة وأكل أموال الناس بالباطل يستمرئ فى واقع الأمر الحصول على المال من أى طريق إلا طريق العمل الجد فيه وتحمل المشقه فى تحصيله، فهو يستمرئ السرقه والغصب، والخداع، والتدليس، والغش ونحوها.

وهو يربط حياته ومعيشته إذن بما يلحق الضرر بالآخرين ومن يتسبب فى إضرار الناس ويلحق الخسائر بأقواتهم وأرزاقهم وأموالهم لا ينجو إطلاقا - ولو بعد أمد طويل - من أن يصيبه أذى من يتضررون به فى نفسه أو فى أسرته وأولاده من بعده، وهو أذى نار الحقد والضغينه والكراهية والإشمئزاز فضلا عن سمعته السيئة وفقده كرامة الإنسان.

وليس أفضل من أن يكون الإنسان صاحب عدل يعطى لغيره كما يأخذ منه، فإن زاد وأعطى أكثر مما يأخذ فهو المحسن، بينما يبقى الذى يأخذ ولا يعطى فى دائرة المسئ دوماً.

وليعلم كل عامل وموظف أن الإسلام هو إلتزام بخط معين التفكير، وفى السلوك، وفى العمل، هو خط الإستقامة أو خط الإنسانية، والإلتزام بهذا الخط لا يفرضه أحد على أحد. وإنما تفرضه مشيئة من آمن بإختياره، فلا إكراه فى الدين، ولكن يوم يدخل الإنسان بإرادته يلزم نفسه بمبادئة، ويصبح مسئولا عن تنفيذها، أمام الله وحده، والإنسان يوم يؤمن بالله ويؤدى أمانة الإيمان يخدم نفسه وليس أحدا سواه. قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الحجرات (١٧).

٩- تناقضات تعوق تنمية الإنسان إداريا

رغم كل الجهود الجاده المخلصه التى تبذلها الحكومة لتنمية الإنسان ومن بعده التنمية الشاملة للدولة إلا أننا مازلنا نعانى من تناقض واضح فى تصرفاتنا وسلوك أدائنا، وإن كان علاج هذا السلوك يحتاج إلى وقت طويل لكى يستقيم. وفيما يلى نحاول سرد بعض صور التناقض:

العدل الاجتماعي: وهو أساس أى تنمية إدارية وغيرها، وقد كان أحد المبادئ المعلنه يوم من الأيام إذابة الفوارق بين الطبقات، واليوم أصبح واضحا أن هناك طبقة تمثل ٥٪ من الشعب تطفو فوق سطح مياه المحيط تنعم بجمال الطبيعة وروعة شمسها وقمرها وطبقتين آخرين تتبدلان احتلال القاع المحيط تغازل ظلامه تنعم بما يجود به القاطنون المتربعون المتنعمون المالكون المسيطرون المهيمنون المتكبرون المتحكمون لسطح مياه المحيط!!

واستمرار الحال كما هو عليه لفترة طويلة ينذر بصدام حتمى بين الطبقتين بدأ تباشير .. دققوا النظر فى دوافع الإرهاب والبلطجة وإزدياد كم الجرائم فربما تكون الأسباب مشتركة ان التوزيع الإحصائى للمجتمع يجب أن يتبع المنحنى المعتدل وإذا حدث غير ذلك فهذا يعنى أن هناك شيئا خطأ ويجر خلفه التناقض وتبعاته.

سحر كرسى السلطة : فى عالم السلطة إما يسعى إلى شخص فيضيف للكرسى بريقا أويسعى الشخص إلى الكرسى ليأخذ منه البريق وعامة فإنه عندما يقع الإختيار على شخص يتوقع الناس منه الخير على أساس مالمسوه وعرفوه عنه قبل الإختيار.. ولكن ليس دائما تأتى الرياح بما تشتهيه السفن.. فإن كرسى السلطة متهم بأن سحره وبريقه يغير الجالسين عليه، فشخصية المسئول تختلف قبل وبعد الجلوس عليه، إيجابا أو سلبا فإن كان سلبا فقد حدث التناقض السلبى الذى يثير التساؤل .. هل الإختيار السبب أم ذكاء الحاشية أم مجتمع الناس أم مرونه قواعد النظام أم جاذبية الكرسى أم نفوذ السلطة، والحل بسرعة التغيير فى العلاج لأن الجالسين على كراسى السلطة فى كل المواقع هم قدوات ورموز يحتذى بهم مئات بل آلاف البشر.

مجتمع المعلومات : رغم كل المجهود التى تبذلها الحكومة للتنمية الشاملة من خلال خلق فرص الإستثمار لجذب وتشغيل الأموال الخائفة وتنمية الأراضى والمدن الجديدة والمشروعات الصغيرة وتنشيط السياحة ومجالات أخرى عديدة .. رغم كل هذه الجهود، فهناك حلقة مفقودة بين هذه الفرص، وبين المستفيد الأصلى «عامة الشعب» فمعظم الناس لاتعرف ماهو وكيف الطريق للمشاركة والإستفاده أليس هذا تناقضا رغم تكنولوچيا الإتصالات والمعلومات المتاحه، إلا أن المعلومات والإتصالات مفقوده بين القمة والهرم المستفيد عدد قليل متكرر والنتيجة أيضا محدودة .. لماذا لا تثبت كل هذه المعلومات من خلال قناة تلفزيونية خاصة إضافة إلى دليل متخصص يباع ضمن الجرائد الحكومية مع تحديد أرقام تليفونية لكل نشاط يتم الإتصال بها لمعرفة الفرص وكذلك خلال شبكات الإنترنت.

المدير والمسئولية : سرعة الحركة تتطلب سرعة إتخاذ القرار ، تلك السرعة لاتأتى إلا من مدير فاهم قادر جرئ مسلح بصلاحيات، فالقرار لا يتخذ إلا من صاحب حق إتخاذه، وهنا نرى المدير لا يستطيع إتخاذ القرار إلا بعد العودة إلى المدير الأعلى منه، ويتكرر الموقف حتى نصل إلى نهاية السلسلة حيث الجالس على قمة هرم المسئولية. إذن كيف ندعو إلى سرعة الإنجاز فى الوقت الذى نعوق سرعته .. أليس هذا تناقضا!!.

الطموح: سرعة الحركة تتطلب تخفيض الزمن إلى أدنى درجة لتحقيق الهدف وتخفيض الزمن يتطلب إزالة المعوقات وإسقاط القيود الوهمية. والمفتعله فى طريق التقدم. والتقدم ليس له نهاية لأنه توءم الطموح. والطموح لا يموت أبدا إلا بالقتل أو بالقهر، والإدارة الذكية هى التى تفجر بركان الطموح الذاتى فى الأفراد لأنه المفتاح الأوحد لتفجير طاقاتهم الكامنه بسرعة خارقة نحو تحقيق الهدف.. ترى كم مسئولا حريصا على تفجير طاقات من حوله من مساعدين ومعاونين وكم حريصا على قتلها فى مهدها.. ثم نتحدث عن التطور أليس هذا تناقضا!!.

الوفاء: فى ظل وجود المسئول فى موقعه نتغنى بإنجازاته ومبهراته ونجامله فى كل المناسبات بسيطها قبل كبيرها.. وبرحيله نكيل له الطعنات وتحرم عليه المجاملات .. أين الوفاء والإلتزام والنظام .

آخر الحديث : أرخص ما فى الدنيا الكلام، وأغلى ما فيها العمل، فهل يتساوى الذين يتكلمون والذين يعملون، لو كان العمل من نوع الكلام لكان الصدق مفتاح الحياة.. ترى هل تملك مفتاح الحياة؟

١٠-الوظيفة الحكومية والمدنية والحرفية للشباب

أ- الشباب والخدمة المدنية

إنخراط الشباب المتدين فى الخدمة المدنية وإنهماكة فى الإسهام فى بنية الدولة هو أمر حاصل، ولكنه غير مؤهل ومعمق فى الأذهان. هو خامل طبيعى، بحكم حصول هؤلاء الشباب على مؤهلات علمية مرتفعة، ومتخصصة فى شتى فروع العلوم كالطب والهندسة والمحاسبة والعلوم الإنسانية بمختلف متخصصا تها.

وبحكم كون العمل الوظيفى هو الوسيلة الرئيسية لكسب الرزق، وهو أمر مندوب، بل لقد عاب الإسلام على من يعوله غيره حتى ولو إنقطع هو للعباده وتفرغ لها، وإعتبر الإسلام العمل عباده.

هذا الأمر الطبيعى يحتاج إلى تعميق فى وجدان الشباب الذى يجد أن من عمله المهنى إقترابا أكثر من المجتمع الذى يتحدث عن إصلاحه وهذا الإصلاح لا يتحقق بالتحريك عن بعد به بالريموت كنترول.

رأيت شباباً - فى أكثر من التطبيقات- يشغلوا مواقع وظيفية مهنية فأبدعوا فيها وجعلو أعباء العمل بإقتدار كبير جعلهم فى موضع تقدير زملائهم فى العمل ورؤسائهم والمراجعين ....إن هذا الأسلوب يختلف عن «الأسلوب الإنسجامى» أو الهروبى الذى يمارسه البعض فى عدد من الدول العربية، تاركا وراءه مجموعة من العبارات المبهمة والتعميم الغائم، الذى يؤجل بذل أى مجهود إبداعى بدعوى إنتظار «شىء ما» أي شىء يصلح للتأجيل الذى يريح الأبدان ويعفيها من العمل، إينيم الأزهان ويلهيها عن التفكير وليكن هذا الشيء إنتظار قيام الدولة الإسلامية، أو مجيء المهدى المنتظر، أو حتى قيام الساعة، أى شىء يصلح للإنسجام من أمام تحديات العمل الميدانى الذى يحتك فيه المرء بالناس، كل الناس

صحيح أن هذة وضعية شاذة، وغير معقولة من جانب أكثرية هؤلاء الشبان إلا أن التنبية من أعراضها ورصد مقدما تهاأ مر تقتضيه « الوقاية ».

فى المقابل يمارس المنخرط فى العمل الميدانى تطبيقآ حقيقياً لما يحمله من مثل ومفاهيم، وإذا خالط تلك المفاهيم شيء من «اللامعقولية» فإن عرض الفكرة على الواقع يفرز رؤية جديدة تستند إلى روح الإسلام وتتعامل مع متغيرات العصر بالحيوية التي عرفت بها هذة الشريعة العظيمة، والتى يسميها أهل العلم « الإجتهاد » ... ان طريق هذا الإجتهاد يبدأ بالمجاهد. وهى لايتحقق من وراء حجب وجدران، ولكن من خلال من يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن يخالطهم ولايصبر على أذاهم

ب- الوظيفة الحكومية والحرفية

لازال الشباب وذويهم يعتبرون أن الحكومة مسئوله عن تعيينهم وتأمين مستقبلهم، وهو التزام أخذته الحكومة على عاتقها فى مصر فى مرحلة الستينات فى ظروف مغايرة تماما سياسيا وإقتصاديا وإجتماعيا، وتحاول الآن أن تتحلل منه، لكنه بقى راسخا فى الوعى العام على الأقل فى قاع المجتمع المصرى حيث الشرائح الفقيرة ومحدودة الدخل .

وإن الوظيفة الحكومية مازالت تشكل هدفا لدى هؤلاء ، لا لأنها توفر دخلا أو أملا، لقد باتت تؤمن الكفاف بالكاد، ولكن لسببين آخرين : أولهما: أنها إحدى ركائز الإستقرار من حيث أن الموظف ضامن لدخل يأتيه كل شهر مع الحوافز والمكافآت، حضر أم لم يحضر، تقاعس أم أنجز، وثانيهما: أن الوظيفة صارت عند البعض بابا لنربح والكسب الإضافى، سواء من الأبواب غير الشرعية فى نطاق العمل، أو من الاواب المشروعة خارج العمل.

إن الحرفة مازالت عملا يخجل الجامعى عن أدائه، وبعض الذين يشكون من الشبب ، كانوا يقولون ما خلاصته أن الزمن جار عليهم حتى تدهور بهم الحال وإحترفوا !! ولولا الضغوط المعيشية القاسية، لفضل الواحد منهم أن يبقى عاطلا، عن أن يحترف هذه المهنه أو تلك.

إن الكلَ يتطلعون إلى السفر للخارج، ويسعون إلى الهجرة، أو يبحثون عن عقود عمل وهمَ لا يمانعون من الإشتغال هناك في أحط المهن والأعمال، يقبلون ذلك بصدر رحب، لأنهم، من ناحية - سيكونوا بعيدين عن الضغوط الإجتماعية التى تلاحقهم فى مصر، ثم لأنهم يعرفون أن تلك الأعمال هى المحطة الأولى وليست الأخيره، أى أن لديهم «أملا» فى أن يترقوا، إلى وظائف أخرى بعد سنة أو ثلاث أو خمس، أما فى مصر فالأمل مفقود.

وقد عرف البعض البطالة بأنها تعبير عن فشل المجتمع فى أن يحول طاقاته الحيوية إلى قوى تنفعه فى تحقيق أهدافة.

هذا وليس الركود الإقتصادى هو سبب البطالة بين الشباب وخاصة بين المهندسين كما كان يبدو لأول وهلة، لأن هناك دلائل قوية تشير أن مشكلة البطاله تنبئ عن وجود تصدع قوى فى البنية الصناعية تظل البطالة أحد مظاهرها.

(١١) أخلاقيات العمل الوظيفى فى الدستور والقانون (الوضعى)

إن أخلاقيات العمل فى الدين الإسلامى تستند إلى القرآن الكريم وهو كلام الله عز وجل والسنة النبوية المشرفة والمنزه عن الهدى.

أما أخلاقيات العمل فى القانون، الوضعى وهو من صنع البشر، فإنه إجتهاد بقدر الإمكان ولا يستطيع متصف أن يصفه بالكمال أو التمام

وإذا رجعنا إلى القوانين الوضعية فلابد لنا أن نبحث أولا فى الدستور باعتياره أبو القوانين كما يقولون فنجد أنه أفرد فصلا كاملا عن المقومات الإجتماعية والخلقية للمجتمع.

فقد جاء بالنسبة للتوظف: أن الوظائف العامة حق للمواطنين، وتكليف القائمين بها لخدمة الشعب وتكفل الدولة حمايتهم وقيامهم بأداء واجباتهم فى رعاية مصالح الشعب. وعملهم عمل عام يتصل بالجماهير مباشرة وهو أن يكون هناك علاقة مباشرة بين العامل (الموظف) وبين الجماهير وأن مصالح الجماهير يتم تحقيقها من خلال قيام هذا العامل بعمله على أكمل وجه.

قانون نظام العاملين : المدنيين بالدولة: إن هذا القانون يقضى بانه الوظائف العامة تكليف للقائمين بها هدفها خدمة المواطنين تحقيقا للمصلحة العامة طبقا للقوانين واللوائح والنظم المعمول بها.

ويجب على العامل مراعاة احكام هذا القانون وتنفيذها وعليه:

- أن يؤدى العمل المنوط به بنفسه بدقة وأمانة، وأن يخصص وقت العمل الرسمى لأداء واجبات وظيفته، ويجوز تكليف العاملين بالعمل فى غير أوقات العمل الرسمية علاوة على الوقت المعين إذا اقتضت مصلحة العمل ذلك
- أن يحسن معاملة الجمهور مع إنجاز مصالحه فى الوقت المناسب.

- ان يحافظ على كرامة وظيفته طبقاً للعرف العام وأن يسلك فى تصرفاته مسلكا يتفق والإحترام الواجب.

- المحافظ على مواعيد العمل وإتباع الإجراءات التى تحددها اللائحة الداخلية للوحدة فى حالة التغيب عن العمل أو التأخير عن المواعيد.

- المحافظه على ممتلكات وأموال الوحدة التى تعمل بها ومراعاة صيانتها.

أعمال محظورة: ورد بالقانون مادة خاصة بالأعمال التى يحظر على العامل إرتكابها والتى من أهمها عدم جواز إفشاء أسرار عمله، أو الإحتفاظ بأصول الأوراق الرسمية ونزعها من الملفات، وشرب الخمر ولعب القمار، أو قبول الهدايا أو المكافآت أو العمولة... وحدد القانون الجزاءات التى توقع على من يخالف تلك الأحكام وتدرج فيها من الإنذار إلى إنهاء الخدمة .

قانون العقوبات: إننا نجد فيه الكثير والكثير من الأحكام التى تجرم كل خروج على الأخلاق والقيم حيث يقضى بأن كل موظف عمومى طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعدا أو عطية لأداء عمل من أعمال وظيفته يعد مرتشيا ويعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة أو بغرامة لا تقل عن الف جنيه ولا تزيد على ما أعطى أو وعد به.

كذلك حرم الامتناع عن اداء العمل لذات الأسباب وأفراد القانون بابا كاملا للرشوة مكونا من ست عشرة مادة لتحريم الرشوة وتحديد العقوبات التى توقع على المرتشين.

كما أفرد بابا كاملا عن تحريم إختلاس المال العام والعدوان عليه، وبابا آخر لتحريم تجاوز الموظفين حدود وظائفهم وتقصيرهم فى أداء الواجبات المتعلقة بهم، وكذلك تحريم الإكراه وسوء المعاملة من الموظفين لأفراد الناس.

العمل والعمالة

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

(التوبة ١٠٥)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ

أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (الكهف ٣٠)

فهرس مهنة العمل

ص

(١) أخلاقيات ومتطلبات العمل فى الإسلام

أ- **العمل عباده:** إن غرض الإسلام وهدفه فى الحقيقة ينصب على إصلاح هذه الحياة التى نحياها، وتوفير الأمن والإستقرار وحسن العلاقات فيما بيننا ومقدار نجاحنا فيها فى تحقيق هذا الهدف تكون جائزتنا.

وأهم شئ تقوم عليه هذه الحياه هو العمل .. عمل كل إنسان فى مجال من مجالات الحياة ولا يمكن أن تقوم حياة بغير عمل .. كما لا يمكن أن تنتظم حياة بدون عمل طيب متقن، ومن أجل ذلك خلق الله الإنسان وفى طبيعته حب العمل والسعى.. لكى يعيش ويعمر الأرض ويستغل خبراتها ويستخرج كنوزها ومكوناتها، ومع حب الإنسان للعمل والسعى بطبيعته إلا أن هناك أيضا فيه حب الخلود للراحه والبعد عن عناء العمل، والقاء ثقله وتبعة عيشه على غيره، كما أن فيه إستنكافا لبعض الأعمال واحتقارا لشأنها ولو أطلق العنان للناس لوجدناهم يهملون كثيرا من الحرف والصناعات والأعمال إستنكافا لها .... لأن مجتمعهم ينظر إليها نظرة غير كريمة.

إن الإسلام لا يفرق بين عبادة خالصه كالصلاة وبين عمل للحياة وكسب العيش من حيث تقرير ثواب عليه فكل عمل طيب متقن يقوم به إنسان سواء كان خاصا بالعبادة الخالصة أم كان عبادة عن طريق كسب العيش وإثراء الحياة بالإنتاج .. يضع الله النتائج الطبيعية له فى الدنيا ويضع أمامنا الجزاء عليه فى الآخرة كحافز يحمل الإنسان على إجادة عمله وإتقانه مهما يكن نوع هذا العمل.

يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا** ﴾ (الكهف ٣٠) ويقول الله تعالى فى الجزاء عليه فى الآخرة: ﴿ **جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ (البينة ٨) وقال تعالى ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (النحل ٩٧) وتشمل الأعمال الصالحة كل عمل طيب وكل سعى حلال

يؤديه الإنسان ويشارك به نهضة أمته وتقدمها وتوفير الحياة المنظمة السعيدة لها من بدء تنظيف الشارع إلى القمة .. هذا في مصنع، وهذا في مزرعته أو تجارته، وهذا في ديوانه أو في ميدانه.

وفي السنة النبوية الكريمة نصوصا متعددة تمجد العمل الطيب وترفع درجته وتكرم صاحبه:

يقول ﷺ : **(من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورا له)** عن ابن عباس.

: **(إن الله يحب العبد المؤمن المحترف)** عن ابن عمر.

: **(ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده)** عن المقداد.

: **(لأن يحتطب أحدكم خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)** عن أبي هريرة.

ونظر الرسول إلى يد إنسان تورمت من العمل وقبلها وقال: **(هذه يد يحبها الله ورسوله)**.

ويقول ﷺ : **(إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا السعي على الرزق)** ابن ماجة.

وسأل الرسول ﷺ عن أحد أصحابه وقد غاب عنه فقال له إخوته: هو يصوم النهار ويقوم الليل فقال الرسول: فمن يطعمه ويكسوه؟ قالوا: كلنا يا رسول الله .. قال **(كلكم خير منه)**.

ولا يعرف الإسلام ما شاع بين الناس في وقت من الأوقات من إحتقار بعض الأعمال فكل عمل له قيمته في نظر الإسلام .. هذا أعطى أجرا والآخر أعطى جهدا .. وقد أوصى الإسلام كلا منهما بأن يتقى الله فيما يبذله للآخر هذا بإعطاء المال دون إجحاف للعامل وذلك بإعطاء الجهد كاملا والعمل متقنا حتى يكون كسبه حلالا طيبا ويصدق عليه قول الرسول ﷺ : **(رحم الله امرءا إكتسب طيبا)**.

ب - ولا يفرق الإسلام فى إيجاب العمل ولا فى ثوابه وجزائه ونتائجه بين الرجل والمرأة والله يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل ٩٧) ويقول ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ (النساء ٣٢).

فالمرأة فى نظر الإسلام لها مجالها الذى تعمل فيه وتحسن العمل، وعملها فى بيتها لتربية أولادها وتهيئة البيت للإقامة واعداد الطعام مثل عمل الرجل فى ميدانه خارج البيت .. كل له ميدان عمل .. بل ان الإسلام يحب المرأة التى تعمل كل ما تستطيع لمعاونةزوجها فى تأمين المعيشة لهم ولأولادهم صنعة تتقنها وتبيع ما تصنعه، أو ممرضة أو طبيبة نساء، أو معلمه فى دور تعليم الفتيات أو دور الحضانة.

فالعمل واجب على المرأة وعلى الرجل كل فى مجاله وفى حدود التنظيمات والتشريعات التى وضعها الإسلام،ولكل منهما أجره وجزاؤه : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ (آل عمران ١٩٥)

ويقول ﷺ: **(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقه جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)**.

جـ- ان هدف هذا الحديث هو حفزنا لهم، والتحريض فى العمل لتعمير الحياة وإشاعة الطمأنينة والاستقرار فيها: بالمال والعلم والأخلاق. فهذه الأشياء التى أخبر الرسول ﷺ أنها تزيد من رصيد صاحبها من الثواب بعد موته: ما صلتها بالحياة أو مدى فاعليتها فى صنع حياتنا التى نحياها ؟ هى من صميم الحياة .. ومن دعائم إزدهارها:

المال: الذى يسخره صاحبه لإقامة المنشآت التى تخدم المجتمع.

العلم: النافع فى كل مجالات النفع للإنسانية، يبنى به العالم أنفسا، وعقولا تنهض بمجتمعها وبالإنسانية كلها.

وتربية الأولاد تربية صالحه ليكونوا أعضاء صالحين يشعون الخير فى مجتمعهم .. بهذا نرى عناية ديننا بحياتنا، وتوفير الخير والطمأنينة لنا فيها وفيما بعدها:

(د) واجبات صاحب العمل: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ (آل عمران ٣٠).

(١) الأجر فى نظر الإسلام يجب أن لا يقل عن حاجة العامل لأن حق الحياة ثابت لكل إنسان وكل أجر يقل عن الحاجة فهو أجر ظالم لأنه يعرض حياة الإنسان للخطر. والظلم الكبير لمن لا يدفع أجر العامل أو يؤخره.

قال الرسول «قال تعالى»: **«ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل أستأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»** (حديث قدسى). (أى بمعنى استوفى منفعته بغير عوض، وهذا ظلم)

وفى هذا يقول ﷺ: **(أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) وتمام الحديث عن البيهقى (وأعلمه أجره وهو فى عمله)**.

وأداء أجر العامل فى النظم الإسلامية أمر يدخل فى العقود التى أمر القرآن بالوفاء بها، والأمانات التى أمر أن تؤدى إلى أهلها: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾** (المائدة ١). **﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾** (النساء ٥٨).

وفى الإسلام: المعروف عرفا كالمشروط شرطا، فالعرف السائد والظاهر هو المرجع فى أمور كثيرة من أمور العمل: هو مثلا المرجع فى:

(٢) تحديد مواعيد العمل: وتحديد طبيعة عمل الأجير، وتحديد مواصفات الإنتاج والقيام بتوابع العمل أو عدم القيام بها إذا لم يشترط ذلك فى العقد، وتحديد أى الطرفين يكون مسئولا عن أدوات العمل: رب العمل أم العامل، وتقرير مدى أحقية العامل على رب العمل فى الطعام.

وصحة العامل هى رأس ماله الأول، ولعل رأس الرعاية الصحية العمالية أن تهيأ للعامل فرصة النظافة، والإسلام يفرض هذه النظافة، حيث يوجب الطهارة، ويجعلها فاتحة أغلب العبادات فيه كالوضوء والغسل. والإسلام شديد العطف دائما على المرضى، ومن ذلك أنه فى الجهاد والسعى على المعاش: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ (الفتح ١٧).

(٣) لذلك فصاحب العمل عليه أن يوفر للعامل **الرعاية الصحية** من علاج ودواء ومن وجوه الرعاية الصحية للعمال تقديم الغذاء الطيب لهم بالمجان أو بثمن رمزى.

ومن وجوه الرعاية الصحية لهم أيضا تدبير **المساكن الصحية** المناسبة لهم وخاصة لغير القادرين منهم وذلك بالنسبة للشركات الكبرى.

هذا وتقيم الحكومات والهيئات والمؤسسات والشركات الكبرى، بنفقات من عندها - **فصولا تعليمية للعمال**، وذلك نهوضا بمسئوليات التربية الثقافية والقومية والنقابية، وعلى رجاء أن يكون هؤلاء العمال قادرين على النهوض بمسئولياتهم فى بناء وطنهم.

هذا وتعنى **الخدمه الإجتماعية العمالية** الحديثة ببث الروح الرياضية فى العمال، فالإسلام - منذ جاء - يوفق بين حظوظ البدن وحظوظ الروح : قال الرسول ﷺ: **(إن لبدنك عليك حق)** (البخارى) وقال **(المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير)** عن أبى هريرة، والترفيه والتسلية إذا أريد بهما إراحة البدن والنفس من عناء العمل وكانا لا يرميان إلى مخالفة للدين أو إضرار بالفرد أو الجماعة، هما مما لا يأباه الإسلام، ولعلهما مما يرضاه، بل يحث عليه وقد جاء فى الحديث **(روحوا القلوب ساعه فساعه)** عن انس أى أريحوها بعض الأوقات بالمباحات.

(هـ) واجبات العامل:

١- ومن واجبات العامل **عدم التسويف**، إذ أنها آفة من أشد الآفات خطر على إنتفاع الإنسان بيومه وحاضره وهى التسويف والتأجيل فى العمل حتى تكاد تصبح كلمة « سوف» شعارا له وطابعا لسلوكه، فمن يومك عليك أن تعمره بالنافع والصالح من العمل، ولاتسوف إلى غد حتى يفلت منك حاضرك فيصبح ماضيا لايعود أبدا، فعليك أن تزرع فى يومك لتحصد فى غدك وإلا ندمت حيث لا ينفع الندم.

إن فى التسويف وتأخير واجب اليوم إلى الغد آفات منها:

أولاً: انك لاتضمن أن تعيش إلى الغد.. ثانياً: إنك إن ضمنت حياتك إلى الغد!! فلا تأمن المعوقات من مرض مفاجئ ، أو شغل عارض، أو بلاء نازل . ثالثاً: إن لكل يوم عمله، ولكل وقت واجباته، فليس هناك وقت فارغ من العمل. ولما قيل، لعمر بن عبد العزيز وقد بدا عليه الإرهاق من كثرة العمل : «أجل العمل إلى الغد» فقال: « لقد أعيانى عمل يوم واحد فكيف إذا أجتمع على عمل يومين» ومن الحكم المأثورة «إعمل لدنياك كأنك تعش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا».

٢- ومن واجبات العامل **الإخلاص والأمانة** فى العمل. فالإسلام يطلب من كل عامل أن يقوم بتجويد عمله وإتقانه، فالغش والإهمال فى العمل دليل فساد الذمة ونومة الضمير واللجاج فيها والإعتياد عليها من شأنه أن يدع تلك الذمة وهذا الضمير خواء ، فوق ما يصيب مصالح الجماعة كلها فساد وإضطراب.

وقد أرجع القانون الإلهى الأمر إلى العامل فى إتقان عمله، فهو رقيب نفسه وحسيبها ، وهو الذى تعود عليه العاقبة من إتقانه العمل أو إهماله فيقول الله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا** ﴾ (فصلت ٤٦). ويقول أيضاً: ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا** ﴾ (الأنعام ١٣٢) فالله سبحانه وتعالى يذكرنا بتفاوت الدرجات فى الجزاء، تبعا لتفاوت مراتب الأعمال كثرة وقلة وإتقانا وغير إتقان، وإخلاصا وغير

إخلاص. هذا ويقول الرسول ﷺ : **(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)** ولا شك أن العامل أحد هؤلاء الرعاة فقد جعل الله العمل بين يديه رعيه له، فيجب عليه أن يرعاها ويصونها ويحافظ عليها ويؤديها كاملة تامة غير منقوصة حيث أن كل فرد مكلف بأن يرعى مصالح الجماعة ويقول الرسول **(من غشنا فليس منا)** فالإيمان يقتضى الصدق والتقوى والغش يقوض كل ذلك .

و- التكافل الاجتماعى فى الإسلام حق المواطن فى تأمين معيشته وكرامته عند العجز والمرض والشيخوخة، كما ضمنت له حق حماية أسرته بعد وفاته إن مات من غير ثروة (من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ضياعا (أى ورثة) أو كلا (أى ذرية ضعفاء) فليأتنى فأنا مولاه) . هذا وقد أعطى الإسلام للعامل حق تأمين نفقاته العائلية لأن ذلك من كرامته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء ٧٠). وكان الرسول ﷺ يعطى الآهل **(أى المتزوج)** ضعف نصيب الأعزب، وهذا تقدير لحق الإنسان فى كفايته المعايشه، ويقول ﷺ **(من ولى لنا عملا وليس له منزلا فليتخذ منزلا أو ليس له زوجة فليتزوج، أو ليس له دابة فليتخذ دابة)**.

وإن كان الإنسان قد أعتبر العمل هو وسيلة التملك ووسيلة ضمان الحياة المعيشية، فإنه لم يغفل الحالات التى يعجز فيها الانسان عن كفالة نفسه وعائلته وهى حالات التعطل والعجز .. فقد حدث الإسلام عن الإستغناء عن طريق العمل (اليد العليا خير من اليد السفلى) وجعل واجب الجماعة الأول أن تهيئ العمل لكل فرد فيها، وإذا كان العمل لا يسد الحاجة فبيت المال فى الدولة الإسلامية هو الكفيل، كما فى حالة الفقير وهو الذى يملك أقل من نصاب الزكاة والمسكين الذى لا يملك شيئا، وابن السبيل المنقطع عن ماله، والمدين الذى ذهب الدين بماله ما لم يكن قد أنفقه فى معصيه فقد شملتهم جميعا مصاريف الزكاة التى تجبيها الدولة من القادرين وتنفقها على المحتاجين.

ز- علاقة الأحكام الوضعية بأحكام التشريعات الإسلامية: ليس هناك وجه للمقارنه لأن المقارنة تتم بين شيئين من نفس المستوى أما أن نعقد مقارنة بين تشريع

سماوى وقانون وضعى فهذا ما لانستطيعه.. وفيما يلى كثيرا من المبادئ الإسلامية التى وردت فى القوانين الوضعية من ناحية **حقوق العمال** التى أهمها:

(١) حق العامل فى الحصول على عمل، وحماية العامل من الفصل التعسفى.
(٢) تأهيل العاجزين عن العمل وتدريبهم ثم إلحاقهم بالأعمال المناسبة.
(٣) تمتع العامل بأجازات إعتيادية ومرضية وأجازات بأجر فى الأعياد الدينية والقومية. (٤) تمتع العمال بالرعاية الطبية ووقايتهم من الأضرار الصحية وأخطار الآلات. (٥) حصول العمال على مكافآت عند إنتهاء مدة خدمتهم أو عجزهم عن العمل وترتيب معاشات لهم أو لذويهم عند وفاتهم. (٦) تمتع العمال بحق أدنى للأجور يناسب مستوى المعيشة. (٧) أصبح للعمال نسبة من الأرباح فى المنشآت التى يعملون بها بل تصل إلى ٢٥٪ من الأرباح وحديثا تملك جزءا من الأسهم . (٨) تحديد ساعات العمل بثمان أو سبع ساعات يوميا. (٩) الحق فى عضوية مجلس الإدارة. (١٠) تقاضوا تعويضا شهريا فى حالة البطالة . (١١) عدم إستخدام الأحداث دون سن الثانية عشر أو تشغيلهم ليلا هم والنساء مع إعطائهن أجازة وضع .

إن جميع هذه الحقوق السابقة وماعداها من الحقوق التى تقررها التشريعات العمالبة الراهنة للعمال .. لاتخرج من مضمون ما قرره الإسلام من حقوق العمال، وإن كان الإسلام لم يفصل أحكامة فى هذا الشأن إلى جزئيات، فانه ترك ذلك لمقتضيات كل عصر وظروف كل مكان.

أما عن **واجبات العمال والتزاماتهم** فى التشريعات العمالية الراهنة:

(١) الإلتزام بتأدية العمل المطلوب. (٢) الالتزام بتنفيذ أوامر صاحب العمل (أو الإدارة). (٣) الإلتزام بحفظ الأشياء التى يستعملها العامل. (٤) الإلتزام بالإحتفاظ بأسرار العمل. (٥) الإلتزام بعدم منافسة صاحب العمل. (٦) الإلتزام باستعمال وسائل الوقاية وهذه الواجبات وغيرها نادى بها الإسلام أيضا، وفرض على العامل أن يلتزم بها

وإن كان الإسلام قد إهتم أيضا بناحية تعجز عنها التشريعات الوضعية، لأنها تتصل بنفس العامل وضميره، فيؤدى عمله مبتغيا مرضاة الله ورسوله والمجتمع الذى يعيش فيه وكل ذلك مرجعه إلى الأخلاق التى عنى بها الإسلام بتقويمها وتهذيبها.

الآخذ بالمبادئ الإسلامية: قد يقال فى معارضيه أن الشئون العمالية ترد عليها التغييرات والتجديدات دائما، وأن الإختراعات الحديثة والأوضاع الصناعية والإقتصادية تجعل مقتضيات العمل وظروفه فى تطور مستمر، وإن النظم الإسلامية جاءت والظروف العمالية على غير ما هى عليه الآن، ومن ثم - يزعم الزاعمين - لاتناسب العصر الحديثة .. وربما كان الرد على هذا:

إن الإسلام - وهذا معروف جيدا - منهجا خاصا فى إجراء تنظيماته، فهو - بنصوصه وبما يجرى عليه فعلا - يصنع بما يناسب روحه ووجهته الأصول الكلية والمبادئ العامه المرنه الواسعة، ولا يفرض قوانين صماء لاتلين، وإنما يدع للمجتمع تطبيق هذه الأصول والمبادئ بما يكفل مواجهة ظروف الحياة المتجددة، ومطالب الأزمنه والبيئات المتغيرد، وما يناسب ماتجرى عليه أمور المجتمعات وما تستقيم عليه أحوالها، وإذن فللبشرية أن تقرر - على أسس الشريعه الإسلامية نصوصها وروحها ومعقولها.

ونخلص من كل ذلك إلى أن الإسلام قد عنى بشئون العمل والعمال وجاء بأحكام جامعة فى هذا الخصوص، وتحاول دول العالم اليوم أن تتفق فيما بينها لتقرير هذه الاحكام ووضع .. اتفاقيات دولية لتضمينها هذه التشريعات التى نادى بها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا.

أما بعد .. فإن الأخذ بالمبادئ الإسلامية فى الشئون العمالية ينشئ مجتمعا عماليا سليما من الآفات التى تفسد أفراده .. وتبث فيهم الخوف والذل والإستكانة أو القلق والغيظ والتمرد.

وعندئذ سترتكز العلاقات العمالية على عقيدة مسيطرة .. وكذلك على قوة ذاتية فعالة هى الضمير الحى الموجه توجيها دينيا سليما.

وستصبح هذه العلاقات دينا من الدين يلتزم به رب العمل، ويلتزم به العامل، لا خوف من قانون وضعى يمكن أحيانا التحايل عليه، ولكن خوفا من عقوبة السماء التى لاتروج عندها حيلة.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام ٧١) .

(٢) العمل والكسب الحلال

كتب الشيخ على حامد عبد الرحيم فى مجلة الأزهر (ذى القعدة ١٤١٨هـ)

عن أبى هريرة (ض) أن النبى ﷺ قال: **(خير الكسب: كسب يد العامل إذا نصح)** (أحمد)، وقال ﷺ **(يأتى على الناس زمان لايبالى المرء أخذ، أمن الحلال أم من الحرام)** (البخارى).

الإسلام دين العمل ، يحث المسلمين على السعى، ويرغبهم فى العمل لكسب المال الحلال وأباح لهم الانتفاع بالطيب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة ١٦٨). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة ١٧٢) ولقد أمر الله العباد بالعمل والسعى وذلل لهم الأرض ليمشوا فى مناكبها فقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك١٥).

والإسلام يرفع من قيمة العمل، ويبين منزلته السامية فيقول ﷺ: **(ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده..)** (البخارى).

وليس المراد تخصيص الأكل بالذات، وإنما المراد كل أنواع الإنتفاع، وخص الأكل بالذكر لأنه أظهر وجوه الإنتفاع وأهمها، والخيرية المقصوده من حديث البخارى خيرا من أن يأكل من عمل يده تكون فى الدنيا والآخرة.

ففى الدنيا يعود بالنفع على العامل وعلى غيره ممن يصل إليه النفع، فهو بالعمل يحفظ ماء وجهه ويصون كرامته الإنسانية من مذلة السؤال، وفى الآخرة فيما يحصله من ثواب عظيم حيث إستجاب لأمر ربه فسعى فى الحياة، ومضى بشرف العمل ومثوبته .. ومجالات العمل كثيرة، فهناك العمل بالزراعة: قال الله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وجعلنا فيها جنات من نَّخيلٍ وأعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ (يس ٣٣ - ٣٥) .. وفى ذلك يقول ﷺ: **(مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه الطير أو إنسان أو بهيمه إلا كان له به صدقه)** (البخارى ومسلم).

وهناك مجال التجارة: وهى عمل من أشرف الأعمال، والإخلاص فيها يستوجب محبة الله ورضوانه، قال ﷺ: **(التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (الترمذى)**.

والتجارة محك الرجولة، بها يمتحن دين الرجل وورعه وعفته وأمانته، فإذا أثنى على المرء جيرانه فى الحضر، ورفقاؤه فى السفر، ومعاملوه فى الأسواق فلا يشك فى صلاحه واستقامته... وحسب التجارة شرفا أن الله جعلها إبتغاء من فضله، وأمر بها عقب الصلاة المفروضة وقرن بها ذكره، وعلق عليها رجاء الخير والفلاح فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة ١٠).

وفى شأن التجار الذين يضربون فى البلاد طولا وعرضا يطلبون الرزق مما هو من فضل الله ونعمه، وبه ينالون من الله عظيم الأجر وحسن المثوبه قال: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (المزمل ٢٠).

كما أشتغل بها الأنبياء والمرسلون فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان ٢٠). وفى سائر الأوقات لا

تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وطاعته قال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (النور ٣٦-٣٨).

وإن المؤمن الحق هو الذى يتحرى الحلال فى كسبه، وإن المال الحلال هو الذى يأخذه الإنسان أجرا لعمل مباح أو ربحه فى تجارة بحق فهو أطيب الكسب، قال ﷺ **(أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا أئتمنوا لم يخونوا، وإذا أشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يمدحوا)** قال الله تعالى ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة ٨٨). وإن المؤمن الحق هو الذى يدفع عن نفسه شؤم الكسب الحرام، فإنه إن خالط الحلال لم يلبثا أن يزولا معا، بل إن الحرام يكون زاد صاحبه إلى النار قال ﷺ: **(ولا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهرة إلا كان زاده إلى النار)** (أحمد).

وفى المجال الصناعى فإننا نجد نوحا (س) نجارا قال الله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ (هود ٣٧) وقد كان داود (س) يصنع الدروع الحربية قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سبأ ١٠- ١١) أى أصنع الدروع الحاميه من الأعداء، وأحكم صنعها، وقال سبحانة وتعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (الأنبياء ٨٠) أى تكون واقية لكم، وتحميكم فى وقت الحروب. كما كان إبراهيم (س) بناء، وهو الذى بنى الكعبة البيت الحرام وساعده فى البناء إبنه إسماعيل (س) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة ١٢٧).

ولقد كان الكثير من الأنبياء والمرسلين (س) أصحاب صناعة إلى جانب الدعوة إلى الله - فالصناعة عمل شريف ووسيلة من وسائل الكسب الطيب الذى يكف به الإنسان نفسه، ويدفع عن نفسه الضرر واليأس.

كما كان كبار الصحابة (ض) فى عهد ﷺ يباشرون حرفا وصناعات شتى. وما ذاك إلا لأنهم فهموا تعاليم دينهم على وجهها الصحيح التى يترتب على الأخذ بها والعمل بمقتضاها سعادة الدنيا والآخرة.

وهكذا وجه الإسلام الأمة إلى العمل مع التوكل على الله، ورفع قيمة العمل مهما كان نوعة حتى لا يتخاذل الناس فى ميادين الحياة، أو يتخرج بعض أصحاب الأعمال البسيطة فبين أن العمل مع الأخذ فى الأسباب من روح الدين.

قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة ١٠٥).

(٣) المسلمون والتحدى بالعمل

يحتل العمل كقيمة حضارية منزلة متميزه فى ديننا الإسلامى الحنيف وذلك لأن هذا الدين الذى جاءنا به سيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ هو خاتم الأديان وأتمها وأكملها وأشملها، وأنه لن يرضى الله من عباده بسواه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال ٢٤).

وإن الناظر فى أصل هذا الدين الحنيف من كتاب عزيز وسنة نبوية طاهرة والمتمعن فى سيرة رسول الله ﷺ العطرة وسيرة أصحابة الكرام رضى الله عنهم ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم من بعدهم، وكذلك المستقرئ لأمهات كتب الثقافة الإسلامية بمختلف فروعها يخرج المتتبع بتمعن لكل ما ذكرناه برؤية متكاملة ونظرية

شاملة فى العمل كقيمة حضارية يوليها الإسلام أكبر عناية وأهتمام، وما ذلك إلا لأن الإسلام هو دين الحياتين الدنيا والآخرة لا يسمح بطغيان إحداهما على الأخرى وذلك لالتزامه الشديد بالتعادلية والتوازن والوسطية، تعبر عن هذا التوجيه آيات قرآنية عديدة منها قوله سبحانة تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص ٧٧). وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الأعراف ٣٢). كما تعبر عن هذه التعادلية والوسطية والتوازن أحاديث الرسول ﷺ وسيرته العطره فهو الذى يقول: (**المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف**)، (**اليد العليا خير من اليد السفلى**) و (**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**)، وبعيد عن كل ذلك بتلخيص بليغ الأثر الإسلامى القائل (أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)، فالدنيا ليست فى منظار الإسلام ضرورة للآخرة، والعمل للدنيا ليس بالضرورة على حساب الآخرة بل روعة الإسلام وعظمته ذلك المزج العجيب والتداخل الغريب (هو مقصود ولا شك) بين العمل الدنيوى والعمل الأخروى، وكل ما هو دنيوى حياتى يمكن إذا أقترن بنية وقصد حسن أن ينقلب إلى عمل أخروى يؤجر عليه العبد يوم القيامة.

وإذا كان المسلم يدعوا إلى أن يتوكل على الله حق توكله فإنه منهى عن التواكل والتكاسل والقعود، والأحاديث والآثار فى هذا المعنى كثيرة وعديدة منها قوله ﷺ (**لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كالطير تغدو خماصا وتعود بطانا**) وقوله ﷺ (**من ترك ناقته مطلقة غير معقولة بدعوى التوكل على الله: قال ﷺ (أعقلها وتوكل)**.

وقد ضرب عمر بن الخطاب بالدرة أولئك الذين وجدهم فى المسجد فى غير وقت صلاة مفروضه يرفعون أيدهم إلى السماء طالبين الرزق وتاركين السعى (قد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) ولكن يحبب الله عبادة المسلمين فى العمل لكى يرغبهم فى القيام به والتفانى فيه قص عليهم كتاب الله العزيز أخبار الأنبياء الذين مارسوا

أعمالا مختلفة وبرعو فيها ولو كان فى ذلك ما يمكن أن ينقص من شأنهم أو ينزل من مرتبتهم لما أورده فى القرآن ذلك السياق المرغب والثمن لذلك الصنيع الحميد منهم.

ويعتبر الإسلام العمل بابا من أبواب الاحراز على الأجر والثواب وبابا من أبواب تكفير الذنوب والخطايا والسيئات وبابا من أبواب الجهاد فى سبيل الله، فقد وردت فى هذه المعانى أحاديث نبوية عديده منها تبشير ﷺ بالغفران لمن يأت كالا من كد يمينه مؤكدا أن من الذنوب ذنوبا لا يمحوها إلا الكد على العيال.

ولقد اعتبر ﷺ اليد التى فيها خشونه من أثر عمل أنها يد طيبة وطيب ريحها وأنها يد يحبها الله ورسوله، كما صحح ﷺ للصحابة إفهامهم عندما ظنوا أنه لا جهاد فى سبيل الله، إلا القتال فى ساحات الوعى وذلك عندما مر أمامهم شاب فقالوا: ليت هذا فى سبيل الله فقال لهم ﷺ: (إن كان هذا الشاب خرج فى سبيل كسب قوته أو قوت عياله أوقوت والديه فهو فى سبيل الله).

ولا شك أن العمل الذى يستحق كل هذا الثواب هو العمل المتقن المخلص الذى يتفانى فى أدائة صاحبه ويراقب فيه الله تبارك وتعالى . ولا شك أن مادة العمل فى ثقافتنا الإسلامية وموروثنا الحضارى تحتاج إلى المزيد من البلورة والإبراز والتوضيح والتجلي وذلك قصد الإستفادة منها والإستعانة بها فى هذا المعترك الرهيب الذى تخوضة المجتمعات الإسلامية ضد التخلف والفاقة فى هذه السنوات الأخيرة من القرن العشرين وهى سنوات صعبة مليئة بالتحديات تعقدت متطلبات الحياة وازدادت وزالت كل مظاهر الحماية والإنغلاق **بدخول إتفاقية التجارة الدولية حيز التنفيذ واصبح محتما على كل الشعوب النامية والتى منها شعوبنا الإسلامية أن تتهيأ للمرحلة القريبة المقبلة وذلك بإعتماد برامج تأهيل شاملة تتمكن بها بلداننا ومجتمعاتنا العربية الإسلامية من الثبات فى معركة الصراع من اجل البقاء وهى معركة لن يبقى ولن يصمد فيها إلا القوى. والقوى فى هذه المرحلة هو القادر على الإنتاج الاكثر والاجود والاثمن والاكثر تطورا. والاقل كلفة ليقدر على المنافسة فى الاسواق. وكل الاسواق ستصبح ذات صبغة دولية لا تغلق امام اية بضاعة مهما كان منشؤها ومأتاها. ومهما يكن جنس او لون او دين منتجها !!**

فهل يا ترى يستطيع المسلمون أن يتغلبوا على هذا التحدى الجديد والخطير جداً؟

لا نعتقد أن ذلك من المستحيلات إذا صدقت العزائم والهمم واجتنبت القضايا الجانبية الهامشية ووقع النفاذ أى الجوهر مما ينفع الناس.

فرض الكفاية .. وفرض العين .. فى العمل

يقول الشيخ محمد الغزالى فى كتابة «طريق الحياة الإسلامية» الفروض - كما يقول الفقهاء - قسمان: فرض عين .. فرض كفاية يعنون بفرض العين ما يجب على الشخص نفسه ويسأل عنه وحده، أما فرض الكفاية فهو واجب على المجتمع وجوب شيوع!

إن فرض العين قد يتناول أركان العبادات من صلاة وزكاة، وأركان الأخلاق من صدق وحياء، وقد يتناول ترك الكبائر من ربا وزنا، وهذه أمور ترتبط عادة بالضمير الفردى والسلوك الخاص.

أما فرض الكفاية فإنه قد يتصل بحراسة الأمن، والقضاء بين الناس، والقيام بشتى المناصب ، وإجادة الفنون والصناعات التى ينهض بها العمران، وتحيا عليها الأمة.. وغير ذلك من الشئون المهمة.

إن الصلاة فرض عين لأن كل إنسان يستطيع الصلاة فما يستثنى أحد من وجوبها، أما القضاء والتدريس والهندسة فهى فروض كفاية لأنه ليس كل إنسان يقدر أن يكون قاضيا أو مدرسا أو مهندسا. فإذا ترشح أمرؤ بمؤهلاته العلمية للقضاء، وعينته الدولة فى المنصب المعد، فإن قيامه بأعباء منصبه هذا أصبح فرض عين كالصلاة والصيام، وما يجوز له أن يتراخى فيه أو يفرط، وكل ذرة من إستهانه أو خيانة فهى عصيان الله، واعتداء على الدين، ولا يقبل أبدا الاعتذار بأن ذلك وقع فى فرض كفاية .. إن الجهد البشرى يجب أن يوزع بالقسطاس المستقيم بين الصلاة المفروضة علية والقضاء المطلوب منه، حتى يشيع العدل فى المجتمع وتبلغ الحقوق أصحابها.

وربما استغرقت دراسة القضايا عشرة أضعاف الوقت الذى يستغرقة إقامة الصلاة! ليكن ؛ فهذه عبادة وتلك عبادة، وفروض الكفاية غالبا تأخذ من الوقت أكثر مما تأخذ فروض العين، ولعلها تستغرق أعمار الناس ليكن، فذلك هو الطريق لإرضاء الله، وحماية الأمة، والحفاظ على الدين، وإنشاء دنيا تصونه وتنميه.!!

والمطلوب من كل مكلف أن يؤدى العمل على خير وجه، وأن يوفى بالعقد الذى التزم به مع الدولة، وهى لن تضن عليه بما يطمئنة. وأعتقد أن ذلك بعض ما يعنيه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (المؤمنون ٨) فإن المناصب كلها أمانات مسئولة، والقيام عليها عقد مُرَّعىُّ الذمام.

لكن المسلمين للأسف الشديد أكثر الأمم إضاعة لهذه الأمانات والعهود، والأعمال الرسمية فى بلادهم مهددة الحرمة، والوظيفة مصدر للأخذ أكثر مما هى وسيلةإلى العطاء ..! وجهالة المسلمين فاحشة بفروض الكفاية وطبيعتها وآثارها.. ويرجع ذلك - عند بعض المدنيين - إلى أنهم يفرقون بين صور العبادات المأثورة، وأداء الأعمال المدنية المختلفة، الأولى عندهم الدين، والأخرى ليست عبادة إلا على ضرب من التجوُّز. رأيت بعضهم على مكتبه جالسا بادى السآمة، يجيئة الناس لحاجاتهم فيرجئ ما يشاء، ويهمل ما يشاء، وحتى إذا إقترب وقت الظهرشرع يستعد له قبل الآوان .. قلت له: « إن ما تقوم عنه ليس بأهون مما تقوم له.. ونشاطك فى إنجاز مصالح الناس فى أقصر وقت، وعلى أحسن وجه دين، وهو واجب كالصلاة والصيام»!

قال: «إننا نستعد للصلاة المكتوبة، وسنؤدى عملنا بعد أداء حق الله» قلت: جميل أن نحرص على الصلاة فى وقتها، ولا عليك أن تصليها أو الوقت أو وسطه وخير لك أن تعجل بإنجاز عمل هذا القادم من بلده، القلق على مصلحته، خاصة وأن الصلاة تربى الإنسان على الشعور بالواجب، ولا تستغرق من الزمن أكثر من بضع دقائق معدودة.

ونحن لانهوّن من شأن الصلاة المكتوبة وأدائها على وقتها، ويمكن وضع نظام لأدائها جماعة أول الوقت، أو بعد إنتهاء المحاضرة في المدرسة والنوبة في المصنع، والجراحات والكشوف في المستشفى، ويحدد لذلك زمن معتدل لا يستغله أهل البطالة..

أما عدُّ الأعمال العامة شيئا تافها، أو شيئا يقبل فيه العبث والتسويف فهذا تضييع لفرض يحرم تضيعه!!.

(٥) الإيمان والإنتاج والعمل

نعنى بالانتاج هنا: الإنتاج الإقتصادى بخاصة، والإنتاج المادى والمعنوى بعامة، ذلك أن بعض الناس يخيل إليه أن الإيمان بالدين وعقائده قد يؤخر عجلة الإنتاج أو يعوقها فى سيرها وحركتها، بما يميت فى النفوس من حب الحياة والرغبة فى العمل المادى، وبما يلقيه فى قلوب الناس أن الإنسان مسير لا مخير، وإن الحياة الدنيا لا تستحق العمل والإهتمام، لكم يخسر المجتمع، وتتأخر الحياة، إذا شاع فيها هذا اللون من الإيمان.

وهذه أوهام أشاعها الجهل عن الدين والإيمان، والحقيقة أن الإيمان أعظم دافع للإنتاج لو تأمل الناس وأنصفوا، فالإنتاج لا ينمى ويزداد إلا بما يبذل الناس من جهد وعمل، وما يصعب هذا العمل من إحكام وإتقان، ولا يتحقق هذا وذاك إلا فى جو من الأمانة والإخلاص للعمل، وذلك لا يكون إلا بباعث قوى وحافز غلاب، فهل هناك باعث أقوى تأثيرا من الإيمان؟

إن الإيمان الصادق ليس منبعه إدراك ذهنى أو تصديق قلبى غير متبوع عملى فى الحياة .. كلا، إنه إعتقاد وعمل وإخلاص.

ومهما إختلف علماء الكلام والجدل فى العقائد حول مفهوم الإيمان وصلة العمل به: أهو جزء من مفهومه أم شرط له أم ثمرة من ثمراته، فإنهم متفقون على أن العمل جزء لا يتجزأ من الإيمان الكامل.

وقد روى فى الأثر ما يصور لنا حقيقة الإيمان «ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلي، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل». وقد ذكر القرآن الكريم الإيمان مقرونا بالعمل فى أكثر من سبعين آية من آياته، ولم يكتف بمجرد العمل ولكنه يطلب عمل «الصالحات» وهى كلمة جامعة من جوامع القرآن تشمل كل ما تصلح به الدنيا والدين. وما يصلح به الفرد والمجتمع، وما تصلح به الحياة الروحية والمادية معا.

يندفع المؤمن إلى العمل بحافز من نفسه وباعث من ذاته، بإيحاء ينبعث من داخله لا سوطا يسوقه من الخارج، ذلك الباعث الذاتى هو الإيمان بالله وبرسالة السماء، وبمهمته فى عمارة الأرض والسيادة على الكون.. وإن المؤمن يوقن أن السعادة فى الآخرة والنجاح فى الأولى موقوف على العمل الجنه فى الآخرة ليست جزاء لأهل البطالة والكسل والفراغ بل لأهل الجد والعمل والإتقان: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف ٧٢) ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة ١٧).

(٦) العمل الإجتماعى (يقول يوسف القرضاوى للشباب)

إن العمل الإجتماعى هو لون من الدعوة إلى الإسلام فهى دعوة إلى الناس فى مواقعهم. وهى دعوة مقترنه بالعمل، فالإسلام فسح مجال العبادة ووسع دائرتها بحيث شملت أعمالا كثيرة فالقيام بخدمة المجتمع وتقديم العون له خصوصا الفئات الضعيفة فيه عبادة رفيعه.

أنصح الشباب أن ينزلوا من سماء الأحلام والمثالية المجنحة إلى أرض الواقع ليعايشوا الناس، الجماهير من المواطنين والحرفيين والفلاحين والعمال وغيرهم من الجاهدين والمجاهدين فى الإحشاء الدقاق من المدن الكبيرة إلى الحارات والأزقة فى القرى الكادحة .. وستجدون هناك الفطرة السليمة والقلوب الطيبة والأجسام المكدودة من العمل.

أوصى الشباب أن ينزلوا إلى هؤلاء فى مواقعهم ليسهموا فى تعليم الأميين حتى يقرأوا، وفى علاج المرضى حتى يصحوا، وفى تقوية المعثرين حتى ينهضوا، وفى مساعدة المتبطلين حتى يعملوا، وفى معاونة المحتاجين حتى يكتفوا، وفى توعية المتخلفين حتى ينطقوا، وفى تذكير العصاه حتى يتوبوا، والآخذ بيد المنحرفين حتى يستقيموا، وكشف المنافقين حتى يختبئوا ومطاردة المتشردين حتى يرتعدوا، وإنصاف المظلومين حتى ينتعشوا.

وعلى الشباب أن ينشئوا لجانا لمحو الأمية، وجمع الزكاة وتوزيعها، وإصلاح ذات البين، ولمحاربة الأمراض المتوطنة، ولمعالجة الإدمان على التدخين أو المسكرات أو المخدرات، ولمقاومة العادات الضارة، ونشر العادات الصالحة بديلا عنها.. وما أكثر الميادين التى تحتاج إلى جهود الشباب وعزائم وحماس الشباب.

يا شباب الإسلام.. لا تتقوقعوا على أنفسكم، تاركين الشعب وهم آباؤكم وأمهاتكم وأخواتكم وأرحامكم .. انزلوا إلى الشعب واختلطوا به، وعيشوا فى همومه وشاركوا متاعبه، وأربتوا على أكتاف المهمومين إمسحوا دموع اليتامى وابتسموا فى وجه البائسين، خففوا الحمل عن كواهل المتعبين، أغيثوا الملهوفين أجبروا كسر المكسورين، داووا جراح القلوب الحزينه بموقف عملى، أو بكلمة طيبة، أو ببسمة صادقة.

إن القيام بخدمة المجتمع، وتقديم العون له وخصوصا الفئات الضعيفة فيه رفيعة القدر، لم يحسنها كثير من المسلمين اليوم، برغم ما ورد فى الإسلام من تعاليم تدعو

إلى فعل الخير وتأمر به وتجعله فريضة يومية على الإنسان المسلم . إن الإسلام قد فسح مجال العبادة ووسع دائرتها ، بحيث شملت أعمالا كثيرة لم تكن تخطر ببال الناس أن يجعلها الدين عباده وقربة إلى الله.. فإن كل عمل إجتماعى نافع يعده الإسلام عبادة من أفضل العبادات ما دام قصد فاعله الخير ولا يقصد الثناء، وأكتساب السمعه الزائفة عند الناس. كل عمل يمسح به الإنسان دمعة محزون، أو يشد به أزر مظلوم، أو يقبل به عثرة مغلوب، أو يهدى حائرا ، أو يعلم جاهلاً، أو يدفع شرا عن مخلوق، أو أذى عن طريق، أو يسوق نفعا إلى ذى كبد رطبة، فهو عبادة وقربة إلى الله إذا صحت النية. . أعمالاً كثيرة من هذا النوع جعلها الإسلام من عبادة الرحمن، وشعب الإيمان، وموجبات المثوبة عند الله تعالى، كما نرى الرسول ﷺ أنه لم يكتف بفرض هذه العبادة العامة على الإنسان من حيث إنه إنسان فحسب بل يشتد فى طلبها ، فيفرضها على كل مبسم من مباسمه، وكل مفصل من مفاصلة فيقول ﷺ **(كل سلامى من الناس عليه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة)** (متفق عليه). ويقول ﷺ: **(على كل مبسم من الناس صدقة كل يوم)** فقال رجل من القوم :«هذا من أشد ما أنبأتنا به» فقال ﷺ **(أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة، وحملك عن الضعيف صلاة، وإنحاؤك القذر من الطريق صلاة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صلاة)**.

إن بهذه الأعمال الخيرية الإجتماعية يعيش المسلم فى مجتمعه ينبوعا يفيض بالخير والرحمة وتتدفق بالنفع والبركة، يفعل الخير ويدعوا إليه، ويبذل المعروف ويدل عليه، فهو مفتاح الخير مغلاق للشر، كما حثة النبى ﷺ: (طوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر) (ابن ماجة). إن العمل الإجتماعى هو لون من الدعوة إلى الإسلام، فهى دعوة للناس فى مواقعهم، وهى دعوة مقترنة بالعمل - فالدعوة ليست مجرد كلام يقال أو يكتب، بل الإ ٠هتمام بأمر الناس وحل مشاكلهم يقربهم من الفكرة،

ان المسلم مأمور .. بفعل الخير للناس مثلما أمر بالركوع والسجود وعبادة الله تعالى إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ (الحج ٧٧ - ٧٨).

(٧)أخلاقيات العمل فى الدستور المصرى والقانون (الوضعى)

إن أخلاقيات العمل فى القانون الوضعى وهو من صنع البشر، فإنه إجتهاد بقدر الإمكان ولا يستطيع منصف أن يصفه بالكمال أو التمام. فإذا رجعنا إلى القوانين الوضعية فنبحث فيها عن أحكام تنظيم أخلاقيات العمل فلا بد لنا أن نبحث أولا فى الدستور باعتبار أن الدستور أبو القوانين كما يقولون، فنجد أنه أفرد فصلا كاملا عن المقومات الإجتماعية والخلقية للمجتمع تحدث فيها عن أن الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق والوطنية. كما الزم المجتمع برعاية الأخلاق وحمايتها والتمكين للتقاليد المصرية الأصيلة وعليه مراعاة المستوى الرفيع للتربية الدينية والقيم الخلقية والوطنية والآداب العامة، وان تلتزم الدولة بإتباع هذه المبادئ والتمكين لها.

الدستور والأخلاق فى العمل:

قرر الدستور أن العمل حق وواجب وشرف تكفله الدولة، ويكون العاملون الممتازون محل تقدير الدولة والمجتمع، كما قرر الدستور أيضا أن الوظائف العامة حق للمواطنين، وتكليف القائمين بها لخدمة الشعب وتكفل الدولة حمايتهم وقيامهم بأداء واجباتهم فى رعاية مصالح الشعب.

إن هذه العبارات «حق وواجب وشرف» ليست من إبتكار أصحاب الشعارات ولكنها من أصول الإسلام وقيمه، والعمال حين يؤمنون بها، إنما يؤمنون بالإسلام ذاته ومنه يستمد الدستور قوته وإيمان الناس به.



﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

(الحجرات ٧)

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾

(النور ١٥)

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾

(الاسراء ٣٦)

الإعلام

الإعــلام

(١) تعريف الإعلام إسلاميا

الإعـلام لغـة من علم، نقـيض الجـهل، ورجل عـالم وعـليم من قـوم علمـاء، وفي الوافي: العـلامـة العالم جداً، والهـاء للمبالغة كـأنهم يريدون به داهيـة، والعلم هو إدراك الشـيئ بحـقيقـتـه، ومن هنا يظهـر أن الإعـلام هو الإعـلان عن الأشيـاء بحـقـائقـهـا، في القـامـوس: الإعـلان إظهـار الشئ بـالنشـر عنـه، إذن العلم هو ضد الجـهل ومن مـعـانـيـه الأخبـار والأنبـاء، ومنه كـتـاب أبي الحسـن العامري «الإعـلام بمناقب الإسلام أي الإخبار عنهـا». ويمكن تعـريف الإعـلام إصطلاحـاً على ضـوء مـا تقـرر وبمـا يلائم روح الإسـلام وقـواعده وأحـكامـه الشـمـوليـة فنقـول الإعـلام هو: الإخبـار عـن الحـقـائق بكل الـوسـائل المشـروعـة من مسـموعـة ومـرئيـة وبكل مـا يدخل تحت العلـم بالشئ: ليـشـمـل الوسـائل الإعـلاميـة التي يكتـشـفـهـا التـقـدم العلمي فـيـمـا بعـد إذ أن حصـر الإعـلام في الوسـائل المـعروفـة اجحـاف، وبهذا التـعـريف يدخل الإعـلام ووسـائله المسـجـد والمؤذن والخطيب والواعظ وهلم جرا إذ أن هؤلاء يخبرون عن الإسلام والعلم به قـال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ (الجمعة٩) فالآذان وسـيلة للإعـلام عـن دخول وقت الصـلاة وأصدق الخبـر مـا كـان عن الله تعـالى وعـن رسوله ﷺ ولذا من السنة الترديد وراء المؤذن وفي الفجر عند قـوله الصلاة خيـر من الـنوم أستـحب العلمـاء قـول «صدقت وبررت» وهـذا المعنى فـي حقيـقـة الإعـلام اللغوية والإصطلاحية يبرز لنا ثلاث نواح أساسية:

الأول : أن الإعلام الإسلامي هو لسان حال الإسلام ودعاته ورجاله وبتعبير آخر إن الإعلام يجب أن يكون مسخراً في خدمة الدين.

الثـاني : أن الأصل في الإعــلام تحـري الصـدق والأمــانة لأنه يبـلغ باسم الـعلم، والعلم هو إدراك الشئ بحقيقته.

قال تعالى ﴿ولا تَقْفُ مَا لَيْس لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والبصر والْفُؤادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء ٣٦).

الثالث : إن وسائل الإعلام ليست محدودة، ومحصورة معينة بل كل وسيلة مشروعة تخدم، وتظهر الأشياء على حقيقتها هي وسائل معتبرة في الإسلام يجب الأخذ بها تحقيقا لقاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(٢) الحقائق الإعلامية الإسلامية :

● الحقيقة الأولى : موافقة الخبر للواقع

الإسلام دين العلم، والعلم كما عرفه علماء اللغة هو إدراك الشيئ بحقيقته أي إدراكه كما هو في واقع الحال واليقين بعيدا عن الظنون والأوهام والخيالات، والتبديل والتحريف، والخبر إما أن يكون قولاً مرويا أو قولا مكتوبا أو صورة منقوشة، وكل هذا من باب الخبر ينبغي موافقته للواقع دون زيادة أو نقصان، والمسلم مطالب، بنص القرآن، بالتحقيق والتثبت في النقل دون شطط أو مبالغة بقول الله تعالى ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ (النحل ١١٦). وقوله تعالى ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور ١٥). وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات ٧).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : «يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبل المفسدين ومن ها هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر، وقبلها آخرون لأننا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال».

فقد ربى الرسول ﷺ أصحابه على معاني الصدق، والتثبت في نقل الأخبار والأحاديث، ووعتها قلوب كبارهم وصغارهم فكانوا إذا تكلموا بحق، وإذا شهدوا بحق، وإذا نقلوا أخبار الرسول ﷺ وأحاديثه نقولها باللفظ والصورة، يتحرون الصدق، وينفرون من الكذب فرارهم من النار حتى إستجمعوا بذلك شروط الرواية عن الرسول ﷺ وهي أعلى أنواع الرواية فالرواية عنه ﷺ ليست كالرواية عن غيره، فكانوا بحق عدولاً كلهم بنص القرآن ونص أحاديث الرسول ﷺ لا يتطرق إلى روايتهم أدنى شك لأن الشك في مروياتهم التي صح إسنادها إليهم شك في الدين «فهذا زيد بن أرقم وكان غلاماً حدثا قد ذكر للرسول ﷺ ما كان من أمر عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في غزوة بني المصطلح حين استغل شجاراً حدث بين أجير لعمر بن الخطاب وإسمه جهجاء بن مسعود وسنان بن وبر الجهيني من الأنصار فاستعان كل واحد بقومه فغضب ابن أبي مما قاله : أو فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا.. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسمع زيد بن أرقم ذلك فمشى إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان من قول ابن أبي فأنزل الله تعالى سورة المنافقون فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بإذن زيد ثم قال «هذا الذي أوفى لله بأذنه».

● الحقيقة الثانية : العدالة والضبط في نقل الخبر

وهما وسيلتان يتحقق بهما موافقة الخبر للواقع نستنتجهما من الآية السابقة (الحجرات ٧) حيث أوضحت أن الفاسق ليس أهلاً لأن يكون مصدرا من مصادر التلقي إذ ينعدم فيه غالبا جانب الضبط والعدالة وهما شرطان أساسيان من شروط القبول وضعها علماء المسلمين وطبقوها في علومهم ولا سيما في رواية الحديث النبوي - وهو أشرف علم بعد القرآن الكريم - ونشأ عنه ما يسمى بعلم مصطلح الحديث الذي أعتنى جانب كبير منه بعلم الرجال أي معرفة أحوالهم ودراسة شئونهم في حلهم وترحالهم والحكم عليهم بالقبول أو الرفض، وعليه يظهر مدى إهتمام الإسلام وعلمائه بالخبر والمخبر وضرورة سبر أغوارهما للوقوف على وجه الحق، في ذلك.

وقد عرف علماء الإسلام العدالة بما لا يخدش الدين وقالوا أنه عرف بأداء فرائض الدين ولزوم ما أمر به وتوقى ما نهى عنه وتجنب الفواحش وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته وتوقي في لفظ مما يثلم الدين والمروءة فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه.

أما الضبط وهو أن يضبط الراوي حديثه سواء أكان باللفظ أو المعنى بما لا يخالف مرويات الثقاة المعروفين بالضبط والإتقان.

● **شروط رواية الحديث** : وإذا نظرنا إلى القواعد والشروط التي وضعها علماء الحديث في رواية الحديث النبوي وجدناها تتلخص فيما يلي: ١- الإسلام، ٢-البلوغ، ٣- العدالة، ٤- الضبط، ٥- المروءة.

مدى إمكانية تطبيق ذلك على أجهزة الإعلام :

وبنظرة فاحصة إلى تلك السابقة الحديثية نجد إمكانية تطبيقها على أجهزة الإعلام ورجالاتها بل نرى وجوب تطبيق ذلك إذا أردنا اعلاما نزيها وخبرا سليما من الكذب والتزوير. فانه لا يمكن أن يصح شرعا وعقلاً تسليط الكافر أو الفاسق على رقاب المسلمين ويؤتمن على عقائدهم وأحوالهم؟ وهل هناك تسلط أعظم من تسلط أجهزة الإعلام ورجالاتها، فانهم بفعل صنعتهم متسلطون على عقول الناس وأفكارهم يصوغونهم كما يريدون، ويروجون بينهم ما يشاءون من مبادئ وعقائد وإلا فما تفسير هذا الخلط العجيب من جماهير المسلمين بين شيوعي ورأسمالي وبين علماني وقومي، وكيف بك وانت ترى بين المسلمين من يعتقد ويؤمن بعقائد هي من صنع اليهود من حيث يشعرون أو لا يشعرون، أليس هذا من تأثيرات أجهزة الإعلام المختلفة، ومن على رأسها من شيوعي وآخر ماسوني وثالث علماني ... الخ.

● شخصية خطيرة:

إن رجل الإعلام شخصية خطيرة ونقطة تحول إلى خير أو شر، وعامل مؤثر إيجابياً وسلبيا، وخاصة في عصرنا هذا عصر الإعلام المتسلط على رقاب الناس وعقولهم فلا يجدون منه فكاكا حتى في لحظات راحتهم وبين جدران بيوتهم فاينما ذهبوا يجدون من يخاطبهم بخير أو شر، والشر هو الغالب، يطير الخبر في ثناياه ويضيع.

● شمولية رجل الإعلام:

وهذا مبرر آخر يجعلنا ندعو إلى ضرورة اتصاف رجلِ الإعلام بالشروط التي وضعها علماء المسلمين لرجال الحديث ألا وهو شمولية رجل الإعلام.

فرجل الإعلام كما هو معروف ينبغي أن يكون ذا شخصية شمولية وصاحب ثقافة متنوعة بمعنى أنه يحدثك عن كل ما يخطر ببالك، فقد يحدثك عن الدين والعقيدة، وقد يحدثك عن السياسة والإقتصاد، وقد يخوض معك في أحوال المسلمين وغير المسلمين، وبعبارة أخرى ينقل لك الدنيا بما فيها تحت رقابة الشرع الحنيف سواء ما كان متعلقاً بالدين أو السياسة أو الحياة الإجتماعية والأسرية ومن قال أن السياسة لا علاقة لها بالدين أو أن الإقتصاد ينبغي أن يكون بمنأي عن الإسلام حتى نسوغ لرجل الإعلام أن يخوض فيها دون حسيب ولا رقيب، إن المسلم لا يكون مسلماً بصلاته وصيامه فحسب بل يكون مسلما حقا إذا أسلم وجهه لله على التمام والكمال في سائر شئونه وأحواله ما كان متعلقا بالعقائد والعبادات أو ما كان متعلقا بالسياسة والمعاملات سواء بسواء.

الحقيقة الثالثة : عدم سلبية الإعلام

يظهر من الآية السابقة (الحجرات ٦) أن العملية الإعلانية ليست سليمة بمعنى أن الخبر مهما كان نوعه يلقى صدى في الواقع فيكون هناك ظالم ومظلوم أولاً يكون تبعاً لنوع الخبر وموافقته أو عدم موافقته للعلم أي لحقيقة الحال، فإذا لم يكن الخبر صدقاً نشأ من جراء ذلك أضرار أقوام وجماهير عريضة بأضرار بالغة قد يكون سببها كلمة واحدة جاءت من فم فاسق بنبأ لم تأخذ هذه الكلمة قنوات التحقق والتبيان ونشأ عنها هذه الأضرار البالغة بهذا العدد الجم من الناس:

وفي الآية إشارات وهي قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ** ﴾ (الحجرات ٦).

● **الإشارة الأولى :** تبين أهمية الإعلام ورجالاته.

● **الإشارة الثانية :** أن الإعلام وأجهزته قد يكون نعمة على الأمة أو نقمة عليها وهي قوله تعالى : «أن تصيبوا قوما بجهالة».

● **الإشارة الثالثة :** إن الإضرار بالأمة أو القوم على حد التعبير القرآني - جهالة، إذ إن المفترض من المسلم التحقق قبل إصدار الحكم وتنفيذه فكيف إذا كان الإضرار عن قصد وتعمد.

● **الإشارة الرابعة :** ضرورة رفع هذا الضرر سواء كان عاما أو خاصاً، وتلافي ما يمكن تلافيه من سوء وشر نستشف ذلك من التعبير القرآني الفذ «فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» فالندم معناه الرجوع وعدم الإضرار علي الذنب.

● **الإشارة الخامسة :** في التعبير بالندم إشارة إلى أن إصابة قوم بجهالة ذنب يستوجب الندم والرجوع إلى الحق والصواب، ورد الحقوق.

● **الإشارة السادسة :** في الآية جو عام وإشارة لطيفة إلى أن التحقق من مصادر الخبر، وصدق المخبرين من أخلاق المؤمنين، وهذا يستوجب في الغالب الصواب والصحة في الحكم لكن قد يخطئ المرء مع إيمانه وحرصه على الحق فيرمي بريئا وهنا يأتي دور الندم والعودة إلى الحق، فالحق قديم والعودة إليه واجبة فليس من أخلاق المؤمنين التمادي على الباطل، وإغماض العين عن الصواب مهما كانت الظروف والأحوال.

● **الحقيقة الرابعة : الإستناد إلى المصادر**

الإستناد إلى مصادر معينة في نقل الأخبار لأن الخبر مهما كان ضئيلا لابد أن يستند إلى مستند يعضده فضلاً عن ضرورة عدالة هذا المستند وصدقه، فالرجم بالغيب وإطلاق القول دون ضابط من شرع أو عقل ليس من أخلاق المسلمين قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ (الاسراء ٣٦).

فالقرآن وهو خبر السماء وحي الله تعالى إلى الجن والإنس قد وصل إلينا عن طريق الخبر المتواتر، والرواية المستفيضة محفوظا في الصدور ومكتوبا في السطور جيلاً عن جيل يستحيل معه الكذب أو التحريف في حرف من حروفه قد تلقاه جبريل الأمين عن الله تعالى، وتلقاه الرسول ﷺ عن جبريل وتلقاه المسلمون عن الرسول ﷺ مشافهة ومكتوبا كما هو في اللوح المحفوظ والسنة كذلك وصلت إلينا عن طريق الرواية إلى رسول الله ﷺ مع إختلاف أنواعها من متواتر ومشهود وآحاد، وصحيح وضعيف. وكلما كان الخبر مهما كان الإسناد إلى مصدر في نقله مهما وضرورة حتمية، ألا ترى إلى منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام كيف يسندون دعوتهم إلى الله تعالى، وأن ما جاءوا به ليس إفتراء من عند أنفسهم بل هو وحي من الله ورسالة منه إلى عباده، وبهذا يتقوى موقفهم وتعظم حجتهم وتنجح دعوتهم فتصل إلى القلوب القاسية وتؤثر في النفوس

المتحجرة وهم مع ذلك لا يتوانون في إقامة الأدلة والحجج والبراهين المعنوية والمادية في إثبات دعواهم ولهذا من الشروط الواجبة في الرسل والأنبياء الصدق والأمانة لأنهم مخبرون عن الله تعالى فجاءت أخبارهم عن الله سبحانه بما يناسب المقام.

فالمنهج العلمي الذي وضعه العلماء المسلمون في تمحيص الأخبار، أعطى علم الإسناد الوجه الأكمل والدور البارز ولا سيما في رواية الحديث، وجرى بنا نحن الخلف الإقتداء بالسلف في كل ما يحقق الخبر، وننال به الشرف.

● الحقيقة الخامسة : الإلتزام بمضمون الخبر

ومن الحقائق الإعلامية الإسلامية الإلتزام بمضمون الخبر نصا أو معنى دون تحوير ولا تبديل ولا نقص فالتحوير الذي يضيع المقصود من الخبر أو يتيه بالقارئ في وديان وبحار من المفاهيم والتفاسير التي لا يحتمل الخبر إلا واحدا منها أو لا يحتملها البتة، يعتبر تبديلاً في الخبر بكليته أو على أقل تقدير يعتبر نقصاً وكلا الأمرين التبديل والنقص ليس من صفات المخبرين العدول على أن الأصل في الخبر نقله نصا وخاصة في الأمور المهمة والقضايا الأساسية فهي أدعى لقبول الاسماع، فالقرآن هو أصدق الخبر لفظه ومعناه من عند الله، والحديث النبوي نصه من عند الرسول ﷺ ومعناه وحي وإلهام من الله تعالى، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهكذا نجد الإلتزام بمضمون الخبر نصاً أو معنى دون تحوير أو تبديل أصل من الأصول الإسلامية في مجال التحدث ونقل الأخبار.

● الحقيقة السادسة : إنسانية الإعلام

إن الإعلام الإسلامي رسالته إنسانية لأن الهدف الذي يسعى لتحقيقه هو إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده فالإسلام ليس دعوة قومية أو إقليمية وإنما هي دعوة ربانية تجاوزت حدود الزمان والمكان وتخطت الألوان والأجناس واللغات لتشمل

الأرض كلها والآيات القرآنية التي ترسخ هذه المعاني كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج ١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة ٢١).. وهكذا تتوالي الآيات في تقرير هذا المبدأ العظيم وهو أن الحق والخير يجب أن يعرفه كل الناس وأن يرفلوا تحت ظلاله وينعموا بخبراته وأن الشر يجب أن يدرك خطره وسمومه عن كل الناس.

● **الحقيقة السابعة : اختيار المصادر الموثوقة**

ان إختيار المصادر الموثوقة والموصوفة بالصدق والأمانة في نقل الخبر عنها في غاية الأهمية إذ كيف يصح الاستناد إلى مصادر لم تنل درجة الثقة في عدالتها وصدقها فهناك كثير من المصادر توصف بالتحيز لجهة أو التأثر بعقيدة معينة أو فكرة محرفة تنتصر لها، أو عصابة وجماعة تنحاز لها وتروج عنها كوكالات الأنباء الأجنبية المعروفة بولائها لليهود والنصرانية والعالمية، والشيوعية الملحدة، وخاصة في قضايا هي متهمة فيها كقضايا تتعلق بالمسلمين وأخبارهم وشئونهم المصيرية فهؤلاء قد عودونا قلب الحقيقة، وجلب المصائب والدعاية لكل ما يخالف عقيدة المسلمين وقوض أركانها، والترويج لجماعات وأفكار وعقائد مناهضة للإسلام، حتى أصبح من القاعدة عندنا أنهم إذا مدحوا جماعة أو روجوا لها ولو كانت في ظاهرها إسلامية فانما يمدحون باطلاً ويروجون لمنحرف كمناصرتهم للعقيدة القاديانية، وتمكينهم الأقليات الباطنية في بلاد المسلمين، وتقليدهم الحكم والمناصب والعكس أيضاً صحيح فطعنهم في جماعة أو فكرة أو عقيدة تنتسب إلى الإسلام دليل صحتها وبيان لقوتها وخير مثال يجمع العكسين ما تم في الجهاد الأفغاني في محاولة تمكين بعض الجماعات الموالية للغرب والترويج لها ومناهضة لجماعات أخرى ولاؤها لله ورسوله، وما ينطبق على هذه الوكالات المعروفة بعدائها ينطبق أيضاً على بعض الوكالات الأخرى الصغيرة منها والكبيرة التي تخدم سياسة معينة وتوالي أنظمة بعينها أو هي تجارية دعائية شعارها

أنا مع من أغدق عليّ أكثر فامثال هذه المصادر حرى بالمسلمين أن يمتنعوا عن الأخذ عنها أو على الأقل أن يتشددوا في شروط التلقي والرواية عنها وخاصة في قضاياهم خصومها لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان خصما وقاضيا في آن واحد وإلا ضاعت الحقوق واختلط الحق بالباطل والحابل بالنابل.

إن هذه الدراسة السابقة بمثابة دعوة إلى تطبيق الشروط الحديثية على رجل الإعلام من قبيل التقريب والتعريف لما يجب أن تكون عليه أجهزة الإعلام ورجالاتها من دين وعدالة ونزاهة فكر وأخلاق، وذلك لخطورة الدور الذي يقوم به هذا الجهاز بين الأفراد والجماعات على أن هذه الدعوة من قبيل الآخرين لإخضاع الروايات التاريخية والمؤرخين لشروط النقد الحديثية للتفريق بين روايات صحيحة وأخرى مختلفة لا أساس لها من الصحة وهي كثيرة في التاريخ الرسلامي، تشوه وجه الحقيقة الإسلامية على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان، وتسئ إلى سمعة رجال مؤمنين لهم أياد بيضاء ناصعة. وجهود طيبة في الداخل والخارج سخرت لخدمة الإسلام والمسلمين، ولكن بفعل هذه الروايات العدائية إنقلبت صورة هذه الشخصيات إلى صورة مناقضة تماما لما يجب أن يكون عليه الرجل العادي فضلاً عن أى رجل مسئول.

ولا سبيل في إعتقادي إلى معرفة الماضي بنصاعته وضمان صحة سير الحاضر والمستقبل إلا إذا طبقنا هذه الشروط الحديثية أو بعضها إن لم يكن كلها على من يقوم أو قام بالدور المؤثر في ماضي هذه الأمة وحاضرها ومستقبلها.

* * *

(٣) نظرية الإعلام الإسلامي

الإعلام الإسلامي يعد نظرية قائمة بذاتها تتميز بخصوصياتها ومقاصدها وقيمها، وهو يختلف عن الملل الإعلامية السائدة اليوم في العالم في نظرته للأشياء وفي مبادئه وغاياته.

فهو إعلام يلتزم عبر أنشطته الجمة - الممتدة من الخبر البسيط إلى التحقيق المعقد وكذا الصورة الإعلامية والكاريكاتير - بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف حيث ينهج نهجه، ويسرى وفق رؤيته، ويسعى مخلصا إلى تحقيق رسالته.

وهو -علاوة على ذلك- عفيف الأسلوب، صادق القول أمين في نقل الواقع خلقه القرآن رقيبه الله، يهدي للتي هي أقوم وأصلح، ويدعوا لعبادة الله، والتأمل في مخلوقاته.

والإعلام الإسلامي كما يقول الشيخ محمد الغزالي «وثيق الإيمان برسالته عظيم المغالاة بها، وأن الصبغة الدينية والعبادية لا يمكن أن تنفك عن أعماله ووسائله المختلفة، وأجهزة الإعلام عندما تؤدي دورها - والحال هذه - هي ميادين جهاد ومساجد صلاة ومدارج تقوى ورضوان.

لقد رسم القرآن الكريم معالم الإعلام الإسلامي الصالح المستمد من دستوره الجامع في الدعوة والبيان والبلاغ والإرشاد فقد ورد في القرآن الكريم نحو «١٧٠٠» آية في الإعلام في مادة قول فقط وذلك إدراكاً لخطورة الإعلام والدعوة والبلاغ، وضرب في ذلك الأمثال للإعلام الصالح والإعلام المفسد بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) ﴾ (ابراهيم ٢٤-٢٦).

ان إرتباط الإعلام الإسلامي بمبادئ الدين الإسلامي ليس إرتباطا واهيا أو هشا بل هو إرتباط عملي من خلال عمله بإخلاص على تطبيق التعاليم والتوجيهات الربانية في شتى الأنشطة التي ينهض بها.

ومن الأمور التي لا ينبغي أن يختلف فيها إثنان أن الإعلام الإسلامي لابد أن يستمد مبادئه من مصدرين أساسيين وهما: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ثم إنتاجات السلف الصالح، وأن ينهل من أنظف وأطيب ما أنتجته الحضارات الأخرى.

إذاً لابد أن يكون الإعلام الإسلامي متأدبا بآداب الإسلام ملتزما بأوامره منتهيا عن نواهيه، وأن يقوم على الكلمة كما يرتضيها الإسلام فكراً واسلوبا ومنهجاً وغاية.

إن الدعوة إلى إتباع دين الحق واتباع الصراط المستقيم ودعوة الناس إلى السير وفق نهج الإسلام لهو علم وفن إذا كان القائمون عليه يفتقرون إلى التكوين الصلب والمهارات العالية والنظرة الثاقبة والبصيرة قد يفشلون فشلا ذريعاً.. فكم من معارك كلامية استنفدت الطاقات واستنفدت الأوقات، وكانت نتيجتها في نهاية المطاف الصد بدل التقارب وضياع الحقيقة بدل تجليتها.

«إعلامنا يقرر ما عنده كله وسيكون هناك خلاف بين ما يقرره وما تقرره ملل ومذاهب أخرى كثيرة، وهنا لابد من إبراز الشخصية الإسلامية دون ميوعة أو تفريط إبراز يؤكد شرعيتها ووجهتها ومنهجها.

ولما كانت هناك قوى تعارض فكرنا وتكره شعارنا وتثير الشك ضد قضايانا وتحاول بكل طريقة النيل منا فنحن مضطرون أن نلحظ ذلك فيما نقول ونفعل !! لا نرد إبرازا مباشرا بل لنبني عرضنا على نحو يكشف في هدوء ما قد يثار ضدنا ويشرح بلطف تفاهته وضعفه.

وحول «الدور التربوي لوسائل الإعلام« كتب منهجا لبسط الدين الإسلامي عبر وسائل الإعلام والإتصال وذلك باعتماد القيم التالية:

● قيمة التحاكم إلى الله ورسوله والإنعتاق من سلطان الأهواء والنزوات.

● قيمة صرف أوجه النشاط والتنافس على العبادة وبذل القربات لا التهالك على الحطام.

● قيمة إعلاء موازين الحق والعدل والمساواة عوضاً عن بطر الحق وغمط الناس والسعي في الأرض بالخراب.

● قيمة أخذ العفو الأمر بالمعروف والإعراض عن الجاهلية بدلاً من الإنغماس في الخصومة والشقاق والمنافرة.

ثم يؤكد قائلاً «فإذا أحسنت وسائل الإعلام إستخدام تلك القيم فإنها وجب تحيلها إلى مشاهد ومواقف ومقاطع تنبض بالحركة، وتفيض بالحيوية وتنطق بالصدق فتشد الفكر وتوقظ الوجدان، وتسمو بالروح، وستكون النتيجة الطبيعية تأثرا يعقبه انقياد يثمر تمثلا وتطبعاً يستجيبان لدواعي الفطرة وبواعث الإيمان».

إن منهج الإعلام الإسلامي في العرض والنقل والنقد والبلاغ والشهادة ينبغي أن يكون مثله في ذلك منهج القرآن الكريم، والإعلام الإسلامي يسعى إلى بيان الحق وتزيينه للناس، وإلى التعريف بمبادئ الإسلام لشعوب العالم قاطبة، وإلى حماية وترقية الثقافة الإسلامية ومحاربة كل الآفات الإجتماعية وكل مظاهر الظلم والطغيان والعبودية وكل ضروب هدر كرامة الإنسانية .

وبما أن الإعلام الإسلامي مطالب بخدمة الدعوة، فإنه ملزم بتجديد أدواته ومنهجه بدقة حتى يتسنى لأفكاره كي تتغلغل بسهولة في عقول الناس، وقد تحدث ابن القيم عن هذا الأمر قائلاً «إن الله سبحانه جعل مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمستجيب القابل الذكر الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بالحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعي بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن، وبذلك يكون المنهج كما إحتوى على تبيان الفكرة والهدف حوى أيضاً وسيلة تحقيقه وأسلوب الدعوة إليه».

والإعلام المبني على التصور الإسلامي الصحيح للكون والحياة والإنسان يعالج الأخبار وينشر المعلومات ويجري التحقيقات ويحلل الأحداث ويعلق عليها مترفعا عن

قول الزور، ولا يقر الإساءة إلى الآخرين حتى لو كانوا من أعداء الدين فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام ١٠٨). ولا يجهر بالسوء من القول ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ (النساء ١٤٨).

والإعلام الإسلامي يستهدف الوصول إلى الإنسان أيا كان لونه أو لسانه ليستنفذه لا ليستهويه، وليعينه على تحقيق رسالته في الحياة في ظل مناهج الدين الحق لا يستغل جهده ويسلب منه حبات عرقه، وليستثمر فيه القيم لا ليثير فيه كوامن الشهوة وجوامع الغريزة وأسباب البغي كما يسعى إلى بيان الحق وتزيينه للناس وإلى اطلاع شعوب العالم قاطبة على مبادئ الإسلام ومحاربة كل الآفات الإجتماعية وكل مظاهر الظلم والطغيان والعبودية وكل ضروب هدر كرامة الإنسان.

فالإعلام هو السفير وهو المعبر عن الرسالة الإسلاميةوهو الذي يحمل القيم والأخلاق الإسلامية يحمل النظرية والنموذج والمثل الأعلى إلى العالم، يدلل على صدقها، ويثير الإقتداء بها، ويحسن توظيفها لخير البشرية وإلحاق الرحمة بالعالمين إستجابة لقوله تعالى وهو يحدد الغاية من النبوة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧).

يتحلى الإعلام الإسلامي بخلق التبصر الذي هو من أخلاق القرآن الكريم ومن فضائل الإسلام والذي يجعل منه إعلام تدبر وتفكير وتمهل ونموذج رزانة فلا يحكم على الأعمال من خلال مظاهرها بل يسبر أغوارها لإستجلاء حقائقها ولا سيما في الوقت الراهن الذي يتميز بإحتدام الصراع الفكري والعقائدي.

والتبصير من شأنه أن يعصم الإعلام الإسلامي من الوقوع في الأخطاء التي تؤدي إلى التقدير غير الصائب الواقع وإلى فقدان المصداقية -ويمتنع الإعلام الإسلامي عن معالجة الموضوعات الماثلة أمامه إذا كان المكلفون بذلك يفتقرون إلى المعطيات

الدامغة علما بان الإقدام على مثل تلك الممارسات يعد تهوراً وسلوكا لا يقبله الإسلام البته ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا ﴾ (الإسراء ٣٦).

ومن المبادئ التي تزيد في تدعيم مكانة الإعلام الإسلامي بين النظريات الإعلامية الأخرى نجد مسألة إحترام مصادر المعلومات وعدم التعالي عليهم مهما كان وضعهم الإجتماعي ومركزهم الوظيفي والوفاء بالعهود وحفظ الأسرار وإتقان العمل والثقافة الأكيدة الواسعة .

(٤) الإعلام الإسلامي والجهاد :

إن العالم الإسلامي يتعرض في هذه الأيام لحملات إعلامية مكثفة تشنها وسائل الإعلام المعادية للدين الإسلامي الحنيف بغرض تشويه صورته العامة .. سواء في مجال العقيدة والأخلاق والعبادات أو في مجال المعاملات السياسية والعسكرية والإقتصادية والإجتماعية .. أمام أنظار العالم الإسلامي بوجه خاص ولدى الرأي العام العالمي على وجه العموم.

ولما كان الجهاد هو ذروة سنام الإسلام وسر قوته وإنتصاراته فقد أصابه القدر الأكبر والنصيب الأوفر من هذا الهجوم، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الجهاد -بمعنى القتال الحربي- هو ما يميز طبيعة الإسلام الحركية عن غيره من سائر الأديان، حيث لم يسبق الإسلام دين من هذه الأديان في جعله الجهاد فريضة من فرائضه المقررة وواجبا من واجباته المؤكدة، فأصبح بسبب ذلك محط أنظار الأعداء للنيل منه بكل جهد مستطاع.

وقد ساعد الأعداء في شن حملاتهم المسعورة ضد الإسلام وفرائضه وضد دولته وأتباعه عوامل عديدة، لعل أهمها: إفتقار العالم الإسلامي إلى وسائل إعلامية فعالة

تصد هذه الهجمات مثلا بمثل، ناهيك عن توفر قوة إعلامية إسلامية موحدة تفوق قوة الإعلام الوضعي وتؤثر عليه وتحد من ممارساته غير الخلقية، وقد يكون مرد ذلك هو بعد المسلمين عن تعاليم دينهم وشريعة ربهم وعدم إلتزام القائمين بأمور الإعلام وشئون الإتصال في الأمصار باهداف الإسلام، إما جهلا بعظمة هذا الدين الخالد ومبادئه القويمة وما يمكن أن يحققه من إنتصار، وإما نكوصا عن خدمته لأهواء شتى ومآرب مختلفة، وإما لعدم معرفة أساليب الخصم ووسائله و.... و ... وعدم الإكتراث بمواقفه تجاه الإسلام وفرائضه بشكل عام، ومنها موقفه نحو فريضة الجهاد.

العلاقة بين الإعلام والجهاد

إن الإعلام الإسلامي هو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله القويم فهو جهاد بالكلمة مقابل الجهاد بالسيف .. كما أن الجهاد بالسيف هو مظهر إعلامي عظيم، أو وسيلة إعلامية كبيرة من وسائل الإعلام الإسلامي، لكونه يعبر تعبيرا موضوعياً مباشراً وعبر إتصال مواجه عن قوة الدين الإسلامي وصلابة الدولة الإسلامية ورجالها المؤمنين، والواقع أن كيان الإسلام برمته يقوم على الجهادين: الجهاد بالكلمة واللسان من جهة ، والجهاد بالسيف واللسان من جهة أخرى.

تعاريف الإعلام: «العلمي، الاصطلاحي، الوضعي، الإسلامي»:

إن الإعلام - من الوجهة العلمية المجردة- قد يكون إعلاما خيرا وأداة خير إذا ما سيطرت عليه إرادة خيرة، كما قد يكون سلاحاً فتاكا بأيدي ذوي النزعات الشريرة والإرادات الهدامة.

ولا جرم أنه لا يجد من قوة هذه النزعات التي تدفع أصحابها إلى إستخدام الإعلام الكاذب والمضلل وعدم تحري الصدق والأمانة فيه إلا عقيدة أقوى ومبادئ سامية ووازع خلقي رادع.

لذا فإن التعريف العلمي للإعلام يجب أن يشمل الإعلام الصادق والإعلام الكاذب ، الإعلام بالخير والإعلام بالشر ، الإعلام بالهدى والإعلام بالضلال فلو اقتصر التعريف على أحد هذه الأنواع فانه يعد بمقاييس البحث العلمي ناقصاً يحتاج إلى إكمال .

أما التعريف الإصطلاحي للإعلام ، فلا شك أن الإعلام يتلوّن حسب العقيدة التي ينتمي إليها ، فهو لا يخضع لإرادة الإنسان فحسب ، ولكنه يخضع كذلك لمبادئ عقيدته وأفكارها الأمر الذي يستوجب تمييز مصطلح الإعلام عندنا نحن المسلمين عما لدى غيرنا ، وإن ذهب البعض إلى أن مفهوم الإعلام الإسلامي لا تكاد يختلف عن المفهوم الإصطلاحي العصري المكتوب والذي يرى أن الإعلام معناه : التعريف بقضايا العصر ومشكلاته ، وكيفية معالجتها في ضوء النظريات والمبادئ التي اعتمدت لدى كل نظام أو دولة من خلال وسائل الإعلام المتاحة بالأساليب المشروعة لدي كل نظام ودولة ، نعم ، إن الإعلام في طرف من أطرافه لابد أن يعبر عن قضايا الأمة التي ينتمي إليها ، ساعيا إلى حل مشكلاتها والترفيه عنها ، وذلك بالأساليب المشروعة التي يعتمدها .

وهنا تبرز لنا القضية الشرعية . . فهل الأساليب المعتمدة لدى النظم الإعلامية الوضعية مشروعة حقاً؟ ! أم أن الشرعية لا يمكن أن تتوفر إلا في ظل إعلام حق يستند إلى نظام حق ويقوم على دين حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ ! . . وإذا كان علماء الإتصال في الغرب يؤكدون في تعريفاتهم للإعلام على ضرورة أن يكون صادقاً وموضوعيا بحيث يعبر عن عقلية الجماهير وروحها وميولها وإتجاهاتها وأن يكون هادفا وأمينا ومسئولا كذلك عن تكوين رأي صائب في الوقائع والمشكلات فثمة سؤال يظل قائما حول مدى قدرة الأيديولوجية التي تقوم عليها أنظمة الإعلام الوضعي على دفع هذا الإعلام في ذلك الإتجاه وصياغته على هذا النحو؟ ! .

فضلاً عن ذلك . . فإن الإعلام الوضعي ، يحكم الأيديولوجية التي تحكمه بقصر علاقته وتعامله مع الأرض وبمنطق الأرض ، وذلك بخلاف الإعلام الإسلامي فانه يتجاوز الأرض ليتصل بالسماء ، ولهذا وصفه البعض بأنه إعلام الله ولله ، أي أنه حمل مضامين الوحي الالهي ووقائع البشرية المحكومة بشرع الله إلى الناس كافة بأساليب ووسائل تتفق في سموها وحسنها ونقائها مع المضامين الحقة التي تعرض من خلالها ، وهو مكرم غاية ووسيلة بمقاصد الشرع الحنيف وأحكامه وهذا بلا شك يستوجب أن يكون الإعلام في جميع الدول الإسلامية واظرافها مصبوغا بصبغة الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ (البقرة ١٣٨) .

تعريف الجهاد :

يتفق الفقهاء على أن الجهاد : هو بذل الجهد والوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان ، أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك ، وبأنه الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله .

وعليه فالجهاد كلمة جامعة جميع الأنواع السابقة في مرضاة الله تعالى وإرادة الخير لعباده ، وليست الدعوة إلى الجهاد عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة ، لتوجيه الرأي العام المحلي والدولي نحو ما يرتضيه الله جل جلاله ، في حقيقة الأمر ، إلا نوعا من أنواع هذا السعي وطرفا مهما من أطراف الجهاد في الإصطلاح الإسلامي العام .

ويدخل ضمن ذلك : تغيير وجهات انظار الناس التي اعتراها الزيغ والإنحراف ، وتبديل ميولهم الهابطة ونزعاتهم الشريرة ، وإحداث انقلاب عقلي وفكري إسلامي صميم بواسطة مرهفات الأقلام ووسائل الإعلام ، فضلاً عن القضاء على نظم الحياة الحائرة بحد السيف وتأسيس نظام علي قواعد العدل ، وبذل الأموال وتحمل المشاق ومكابدة الشدائد .

العلاقة بين الإعلام الإسلامي والجهاد :

هناك علاقة وثيقة تربط الإعلام الإسلامي بالجهاد في سبيل الله وليس قصارى الأمر أن الإعلام الإسلامي نوع من أنواع الجهاد فحسب بل لقد سماه الله عز وجل بالجهاد الكبير فقال مخاطباً نبيه الكريم ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان ٥٢) والضمير راجع إلى القرآن الكريم أو الإعلام القرآني ، كما هو معروف .

ولا جرم أن الإعلام الإسلامي هو إعلام قرآني في الأساس ، يقوم على الكلمة الصادقة والعبارة الموحية المؤثرة ، ويعتمد على مخاطبة الناس على مدى إدراك عقولهم بلغة سهلة واضحة ، مقدما البراهين الساطعة والحقائق الدامغة ، وقد ثبت للكافرين بالقرآن ، قبل المؤمنين به ، مدى تأثيره العميق في النفوس، وقوة سلطانه على الألباب والعقول ، حتى قالوا للجماهير قديما وحديثاً : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت ٢٦) . وما ذلك إلا لأنه بل بعضه ، ليهز الكيان الإنساني هزا ويأخذ على النفس أقطارها ما لا يأخذه جيش ذو عدة وعتاد .

وعلى غرار ذلك المفهوم الجهادي الكبير للإعلام القرآني أو الإسلامي ، نجد أن للقتال في الإسلام مفهوماً إعلامياً خالصا ، وتجسيداً حقيقياً لعظمة الإسلام ، ورفعة آدابه ، وإتصالاً مباشراً عبر مسرح ضخم -ساحة المعركة- يحتشد له آلاف المشاهدين والممثلين الفعليين من المقاتلين وغيرهم ، ولذا فلا غرو حين يعده البعض من أكبر وسائل الإعلام بهذا الدين الخالد وبقوته التي بها يمد أتباعه ويسحق أعداءه .

أجل إن الجهاد في الإسلام هو تعبير مباشر عن القوة الكامنة في هذا الدين وهو صحيفة تنطق بلسان الدولة الإسلامية وتكشف عن مدى قوتها وقدراتها العسكرية وفدائية جند الله في سبيله طلباً للنصرة أو الشهادة ولقد كان عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من أعظم الوسائل الإعلامية في هذا الكشف وذلك التعبير ، ولا زال كذلك

في العصور الإسلامية اللاحقة وحتى العصر الحديثة .

إنه في جميع الأحوال يجب توفير الحرية وتهيئة الأجواء الطبيعية للممارسة العملية الإعلامية الإسلامية بشكل فعال ومؤثر ، وهو ما يقتضي إزالة المعوقات القائمة والعقبات التي يمكن أن تعترض سبيل هذه الحرية والتمكين لها على الصعيد المحلي والساحة الدولية ، و . . . و . . .

(٥) التعليم لتكوين الإعلامي الإسلامي:

إن ما تبثه وسائل الإعلام من الراديو والتلفاز يعتبر أشد ضرراً على المعرفة القومية لدى شعوب الوطن الإسلامي .

وإصلاح ذلك يجب أن يعود إلى المنابع الأولى لتكوين الإعلامي الإسلامي في أجهزة التربية والتعليم والكليات المتخصصة في الإعلام بهذا الوطن الكبير الذي يجمع الدين بين أفراده ، وتكاد اللغة توحد اللسان بينهم ، وهذا يدفعنا إلى الحديث عن كليات وأقسام الإعلام في الجامعات المنتشرة في هذا الوطن .

ولا شك أن إنشاء هذه الكليات والأقسام الإعلامية بالجامعات يعتبر ظاهرة طيبة ، وهي إذا بدأت على غير الطريق الواجب ، فإنه يمكن إصلاح هذا الطريق ، لتؤدي هذه الروافد للقوى البشرية في أجهزة الإعلام زادا طيبا يحمل ثقافة إسلامية أصيلة .

إن برامج الدراسة في كليات وأقسام الإعلام بجامعات الوطن الإسلامي تعنى بالدراسات الشكلية ، ولا تتعمق في المضامين ، صحيح ان الخيوط الإسلامية للمضامين بدأت تأخذ طريقها إليها ، ولكنها مع كونها تمتد داخلها على لستحياء ، فهي تمتد على أيدي أعضاء في هيئات التدريس تربوا في البحث العلمي على النماذج الغربية ، ومن كان منهم مسلما في عطائه التدريسي ، فهو مسلم إكتسابا فقط . وكم يجمع مع

الإكتساب التعليم في قاعات الدرس والبحث ، مما يجعل عطاءه لا يزال يحبوا متأثراً بتوجيهين ، أحدهما التوجيه الإسلامي المكتسب ، والثاني التعليمي الذي تأثر كثيراً بالمفاهيم الغربية .

ان مناهج كليات وأقسام الإعلام في الوطن الإسلامي يجب أن تعوض في مناهجها الدراسية والبحثية هذا القصور في الثقافة الإسلامية التي تعاني منه الدراسة في المدارس العامة قبل الجامعة .

فكثير من أبناء هذا الوطن لا يعرفون أن بلاد هذا الوطن متصلة الأرض من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، وأنها تتمتع بأجواء الفصول الأربعة في وقت واحد ، بحيث تجدد بها جميع الزراعات في الوقت الواحد ، وما يحدثه ذلك من تكامل غذائي ، وهم لا يعرفون أيضاً التكامل الجيولوجي في هذه الأرض الواسعة ووفرة المعادن الصلبة والسائلة منها وكم في جبالها من خيرات كثيرة ووفيرة .

ليس ذلك فحسب ، وإنما هناك توازن طبيعي صنعه الله لهذا الوطن في التضاريس ففيه الأراضي الزراعية ، وفيه الأراضي الصحراوية ، وفيه الجبال العالية والسهول المنبسطة ، وفيه البحار والأنهار والبحيرات الملحة والبحيرات العذبة ، وفيه المناطق الممطرة صيفا وشتاء ، وفيها المراعي الطبيعية ، وفيه كما أثبتت البحوث العلمية مياه جوفية تساوي خمسة وثلاثين مثلا للمياه العذبة على سطح الأرض ، والمياه الجوفية هي الأخرى عذبة تصلح للزراعة وشرب الإنسان والحيوان ، والمياه الجوفية هنا تعطينا بعملية حسابية بسيطة ان ما يمكن زراعته في الوطن الإسلامي على هذه المياه يساوي خمسة وثلاثين مثلاً للمساحات الزراعية المتحققة الآن ، وهذا إذا كان الري الزراعي بالطرق السائدة الآن وهي طرق غير علمية ، فما بالنا إذا كان الري بالطرق العلمية .

هذا كله في الدراسات الإقتصادية وحدها ، وقد يقال بان طالب الكليات

والأقسام العلمية ليس في حاجة إلى ذلك في ممارساته الإعلامية ، وهذا قول على قدر كبير من الخطأ ، لأن الذي يمارس الإعلام في الوطن الإسلامي وبخاصة في زماننا الحالي هو في حاجة إلى زاد ثقافي عن إمكانات الأرض التي يعيش عليها ، وما يمكن أن يعطيه لمن يتلقون عنه سواء أكان ذلك في الصحف أو المجلات أو الراديو أو التلفاز ، لأن الإعلام مطالب بتوعية الشعب في الوطن الإسلامي بما يمكن أن يؤديه الإقتصاد الإسلامي من دور بناء ليس لهذه الشعوب وحدها ، وإنما لغيرها أيضاً .

(٦) الإسلام واساليبه وآثاره في الإعلام: (لفضيلة الشيخ محمد الغزالي) .

إتخذ الإعلام في هذا العصر منهجاً خطيراً ، وترك وراءه آثارا غائرة في نفوس الناس ، والمعروف أن الإعلام بوسائله المختلفة من إذاعة وتلفاز وغيرهما قد أعتمد على أمرين الأول : التثقيف ويكون بالمحاضرات والدروس الدينية والتحليلات السياسية ، ونشرات الأخبار وغير ذلك من أنواع المعرفة التي تبث على مختلف الموجات ، أما الأمر الثاني فهو التسلية التي تعنى أننا نروح عن الجماهير بشيء من الموسيقى وشيء من الغناء والتمثيل الهزلي ، أو الجاد مما يمكن قبوله ، وهذان الأمران اللذان يشكلان دعامة الإعلام يحتاجان إلى تعليق ، إن عناصر خطيرة من الثقافة الجادة الصحيحة غير موجودة .

فالثقافة التي تعرض على الجماهير ناقصة العناصر ، فالتغذية المادية في الطعام إذ ما نقصت منها بعض العناصر التي يحتاجها الجسم ، فإن المرض سيدب في هذا الجسم ، فلابد في التغذية من وجود النشويات والسكريات والدهنيات وغيرها ، وكذلك الثقافة التي تبث بين الجماهير يجب أن تكون ثقافة متكاملة العناصر .

ففي إحدى رحلاتي إلى أمريكا شاهدت درسا صامتاً في التلفاز يدل على وجود الله تعالى ، الدرس الصامت عبارة عن مشاهد لأمواج هائجة كالجبال ولجج متلاطمة حتى ليحدث المشاهد نفسه ويقول «من هذا الذي يحرك البحر بهذه القدرة الرائعة؟ ثم يختفي هذا المنظر ليحل محله مشهد لجبال شماء ، فيحدث المشاهد نفسه ويقول : من

الذي نصب هذه الجبال في أماكنها على هذا النحو الشامخ؟ وفجأة يجد المشاهد نفسه أمام حقول ناضرة وأزهار يانعة ، إن الكون يعرض في هذا الدرس الصامت ليتحدث بنفسه عن ربه .

إن خطورة الإعلام الآن أن الأقمار الصناعية تستطيع السيطرة على أجواء الأمة العربية وإرسال عشرات البرامج ، فإن لم يكن التلفاز العربي والإذاعة العربية على مستوى المنافسة العالمية على أناس كثيرين سوف يتركون رؤية أو إستماع برامجنا ، ويتحولون إلى البرامج الخارجية (وخاصة عن طريق «الدش» !! الذي إنتشر بشكل خطير اليوم وهو ما تنبأ به فضيلة الشيخ الغزالي عندما كتب هذا المقال عام ١٩٨٩) . وبهذا نتعرض لغزو عقلي وعاطفي قد يذهب بنا بعيداً عن ديننا . . . .

ولذا أطالب وسائل الإعلام المختلفة أن تترك الإبتذال وإثارة الغرائز الوضيعة بما يتصل بجوانب التسلية ، أما فيما يتصل بالتثقيف فعليها أن تستكمل عناصر التغذية العقلية حتى يمكن أن يكون لدينا ما يفيد أبناءنا .

أما بالنسبة للنواحي الدينية في الإعلام وهي التي تعنينا ففيها نقص شديد ، لأن عددا كبيراً من الشيوخ عندما يفسر القرآن أو يشرح السنة لا يتعدى شرحه الكتب القديمة وهي كتب ألفت من عدة قرون ، عالجت قضايا أو نظرت إلى العالم الإسلامي من رؤية وزاوية مفقودة الآن ، إن العالم الإسلامي الآن يحتاج إلى علاجات جديدة والخلود لكتاب الله وسنة رسوله وليس الخلود لبعض المؤلفات التي كتبها هذا أو ذاك ، كتبنا قد تصلح لعصرنا وربما يجيء العصر الذي يلي فلا تصلح كتبنا له ، إننا نريد أن نتجدد ثقافيا ، ففي الصحافة الآن يمكن أن تجد الخبر يصاغ في نصف عمود بعد أن كان يشغل العديد من الأعمدة ، كما تجد الرسم الساخر المعبر عن فكرة ما (كراكتير) إذا لم يكن الإعلام الديني قد بلغ هذا المستوى من التجديد فمعنى هذا أننا سنهزم في معركة الإعلام أريد تغييراً في عقولنا وفي برامجنا وفي طرقنا ، وفي وسائلنا وبذلك فالإعلام الإسلامي موجود بنسبة لا تتجاوز العشرة في المائة وأتمنى لها النمو المطرد .

(٧) الإسلام وثورة المعلومات.

مع كل إنجاز علمي يكون التقدم ، ومع كل تقدم تتكون رؤية ثقافية جديدة ، وهذه الرؤية الثقافية تترك آثارها فى حياة الأمم والشعوب . لقد شهد القرن العشرون إنجازات عظيمة في شتى العلوم والمعارف ومن أبرزها الأقمار الصناعية والحاسبات الآلية والكمبيوتر .

لقد أورثت هذه العلوم ، ثورة في المعلومات وثورة في الإتصالات هذه الثورة إستطاعت أن تحدث تغييرا في القوة النسبية للعقل البشري . لقد أصبحت المعلومات تشكل الأداة الرئيسية في تحول السلطة وإنتقالها لهذا نجد أن النظم السائدة ، أصبحت مهددة بالتغيير .

إن ثورة المعلومات وثورة الإتصالات كانتا من أهم الأسباب وراء التحولات «الأيديولوجية» والفكرية التي نشاهدها اليوم ، والمتمثلة في إنهيار الشيوعية في الإتحاد السوفييتي سابقاً وأوروبا الشرقية ، وكذلك التحول التدريجي في الصين وغيرها من البقع الإشتراكية في العالم .

إن الحرب الباردة لم تحسم لصالح جيش من الجيوش ، ولا لدولة من الدول ، بل جاء الحسم من جراء الثورة المعلوماتية .

إن الأمن والسرية في الدول مرتبطان ببعضهما البعض ، فالسرية ضرورة من ضروريات الأمن ، فالمعلومات لم تعد وسيلة من وسائل المعرفة والإتصال فحسب بل أصبحت أيضاً أداة من أدوات القهر والتعذيب والإرهاب .

ان الثورة المعلوماتية ، هي التي فرضت السلام على الشرق الأوسط ومع السلام ، أصبح فرض الوصاية الثقافية أمرا محتوما على الأمة العربية والإسلامية .

ان الشعوب الإسلامية من عربية وغير عربية لا تستطيع أن تواجه هذه المتغيرات إلا إذا إكتشفت هويتها الإسلامية . فالأمة الإسلامية قادرة على الدخول في تحديات مع العصر ، من خلال الحوار الذي أصبح هو ميدان الحروب اليوم .

فلنبدأ بالإستفادة من خدمات شبكة «الإنترنت» العالمية في نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة في جميع أنحاء العالم . كما يتم التركيز على قنوات الإتصال الحديثة التي تخدم الدعوة إلى الله . ولعل القمر المصرى يخدم هذه الناحيه .

(٨) الدين في صحف العالم الإسلامي:

من مظاهر التناقض الإعلامي في صحف الدول الإسلامية أن هذه الصحف تخصص في صفحاتها صفحة يوم الجمعة من كل أسبوع تسميها الصفحة الدينية تنشر فيها ألوانا من الثقافة الإسلامية والنشاط الديني .

إن تخصيص صفحات للعطاء الديني في هذه الصحف ، يعنى ان بقية الصفحات في صحيفة هذا اليوم وما تشمله كاملاً باقي الأيام - ليس دينيا .

فنرى فيها صفحات تقدم ألوانا أخرى من الثقافة تقف من آداب الدين على النقيض تماماً ، منها ما يسمونها صفحات فنية ، وأخرى رياضية وغيرهما مما تعنى به صحف زماننا الحالي . وإذا كان يجب علينا أن نحفظ آداب التعبير ونحن نشير إلى العلامات الواجب اتباعها في تقديم المادة الإعلامية فاننا نكتفي بالقول بأن الصفحات الفنية تحولت إلى إباحية وأن الصفحات الرياضية تحولت إلى تهريج ، وان غيرها من الصفحات لم تتجه في عطائها وجهة إسلامية.

فهي في الأدب تعطى بسخاء نماذج في العرض والنقد مما قلدنا فيه الغرب من القصة والمسرحية وما يسمونه إيداعا .

وهي في الإقتصاد لا تقدم دعائم الإقتصاد في الإسلام ، وإنما تشرح النماذج

الغربية في مختلف الأسواق حتى أسواق المصارف ومعاملاتها التي منها الحرام ومنها الحلال وتختلط المفاهيم داخلها .

والصفحات السياسية في هذه الصحف لها شأن خطير ، لأن السياسة العالمية تسيطر عليها الآن دول عرفت بالإستعمار منه العسكري ، ومنه الثقافي ومنه الإقتصادي . . . وتعرض ميادين هذه السياسة دون أن تضعها موضع النقد من العطاء الإسلامي في التاريخ والسياسة ، حتى أصبحت تختفي من أذهان الناس أهداف الفتوحات الإسلامية وقواعد العدالة عند الإنتصار ، وتخليص الناس من الظلم والعبودية ، وإباحة حرية الإعتقاد بعد شرح الإسلام والدعوة إليه ، ثم الدفاع عن المظلوم ، وتأمين المستأمن حتى ولو كان مشركا حتى بلغ مأمنه بعد أن يستمع كلام الله .

والتغطية الإخبارية نجد الاهتمام بما يحدث في دول الغرب والدول الغير إسلامية وما يحدث فيها من حركات التحرر من الإستعمار ، أما أخبار العالم الإسلامي فلا يحظى من التغطية الإخبارية إلا بالقليل جداً مع إخفاء عطاء الإسلام لحركات التحرر والإستقلال .

إن الإسلام كما أنه لا يتجزأ في الحياة يجب أن نراه كاملا في صحافة الدول الإسلامية ، فهو دين الحياة كلها : في العبادات والمعاملات ، والعقوبات ، والعلاقات الشخصية والعامة والدولية ، فهو ينظم حركة الحياة كلها ويوجهها طبقاً لقواعده الكلية وجزئيات السلوك والأخلاق فيه .

هذا وقليلة جداً ، بل هي نادرة الصحف التي تعنى بهموم العالم الإسلامي ، وتوجه حركة الحياة فيه من تقديم الثقافة الإسلامية للنساء والرجال في مختلف الشعوب بالوطن الإسلامي ، وكذلك تقديم حياتها السياسية وجهادها ومقاومتها للعدوان بمختلف أشكاله على أراضيها وأخلاقها .

(٩)مفهوم الإعلام في المنظومة الإسلامية

إن المهتم بالإعلام الإسلامي من خلال الخطاب القرآني ، يجد أن هذا الأخير قد وضع المبادئ والأصول والقيم ، وهي لا تغني عن البرامج والخطط التي تبصر المتغيرات ، وتدرك أبعاد الخطاب ومقاماته في كل زمان ومكان ، وقد نكون اليوم أكثر من أي وقت مضى ، في حاجة إلى القيام بالمراجعة للخطاب الإسلامي في الدعوة والإعلام ، وخاصة في هذه المرحلة بالذات حيث السقوط الحضاري والثقافي والسياسي والإقتصادي للمقولات العالمية التي كانت تشكل أمل الفقراء ، والتي تولدت نتيجة الظلم الإجتماعي والإستبداد السياسي فجاءت لتعالج أزمة الإنسان فعالجت الإنحراف بانحراف أشد .

(١) عناصر توصيل المعلومة

فالإعلام -كما هو معلوم- هو إيصال المعلومة ، وعملية التوصيل هذه تتركب من مجموعة من العناصر : عنصر يتعلق بالمعلومة نفسها من حيث صحتها ووثائقها أو صوابها ، وعنصر يتعلق بالناقل المُعلم خصائصه وصفاته وقدرته على الإبانة ، وإستشعاره المسئولية تجاه ذلك ، عنصر يتعلق بالمتلقي : تاريخه وثقافته ، وواقعه وعمره الثقافي ومدى ملاءمة المعلومة لعمره العقلي ، إلى جانب السياسة المرسومة ، وعملية التحكم التي تخضع لها العملية الإعلامية .

لا يوجد إعلام بدون رسالة يحملها إلى العالم ، بل الإعلام هو الرسالة في الحقيقة التي تؤمن بها الأمة ، وتجتهد في إبلاغها ، فالإعلام هو السفير ، وهو المعبر عن الصورة الحقيقية للرسالة الإسلامية ، وهو الذي يحمل القيم والأخلاق الإسلامية ، ويحمل النظرية والنموذج ، والمثل الأعلى إلى العالم ، يدلل على صدقها ، ويثير الإقتداء بها بمختلف الوسائل ، ويحاول أن يفيد من كل التقنيات الإعلامية الحديثة ،

ضبط مضامينها بالقيم الإسلامية ، ويحسن توظيفها لخير البشرية والحاق الرحمة ناس استجابة لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧) .

فالإعلام الإسلامي قضية أشمل من صفحات دينية ، معزولة ومحكومة في رائد ودوريات ، أو أحاديث وخطب رتيبة في إذاعة وتلفاز ، وتكتسب المطالبة بإيجاد ديل الإسلامي في ميدان الإعلام- بجانبيه النظري والتطبيقي-أهمية بالغة لما تتمتع وسائل الإتصال اليوم ، من مكانة خطيرة في توجيه عقليات الناس- وتشكيل لوكهم في الحياة ، في عالم تحول إلى قرية كونية ، قصرت وسائل الإتصال لكترونية المسافات بين أجزائه ، وربطت شبكة معقدة من الإتصالات بين دوله شعوبه بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسان كله .

من هذه المقدمة نخلص إلى بعض التساؤلات الحيوية ، حول الإعلام الإسلامي مفهومه ودوره ومسئوليته في وقت ، نحن في أمس الحاجة إلى جلاء صورته وتحديد عالمه ، والكشف عن كنوزه وذخائره ، والتخطيط من أجل تحويله إلى واقع حي يتعانق ه القول مع الفعل ، وتتلاحم فيه النظرية بالتطبيق وهي كالآتي :

(٢) تستند المطالبة بأسلمة الإعلام وصياغته صياغة إسلامية إلى المسوغات تالية :

مسوغ منطقي : وهو أن الإسلام جاء ليكون منهجاً شاملاً للحياة كلها بجميع جوانبها ومجالاتها ، وقد رسم الإسلام للإنسان معالم لنظمه الإجتماعية المختلفة لتتوافق ذه النظم مع الغاية الرئيسية لوجوده ، وهي خلافته عن الله في الأرض لعمارتها ، ارتباط المسلم بإسلامه ليس ارتباطا عاطفياً روحياً وحسب ، بل هو ارتباط واقعي عملي من خلال تطبيق شرائع الإسلام وهديه وتعاليمه السامية ، وتوجيهاته الربانية في مجموعة من النظم الإسلامية التي حكمت حياة المسلمين في شؤونهم الإجتماعية السياسية والإقتصادية والمدنية والعسكرية .

مسوغ واقعي : ويتجلى في كون المسلمين يواجهون في مختلف الأقطار غز
فكرياً وثقافيا ، وحضاريا رهيباً ، ولم يعد هذا الغزو الحضاري الشامل مقصورا عل
الوسائل التقليدية للغزو من كتب إستشراقية ، أو مذاهب هدامة ، أو مؤامرا
إستعمارية مكشوفة وإنما أصبح يستخدم وسائل جديدة أو أساليب جديدة تعبر إل
الأجيال الصاعدة ، بل إلى العقول المثقفة عن طريق الخبر الذي تبثه وكالة الأنباء
والتحليل السياسي أو الإقتصادي الذي تكتبه الصحيفة والصورة التي ترسلها الوكالا
المصورة ، وعن طريق الأفلام المدهشة وتعبر كذلك عبر النظريات المدسوسة في مناه
التربية والتعليم معللة بدعوى العلم والتقدم ، والإكتشافات الحديثة .

(٣) الإعلام في مواجهة الغزو الحضاري

إن هذا الغزو الحضاري الرهيب بمختلف صوره - يعمل على زعزعة مبادئ
الإسلام وقيمه ، وهدم أخلاقياته ومثله في نفوس أبناء المسلمين لينشئوا في غربة عن
دينهم وحضارتهم وتراثهم ويصبحوا فريسة سائغة للأفكار الغربية ولنمط الحياة الغربي
بكل ما فيها من إنحرافات عبر مجموعة من الصور ، ولا مفر من مواجهة هذا الغز
مواجهة صحيحة ، وذلك بتطوير إستراتيجية محكمة تعتمد على هدفين :

الأول : توجيه الإعلام في الدول الإسلامية نحو الأصالة والذاتية النابعة من قي
البدائل الإسلامية التي تقف في مواجهة ما يقدمه الغرب .

والثاني : تنقية الإعلام -إلى جانب التعليم- من المؤثرات العلمانية والإلحادي
وتفنيد ما تقدمه وسائل الإعلام الغربية من إنحرافات ، وهذه المواجهة الواقعية للغز
الفكري والثقافي في صورتها الشاملة المتكافئة لن تتحقق إلا عندما تتبلور في أذها
المسلمين الصورة الحقيقية للإعلام الإسلامي .

(٤) الإعلام الإسلامي الذي نريد :

تختلف نظرات الناس حول الإعلام الإسلامي ما بين النظرة الجغرافية ، والنظرة التاريخية والنظرة الواقعية التجزيئية ، فالنظرة الجغرافية تفهم الإعلام الإسلامي على إعتبار أنه صادر عن دول العالم الإسلامي ، أو الجهات التي تنتسب إلى الإسلام ، وتكاد تكون هذه النظرة هي السائدة في الدراسات الأجنبية عن الإعلام الإسلامي ، لذلك تصنفه في إطار العالم الإسلامي بمفهومه الجغرافي الرسمي دون تمييز في المنهج أو الغاية أو الممارسة .

والنظرة التاريخية للإعلام الإسلامي تكاد تحصره في إطار زمني ضيق ، وترى أنه مفهوم تراثي وممارسة محدودة في فترة زمنية معينة ، مثل تلك الدراسات التي تتناول الإعلام ووسائله في عهد النبوة ، أو الخلفاء الراشدين .

والنظرة الواقعية التجزيئية للإعلام فتستند إلى صورة الممارسة الواقعية لبعض جوانب الإعلام الإسلامي المحدودة ، وتفهم هذا الإعلام باعتباره إعلاما متخصصاً ، ويغلب على من ينحو هذا المنحى أن يفهم الإعلام الإسلامي في حدود الصفحات الدينية ، وركن المفتى ، والخطب النبوية في الصفحات اليومية والاسبوعية ، ورغم أن هناك بعض جوانب الصحة في هذه النظرات المختلفة للإعلام الإسلامي ، فانها لا تعبر عن حقيقته وشموله وتكامله ، ولا تمثل جوهره الأصلي .

(٥) الإزدواجية والتناقض في إعلامنا

والحق إن الإعلام الإسلامي ليس مرتبطا بفترة زمنية معينة وليس محدوداً ببقعة مكانية محدودة ، بل هو منهج يتجاوز حدود الزمان والمكان ويحمل في طياته بذور الملاءمة لكل زمان ومكان . ومما يشكل خطراً على الإعلام الإسلامي الإزدواجية والتناقض في الوسيلة الواحدة فضلاً عن وجودهما في الوسائل المتعددة ، حيث تستمع مثلاً إلى برنامج ديني يحث على الفضيلة ، فيعقبه مباشرة برنامج آخر يغري بالرذيلة .

أو أغنية ماجنة تزين السقوط بصورة جذابة مشوقة ، وتشاهد في التلفاز مثلاً برنامجا دينياً يبني في نفوس المشاهدين معاني الرجولة والصلاح والخير ، ثم لا تلبث أن تصطدم في الوسيلة نفسها بشريط مثير ينقض كل ما بناه البرنامج الديني ويهدمه .

ولو نظرنا إلى واقع النشاط الإعلامي والنظم الإعلامية في المجتمعات التي لا تدين بالإسلام لوجدنا أن النشاط الإعلامي فيها ينبع أصلاً من التصورات العقدية والأيديولوجية للمجتمع ، ويتطبع بالقيم والتقاليد والظروف الإجتماعية والسياسية والإقتصادية السائدة فيه ، ولوجدنا أيضاً أنه يخدم -عبر قنواته وصوره- الغايات والأهداف البعيدة والقريبة التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها ، وللإسلام فلسفته الإعلامية الخاصة به ، وفي ضوء هذه الفلسفة المستقاة من المصادر الأصلية للمنهج الإسلامي نجده قد وضع أصولاً عامة وقواعد كلية لجوانب العملية الإعلامية كافة ، وهي مبثوثة في المصادر الإسلامية المتمثلة في القرآن والحديث وفي إجتهادات فقهاء المسلمين وعلمائهم عبر العصور المتعاقبة وذلك من خلال :

١- فلسفته الأساسية وإطاره الفكري العام المبني على التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ، وغاية الوجود الإنساني .

٢- غايته الكبرى ومنهجه الأصيل في تحقيق تلك الغاية .

٣- وظائفه العامة والخاصة ، ومدى ارتباط هذه الوظائف بالحاجات الواقعية لأفراد المجتمع ، ومقدار إستجابته للظروف المحيطة بهم .

٤- أساليبه وطرقه في تقديم المضمون إلى الناس . ومدى مراعاة هذه الأساليب لخصائص الجمهور المتلقي للرسالة الإعلامية وكيفية تعامله معه .

٥- وسائله وقنواته المتنوعة : تقليدية وعصرية ، وهذا العمل الذي يستهدف صياغة منظومة إعلامية إسلامية للمجتمع الإسلامي لن يتحقق إلا من خلال إجتهاد

عصري يقوم به متخصصون يمتلكون زادا متينا من العلم الإعلامي في جانبيه النظري والتطبيقي ، ولابد أن يعتمد هذا الإجتهاد على تلاحم عنصرين هامين :

● أولا : دراسة المصادر الأساسية للإسلام دراسة إعلامية علمية لإستنباط الأسس والقواعد التي تنظم العملية الإعلامية أو ترشد إليها .

● ثانياً : دراسة نتائج البحوث والدراسات والممارسات الإعلامية المعاصرة وتحقيق ثمرة هذا التصور النظري للإعلام الإسلامي بشموله وتكامله لن يكون ولن يتم إلا بالعمل الدؤوب والإعداد للكفاءات المتخصصة وتأهيلها فكريا ، وخلقيا وعلمياً ، ومهنياً وذلك من خلال :

أ - الإعداد الأصولي والفكري : حيث يتعرف الطالب على الأصول العقدية والفكرية والتشريعية للإسلام من خلال مجموعة مختارة من المقررات الشرعية والفكرية في القرآن الكريم والحديث والتوحيد والفقه والثقافة الإسلامية .

ب- الإعدا د اللغوي ، لأن اللغة هي وسيلة الإعلام ، بل هي وعاء الفكر والثقافة ، وان يسعى إلى التمكن من فنون القول والبيان ، والأسلوب ، والتعبير والتذوق الأدبي .

جـ- الإلمام الشامل بقضايا المجتمع الذي يعيش فيه ، من حيث قضاياه ، ومشكلاته وأحداثه وتياراته .

اخلاقيات الإعلان في اجهزة الإعلام

لا يستطيع أحد أن ينكر الدور الكبير الذي يلعبه الإعلان في الصحافة أو الراديو أو التليفزيون باعتباره الممول الحقيقي الذي بدونه يصعب على هذه الأجهزة الإستمرار في نشاطها الثقافي والإخباري والترفيهي ، ذلك أن الإعلان يشكل حوالي ٧٥٪ من دخل هذه الأجهزة لا سيما في عصر تدعيم القطاع الخاص والإستثماري ، وانتشار القنوات الفضائية ، والصحف التي يديرها أفراد وجماعات وهيئات لا تحصل على دعم من

الحكومات أو الأجهزة الأخرى ، إلا أن هذا لا يعنى أن تتحول هذه الوسائل إلى قنوات لبث السموم ونشر الرذيلة والإنحطاط بالغريزة البشرية ، وإنهيار السلوك الإنساني والباس الحق بالباطل والهدى بالضلال والخير بالشر ، لا سيما وقد درجت العديد من أجهزة الإعلام على الحصول على الإعلان بأي شكل وبأية صورة .

ويتعامل المعلن مع المساحة الزمنية التي إشتراها من التلفزيون أو الراديو ، والمساحة المكانية التي إشتراها من الصحيفة باعتبارها جزءا من ممتلكاته الخاصة يتصرف فيها كيفما شاء حتى لو أدى ذلك إلى تدمير الإنسان والقضاء على فكره السليم ، ودفعه دفعاً إلى السلوك غير السوي وإحداث البلبلة والفتنة بين أفراد المجتمع وجماعاته ، وتنمية السلوك الإستهلاكي لدى الناس ، وأخطر ما في الإعلان هو تأثيره على السياسات العامة للدولة باعتباره قوة إقتصادية كبيرة تؤثر على صانع القرار ، وتدفعه دفعاً إلى إتخاذ المواقف حسبما يريد المعلن .

وقد ظهرت في الفترة الأخيرة في الصحف العربية إعلانات غاية في الغرابة تسهم في هدم البنية الأساسية للإنسان ، وتجاوزت هذه الإعلانات كل حدود طالب العقيدة الدينية وتراث الأمة وحقائق التاريخ فاصبحنا نرى إعلانا طبيا يزعم صاحبه القدرة على القضاء على مرض العقم بصورة نهائية ، وينص الإعلام على أنه (لا عقم بعد اليوم) متجاهلاً النص القرآني الذي حسم فيه الحق جل وعلا هذا الموضوع فى قوله عز من قائل ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى ٤٩-٥٠) والإعلانات التي تعلن عن (سحور راقص في رمضان) وكذلك الإعلانات التي تروج لكتب هابطة ومنشورات تسيء لثوابت الأمة وأصولها .

وإذا أضفنا إلى ذلك الإعلانات التي تروج عن سلع فاسدة وبضاعة راكدة بهدف ترويجها ولو على حساب صحة الإنسان وحياته ومستقبله ، وكذلك الإعلانات التي

تعمل على تسويق الخمور ، وتعمل على بث الرذيلة والفساد في المجتمع كإعلانات السهرات الليلية ، والفن المبتذل والطرب الهابط والذي يعمل على الإنحطاط بأذواق المشاهدين والمستمعين والقراء .

ووصل الأمر في بعض الإعلانات إلى الإستخفاف بعقول المتلقين ومخاطبة غرائزهم الدنيا وحاجتهم إلى الطعام والشراب والجنس ، والتي تشجع على الإنفتاح بين الشباب والفتيات ، والرجال والنساء تقليدا للمجتمعات الغربية التي حققت أعلى درجات التقدم بسبب إطلاق هذه العلاقة بلا حدود ، ومن اللافت للنظر في هذا اللون من الإعلانات إقحام المرأة في كل إعلان حتى لو لم تكن لها به علاقة كالإعلان عن شفرات الحلاقة والملابس الرجالية والروائح التي تجذب المرأة إلى الرجل ، وتجذب الرجل إلى المرأة وتجعل منه شخصية محبوبة بين النساء . . . وأخطر أنواع الإعلانات هي تلك التي تستهدف الطفل الذي لا يكاد يميز بين الخطأ والصواب أو بين الهدى والضلال ، ولكنه ينساق بحكم تكوينه الغريزي نحو المضمون الذي يقدمه له الإعلان ، وقد كشفت الدراسات العلمية عن التأثير الخطير الذي يتركه الإعلان على عقلية الأطفال ووجدانهم بفعل غريزة التقليد والمحاكاة التي تلعب دورا فاعلاً في سلوكهم في هذه المراحل العمرية ، وهذا يكشف عن خطورة هذا اللون من الإعلانات لا سيما إذا أدركنا أن الأطفال يقضون أمام التلفزيون أربع وعشرين ألف ساعة في العام مقابل اثني عشرة ألف ساعة في قاعات الدرس هذا ما أكدته دراسة اليونسكو مؤخراً . وأخطر أنواع الإعلان هو الذي يسعى للترويج للمبادئ والمعتقدات والذي يلتبس فيه الأمر فلا يعرف الشاهد أو المستمع أو القارئ ما إذا كان هذا إعلانا أو مقالاً ، فيخلط بين المادة الإعلامية والمادة الإعلانية ، وهنا يتم وضع السم في العسل فيلتهمه المتلقي دون أن يشعر ، وما أكثر الضحايا الذين سقطوا ضحية إعلانات وهمية حتى أن المعلنين أصبحوا في كثير من دول العالم يتحكمون في صناع القرار أنفسهم .

وعلى الرغم من مواثيق الشرف ، وقوانين الصحافة والتوصيات التي إنتهت إليها الندوات التي طالبت بوضع حد للإعلانات التي تؤثر على سيكلوجية الجماهير وعلى أخلاقهم ، إلا أن كل هذه المحاولات لا تزال حبرا على ورق بينها وبين الواقع بون كبير ، وهذا يتطلب وقفة جادة لوضع حد لهذا النهم المادي الذي يقضي على الزرع والضرع ، ويؤدي في النهاية إلى التأثير على القيم وإنحطاط الأخلاق .

(١١) صحافة الإثارة والإعلام المرئي بدون رقابة

إنه بالنسبة لدور الإعلام في نشر أو ترشيد الجريمة هناك فريقان أو وجهتي نظر : الأول من الباحثين ويرى أنه لا داعي لنشر الجريمة في وسائل الإعلام ، وهناك بعض الدول الإسلامية تأخذ بهذا الرأي فهي لا تنشر اخبار الجرائم إلا في حدود ضيقة جداً ، والرأي الآخر يقول أنه لا بأس من نشر أخبار الجرائم والحوادث بحيث يتعرف عليها المجتمع ويواجهها ويتعرف على أسبابها وخطرها وكيفية مواجهتها والوقاية منها ، ولكن المواجهة الإعلامية والصحفية تختلف من بلد إلى آخر ، وتختلف حتى في الصحف المحافظة عن الصحف التي تسمى بصحف الإثارة التي تهتم بالجريمة بهدف التوزيع وإثارة الاهتمام ونشر الإعلانات والتكسب من وراء ذلك على حساب الفضيلة والقيم وعلى حساب المجتمع وتضخيم الجرائم وإبرازها في غير حجمها الطبيعي وهذا يساعد على إنتشارها أكثر .

إن الأخطر من ذلك أن بعض الصحف في الدول العربية تقلد النمط الغربي في هذا الشأن وتقلد صحف الإثارة التي نشأت في أوروبا الغربية والتي نشأت في المجتمعات الصناعية ، وتتفق مع هذه المجتمعات من ناحية أفكارهم وآرائهم . . ففي إنجلترا تقوم ما تسمى «الصحافة الصفراء» بنشر الفضائح والعنف والجنس والجرائم مثلها كمثل الصحافة الأمريكية .

وفي مصر هنا توجد بعض الصحف التي تتميز بمثل هذا اللون ولا سيما الصحافة الحزبية والصحف التي تعاني من قلة التوزيع والتي تحاول أن تشتهر وتقلد النمط الغربي في معالجة الجريمة ونشرها، وتعزف على أوتار الجنس ومخاطبة الغرائز والتهويل في نشر الجريمة والتضخيم فيها.. حتى أن بعض الصحف تكتب منشتات عريضة عن الجنس والفضيحة دون أن يكون هناك مضمون، وهذا الأسلوب مرفوض رفضاً باتا في مجتمعاتنا الإسلامية التي ينبغي أن يكون لها معالجة تختلف إختلافا كليا عن الأسلوب الغربي، فيجب أن تنشر الحقائق كاملة ولا تكذب ولا تهول ولا تنهم بدون دليل، ولا تنشر إتهامات دون أن يبت فيها القضاء لأن هناك بعض الحوادث والجرائم التي فيها أشخاص ثم بعد ذلك يبرأون في ساحة القضاء ولكن بعد أن تكون نالت الصحافة من سمعتهم وشرفهم ومكانتهم .. في المجتمع.

وإذا كان الأمر ينطبق على الصحافة .. فكذلك أيضاً الإعلام المرئي من خلال الأفلام التي يطلق عليها (أفلام الشباك ...!!) إذ تحاول أن تروج بعض القيم الخليعة والمظاهر البذيئة.. والوجوه والأجساد العارية.. ومن هذه الأفلام من يذكر الجريمة ويركز على تفاصيلها بشكل دقيق جداً بما يعد تعليم واستهواء للشباب. حتى أن بعض المتهمين وبعض الذين سقطوا في الجريمة من خلال اللقاءات التي أجريت معهم والتحقيقات، ذكروا أنهم تأثروا ببعض الأفلام التي رأوها في التليفزيون، وخاصة أفلام العنف، وأيضاً المسلسلات والأفلام الأجنبية مثل «رعاة البقر..!!» التي مع الأسف الشديد تعرض في مصر وبعض الدول العربية وفيها تدمير المجتمع وأخلاقياته ونشر الجريمة وغيرها...

والمطلوب ونحن في بلد دينها الإسلام -رقابة صارمة ومتابعة لوسائل الإعلام، وليس معنى أن نطالب بالرقابة أن الهدف هو تقييد حرية الإعلام، ولكن الهدف هو

ضبط الأمور.. وما يكون في صالح المجتمع حتى لا يؤثر الإعلام تأثيراً سيئاً على النشئ والمراهقين أو يكون عاملاً مساعداً على إنتشار الجريمة أيضاً نقول:

للمخرجين والإعلاميين اتقوا الله في عقول الشباب وفي قيم المجتمع وأخلاقياته، فانتم مسئولون مسئولية مباشرة أمام الله والعالم والمجتمع، ولا يحملكم كسب الأموال والشهرة على حساب أخلاقيات المجتمع وأعرافه وتقاليده.

* * *

(١٢) خط الثقافة الشرعية لنشر الحوادث والقضايا

في ضوء فقد الإثارة الصحفية في كتابة الحوادث والقضايا والهدف التثقيفي والإجتماعي من وراء النشر يجب أن يكون العطاء الصحفي لهذا النشاط على مستوى المسئولية.

إن هذه القضية شغلت الإهتمام للمشتغلين بالحركة الإجتماعية ودورها في التربية الأخلاقية، كذلك شغلت أصحاب المهن ذاتها، وانقسم الرأي في ذلك إلى قسمين، قسم يرى النشر باطلاق، وقسم يرى عدم النشر تماما، ولكل قسم أسبابه وحججه، فخبر الحادث والقضية خبر مقروء يشغل الإهتمام العام، وإذا منع النشر تماما فإنا نفتح بذلك الباب لترويج الصحف والمجلات التي تأتي من الخارج وتعنى عناية كبيرة بنشر الحادث والقضية وقصة كل منهما بإفاضة وتطويل، ويدخل إلى هذه القصة ماليس منها لإشباع خيال الكاتب والقراء على السواء، وفي ذلك من الخطورة على المجتمع ما فيه، والنشر بإطلاق كما يرى القسم الآخر يعمد إلى تقليد هذه الصحف والمجلات التي تأتي إلى مجتمعاتنا من الخارج، بل إننا نرى الآن أن صحفاً ومجلات تصدر عن المؤسسات الإعلامية تخصصت في نشر الحوادث والقضايا وتحليلاتها، وسارت على درب ما يفد إلينا من الخارج، وفي هذا خطر كبير على الأخلاق، العامة في المجتمع.

وحتى لا نمنع النشر ونفيد في الوقت نفسه يجب أن يكون لنا في المجتمع الإسلامي خط ترسمه ثقافتنا ذات الأصل الشرعي، والقرآن الكريم كما تحدث عن الإيمان مقرونا بالعمل تحدث عن جرائم السابقين وعن عقابهم، وبخاصة عند التصدي للعقيدة الإلهية ورسالات الأنبياء الذين جاءوا بها ووضع لهم عقوبات معلومة وقصصا مشروعا، ويمكن في هذا تغذية العقول الحديثة بأحكام الشرع في مثل هذه الجرائم وإنزالها بالجناة.

ومنذ فترة نشرت الصحف أن امرأة قتلت زوجها خنقا بيديها بعد خلاف على نفقات المعيشة في منزلهما.. الزوجان يعملان ولكل منهما راتبه وكسبه، فالمرأة لا تريد أن تساهم في نفقات المنزل، واحتياجات الأبناء، باعتبار أن هذه النفقة من مسئوليات الزوج، والشرع كفل لها ذمة مالية مستقلة لا يجوز للزوج أن يتدخل فيها أو يفيد منها إلا عن طيب نفس من الزوجة، لكن النفقة التي يجب أن يؤديها الزوج إنما هي مفروضة عليه نظير إحتباس الزوجة على مصالحه، وهنا أختل الميزان المعرفي في يد الزوجة ودفعها إلي جريمة قتل زوجها .

القوانين الوضعية هي التي فتحت الباب لدخول هذا الإختلال في الحياة الزوجية حينما جعلت العمل خارج البيت حقاً للمرأة عند زواج الرجل بها دون نص على إعتراض منه في عقد الزواج ولا يجوز للزوج معارضة هذا العمل في أي وقت حتى لو اختلت مصلحة البيت ورعاية الزوج والأبناء أثناء غياب الزوجة عن بيتها.

والقوانين الوضعية تعتبر أن عمل المرأة في الوظائف العامة ضرورة إنتاج وتنمية، ومع أن هذا الإعتبار عليه مآخذ كثيرة، وكأن رعاية الزوج والأبناء ليست ضرورة إنتاج وتنمية.

ومن واجبات نشر مثل هذا الحادث إلقاء الضوء على مخالفة القوانين الوضعية للأصول الشرعية في علاقة الزوجين وما توصيف هذا القتل في عرف القانون الوضعي،

هل هو قتل عمد، أم قتل خطأ، أم هو دفاع عن النفس حيث قامت مشاجرة بين الطرفين قبل إنتصار الزوجة في الشجار وإخماد أنفاس الزوج؟ وما الفرق بين هذا التوصيف أيا كان والتوصيف الشرعي للجريمة؟ ثم تحديد العقاب عليها، الأمر الذي يدعو كاتب الحادث والقضية في الصحيفة أو المجلة أن يكون :

ذا زاد ثقافي كامل ليعطي الحادث أبعاده المطلوبة، ومن هنا يفيد من تحدثه نفسه بارتكاب هذه الجريمة.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور ١٥).

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء ٣٦). صدق الله العظيم.

(١٣) حرية الصحافة والإعلام في الدستور «الوضعي».

- تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية.

- حرية الرأي مكفولة، ولكل إنسان التعبير عن رأيه ونشره بالقول والكتابة أو التصوير أو غير ذلك من وسائل التعبير في حدود القانون والنقد الذاتي والنقد البناء ضمانا لسلامة البناء الوطني.

- حرية الصحافة والطباعة والنشر ووسائل الإعلام مكفولة، والرقابة على الصحف محظورة وإنذارها أو وقفها أو إلغاؤها بالطريق الإداري محظور، ويجوز إستثناء في حالة إعلان الطوارئ أو زمن الحرب أن يفرض على الصحف والمطبوعات ووسائل الإعلام رقابة محدودة في الأمور التي تتصل بالسلامة العامة أو أغراض الأمن القومي، وذلك كله وفقاً للقانون .

● الصحافة سلطة شعبية مستقلة تمارس رسالتها على الوجه المبين في الدستور والقانون .. فهي تمارس رسالتها بحرية وفي إستقلال في خدمة المجتمع بمختلف وسائل التعبير، تعبير عن إتجاهات الرأي العام وإسهاما في تكوينه وتوجيهه، في إطار المقومات الأساسية للمجتمع والحفاظ على الحريات والحقوق والواجبات العامة، وإحترام حرمة الحياة الخاصة للمواطنين، وذلك كله طبقاً للدستور والقانون.

● حرية الصحافة مكفولة والرقابة على الصحف محظورة وإنذارها أو وقفها أو إلغاؤها بالطريق الإداري محظور وذلك كله وفقاً للدستور والقانون.

● حرية إصدار الصحف وملكيتها للأشخاص الإعتبارية العامة والخاصة والأحزاب السياسية مكفولة طبقاً للقانون، وتخضع الصحف في ملكيتها وتمويلها والأموال المملوكة لها لرقابة الشعب على المبين بالدستور والقانون.

● للصحفيين حق الحصول على الأنباء والمعلومات طبقاً للأوضاع التي يحددها القانون، ولا سلطان عليهم في عملهم لغير القانون.

● يقوم على شئون الصحافة مجلس أعلى يحدد القانون طريقة تشكيله وإختصاصاته وعلاقته بسلطات الدولة . . ويمارس المجلس إختصاصه بما يدعم حرية الصحافة وإستقلالها ويحقق الحفاظ على المقومات الأساسية للمجتمع، ويضمن سلامة الوحدة الوطنية والسلام الإجتماعي، وذلك على النحو المبين في الدستور والقانون.

قانون وميثاق العمل الصحفي «الوضعي»

يقضي القانون بان الصحافة سلطة شعبية تمارس رسالتها بحرية مسئولة في خدمة المجتمع تعبيراً عن مختلف تاجاهات الرأي العام وإسهاما في تكوينه وتوجيهه من خلال حرية التعبير وممارسة النقد ونشر الأنباء وذلك كل في إطار المقومات الأساسية للمجتمع وأحكام الدستور والقانون.

وجاء في القانون واجبات الصحفيين، ويقرر أن يلتزم الصحفي فيما ينشره بالمبادئ والقيم التي يتضمنها الدستور وبأحكام القانون مستمسكا في كل أعماله بمقتضيات الشرف والأمانة والصدق وأداب المهنة وتقاليدها بما يحفظ للمجتمع مثله وقيمه وبما لا ينتهك حقا من حقوق المواطنين أو يمس إحدى حرياتهم.

وأشار إلى أن الصحفي يلتزم التزاما كاملاً بميثاق الشرف الصحفي ويؤاخذ الصحفي تأديبا إذا أخل بواجباته المبينة في هذا القانون أو في الميثاق فقد قرر القانون ما يلي:

● أن يحاكم تاديبيا كل من أخل من الأعضاء بواجباته في مزاولة المهنة أو ارتكب أمورا مخلة بشرفها أو ماسة بكرامتها أو تحايل لإغتصاب حق لأحد زملائه أو صدر عنه بسوء ما يتعارض مع مصالح البلاد العليا، وقرر القانون بعض العقوبات كالإنذار والوقف وشطب الأسم من جدول النقابة.

● وقررت اللائحة التنفيذية للقانون بضرورة أن يلتزم جميع العاملين بالنشاط الصحفي وأن يتبعوا في سلوكهم المهني مبادئ الشرف والأمانة وأداب المهنة وتقاليدها.

● وأن يحظر على الصحف والصحفيين نشر أو إذاعة ما ينطوي على أي من الأمور الآتية:

- الدعوة إلى مبادئ أو آراء تتضمن إنكار الشرائع السماوية أو تنافس مع أحكامها.

- الدعوة إلي التحرر من القيم الدينية أو الولاء الاجتماعي أو الخلقي.

- الأخبار والبيانات أو الإحصاءات التي تمس الأمور العسكرية.

إنه بالرغم من كل هذا الكم الهائل من التشريعات الوضعية وما دعت إليه من ضرورة الحفاظ على الأخلاق في التعامل مع الغير، إلا أننا نجد أن بعض الناس قد جبلوا على مخالفة القوانين وماتت ضمائرهم فوضعت سدا مانعا بينهم وبين تعاليم الإسلام التي تحض على حسن الخلق وكريم الخصال في التعامل مع البشر جميعاً حيث أنه لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

نص ميثاق الشرف الصحفي

نحن الصحفيون المصريون أسرة مهنية واحدة ، تستمد كرامتها من إرتباطها بضمير الشعب، وتكتسب شرفها من ولائها للحقيقة، وتمسكها بالقيم الوطنية والأخلاقية للمجتمع المصري، وتأكيدا لدور الصحافة المصرية الرائد على إمتداد تاريخنا الحديث في الدفاع عن حرية الوطن وإستقلاله وسيادته، والذود عن حقوقه ومصالحه وأهدافه العليا، والإسهام في حماية مكتسبات الشعب وحرياته العامة وفي مقدمتها حرية الصحافة والرأي والتعبير والنشر.

وإيمانا منا بأن تعزيز هذه الحريات وصيانتها، ضمانة لا غنى عنها لدفع المسار الديموقراطي، الذي يتأكد به سلامة البناء الوطني، وتتحقق من خلاله كافة أشكال التطور السياسي والإقتصادي والاجتماعي في بلادنا. وإتساقاً مع مبادئ الدستور ونصوصه التي كفلت للصحافة والصحفيين أداء رسالتهم بحرية وفي إستقلال تعبيرا عن إتجاهات الرأي العام في إطار المقومات الأساسية للمجتمع وإرتباطا بالأهداف والحقوق والإلتزامات السامية، لرسالة الصحافة التي تضمنتها المواثيق الدولية وعلى وجه الخصوص المادة ١٩ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وإعترافا بحق القارئ في صحافة موضوعية تعكس بأمانة وصدق نبض الواقع، وحركة الأحداث، وتعدد الآراء، وتصور حق كل مواطن في التعقيب على ما ينشره الصحفي وعدم إستغلاله في التشهير أو الإبتزاز أو الإفتراء أو الإساءة الشخصية.

وإدراكا منا لواجبات الزمالة وما تحوي من علاقات مهنية نزيهة تحفظ لكل صاحب حق حقه دون ضغط أو إكراه أو تمييز أو تجريح بين أفراد الأسرة الواحدة رؤساء كانوا أم مرؤوسين.

نعلن إلتزامنا بهذا الميثاق ونتعهد باحترامه وتطبيقه نصا وروحا، في كل ما يتصل بعلاقتنا بالآخرين وفيما بيننا.

بعض المبادئ العامة والإلتزامات والحقوق الواردة في ميثاق الشرف الصحفي.

* الصحافة رسالة حوار ومشاركة وعلى الصحفيين واجب المحافظة على أصول الحوار وآدابه، ومراعاة حق القارئ في التعقيب والرد والتصحيح، وحق عامة المواطنين في حرمة حياتهم الخاصة وكرامتهم الإنسانية... وللصحافة مسئولية خاصة تجاه صيانة الآداب العامة وحقوق الإنسان والمرأة والأسرة والطفولة والأقليات والملكية الفكرية للغير.

وشرف المهنة وآدابها وأسرارها أمانة في عنق الصحفيين وعليهم التقيد بواجبات الزمالة في معالجة الخلافات التي تنشأ بينهم أثناء العمل أو بسببه.

*** يلتزم الصحفي بالواجبات التالية :**

الإلتزام فيما ينشره بمقتضيات الشرف والأمانة والصدق، مما يحفظ للمجتمع مثله وقيمه، وبما لا ينتهك حقاً من حقوق المواطنين، أو يمس إحدى حرياته... وان يلتزم بعدم نشر الوقائع مشوهة أو مبتورة، وعدم تصويرها أو إختلاقها على نحو غير أمين، وكذا الالتزام بتحري الدقة في توثيق المعلومات ونسبة الأقوال والأفعال إلي مصادر معلومة كلما كان ذلك متاحا أو ممكنا طبقاً للأصول المهنية السليمة التي تراعي حسن النية...

الإلتزام بعدم استخدام وسائل النشر الصحفي في إتهام المواطنين بغير سند، أو في إستغلال حياتهم الخاصة للتشهير بهم أو تشويه سمعتهم أو لتحقيق منافع شخصية من أي نوع..

والإلتزام بعدم الإنحياز في كتاباته إلى الدعوات العنصرية أو المتعصبة أو المنطوية على إمتهان الأديان أو الدعوة إلى كراهيتها أو الطعن في إيمان الآخرين، أو تلك الداعية إلى التمييز أو الإحتقار لأي من طوائف المجتمع.

والصحفيون مسئولون مسئولية فردية وجماعية رؤساء كانوا أم مرءوسين عن الحفاظ على كرامة المهنة وأسرارها ومصداقياتها، وهم ملتزمون بعدم التستر على الذين يسيئون إلى المهنة أو الذين يخضعون أقلامهم للمنفعة الشخصية.



قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ

(الأعراف ٣٢)

الفــن

(١) الإسلام حضارة وفن

كتبت د . نعمات أحمد فؤاد بجريدة الأهرام

إحترام الإسلام لعقل الإنسان ، وطب الإسلام لروح الإنسان ووجدانه معا ، ومن هذا موقف الإسلام من الفن كانت صفات الله وأسماء الخالق المبدع أمام عمل الفنانين ووجدانهم وأحاسيسهم فإنتاجاتهم الفنية نوع من التوحيد والتنزيه لله حتى وقف العالم الفرنسى بُورجيون طويلا عند الفن الإسلامى ، وقيل عن ليوناردو دافنشى أنه كان يقضى وقتا طويلا فى رسم هذه الزخارف الهندسية الإسلامية والباحثون فى الفن الإسلامى بدءا من التوحيدى فى كتابه (الإمتناع والمؤانسة) حتى عصرنا الحاضر يجمعون على تكييف العقيدة للفن .

حبب الإسلام إلينا الجمال والزينة ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ (الأعراف ٣٢) وتشرب الفنان المسلم روح دينه ، فمضى يزركش المربع ، ويحنن المستطيل ، ويعشق الخشب ، ويستنطق السطح الصامت بالنقش والنمنمة ، وفى القرآن الكريم (سورة الزخرف) ولما كانت «العربية» جزءامن الإسلام لنزول القرآن الكريم بها ، فقد تمثلت هذا ، الزخرفة الإسلامية حتى وصلت به نهرا (وطريقة) فالرحمة فى الإسلام ترجمتها العمارة الإسلامية فى عدة صور : البيمارستان والأسبلة نقات والأوقاف والأحباس وشكلت ، الجنة ، فى الإسلام كثيرا من العمارة الخيرية فى الفن الإسلامى حسن الجوار وعذوبة الجوار ووداده اللقاء الذى أوصى بها جميعا الدين الإسلامى فى الفن الإسلامى تجمع يهوى الترابط أو إنبثاق يهوى الاشعاع ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ (الملك ٥) ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ ﴾ (يونس ٥) ، ويأتى الزجاج المعشق عنصرا من عناصر اللون الفنى بتأثيره الجمالى فى العمارة الإسلامية فلعبت الإشعاعات الضوئية النافذة إلى الداخل عبر اللوحات الزجاجية ذات الألوان لتكون قيما جمالية

بتعدد صورها حسب شدة الإضاءة وتغيرها تبعا للتوقيت اليومى . . وحالة السماء أى لون فى حركة دائمة أو حركة ملونة اللون فى القرآن الكريم له صور شتى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة فاطر . السماء- الماء- النبات- الجبال- الناس- الدواب- الأنعام- الوان . . الوان وعشق الفنان المسلم ، الألوان : المصرى من طول العهد بالزراعة واللون الأخضر أغنى الألوان فى الطبيعة . . والعربى من طول ملازمته للصحراء أقبل على الألوان فى ولع يشتهى التغيير فلم يترك العرب شيئا إلا وزخرفوه ولونوه ردا ماديا على اللون ، الواحد فى الصحراء . . حتى الجدران غطوها بالألوان رخاما وفسيفساء . . حتى المعادن كفتوا النحاس بالفضة وموهوه بالذهب ، ولونوه بالمينا . . حتى الكتب جلدوها بالألوان . . حتى ملابسهم أغرقوها فى الأصباغ مما إستلفت نظر «سولومون دوف جويتين» فى تحليله للألوان التى كانوا يستعملونها والتى ورد ذكرها فى وثائق الفسطاط فى القرنين الخامس والسادس للهجرة . أقول حتى نظام الأحجار المتداخلة فى البناء زاد عليه المسلمون (التقسيم) بالألوان فى مصر الإسلامية ، كان الفنان المصرى المسلم مأخوذا بالنظام والموسيقى فخلق من «التقاسيم» أفراحا تغنى .

(٢) الواقع فى منهج الفن الإسلامى :

إن واقع الفنان فى التصور الإسلامى يتميز بالسعة والخصوبة والثراء فهو واقع ذو ثلاث شعب : الواقع الموضوعى خارج الوعى الإنسانى ، الطبيعى ، والإجتماعى ، المنظور وغير المنظور ، والواقع الداخلى الإنسانى المتمثل فى الوعى ، وغير الوعى ، وسائر القوى غير المكتشفة فى الكينونة البشرية ، والواقع الفكرى التاريخى والمعاصر ، المتمثل فى مجمل الخبر والتجارب ، والصور والوثائق ، والأحداث والقيم ، وكل ما

أفرزه ويفرزه الفكر الإنسانى من العلوم والآداب والفنون وكل ما أ وصى الله به للمختارين من عباده أنبياء ومرسلين .

(أ) التعامل مع الواقع حسيا :

فالإسلام يدعو إلى التعامل مع الواقع الموضوعى (الطبيعى والاجتماعى) ككل : شامل ، ما يحس منه وما لا يحس ، لكنه يميز بين الاثنين فى أسلوب التعامل والتأثر ، فالحواس هى الوسائل والمنافذ الإسلامية للإطلاع على الواقع الحسى .

** حاسة السمع والبصر :

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ السجدة ٩)

** حاسة اللمس : ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ (الأنعام ٧)

** حاسة التذوق : ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ (ص ٥٧)

** حاسة الشم : (لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه) (البخارى)

كما أن القرآن ينتهج نهجا حسيا واضحا فى عرضه لمظاهر جمال الطبيعة لشحذ وتحديد الرؤية الإنسانية وتوجيهها إلى بهائها ومفاتنها :

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ (الضحى ١ ، ٢) ، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾ (الانشقاق ١٦) ، ﴿جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾ (البقرة ٢٦٥) ، ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ (الأنعام٩٩) ، ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴾ (الصافات ٨٨) تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ۝٦٩ (البقرة ٦٩) ، ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (يونس ١٠١) .

(ب) والقرآن هو المنهج :

كما أن هذا الكتاب الكريم يعرض أحيانا ما يطرحه من أفكار فى صور تشبيهات وتمثيلات واستعارات (حسية) لتقريبها إلى الأذهان والمشاعر : كقوله تعالى من باب

التمثيل : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة ١٧) فقد مثل الإسلام بالنور المنبعث من النار المشتعلة التى هى مادة محسوسة لتقريب فكرة إطفاء المذبذبين بين الكفر والإيمان لنور الحقيقة فى وعيهم ، وكقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ (يس ٩) فالسد شكل مادى معمارى محسوس وظف لتوصيل مفهوم عجز الكافر عن تجاوز أهوائه وظنونه والدخول فى منطقة الحق الخالص .

وقصص القرآن إنما يتحرك على ساحتها شخوص واقعية مرئية ، تأكل مما يأكل منه الناس ، وتشرب مما يشربون ، وتعانى مما يعانون ، شخوص تنطق بلغة مسموعة مفهومة ، تخطر هنا وهناك ، مرئية معلومة مهما كانت درجة قداستها وتميزها الروحى والأخلاقى ، وحتى إذا نزلت قوى غيبية لتؤدى أدوارا (ما) فى هذه القصص ، فإنها إما أن تبدو بأشكال وصور وحالات مشهودة بالحس ، أو مؤثرة فى النفس والوعى تأثيرا ملحا ضاغطا مبينا تاركا لمساتها وبصماتها وآثارها منقوشة فى ذوات من يتعاملون معهم وكأنهم تركيبات محسوسة بثقلها وطاقاتها وتأثيراتها .

وحتى العالم الآخر فان القرآن يصور مناظره ونعيمه وعذابه وأحداثه وموجوداته فى صور شديدة التأثير فى الحواس منشئة بهذا التأثير لشتى المشاعر والانفعالات ، والصور ، والخيالات ، ففى الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (الزخرف ٧١) وفيها أيضا : (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) البخارى ، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝٢٦﴾ (الواقعة ٢٥-٢٦) ، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ (الانسان ٢٠)

(جـ) الغيب والخصب :

أما الواقع المغيب عن الإنسان فإن الإسلام لا يتجاهله بل ينص على وجوده فى الطبيعة والمجتمع ، فهناك ﴿ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة ٣٣) .

وفى حياة أفراد المجتمع ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة ٧٧) ، ومفاتيح هذا المغيب بيد الله ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام ٥٩) .

وإذا كانت الأبحاث العلمية المعاصرة قد أثبتت ضآلة ما دخل إلى الآن فى عالم شهادة الإنسان بالقياس إلى ما بقى محتجبا خلف أستار الغيب وسحبه الكثيفة بل إن مادة هذا العالم المشهود ذاتها قد تلاشت بنيتها المادية الصلبة فى منظور علماء الفيزياء وإذا لم تعد سوى طاقة مؤثرة تدرك آثارها بالفكر . فإنه لا أحد من العقلاء ينكر أن فى الواقع الاجتماعى غيوبا ومجهولات زاخرة ، وأن الفنان مهما كان مثقفا وملهما ومهما إمتزج بالمجتمع وسبر غبره واختلط بلحمه وتحرك مع دمائه ، فانه لا يحقق لنفسه رؤية شاملة ومعرفة كاملة بكل تفاصيله ، ومؤثراته ، وعلاقاته المتشابكة المتداخلة ، وخلفيات أحداثه الدرامية ، الممتدة فى الوعى والتاريخ وخفايا وزوايا صوره المتكاثرة التى تمر سراعا ولا تعود .

وإذا كان الفنان المسلم يشارك آخرين فى الإعتقاد بنسبة الواقع الطبيعى المحسوس قياسا إلى الواقع الكلى ، فانه ينفرد عنهم بالإيمان اليقينى بوجود عالم بل عوالم من الموجودات اللا مرئية فى الكون ، ويتوظف بعضها (الملائكة والشياطين) لأداء أدوار فعالة تتعلق مباشرة بحياة الإنسان وحركته ومصيره . . كما أنه يتميز عنهم باعتقاده (بيوم آخر) . . يوم يفوق فى طوله أيام حياة الإنسان على هذه الأرض ، يوم تتحقق فيه للمؤمنين بالله كل رغباتهم الحسية فى النعيم الممتع ، وأشواقهم الروحية فى الخلود

والإتصال بالملأ الأعلى ، وحاجاتهم النفسية فى الأمن والسلام والفرح والحب الخالص وكل ما يبهج النفس ويطمئن القلب ، وتطلعاتهم العقلية إلى حيازة المعرفة ومعانقة الغيوب المستوردة .

ويتعامل هذا الفنان الجدى والعلمى مع مخلوقات الله الخفية ، ومع صورة اليوم الآخر بجماله وجلاله ، ونعيمه وعذابه ، ومشاهده وشخوصه ، فإنه يكسب مكاسب هامة لذاته وفنه .

(د) مكاسب الفنان المسلم

١- سيغدو واقعه أكثر سعة ورحابة ، وغنى وثراء ، وحيوية وخصوبة وحركة وديناميكية ، ويصبح هو أكثر إطمئنانا إلى قدره فى الدنيا ، ومصيره فى الآخرة ، وأعمق وأثبت التزاما بمبادئه مادامت قوى الخير فى عونه ، ومادامت هذه الدنيا ليست نهاية الوجود ، أو هدف الحياة .

٢- بما أن الفنان المسلم يتفاعل ويتأثر نفسيا وروحيا وعقليا بما وراء الواقع المحسوس ، فان آثار هذا التفاعل الصميمى والإيمان اليقينى ستنعكس على إبداعه الفنى والأدبى وتحقق له مزيد من التفاف الجمهور وتعاطفه ، وإقباله على أعماله العامرة بالثقة الفياضة بالإخلاص ، الدافقة باليقين ، بينما يعجز غيره عن توصيل ما ينسجه من فن وأدب إلى الجمهور إذا كان متضمنا لقضايا ورؤى وصور وآراء أسطورية أو خرافية ، لأنه أول من لا يؤمن بموضوعيتها وحقيقتها العلمية .

٣- ان إعتقاد المسلم بالغيبيات المنصوص عليها فى الوحى الألهى سواء على مستوى الزمان أو المكان يقيه من السقوط فى هوة الملل من ضيق الواقع المحسوس أو بؤسه أو سوئه ، إذ أنه يؤمن بإمكانية تغييره نحو الأفضل بالجهد البشرى الإرادى الحر الواعى ، كما أنه حتى فى حالة عدم قدرته بسبب من الأسباب أو ظرف من

الظروف . . على تغييره وهدمه وإعادة بنائه لا يغزوه اليأس . . . الذى يدفع غيره إما إلى تسويف هذا الواقع ، أو الهروب إلى عوالم الأحلام أو الأساطير أو الرموز أو الخرافات ، كعمل السيرياليين الذين لم يهتدوا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر وسئموا ضحالة الواقع ومآسيه فلجأوا إلى الحلم لإشباع خيالهم الغيبى إلى الواقع الشامل الأجمل والأكمل من واقعهم أو الجأوا إليه إلجاء من قبل المحافل الماسونية التى صورت لهم العالم الآخر : (ملجأ للكسل والخوف) وهكذا عبر هذا المذهب برأى أحد النقاد الغربيين عن (ميلاد وفشل نشاط روحى بدون إله) وقسى عليهم الرمزيون الذين اعتصموا بالرموز المبهمة للنجاة من تيار الواقع الدانى المزهود فيه ، والواقعيون السحريون الذين استنجدوا بالسحر فى أمريكا الجنوبية لينقذهم من رتابة ومحدودية الواقع الحسى الذى حبس دعاة الواقعية التقليدية أنفسهم فى إطاره الخانق الصارم .

٤- يتخلص الفنان المسلم من رهبة الغيب المجهول وإقداره ومن إيحاء وضغط قواه الشريرة ، كما ينجو من الإفراط فى الثقة أو الركون إلى قواه الخيرة إلى حد التذلل والعبادة أو تصور الخير المستقل منها ، أو المبالغة فى الحديث الأدبى عنها حد التصوير الخيالى لأشكالها وألوانها وطاقاتها ، وذلك لأنه واثق بحكمة الله التى تقف وراء هذه القوى وتوجهها وفق برمجة غائبة إيجابية للكون والحياة والإنسان . . ولأنه لا يهتك أستار الغيب بخياله ، ويتقول بما ليس له به علم لشعوره بالمسئولية عن سمعه وبصره وفؤاده وقلمه ولسانه ، وفنه وأدبه .



٣- القرآن يلفتنا إلى الجمال والفن :

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى : إنه لكى نرتفع إلى مستوى القرآن فى صوغ إيماننا وفى معرفة الكون الذى نعيش فيه ، يجب أن ندرك الطريقة التى لفتنا بها القرآن الكريم إلى الجمال والفن ، واستعرض هنا عدة آيات قرآنية لنرى هل نظر القرآن إلى الكون على أنه مادة؟ أم عرض بجانب هذه المادة شيئا آخر يمكن أن نطلق عليه ما يتصل بالفنون فى عصرنا . . ممثلا فى سورة الحجر . . يقول الله تعالى :

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ (الحجر ١٦) .ونرى هنا أن السماء وما يدور فيها من كواكب لم يلفت النظر إليها بإعتبارها أجراما تسير وفق قانون دقيق بل يضيف إلى ذلك أنها زينة للناظرين .

وجاء فى سورتى النحل والأنعام : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ (سورة النحل)

إننا نلمس هنا إبراز لجمال الصورة للفلاح الذى يخرج بأغنامه مع شروق الشمس وصورته وهو عائد ، ستبدو صورة جميلة ولكنها فى الحقيقة أجمل ، وعندما وصف الله تعالى نفسه وبين الخالق قال تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ (السجدة ٧) .

فالذى أراه أن الإيمان الذى يصوغه القرآن فى النفوس يصوغه ليرفع به مستوى الإنسان إلى أن يكون ذواقا لما فى آفاق الأرض والسماء من نواحى الجمال . . ولا يتم بإيمان الإنسان إلا إذا نظر للكون حيث الصفحات التى يبدو فيها الجمال الإلهى .

إن الله جل وعلا عندما أقسم بالليل والقمر والأرض وبالصبح والعصر إنما يقسم بذلك لكى يلفت النظر إلى أن الكون موضوع كبير لمعان كثيرة .

واذا كانت المعانى العلمية تنضبط وفق قوانين حيث أن لعلم الجيولوجيا أوضاعه مع الأرض ولعالم الفلك أوضاعه من السماء ، فسيبقى الشئ الآخر وهو الجمال .

وإذا كان للإنسان عقل وعاطفة فان للعلوم العقلية ميادينها المضبوطة . أما النواحى الوجدانية والعاطفية فلها ميدان تعمل فيه ، الفنون أكثر مما تعمل فى الميدان العقلى ، فهناك مادة وشكل ، وقد قرأت لأنشتين وكأنه يتغزل فى النظام الذى ترتبت به المواد ، وكما قرأت للسيد جيمى جينز العالم الفلكى أنه كان يرتعش أحيانا وهو يتحدث عن عظمة الفلك فى الفضاء .

(أ) الفن للفن او الفن للحياة :

إن الجمال يبقى فى صفحات الكون فى الشكل الذى تعرض به الأمور كما يبين لنا القرآن . . فهل هذا الشكل بعيد عن الدين؟

لا . . فالقرآن عرض المادة وشكلها وعرض الحقيقة وصورتها ، من هنا لا نستطيع- فى مجال الفنون- أن نقول أننا غرباء عنها لأن القرآن ربطنا بها .

ويؤكد ذلك ما جاء فى السنة : سئل الرسول ﷺ «إننى أحب أن يكون ثوبى حسنا ونعلى حسنا . . أفهذا من الكبر؟» قال الرسول ﷺ **(لا . . فهذا من الجمال ، وأن الله جميل يحب الجمال)** وفى مجال الصوت قال ﷺ **(زينوا أصواتكم بالقرآن)** كما قال **(ليس منا من لم يتغن بالقرآن)** .

(ب) نظرة العقل الإسلامى إلى الجمال والفن :

إن العقل الإسلامى نظرته إلى الجمال والفن عقل طبيعى لأن الإسلام دين الفطرة مع ملاحظة أن الفطرة قد تمرض ولكن الفطرة العامة سليمة . . والعقل الإسلامى قد سار بالفطرة مع فنون الجمال ولكنه قام بضبطها بالفقه الصحيح . . ونستطيع أن نقول

بعد سياحة طويلة فى الفكر الإسلامى أن فكرنا وثقافتنا دخلها غش من عصر مبكر ولكن لم يخلو عصر من عصور من قائم لله ينبه لذلك ويحذر منه .

(جـ) الفن فى الأدب والتصوف :

نلاحظ أنه فى تدوين اللغة كان لابد من رعاية الجمال الذى نلمسه فى علوم البلاغة . . البيان والبديع والمحسنات البديعية والإستعارات والطباق والجناس . . هذا هو الجمال الأدبى والبيانى .

أما الصوفية فقد رفضوا ما يقال من أن الغناء حرام والواقع لابد من وضع ضوابط لعملية التحليل والتحريم ، فاذا كان الغناء يتكون من كلمة ولحن وأداء فأى منهما يشمله التحريم . . فإذا كنا نرفض فى مستوي الكلمة قول على محمود طه «ليلنا خمر» فإننا نقبل عنه «أخى أيها العربى الأبى . . أرى اليوم موعدنا لا الغدا» . . فالكلمة لها أثر أو جانب فى مسألة التحريم .

وعلى مستوى اللحن قد سرنى فى مقطع من مقاطع أغنية الكرنك . . أن أشعر أن موسيقى عبد الوهاب تصور الزمان والتاريخ عندما يقول . . «أين يا طلال جند الغالب» فى حين أن عبد الوهاب نفسه قد فشل حينما لحن قصيدة شوقى فى دمشق «وللحرية الحمراء بكل يد مطرقة تدق» .

هناك عدة أشياء تتداخل فى الحكم على الأغنية من حيث كونها تصح أو لا تصح . . أما الحكم الشرعى فيتعلق بالآثار النفسية أكثر من تعلقه بالنصوص .

إننا نريد فنا يخلق بطولة ورجولة ، وذوقا رفيعا ، ويؤسفنى أنه حتى الآن ٩٠٪ من الأغانى التى نسمعها ليست كريمة الغاية ولا حسنة الأداء .

أن الأعمال الفنية المطلوبة يجب أن تخاطب العاطفة والعقل معا ، فان عاطفة رسول الله ﷺ كانت جياشة .

(د) المبادئ العامة المرتبطة بمقاصد الشريعة والممارسات الفنية :

إنه من الضروري التفريق فى مجال الفنون بين المبادئ العامة التى نستطيع ربطها بمقاصد الشريعة ، والممارسات الفنية . . لأن الممارسات هى التى تستطيع أن تنزل عليها الحكم الشرعى ، فان البشر على امتداد تاريخهم لم ينعزلوا إطلاقا عن الفنون لأنها الفطرة الإنسانية التى جاء الدين سياجا لها ، إن أهم خصائص الفن الإسلامى هى التماسك بين القيم الجمالية وقيم الحق والخير ذلك التماسك الذى يميز الفن الاسلامى بشكل عام .

فليس فى القرآن كله ولا الحديث النبوى وتعاليم الرسول أى نص على تحريم هذا النوع من الفن الرفيع ، والأصل فى الأشياء الإباحة ما لم يرد نص على تحريمها .

والترفيه البرىء بجميع أنواعه لا يعتبر تعطيلا عن العبادة أو صرفا للناس عن الأمور الجادة ، فلهذا وقته ولهذا وقته .

ومن يدعى أن حياته كلها جد وليس فيها وقت للفن أو الترفيه إنما هو منافق وليس لحياته معنى ، ولا يمكن أن يكون منتجا ، وفى ذلك يقول ﷺ **(روحوا القلوب ساعة بعد ساعة)** أى أن تكون هناك ساعة للرب وساعة للقلب ، يكون هناك وقت للعبادة والجاد من الأمور ووقت آخر للترفيه ، فأما قوله ﷺ **(فان القلوب إذا كلت عميت)** فمعناه أن الإنسان الذى لا يحب الفن والترفيه يصاب قلبه وعقله بالصدأ ، وتتحجر عواطفه ويصبح إنسانا معقدا عديم الانتاج ، متبلد الإحساس والمشاعر ، وليس هذا بالمسلم السوى الذى يتطلبه الإسلام .

ويشرح لنا حجة الإسلام أبو حامد الغزالى أهمية الفن فى كتابه (إحياء علوم الدين) فيقول عن اللهو المباح «اللهو مروح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر ، والقلوب إذا أكرهت عميت وترويضها إعانة على الخير ، فالمواظب على التفقه مثلا ينبغى أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تبعث على النشاط فى سائر الأيام» .

فاللهو دواء للقلب من داء الإعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحا ، ولكن لا ينبغى أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء .

فإذن اللهو على هذه النية يكون قربه»

وقد اعتبر فقهاء الإسلام الآلات الموسيقية كلها «كالمزمار والعيدان والمعازف والطنابير » حلالا .

ومن الأمور البديهية أن الإسلام يرفض ويحرم كل عمل فيه ابتذال أو إفحاش أو عرى أو حرج للفضيلة والآداب . . فهذا النوع من الإبتذال ليس فنا ولا يمت إلى الفن بصلة .

وليس من الخطأ أن لا يميز بعض المتطرفين بين الفن والفساد . . أو بين الحلال والحرام . . ففى هذا ما يسىء إلى الإسلام ويشوه صورته فى أنظار من لا يعلمون عنه شيئا . . بل أن هذا التطرف يجعل الناس ييئسون من دينهم وينفضون عنه . . وهذه مسئولية كبرى أمام الله .

لقد كان النبى ﷺ يمزح أحيانا ولكنه لا يقول إلا حقا ، وأكثر مزاحه كان مع نسائه والصبيان . . وكان دائم التبسم فى وجوه أصحابه .

ولكن ما يحدث اليوم خرج عن المعقول وصار الناس فى بعض الأحوال كالمجانين ، فتراهم يسمون الإنسان الذى يقلد الناس فى بعض الأحوال «فنانا» مع أنه لا يجوز الإستهزاء بذوى العاهات كالمجانين والبله والعمى والصم والخرس وغيرهم ، إن

الذى يعاير أخاه بعيب أو بذنب لابد وأن يبتلى به . قال الله تعالى ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ (الحجرات ١١) .

والأغرب من ذلك ، ظهور بعض الشخصيات الفاسدة ممن إدّعوا إنهم مهرجون ، هؤلاء تخصصوا فى القاء النكت الكاذبة لاضحاك الناس ، بل و انتشرت لهم شرائط تسجيل ليشتريها كل مريض النفس ، قال الرسول ﷺ **(إن من شر الناس الذى يكذب ليضحك الناس)**

٤- الغنـاء المبـاح :

خلق الله الإنسان وفطره على حب الجمال وخلق له الجمال وهناك مثل عليا فى الجمال وهناك مثل دنيا منه ، فمن المثل الدنيا كل ما هو مطعوم أو مشروب أو ما يتلذذ به من شهوة وهناك ما هو على مستوى رفيع مثل المبصرات والمسموعات والمعقولات حيث أودع الله فيها بعض أسرار الجمال ومن هذا النوع الصوت الحسن . . وصوت المرأة ليس بعورة ولا يوجد نص يمنع ذلك .

والله تعالى جعل الانسان محبا للهو والترفيه فطرة عليها وأباح له ذلك وحدد لهذا شروطا معينة .

**** الشرط الأول** :أن يكون الغناء بكلام طيب لقوله ﷺ **«الشعر كالكلام طيبه طيب وقبيحه قبيح»** . .

والأغنية الدينية تكون وصفا لمخلوقات الله تعالى وتأملا فى بديع خلقه . . وذلك ينمى فى الإنسان العقيدة ويقوى الانسان على العبادة ويخفف عنه العمل وقد سبق أن ذكرنا حديث الرسول فى هذا الشأن .

** **الشرط الثانى** : أن يكون هذا الكلام فى مناسبات محددة فقد أباح النبى ﷺ للمسلمين الإستماع إلى الأغنية فى خمسة أوقات أو خمس مناسبات : فى العيدين ، وفى الزواج ، وفى الحرب ، وفى غناء الأم لأطفالها ، وفى التخفيف من عناء العمل . . ويجب التحذير من مسلك بعض المطربات فالعجيب أن هذه الأغانى تلقى من مطربات يظهرن بأغانى ماجنة مرة ويظهرن بعد ذلك بأغانى دينية وذلك يسبب خللا فى التنشئة حيث يظن الفرد أنه بإمكانه أن يكون شيطانا وملاكا عربيدا وقديسا منحرفا ومستقيما ، وهكذا الحياة وهذا شئ فظيع حتى فى الماضى كان لهؤلاء المغنيات لفتة وهى انهن يلبسن بعض الحجاب حتى إذا ما غنين هذه الأغنية تناسب وقار الأغنية ولكن الآن أصبح الوجه مكشوفا والزينة بادية والمفاتن ظاهرة والحركات مستهترة الى غير هذه الأمور . .

الغناء بمصاحبة الآلات الموسيقية

تكلم العلماء كثيرا فى موضوع الغناء وكذلك الموسيقى ، وقد تكلم الإمام الغزالى فى هذا الموضوع فى كتابه «إحياء علوم الدين» . . كما أن الشوكانى تكلم أيضا باستفاضة فى هذا الموضوع . . وقد بين أن الله تعالى خلق الانسان بغريزة يميل بها الى الطيبات التى يجد لها أثرا طيبا فى نفسه ، وبهذا ينشط بها كالخضرة الجميلة والماء الصافى والروائح الزكية وغيرها . . . . فالإنسان مطبوع على غريزة الحب وما يشتهى من الحياة .

لذلك فإن الإسلام لا يمانع وسماع الصوت الحسن أو الآلة الموسيقية أو نحوهما مادامت لم يصرفا الإنسان عن الواجبات الدينية والأخلاق العالية أو مكانته ومركزه بين الناس .

لذلك فإن بعض العلماء قالوا بأنه يجوز تعلم الموسيقى وكذلك الغناء ماداما لم يشغلا عن ذكر الله . ولا يوجد نص صحيح يدل على تحريمهما وأنه لا يجوز أن يقول البعض بالتحليل أو التحريم جزافا فى مثل هذه الموضوعات ، ومن هنا فإن بناء على هذا الرأى فان سماع الآلات الموسيقية أو الغناء لا يمكن أن يكونا محرمين إلا إذا استعين بهما على محرم أو اتخذا وسيلة إلى محرم .

وقد روى أن السيدة عائشة رضى الله عنها زفت الفارعة بنت أسعد وسارت معها إلى بيت الزوجية ، فقال لها النبى ﷺ **(يا عائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو . .)** وفى رواية أخرى **(فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغنى)** فقالت عائشة ماذا يا رسول الله فقال : **(أتيناكم أتيناكم ، فحيونا نحييكم * ولولا الذهب الاحمر ، ما حلت بواديكم * ولولا الحنطة السوداء ، ما سمنت عذاريكم)** .

لذلك فإن الإستماع إلى الآلات الموسيقية لا غبار عليها مادام استعمالها لا يؤدى إلى الخلاعة ، ومن هنا كانت مصاحبة الأدوات الموسيقية لصوت المغنية التى تغنى خاصة الأغانى الدينية والوطنية أمرا مباحا ولا شيء فيه .

٥- الفنـــون الجميلــة :

إنه من الضرورى تشجيع الفنون الجميلة والتطبيقية وإضفاء الصبغة الإسلامية عليها من خلفية من الفقه المستنير الذى يوضح معالم الطريق التى تسير عليها هذه الفنون .

أما عن النحت كان جائزا فى الماضى ودليل جوازه- كما ذكر الأصوليون- أن ما هو [illegible] ذاته لا يباح لدين من الأديان- فلا يمكن مثلا- لأى دين أن يبيح الزنا- فى حين أن سيدنا سليمان كان يصنع التماثيل وعندما أقبل الناس على عبادة التماثيل حرمت ، ومن هنا فان تحريمها لغير ذاتها وإنما لأجل شيء يتصل بها ، صحيح أن

الرســـول ﷺ قال «**إن أشد الناس عذابا المصورون**» وهو يعنى فى ذلك صانعى التماثيل للعبادة ، ولا يتصور أن يكون هذا المصور أشد عذابا من الزناة والقتلة والمرابين والظلمة ، فالحديث ليس عاما ، فقد خصصه الواقع الذى لا يمكن تجاهله ، فالوثنيون كانوا يعبدون أصناما مجسمة ولم يعبدوا صورا شمسية ، وعندما تكون الصورة الشمسية لصنم أو لصليب أو لمعنى دينى مرفوض مستحرم . وهذا ينطبق أيضا على جميع التصاوير التى تظهر ملامح الإنسان وغيرها ما لم تظهر ما هو محرم فى هذه الملامح .

الفن الغربــى :

ظهرت إتجاهات فنية حديثة فى أوروبا كالحركة السيريالية ، جاءت فى فترات الإضمحلال الخلقى والتوتر والقلق الذى ساد الفكر الأوروبى بشكل عام ، فان ضبط هذه الحركات إسلاميا يحتاج الى تطبيق المعايير عليها ، ومن هنا فان موقفنا من هذه المذاهب والحركات الفنية إنما يكون بتطبيق المعايير الإسلامية عليها .

إن إتجاه الحضارة الغربية قد أعطى الأولوية للمبدأ الجمالى على حساب المبدأ الأخلاقى ، ومن هنا فان الفنان الغربى ينطلق فى التعبير عن ذاته دو ن مراعاة لضوابط معينة فى إطار نظرية «الفن للفن» أما اتجاه الحضارة الإسلامية فيعطى الأولوية للمبدأ الأخلاقى على المبدأ الجمالى ولكن دون الغاء للمبدأ الجمالى ، فالفن لا يصطدم مع الإسلام فى حدود الضوابط الأخلاقية والشرعية .

إن على علماء المسلمين أن يضعوا مقومات وأسس النظرية العامة للفن الإسلامى .

وعلى العموم فإنه ليس فى الإسلام نص يمنع شيئا من الفنون الراقية التى تراعى فيها الضوابط الشرعية .

٦- من روائع الفن الإسلامى :

إن المتأمل لمجموعة المآذن وهى تطل علينا من سماء القاهرة يجد نفسه غارقا فى بحر عميق من التأمل ، والإحساس بقدرة الله عز وجل ، وصفاء الكون اللانهائى .

إن من روائع الفنون ، وأقدرها على البقاء عبر السنين هو فن «الحفر على الخشب» حيث أبدع الفنان المسلم ، فى تشكيلات هندسية تارة ، وفى أشكال أخرى مستمدة من الطيور والحيوانات مما أبدعه الله فى هذا الوجود ، وقد بلغ الفن المصرى الإسلامى أوجه فى العصر المملوكى ، وليس من شك أن مقتضيات الفن الإسلامى فى هذا العصر تدل على الأصالة من ناحية ، وعلى نضوج المهارات الفنية من ناحية أخرى ، وازدهرت فى عصر المماليك صناعة «الشبكيات» من الخشب المخروط ، وهى التى تعرف بأسم مشربية» ولعلها تحريف «مشربة» بمعنى المكان الذى يشرب منه .

والراجح أن صناعة الخرط وعمل المشربيات قديمة فى مصر ، فهناك نماذج ترجع الى العصر الأيوبى ، وأبدع الحرفيون فى عصر المماليك فى زخرفة الحشوات والرسومات الدقيقة ، وأصبح العنصر الزخرفى السائد فى ترتيب الحشوات وتجميعها بحيث تؤلف أطباقا نجمية ، أما رسوم الحشوات الخشبية ، فكانت تمتاز بأنواع المراوح النخلية ، والفروع النباتية ، والوريقات ، وما إلى ذلك مما تبدو فيه الثروة الزخرفية جلية واضحة ، أى موضوع زخرفى رئيسى يظهر ويبدو بوضوح فى تفاصيل زخرفية ثانوية تحف به .

وهكذا أقبل الفنانون المشتغلون بالحفر فى الخشب على إنتاج التحف الدقيقة ولاسيما المنابر والأبواب والكراسى ، وازدهرت أساليب أخرى فى زخرفة الخشب لتطعيم الحشوات بخيوط واشرطة رفيعة من نوع آخر من الخشب أغلى ثمنا ، واندر وجودا أو بالعاج والعظم .

ولعل أعظم التحف الخشبية التى ترجع إلى نهاية العصر الفاطمى المحاريب الثلاثة الخشبية المحفوظة فى المتحف الإسلامى أقدمها كان فى الجامع الأزهر ، والثانى فى جامع السيدة نفيسة ، والثالث فى مسجد السيدة رقية ، ومحراب السيدة نفيسة يتألف من حشوات مجمعة تضم زخارف نباتية ورسومات هندسية ، ومحراب السيدة رقية هو آية فى دقة الصناعة ، ولا يزال فى حالة جيدة إلى الآن ، ويشبه محراب السيدة نفيسة إلى حد كبير ، ومن التحف الخشبية الأخرى التى ترجع إلى حكم الدولة الفاطمية بقايا منبر الخليفة الأقمر فى الجامع الأقمر ، وسقف المدخل فوق مصرعى الباب ، وحشوات الدواليب فى الجامع كذلك من آيات الحفر على الخشب فى العصر الفاطمى الواح خشبية عثر عليها بضريح السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وعرضها نحو ثلاثين سنتيمترا ، وفى كل منها إفريز علوى وآخر سفلى يشتملان على فروع نباتية وبين الإفريزين مناظر من رسوم حيوانات وطيور .

ومن التحف القبطية المشهورة فى العصر الفاطمى باب خشبى فى كنيسة إبى سيفين بمصر القديمة ، يتألف من حشوات بعضها لرسوم رهبان ، وبعضها الآخر أرضياته من رسوم فروع نباتية ورسوم حيوانات أو رسوم هندسية متشابكة ، وكان للقبط مهارة فى صناعة الحفر والنجارة على الخشب ، وقد عرف الفاطميون فى أكثر أيامهم بالتسامح الدينى ، لذلك لن تعجب إذا رأينا فى الكنائس القبطية مثل الزخارف التى تراها على خشب المساجد والأثاث الإسلامى ، ومن آيات الحفر على الخشب فى العصر الفاطمى ، الألواح الخشبية التى عثر عليها بضريح الناصر محمد بن قلاوون ومن الفنون الخشبية فى العصر الأيوبى تابوت الإمام الشافعى ، ومن تلك التحف أيضا الجامع العمرى بقوص .

★ ★ ★

اهم واجبات اعضاء المهن التمثيلية والسينما ئية والموسيقية طبقا لقانون النقابات «الوضعى»

القسم : يؤدى العضو العامل اليمين التالى :

أقسم بالله العظيم أن أصون مصلحة الوطن وأن أؤدى رسالتى بالشرف والأمانة والنزاهة وأن أحافظ على كرامة المهنة وأن أحترم تقاليدها وأن أبذل الجهد للقيام بجميع الواجبات التى يفرضها قانون النقابة تحقيقا لأهدافها .

الواجبات : مع عدم الإخلال بالحق فى إقامة الدعوى الجنائية أو المدنية أو التأديبية يؤاخذ تأديبيا طبقا لأحكام هذا القانون كل عضو : يخالف الواجبات المنصوص عليها فى هذا القانون أو يخرج على مقتضى الواجب فى مزاولة عمله أو يظهر بما من شأنه الاضرار بكرامته أو يأتى عملا يتنافى مع آدابه أو يلحق ضررا ماديا أو أدبيا بالنقابة .

وعلى عضو النقابة أن يترخى فى سلوكه مبادئ الشرف والأمانة والنزاهة وأن يقوم بجميع الواجبات التى يفرضها عليه هذا القانون واللائحة الداخلية للنقابة وآداب المهنة وتقاليد المجتمع طبقا لما يقرره النظام الداخلى للنقابة .



﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾

(الشعراء ٨٠)

الطب

ص

الصيدلة في الإسلام

مهنة التمريض

(١) وجهة نظر الإسلام في المرض والمريض :

إن حياة الإنسان سلسلة من التجارب الإبتلائية، سواء ما كان منها مبهجاً أو مؤلماً، وأن المرض إبتلاء من الله تعالى ينفذ بقضائه، كما أن تجنب المرض إذا وقع أو الشفاء منه، كلاهما من قدر الله تعالى.

وقد شرف الله تعالى مهنة الطب، فجعلها بعض معجزة المسيح عليه السلام، ووصف هديه القرآني بأنه شفاء لما في الصدور ولما كان القائم على هذه المهنة هو الطبيب، فقد إستحق شرف إنتسابه لها، حيث أوكل له الحفاظ على صحة الإنسان ورعايته بالوقاية والعلاج، كما صار مؤتمنا على خصوصيات المريض من كرامة وعرض ومشاعر، مما زاد من عظم واجباته ومسئولياته.

(٢) تعريف علم الطب :

يعرف إبن خلدون علم الطب بأنه «صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلاقات المؤذنة بنضجه، وقبول الدواء أولاً في السجية والفضلات، محاذين لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالتي القوة والمرض، وإنما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشئ بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن، ويسمى العلم الجامع لهذا كله .. علم الطب».

من هنا صار الطب مهنة إنسانية جليلة. بل هي من أشرف المهن وأسماها، إذ تعمل على تخفيف الآلام والعلل والأسقام التي تصيب الإنسان في بدنه وروحه، ومن هنا اكتسبت هذه المهنة النبيلة تقدير البشرية منذ بدء الخليقة وحتى عصرنا هذا.

(٣) الطب عند العرب قبل الإسلام:

عرف العرب قبل الإسلام شيئا يسيرا عن صناعة الطب، توارثوه عن آبائهم، أو نقلوه عن الشعوب المجاورة لهم، كالفرس والهنود وغيرهما، ويذكر الأستاذ عباس القعود «إن إشتغال العرب الطويل برعي الماشية قد باعد بينهم وبين طب الكهانة، والخرافه، وقارب بينهم وبين طب التجارب العالية، لأنهم راقبوا الحمل والولادة والنمو وما يتمثل به من الأطوار الحيوية، وشرحوا الأجسام فعرفوا مواقع الأعضاء منها، وعرفوا عمل هذه الأعضاء في بنية الحيوان نحواً من المعرفة السليمة، فاقتربوا من الإصابة في تعليل المرض والشفاء».

وبجانب تلك الخبرات البسيطة التي توارثوها أو إكتسبوها من جيرانهم، كان هناك من يستخدم الكهانة، والسحر، والرقي، والتمائم من أجل التخلص من المرض، أو دفع الحسد وأذى العين، أو التقرب والتودد إلى من يحب، وغير ذلك من الأغراض، إلى أن جاء الإسلام فابطل تلك المعتقدات وقضى عليها، عملا بقول رسول الله ﷺ **(من أتى عرافا أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد)** «العراف هنا هو المنجم الذي يدعي علم الغيب».

(٤) الطب النبوي:

وبظهور الإسلام نشأ ضرب جديد من الطب يسمى بالطب النبوي ويشتمل على مجموعة من الأحاديث الخاصة بالمرضى، تحتوي على وصفات لعلاج بعض الأمراض والعلل، كالصداع، والشقيقة، والرمد، والجذام.

يقول العالم الدكتور مصطفى محمود : إن الطب النبوي بالنسبة لي ليس مجرد كتاب، بل هو علم مارسته وباشرته بالفعل، فقد طببت بالعسل حالات كثيرة وأذكر حالة أكزيما جلدية مستعصية مصحوبة بتشقق مؤلم حول الشرج لم تنفع فيها جميع المراهم والعقاقير التي تعلمناها في كلية الطب، وأستعصت على جميع مشتقات الكورتيزون،

ومضادات الفطر، وكان أي تعامل معها بالكيماويات يزيدها التهابا، فقلت أجرب ما قاله نبينا ﷺ عن العسل، فصنعت مرهما هو مزيج من العسل وزيت حبة البركة، بنسبة عشرة في المائة ضربتهما جيداً حتى صنعنا مزيجاً متجانساً، ثم بسطته بلطف على الجلد الملتهب وإنطفأ الألم، وهدأ الإلتهاب لساعته، ثم كان الشفاء بعد أيام قليلة من الإستعمال، وقد ذكرت هذه الحكاية للدكتور الظواهري طبيبنا العبقري العالمي في الأمراض الجلدية .. فقال لي : «هذا أمر معقول ومفهوم تماماً من الناحية العلمية».

(٥) الإستشفاء بالقرآن الكريم :

هذا وقد كان المسلمون يستشفون بالقرآن الكريم من الأمراض البدنية والنفسية إيمانا بقوله تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء٨٢)، ﴿هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (فصلت ٤٤) وغير ذلك من آيات الشفاء في القرآن، وكان النبي ﷺ يقول **(من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله)** .

من هنا ندرك أهمية الإستشفاء بالقرآن لدى الإنسان المؤمن بالله ورسوله، وقد ثبت بالتجربة أن القرآن شفى الكثير من الأمراض النفسية والجسمية التي أستعصى على الطب علاجها.

(٦) إزدهار الطب في الدولة الإسلامية :

وبعد أن غمر الإسلام بنوره أرجاء الجزيرة العربية وغيرها.من البقاع التي رفرفت عليها رايته، أزدهر الطب في الدولة الإسلامية إزدهاراً كبيراً، وأنجب للبشرية علماء وفلاسفة وأطباء يشار إليهم بالبنان، ويعترف بفضلهم العالم أجمع، بدءاً بالحارث بن كلدة الثقفي، وابن أبي رمثة وكان عالما بصناعة اليد، وصناعة الجراح، والحكم بن أبي الحكم الدمشقي، وولده عيسى، وابن أبحر الكناني، وأحمد بن حصفون وغيرهم.

وظهر العديد من الأطباء في العصرين الأموي والعباسي خاصة بعد إزدهار الترجمة، وإهتمام المسلمين بترجمة كتب أبقراط وجالينوس وديسقوريدس وغيرهم من أساطين الطب اليوناني.

أن كتاب أبي القاسم الزهراوي الأندلسي في الجراحة يعد أعظم كتاب ترجمه الأوروبيون وأفادوا منه، وابن النفيس العالم المسلم المشهور سبق «وليم هارفي» العالم الإنجليزي الذي كان يعد أبا الطب الحديث في اكتشاف الدورة الدموية، ومن أطباء المسلمين أيضاً أبو بكر الرازي الطبيب والفيلسوف الإسلامي، وابن سينا، وابن رشد.

(٧) بعض الأطباء الأوائل في الإسلام:

● **أبو بكر الرازي :** ألف الكثير في الأدوية والمركبات والتشريح والجدري والكلى والقلب والكبد. وكان أهم كتبه في الطب «الحاوي في علم التداوي» وكتاب «المنصوري» في تشريح أعضاء الجسم، ويروى أنه كلف بإختيار مكان صحي ببغداد لإنشاء بيمارستان عليه، فعلق في كل حي قطعة من اللحم، ثم إختار المكان الذي ظل فيه اللحم صالحاً أطول مدة ممكنة.

● **إبن سينا ، أبو على الحسين بن عبد الله،** شيخ الأطباء ولقب بالرئيس لتأثيره في الطب عدة قرون، وله مؤلفات طبية عديدة أشهرها «القانون في الطب» تناول فيه كثيراً من الأمراض كالانكلستوما والسل الرئوي والأمراض الجلدية والتناسلية والإضطرابات العصبية، والشلل، والأمراض الخبيثة وإنتقال الأمراض التناسلية بالوراثة، أما كتاب القانون فبقي يدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن ١٧.

● **إبن زهير الأشبيلي**، وكتبه منها التيسير في المداواة والتدبير، ووصف أمراض الأمعاء، وغشاء القلب، وإلتهابات البلعوم، والشلل وأعراض السرطان.

● إبن النفيس، تولى رئاسة المستشفى المنصوري في القاهرة، من كتبه «الموجز» وشرح تشريح القانون وصف فيه الدورة الدموية الرئوية لأول مرة في تاريخ الطب وبين أن الدم ينقى في الرئتين، وقد سبق الأوروبيين في ذلك بثلاثة قرون.

● **عمار بن علي الموصلي** ، يعتبر من الكحالين المشهورين، وله كتاب في أمراض العيون «المنتخب في أمراض العين» أوضح فيه طرق أستخراج الماء الأزرق من العين.

هذا وهناك مئات الأطباء ترجم لبضع مئات منهم ابن أبي أصيبعة في كتاب طبقات الأطباء، منهم علي بن عيسى طبيب العيون الذي ظل كتابه «تذكرة الكحالين» المرجع الأول في جامعات أوروبا حتى القرن الثاني عشر، والطبيب الزهراوي.

وقد عالج بعض الأطباء كتبا عرفت بالطب النبوي، إستشهد أصحابها بالأحاديث النبوية، مثل قوله ﷺ **(إذا وقع الطاعون في بلد وأنتم به، فلا تخرجوا منه، وإذا كان ببلد فلا تدخلوه)**.

* * *

(٨) التشريع الإسلامي في السلوك الصحي: (آيات قرآنية).

١ - **﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾** . (البقرة ٢٢٢).

ثبت أن حماية مهبل الأنثى إنما يأتي من التفاعل الحمضي للمهبل، الذي يقضي على الميكروبات طوال الشهر، ولكن نزول الطمث يذهب بهذه الحموضة الواقية لأن تفاعل دم الحيض قلوي، وهذه القلوية تؤدي إلى سهولة دخول الميكروبات إلى الجهاز التناسلي للأنثى وقد يسبب العقم إلى جانب أمور أخرى، وهذه الإلتهابات تنتشر في المجتمعات التي تمارس العلاقات الجنسية أثناء الدورة رغم أنه ليس ذلك هو السبب

الوحيد لإنتشار التهابات الحوض عندهم، وعندما تطهر المرأة من الحيض فان الحموضة الواقية تعود ويصبح الجماع ممكنا بدون خوف.

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾(المائدة ٦).

٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة ٢٢٢). وقال الرسول ﷺ **(لولا أن أشق على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة)** «الشيخان».

إنه تكليف يومي دائم بالنظافة إلى جانب العبادة.

٤- ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة ٢٣٣). لقد صدرت في التسعينات بحوث طبية كبيرة أثبتت أن رضاعة الثدي تحمي الأم من سرطان الثدي الذي إنتشر مع إنتشار الرضاعة الصناعية، وهذا المرض الذي يعد من مقدمة الأمراض التي تؤدي إلى وفاة السيدات في الدول الغنية يعد مرضاً أقل إنتشاراً بكثير في ريف الدول الفقيرة التي تعتمد على رضاعة الثدي بصورة شبه كاملة، لقد عاد إلى الدول المتقدمة الحماس إلى رضاعة الثدي لأطول فترة ممكنة، وامتلأت بأهمية رضاعة الثدي المجلات العلمية ووسائل الإعلام فضلاً عن نصائح الأطباء لمرضاهم.

والأطباء يعرفون الطفل الذي يعتمد على ثدي أمه من الإطمئنان الذي يتمتع به ظاهراً عليه فضلاً عن علامات الصحة البادية، وقد ثبت إحتواء لبن الثدي على أجسام مضادة لأمراض كثيرة وهو ما لا يمكن إضافته للألبان الصناعية.

٥- ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. (الأعراف ٣١). لقد عرف الإنسان مؤخراً أن الإسراف في الطعام والشرب يمكن أن يصيبه بالعديد من الأمراض وقد يقضي عليه مبكراً، إن قائمة الأمراض التي تأتي عن طريق الإسراف في الطعام والشراب طويلة وهي تحوي : السمنة وارتفاع ضغط الدم وهبوط القلب وجلطات

القلب والمخ والروماتيزم والسكر والمرارة وبعض أنواع السرطان والوفاة المبكرة، كما أن النساء السمينات يعانين من العقم بنسبة أكبر، فضلاً عن أن الشخص السمين يعاني من مشاكل نفسية وإجتماعية خاصة، في مرحلة الطفولة والشباب. فعلينا ألا نستهين بقوله تعالى: ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ وقد قال الرسول ﷺ في فوائد الغذاء القليل **(نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع)** وقال **(ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب أبن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)** «الترمذي».

ويأتي الصوم -إذا نفذ على أصوله من حيث تناول الطعام الصحي تدريجيا عند الإفطار والنوم المبكر وتأخير السحور- فإنه فضلاً عن تأثيره الروحاني يخلص الجسم من التركيز العالي لبعض المواد التي يمكن أن تؤذيه، ويدرب على مقاومة الشهوات، ولا يؤثر على الإنتاج ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ١٨٤) . ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة ١٨٥).

* * *

٦- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم ٤١).

تنبأ القرآن بامكانية تلوث البيئة بأيدي الناس، فالبيئة بدون تدخل الإنسان تحافظ على نفسها، فنفوق حيوان في العراء مثلا يدعو الحيوانات والطيور المتخصصة في أكل الجيف وإن بقي شيئ حللته البكتيريا وامتصته الأرض كسماد تنبت به نباتا طيباً ؟!؛ وخطورة تلوث البيئة لم يتبينها أحد إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، وذاق الناس من تلوث البيئة مصائب كثيرة مثل بعض الأمراض ومنها الخطير وضياع بعض المحاصيل وذلك بعدما عم إستخدام البترول والطاقة الذرية والإستخدام غير

المسئول للكيماويات في مجالات كثيرة، وبدأوا ني التراجع عن بعض ما أوصلهم لهذا مثل البحث عن مصادر للطاقة النظيفة وفي كيفية التخلص من النفايات الكيماوية والذرية والعودة إلى المركبات الطبيعية والمحافظة على طبقة الأوزون التي تحمي الحياة على الأرض وتعقد المؤتمرات بهذا الخصوص بنشاط إعتباراً من أواخر القرن العشرين.

* * *

٧- ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)﴾ (النحل ٦٨-٦٩).

فقط في الربع الأخير من القرن العشرين شعر الأطباء بهجوم من مختلف شركات الأدوية في العالم بمنتجات عسل النحل وغذاء الملكات، تلك المكونات الساحرة التي ثبت دورها في منع وشفاء أمراض عديدة، وهو ما تأكد في مؤتمر دولي عقد بالقاهرة في أبريل ١٩٩٧م، فنتاج النحل له دور في علاج أورام الثدي وأمراض العيون والجلد والقضاء على الميكروبات، فضلاً عن فائدته في بعض احتياجات الجراحة، وهو فوق هذا مقو عام ومنشط معروف التأثير، وقد ظهر في البحوث المقدمة أن التأثير العلاجي يختلف باختلاف الثمار التي يأكلها النحل، ومن هنا نفهم معنى ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ ومع ذلك يقر العلماء أن كل فوائد عسل النحل وغذاء الملكات لم تكتشف حتى الآن، فلا زال ينتظره الكثير من الدراسة.

ولكن الأية الأولى تحوي أيضاً سراً من أسرار الكون، إذ تكشف ان الغرف السداسية التي يبنيها النحل والنظام القبلي العسكري والعلمي الدقيق الذي يحكم معيشته، والذي لا يجرؤ أحد أن يعلله بالغريزة إنما هو وحي من الله وينطبق هذا على

كثير من سلوكيات معقدة ولكنها مبهرة لمخلوقات ضعيفة وضئيلة لا نجد لها تعليلاً علميا لها مثل سلوكيات النمل والعنكبوت والطائر النساج.

* * *

٨- ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾ (البقرة ٢٢٣). الجماع يكون حيث الحرث والنبت، أي المكان الطبيعي، وهذا المكان هو الذي توجد به الأشد إحساسا بالمتعة عند المرأة : الشفرين الصغيرين والبظر والجزء الأول من المهبل، فالإبتعاد عن هذه الأجزاء لا معنى له جنسياً عند المرأة، إذ أن الله لم يزودها بهذه الأجزاء الحساسة عبثا، إذ لابد من إثارة هذه الأجزاء والأجزاء الحساسة الأخرى في بقية الجسم، فهذا حق للمرأة التي يعد التمهيد والتقدم ضرورة عندها لممارسة العلاقة الجنسية كما جاء ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ فالتقدم هام بالنسبة لكلا الطرفين لذلك فان عملية ختان الأنثى يعد حرمانا لها للتجاوب الذي يحظى به الرجل.

ولكن قد يختلف الرجل في أنه لا يحتاج إلى تمهيد طويل بعكس الأنثى، أما كيفية الوصول إلى مكان الحرث فلا حجر عليه، مما يسمح بتغيير الأوضاع مع الاناث مقبلات مدبرات أو مستلقيات -كما جاء في العديد من كتب التفسير- مما يجعل العملية أكثر إثارة وإبعادا للملل.

٩- الحجر الصحي في الإسلام:

الحقيقة التي لا مراء فيها أن الإسلام دين القوة وقد تطلب توافرها في كل إتباعه بل جعلها معيار التفاضل بين المؤمنين كما ورد في قول الرسول الكريم ﷺ **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)** ... ومن دواعي استدامة قوة المسلمين بالمحافظة على صحة أبدانهم .. وهذه المحافظة كما تكون عن طريق العلاج من الأمراض التي تصيب هذه الأبدان تكون بالوقاية منها قبل الإصابة بها لأنه كما يقال : «الوقاية خير من العلاج»، وقد كان الإسلام سباقاً في وضع أفضل النظم لتحقيق

الوقاية الكاملة للأبدان، فكانت الطهارة والغسل والوضوء (قبل الصلاة وقبل تناول المأكل أو المشرب وغير ذلك).

ومن سبل الوقاية التي شرعها الإسلام لسلامة الأبدان العزل بين المريض بأحد الأمراض المعدية وبين غيره من الأصحاء حتى لا تنتقل هذه الأمراض من المريض إلى السليم وهو ما يعرف في العصر الحديث بنظام الحجر الصحي وقد تضمنت السنة النبوية المطهرة العديد من الأحاديث التي تشير إلى هذا النظام منها ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال **(وفر من المجذوم فرارك من الأسد) أو قال (من الأسود)** وما رواه مسلم من حديث لعلي بن عطاء عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فارسل إليه النبي ﷺ قال **(إنا قد بايعناك فارجع)** وعن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال **(لا تديموا النظر إليهم)** أي المجذوبين، وقد ذكر العلماء أن المبتلى أي المريض بمرض معد يكون له في منزله سهم وحظ في شربه، فإذا أراد من معه في المنزل اخراجه منه وزعموا أن إستقاءه من مائهم الذي يشربونه مضر بهم، وإذا كان له مال فانه يشتري من يقوم بأمره ويلزم هو بيته فلا يخرج منه وإن لم يكن له مال خرج هو من المنزل وتكون نفقته من بيت المال.

ومن حسن السياسة الشرعية أن الإسلام أعطى لولي الأمر أن يتخذ من الإجراءات والتدابير ما يحقق هذه الوقاية لأن فيها مصلحة المسلمين عامة أخذا بما قاله الفقهاء: أينما تكون المصلحة فثم شرع الله، ومن خلال هذه السياسة يجوز لولي الأمر أن يحدد الأمراض المعدية.

(١٠) قواعد الطب الإسلامي:

كتب أ.د/ إبراهيم عبد الحميد الصياد بتقديم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إن منهج الطب الإسلامي يرتكز على ضرورة التداوي مع تجنب المحرمات في العلاج والإهتداء بالقواعد الشرعية التي تحض على إجتلاب المصالح ودرء المفسدة وإجتناب

المضار، فإذا كانت إزالة الضرر يعقبها أثر يخلفه، أجريت الموازنة بين الضررين لإختيار أخفهما، وإذا كانت هذه القواعد الكلية الفقهية من إختصاص علماء أصول الفقه، إلا أن الطبيب يلزمه إلمام بما يحتاج إليه من هذه الأحكام الشرعية في ممارسة مهنته حتى تتحقق معالم الطب الإسلامي بخصائصه المميزة من نظرة شمولية، وعدل في الحكم وإحسان في العمل، لذلك فالتوجيهات الشرعية للإجراءات الطبية على النحو التالي:

● **أولاً: قواعد المصلحة:**

١- الأصل في المنافع الإباحة : وهذه القاعدة تجعل كل ما فيه نفع للناس مباحا ما لم يرد فيه نص بتحريمه، أو يكون قياسا على محرم وينطبق ذلك على وسائل العلاج.

٢- الأصل في المضار التحريم : هذه القاعدة تحرم أي إجراء علاجي يكون الضرر فيه خالصا، أو هو الغالب الراجح، ولا عبرة بالنفع الضئيل المؤقت في جانب الضرر الغالب الدائم.

● **ثانيا: قواعد تجنب الضرر:**

١- «لا ضرر ولا ضرار» (ابن ماجة) والضرر هو حصول الأذى إبتداء، والضرار حصوله على سبيل رد الفعل.

٢- الضرر يدفع بقدر الإمكان، وهذا أساس كافة إجراءات الطب الوقائي.

٣- الضرر يزال : وهذه القاعدة هي أساس العلاج والتأهيل فلا يجوز ترك المرض بلا علاج أو ترك العاهة بلا تأهيل.

٤- الضرر لا يكون قديما : أي لا يكتسب صورة الأمر الواقع بمرور الزمن، وهذه القاعدة تجعل حالات العجز والعاهات غير ميئوس منها.

٥- **الضـرر لا يزال بمثـله** : فـإذا كـانت مضـاعفـات الإجراء العـلاجي تؤدي إلى حـالة مساوية للحالة قبل العلاج فلا داعي له.

٦- **الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف**: إذا كـانت المضـاعفات الناتجة عن العلاج أقل خطورة من حالة المريض قبل العلاج، يكون العمل الطبي مباحا.

٧- **يختـار أهون الشرين** : فلا يجوز أن تكون أضرار العلاج أكثر خطراً من المرض نفسه، وعندئذ فالعلاج لا مبرر له.

٨- **إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما**، وهذه القاعدة توجه الطبيب في الإختيار بين وسيلتين من وسائل العلاج لإختيار أقلهما ضرراً.

٩- **يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام**: وهذه القاعدة تطبيق في حالة الأمراض الإنتقالية بحيث تبيح الحجز على حركة مريض إذا كان فيه خطر على الآخرين، ويمكن تطبيقها في الجسد الواحد لإستئصال عضو إذا كان تركه سيضر باقي أجزاء الجسم.

١٠- **درء المفاسد مقدم على جلب المصالح**: فما أمكن علاجه بالغذاء لا يعالج بالدواء، وما يعالج بالدواء لا يعالج بالجراحة، وما يمكن فيه الجراحة لا يجوز فيه البتر، ومن هذه القاعدة يمكن التوسع في الإستفادة بوسائل العلاج الطبيعي والنباتات الطبية إذا كانت أقل ضررا من المواد الكيماوية المصنعة.

● ثالثا: قواعد دفع الحرج ومراعاة الضرورة :

١- **المشقة تجلب التيسير** : وهذا يعطي كثيراً من الرخص للمريض في حدود طاقته.

٢- **الضرورات تبيح المحظورات** : وهذه القاعدة تبيح علاج الرجل للمرأة، وبالعكس وكشف العورة عند الضرورة.

٣- **الحاجة تنزل منزل الضرورة عامة أو خاصة**: فيباح نقل عضو من جسم ميت إذا كان ضروريا لحياة إنسان آخر.

٤- **الضروريات تقدر بقدرها** : فلا يجوز التوسع في رخصة إلا في حدود حجم الضرورة، فإذا لم تكن العملية الجراحية ضرورية لتحقيق درجة كافية من المصلحة، وخاصة عمليات التجميل، فلا ضرورة لها فما يباح لفتاة صغيرة قد لا يباح لرجل مُسِن.

٥- **ما جاز لعذر بطل بزواله** : فإذا توافرت الطبيبة فيفضل أن تعالج هي النساء.

● **رابعاً: قواعد الحقوق :**

١- **لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك الغير بلا إذن** : وجسم الإنسان ملك لله تعالى ومع ذلك فيه حق للعبد نفسه. وبذلك لا يجوز التبرع من جسم إنسان حي إذا أمكن الحصول عليه من جسد ميت ولا يجوز اجراء التجارب على جسد الإنسان إذا كان في ذلك ضرر عليه حتى ولو وافق على ذلك.

٢- الإضطرار لا يبطل حق الغير : وهذه القاعدة تضع قيودا على الإذن الشرعي، فنقل أي عضو بشري إلى مريض بدافع الضرورة لا يجوز أن يتعارض مع حقوق صاحب العضو الأصلي سواء كان حياً أو ميتا.

٣- الجواز الشرعي ينافي الضمان : فإذا حدث للمريض ضرر بدون تقصير أو تعد من الطبيب المؤهل للعلاج فإن الطبيب لا يكون ضامنا، أي لا تقع عليه مسئولية جزائية.

* * *

(١١) دعوة المسلمين إلى العمل الصحي التطوعي:

مثل التبرع بالدم، رعاية المعوقين، رعاية الطفولة والأمومة، إسعاف المرضى والمصابين، زيارة المرضى، الإنقاذ في حالات الكوارث، إرشادات المرور للوقاية من الحوادث، الإشراف على نظافة البيئة وسلامتها، وغير ذلك من المجالات.

إن تقاعس المسلمين عن الأعمال التطوعية إنما هو نتيجة طبيعية لإبتعادهم عن المنهج الصحيح للإسلام، وعجزهم عن إستيعاب تعاليمه، فالإسلام يحاول أن يرفع المسلمين من مستوى الحب السلبي للجماعة إلى مستوى العمل الإيجابي لصالحها.

إن كل ما ذكر سابقاً عن الطب فهو خليق بان تحتويه صدور الأطباء، وتتشربه نفوسهم وعقولهم ليزدادوا علما برسالة الإسلام إلى الإنسان.

(١٢) توصيات في الطب الإسلامي:

عقد المؤتمر العالمي الخامس للطب الإسلامي بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة في ربيع الآخر ١٤٠٩هـ (نوفمبر ١٩٨٨م) وذلك بالتعاون مع الأزهر الشريف، ونقابة أطباء مصر.

وقد نجح هذا المؤتمر في إصدار عدد من التوصيات الهامة لعل أبرزها:

● الدعوة إلى وضع استراتيجية إسلامية تنطلق من النظرة الشمولية لصحة الإنسان وتقوم على نمط الحياة الإسلامي.

● أن تعنى برامج كليات الطب بالصياغة الإنسانية الإسلامية وتكوين الطبيب وعدم الإكتفاء بالمادة العلمية المجددة.

● أن تكون للدراسات الطبية مرتكزاتها الإيمانية وشخصياتها النابعة من قيمها الدينية دون إنسياق وراء الغرب.

● الإسراع في تدريس الطب باللغة العربية في كليات الطب العربية.

● ترسيخ قيمة البحث العلمي لأنه إدراك لحقيقة سنن الله في خلقه، وبه أمر الإسلام، وجعل طلبه فريضة، فوق أنه خدمة للإنسانية عامة تنسجم مع رسالة الإسلام.

● التحذير من الأسباب الكامنة وراء إنتشار أوبئة العصر كالإدمان والأمراض الجنسية والجريمة والأمراض النفسية التي هي في الأصل ناجمة عن إصابة الإنسان في ضميره وقيمه الروحية ومن ثم في أنماطه السلوكية.

● الواجب على المسلمين أن يكونوا مسئولين عن إنقاذ السفينة البشرية وذلك بالعمل على تحصين الأمة الإسلامية والبشرية جمعاء بتعاليم الإسلام.

● ضرورة المراجعة الشاملة لبرامج التعليم وإعادة إعدادها بحيث تكفل وصل الشبيبة بالمعين الإسلامي في سن مبكرة.

● توفير العيادات والمصحات والجمعيات التطوعية التي تعين على علاج المصابين بالأمراض في جو من الرحمة والعطف والرعاية اللائقة بكرامة الإنسان.

● دعم البحوث العلمية في مجال إستخلاص الأدوية من الأعشاب والنباتات والمصادر الطبيعية، وعلى كليات الطب والصيدلة التوسع في تدريس الأدوية المصنعة من هذه المصادر.

● وضع إستراتيجية صحية تنطلق من النظرة الكاملة لصحة الإنسان وتقوم على النمط الإسلامي للحياة.

● توجيه طلبة الدراسات العليا والباحثين لإجراء الأبحاث المتعلقة بالإعجاز الطبي في القرآن الكريم مع الإسترشاد بالموضوعات المتعلقة بهذا، وتقديم منح للباحثين وتخصص جوائز لأفضل البحوث التي يتم إعدادها في هذا المجال.

(١٣) أخلاقيات *الطبيب في الإسلام*:

كان أطباء الإسلام حريصين كل الحرص على تأصيل أخلاقيات معينة إستمدوها من الإسلام لعلم الطب وممارسته، فيقول الطبيب داود الأنطاكي صاحب «التذكرة» الموسوعة التي تصور مدى ما وصل إليه الطب عند المسلمين حتى القرن السادس عشر، يقول عن أخلاقيات الطبيب وقيمه:

فإذا لم يكن العارف به -أي بعلم الطب- أمينا متصفا بالنواميس الإلهية، حاكما على عقله، قاهرا لشهوات نفسه، أنفذ أغراض هواه وبلغ من عدوه مناه، ومتى كان عاقلا دله ذلك على أن الإنتصار للنفس من الشهوات البهيمية، والصبر والتفويض للمبدع الأول -الله- من الأخلاق الحكمية النبوية».

ومن أبرز ما يميز أطباء الإسلام خلق التواضع، فلم يدعوا لأنفسهم معرفة كل مرض وعلاجه وشفائه، ولا أن بإمكانهم أن يدفعوا الموت عن الناس، أو يطيلوا في أعمارهم عما قدره الله لها، وحسبنا أن نشير إلى أقوال بعضهم حول ذلك، فيقول الذهبي مثلاً «فالموت متحتم لكل الطبيب يعالج من علل العمر، قال حكيم -أي الطبيب- الموت قائم بالأجساد بالذات، وانما الطب تحسين أيام المهلة (أي العمر) فالطب يحفظ صحة الصحيح، ويردها بقدر الإمكان على العليل» ويقول الأزرقي «إعلم أن الطبيب الحكيم الماهر ليس يشترط عليه أن يبرئ العليل، فضلا عن يزيد في العمر، ولكن عليه أن ينظر في العلة».

ومن تقاليد الممارسة الطبية في الإسلام والتي ترجع إلى شواهد من النصوص الدينية نفسها ما بينه لنا الذهبي وهو من كبار فقهاء الإسلام من جواز مداواة النساء للرجال إستنادا إلى مداواة أم عطية وأم سليم للمرضى في غزوات النبي ﷺ كما نص الإمام أحمد بن حنبل على أن الطبيب يجوز له أن ينظر من المرأة الأجنبية إلى ما تدعو إليه الحاجة وإلى العورة، وكذلك يجوز للمرأة أن تنظر إلى عورة الرجل عند الحاجة

وهي حالة المرض إذ لم يوجد رجل محرم، بل اجاز الأطباء من المسلمين إستنادا إلى نصوص الدين جواز شرب المرأة دواء ليقطع الحيض إذا كان دواء يؤمن ضرره إذا لم يكن لها زوج، فإن كان لها زوج وقفت على إذْنِه.

(١٤) زكاة الطبيب المسلم:

ان المبادئ والمعاني والقيم الإسلامية هي التي يجب أن يقوم عليها فكر الطبيب المسلم وسلوكه تجاه المريض.

فإذا كانت الرحمة صفة من صفات المسلم فإنها للطبيب أولى والزم، وتقديم الرعاية الطبية للمريض أداء لزكاة العلم والحكمة فالله تعالى قد رزق الطبيب علماً نافعاً ومهنته لازمة للمجتمع ومفهوم الزكاة في الإسلام أوسع من زكاة المال، فزكاة المهنة أن ينفع بها الناس وكل القدرات والطاقات التي أنعم الله بها على المسلم لابد أن تسخر لغايتها، وهي الخير والبر.

ولتجسيد هذا المعنى يؤكد النبي ﷺ أن كل جزء من جسم الإنسان وقدراته عليه كل يوم صدقة يؤديها للناس... عن أبي هريرة قال ﷺ **(كل سلامي (عظام الأصابع) من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس...)** «الشيخان» وزكاة العلم النافع ألا يكتمه المسلم بل ينشره وينفع به .

ومهنة الطب تجعل صاحبها معرضا لإستدعائه لنجدة المريض في أي وقت، وإذا كان هذا عبئا على راحته ووقته في ظاهر الأمر، إلا أنه يعتبر فضلا من الله لأنه يرفع منزلة صاحبه عند ربه. عن عبد الله بن عمر قال ﷺ **(إن لله عبادا إختصهم في قضاء حوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله)** «الطبراني». وإن رعاية الطبيب المسلم لمريض غير مسلم تسهم في تقديم صورة طيبة للإسلام، ورعايته للمريض المسلم تعينه على إستعادة قوته وعافيته، فالسلامة البدنية ضرورية للعبادة وإستيفاء مقاصد الشريعة، والطبيب بعلاجه للمريض المسلم

يساعده على العبادة وعمل الخير، وبذلك يكون له أجر الخير الذي يفعله المريض بعد شفائه دون أن ينقص ذلك من أجر المريض شيئا.

إن إدراك الطبيب لمغزى عمله وكنه رسالته يجعل هدفه في تخفيف آلام المريض أسمى من الرغبة في الأجر والجزاء الدنيوي، ويكون دائم الصلة بالله تعالى يسأله التوفيق في عمله، فذلك يقيه من لذة الشعور بالمهارة في المهنة عند نجاحه في عمله لأن ذلك يحبط العمل وينقص الأجر، وعلى الطبيب أن يكون على دراية بحقيقة موقفه في العملية العلاجية متمثلة في أنه أداة الرحمة الإلهية والوسيلة التي يخفف الله بها آلام الناس.

(١٥) المسئولية الطبية في التشريع الإسلامي:

لم تكن المسئولية الطبية في الشريعة الإسلامية معروفة فحسب، بل كان لها من القواعد الدقيقة ما يجعل تنظيمها في جوهره أقرب ما يكون إلى أحدث ما وصلت إليه أرقى الشرائع المدنية في العصر الحديث، والقاعدة الشرعية الواردة في هذا الصدد هي أن كل من زاول عملاً أو علما لا يعرفه يكون مسئولا عن الضرر الذي يصيب الغير نتيجة هذه المزاولة، وقد جاء في الأثر «من تطبب ولم يكن بالطب معروفا فأصاب نفسا فما دونها فهو ضامن».

ويختلف الأمر من ناحية المسئولية المدنية بين الطبيب الجاهل والطبيب الحاذق، فالفقهاء ينفون المسئولية المدنية عن الطبيب الجاهل إذا كان المريض يعلم أنه جاهل لا علم له واذن له بعلاجه رغم ذلك.

أما الطبيب الحاذق، فلا يسأل عن الضرر الذي يصيب المريض ولو مات المريض من جراء العلاج، ما دام المريض قد اذن له بعلاجه ولم يقع من الطبيب خطأ في هذا العلاج، بل كان الضرر أو الموت نتيجة أمر لا يمكن توقعه أو تفاديه، وعلى

هذا اتفق الفقهاء على أن الموت إذا جاء نتيجة لفعل واجب مع الإحتياط وعدم التقصير لا ضمان فيه.

ويمكن القول أن الطبيب تنتفي مسئوليته الجنائية في الشريعة الإسلامية للأسباب التالية:

١- اضفاء صفة الوجوب على عمله، لأن التطبيب فرض عين غير قابل للسقوط في الأماكن التي ليس فيها طبيب، فهو إذ يقوم بعمله إنما يقوم بواجب ملقى عليه، وله حرية كاملة في إختيار هذا العمل وإختيار الطريقة التي يرى فيها صلاحها للمريض.

٢- حسن النية فالطبيب إذ يؤدي عمله إنما يؤديه بحسن النية وهذا هو المفروض والمطلوب منه فهو بعمله إنما يقصد نفع المريض لا ضرره، أما إذا كان سيئ النية أو قصد قتل المريض فهو في عمله مسئول عن فعله جنائيا ومدنيا حتى لو لم يؤد فعله إلى الوفاة أو إلى إحداث عاهة.

٣- إذن المريض، إذ يعتبر إذن المريض موافقة وسماحه للطبيب بأن يأتي الفعل، والعبرة بإذن المريض لا شخصه بالذات، بل قد يأذن وليه أو وصيه أو الحاكم عند عدم وجود الولي أو الوصي.

٤- إذن ولي الأمر، والمراد به هنا هو السماح للطبيب بمباشرة عمله بصفة عامة، كإذن وزارة الصحة أو النقابة في إجازة الطبيب بالعمل، ذلك أن الشريعة الإسلامية تشترط في الطبيب أن يكون على درجة مهنية من الفهم العلمي، وأن يكون على جانب من الكفاءات تؤهله لأن يباشر التطبيب، ويرد معيار الكفاءات إلى ولي الأمر.

وإذا توافرت الشروط المذكورة، فان الطبيب يعفى من المسئولية ولو لحق الضرر بالمريض، طالما أنه لم يكن قاصدا إلا الإصلاح والنفع العام له، أما إذا انعدم شرط من هذه الشروط عد الفاعل مسئولا عن عمله ووجب عليه التعويض.

ومما لا شك فيه أن القوانين الوضعية تتفق مع الشريعة الإسلامية في إعتبار التطبيب عملاً مباحا، كما تتفق مع الشريعة الإسلامية التي تمنع المسئولية فتستلزم أن يكون الفاعل طبيبا، وأن يأتي الفعل بقصد العلاج وبحسن النية، وان يعمل طبقاً للأصول الفنية، وأن يأذن له المريض في الفعل، وتعتبر القوانين الوضعية التطبيب حقا بينما تعتبره الشريعة الإسلامية واجبا، ولا شك أن نظرية الشريعة الإسلامية أفضل لأنها تلزم الطبيب بأن يضع مواهبه في خدمة الجماعة، كما أنها أكثر انسجاما مع حياتنا الإجتماعية القائمة على التعاون والتكاتف وتسخير كل القوى لخدمة الجماعة.

وهذه الحصانة المحددة المعالم التي تمتع بها الأطباء العرب في ظل الإسلام كانت خير دافع لممارسة المهنة بكل حرية مما دفع الكثيرين إلى الإبداع دون خوف من عقاب أو إضطهاد وأوقف الكثيرين من المتطفلين على هذه المهنة من ممارستها، وان ما جاء في كتب الحسبة في الأجزاء الخاصة بالأطباء تظهر الصورة التي كان الأطباء يتعاملون فيها مع مرضاهم، وحددوا مسئولية الطبيب، فعلى سبيل المثال جاء في كتاب «معالم القربة في طلب الحسبة» لابن الأخوة «وينبغي للطبيب إذا دخل على المريض، وسأله عن سبب مرضه وعن ما يجد من الألم، ثم يرتب قانونا» ويعني وصفة من الأشربة، وغيره من العقاقير ثم يكتب نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض .

وإذا كان من الغير حضرونظر إلى دائه ونظر إلى قارورته «ويعني إدراره» وسأل المريض هل تناقص به المرض أم لا، ثم يرتب له ما ينبغي على حسب مقتضى الحال، ويكتب له نسخة ويسلمها لأهله، وفي اليوم الثالث كذلك إلى أن يبرأ المريض أو يموت، فإن برئ من مرضه أخذ الطبيب أجرته وكرامته، وان مات حضر أولياؤه عند الحكيم المشهور وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب، فان رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب، قال هذا قضاء بفروغ

أجله، وإن رأي الأمر بخلاف ذلك، قال لهم خذوا دية صاحبكم من الطبيب فإنه هو الذي قتله بسوء صناعة الطب وتفريطه، فكانوا يحتاطون على هذه الصورة الشريفة إلى هذا الحد حتى لا يتعاطى الطب من ليس من أهله، ولا يتهاون الطبيب في شيء منه.

(١٦) مرحلة تشخيص المرض:

إذا قبل الطبيب دعوة المريض وحضر للإشراف على علاجه، فعليه أن يبدأ بتشخيص حالته وهي مهمة على جانب كبير من الدقة فيها يحاول الطبيب معرفة المرض ودرجة خطورته وتطوره وجميع ما يحيط به من ظروف المريض وحالته الصحية العامة وسوابقه المرضيه والتأثيرات الوراثية، والطبيب لا يجد ما يعتمد عليه في تكوين رأيه سوى ما يلمسه من أعراض أكثر ما تكون متشابهة وغير محددة، وما يسمعه على لسان المريض من بيانات، وكثيرا ما تخون المريض قواه في صدق التعبير عن مواطن الداء في جسمه.

تلك المهمة هي تلك التي سيتوقف عليها حكم الطبيب في تقرير نوع المرض وإختيار العلاج، وهو حكم لا يستطيع الطبيب في أغلب الأحيان تأجيله كما يفعل القاضي إذا عنت له مسألة غامضة، بل كثيرا ما يضطر إلى البت فورا في تشخيص الحالة رغم كل ما يعترضه من عقبات؛ لا غرو إذن إن تعرض في تقديره للزلل، وخطؤه قد يكون راجعا إلى نقص في العناية التي بذلها في التشخيص، كما قد يكون راجعا إلى غلطة علمية، ففي أي الأحوال يكون الطبيب مسئولا؟.

الإهمال في التشخيص:

الطبيب ملزم بأن يبذل في عنايته بالمريض جهودا صادقة يقظة فعليه في حالة التشخيص أن يستمع إلى شكوى المريض ويأخذ منه ومن أهله كافة المعلومات التي يحتاج إليها ثم يشرع بعد ذلك في فحص المريض فحصا دقيقا متلمسا مواضع الألم متحسسا مواطن الداء واغراض المرض مستعملا جميع الوسائل التي يضعها العلم

تحت تصرفه ليكون رأيه بعيدا بقدر الإمكان عن الغلط فإذا هو تسرع في تكوين رأيه وأهمل في إحاطة حكمه بالضمانات التي تجنبه مواطن الزلل كان مسئولا عن الأضرار التي تنجم عن خطئه في التشخيص.

لذلك فان الطبيب ملزم بأن يبذل للمريض جهودا صادقاً يقظة متفقه في غير حالة الظروف الإستثنائية مع الأصول العلمية الثابتة، التي يتحتم على كل طبيب الإلمام بها ومن ثم فهو يحاسب حتما على كل غلطة تتم عن إغفال أو جهل بتلك الأصول العلمية الثابتة، هذا ولا تثريب على الطبيب إذا لم يصادفه التوفيق متى تحرى أصول فنه وراعى الضمير والشرف في تشخيصه للمرض، فضعف الإنسان له اعتباره وتجب مراعاته وإلا وقعنا في حرج كبير وإرتكبنا ظلما بدعوى إصلاح آخر.

(١٧) الإلتزامات المتعلقة بواجبات مهنة الطب :

إن بجانب الإلتزامات الطبية المفروضة على الطبيب، هناك واجبات لا تتصل بالفن الطبي في ذاته بل هي ترجع إلى طبيعة العلاقة بينه وبين المريض، فان كانت المصلحة الفردية هي نبراس كل متعاقد فيما يضعه من شروط، وإن كان من حق كل منهم أن يسعى إلى تحقيق أكبر مصلحة ممكنة مقابل أقل تضحية، فان طبيعة العلاقة بين المريض والطبيب تأبى التنافس بين الإرادات والتطاحن بين المصالح إذ الغاية منها مصلحة المريض.

- **الثقة في الطبيب :**

إنه ليس بخاف أن العلاقات المهنية مبنية على الثقة، تلك الثقة التي تتجلى بأكمل معانيها في ذلك المريض الذي يتجه إلى الله عز وجل ويضع حياته بين يدى الطبيب، ويترك له حرية التصرف في جسمه دون أن يزعم لنفسه حق مناقشته فيما يختار له من دواء أو يصف له من علاج، ومن ثم كان لزاما على الطبيب أن يوجه جهوده خالصة لمصلحة المريض حتى لا يتعرض للإخلال بالثقة المشروعة التي وضعت فيه.

هذه العلاقة النبيلة التي تربط المريض بالطبيب تفرض عليه أن يكون ناصحا للمريض وحاميا له، وهو من أجل ذلك يلزم بواجبات كثيرة متشعبة أولها بالنسبة للمريض الذي تعهد بعلاجه أن يحضر في وقت مناسب ليحيطه بعنايته، فإذا ما حضر الطبيب وفحص المريض كان عليه أن يصف له حالته ويبدى له رأيه في تشخيص مرضه.

وليس للطبيب أن يستبد برأيه فإذا شعر، إزاء حالة خاصة، بنقص في معلوماته أو قصور في تجاربه فعليه أن ينصح بإستشارة إخصائي، وإذا تبين أن علاج المريض لن يتم على الوجه الأكمل إلا بنقله إلى مستشفى فعليه أن يشير بذلك. وعلى الطبيب أن يطبق العلاج الذي يشير به هذا الإخصائي، فان كان يخالفه في الرأي فله أن يطلب إستشارة أخرى أو ينسحب بعد أن يشرح الحالة للمريض أو ذويه، ولا يصح أن يسرف الطبيب في إنتقاد العلاج الذي يشير به زميله وعليه إذا باشر عمله أن يلاحظ حالة المريض إلى أن يفيق.

(١٨) الفقه في الإكتشافات العلمية في مجال الطب والجراحه :

لقد كان للإكتشافات العلمية في مجال الطب والجراحة وقع القنابل في عالم تسوده المبادئ التقليدية التي ترى أن حرمة النفس والجسم والجثة هذه أحد الأركان الأساسية للنظام الشرعي والقانون السائد. هذه الإكتشافات التي لو تركت دون ضابط فانها ستؤدي إلى تغيير الأعراف والأفكار بل والأخلاق، يجب أن يتسلح الفقهاء لمواجهتها بحكمها الشرعي حتى لا تتعدى حدودها فتصطدم بسنة الله ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الفتح ٣). كذلك فان الفقه مطالب بالبحث عن أحكام مستحدثات الطب في الشريعة حتى لا نكون تابعين في هذه الأحكام.

وإذا كان يطلب من الفقه والقانون أن يرعيا الإمكانيات الحديثة للطب والبيولوجيا في وضع أحكامهما، فان ذلك مقيد بعدم التعارض مع كليات الشريعة

وبقدر ما تحفظه هذه الإمكانيات من مصالح جديرة بالرعاية، وإلا فإن للإكتشافات الحديثة للعلوم البيولوجية والطب إستعمالات لا فائدة منها بل إنها قد تكون مضرة، إن قواعد الشريعة على سعتها وترحيبها بكل تقدم علمي لمصلحة البشرية، لا يمكن أن ترضخ للإمكانيات الحديثة للعلوم لأن الشرع يحيط بعلمه وبأحكامه كل شئ، حين أن العلم لا يمكن أن يتسع لإدراك عواقب إكتشافاته.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة ٢٢٥).

وإزاء طرقات العلم، المفيدة منها والضارة، على أبواب الفقه والقانون، فإن الفقيه يجد نفسه أمام طريقين متقابلين، الأول طريق اليقين طريق الله الخالق العالم بمن خلقه، والثاني طريق العلم والتجارب وهو طريق لا يتسم بالثبات أو باليقين، وليس معنى إختيار الفقيه للطريق الأول أنه يرفض سلوك الطريق الثاني ولكن معناه أنه لا يأخذ من العلم إلا ما يحفظ مصالح راجحه في الشرع، فحيث توجد المصلحة فثم شرع الله، إنما يجب على الفقيه، وهو يصدر بيان الحدود الشرعية لمكتسبات العلوم، ألا يقيد نفسه باجتهادات فقهية تقليدية صدرت في عصر لم يكن يعي بعد الكنوز التي إكتشفها العقل البشري في العصر الحديث.

وإذا كان لكل حدث جديد فقه جديد يستند إلى أصول الشريعة ذاتها الواردة في القرآن والسنة، فان الأحكام الفقهية التي هي مجرد إجتهادات وتفسيرات لما أجمل القرآن والسنة، يمكن أن تتغير بتغير الزمان، ولا يبقى ثابتا إلا أصول الشريعة الواردة في القرآن والسنة.

لذلك فان المعيار الذي يستند إليه في البحث عن الحكم الشرعي للإنجازات الطبية الحديثة، هو مدى اتفاق هذه الإنجازات مع كليات وأصول الشريعة، بينما يقتصر دور الفروع والإجتهادات الفقهية على تحديد الإطار الشرعي الذي يجب أن تبحث فيه المسألة.

ملاحظـة :

أجري بحث مستفيض في هذا الشأن جاء في كتاب «الأحكام الشرعية للأعمال الطبية» تأليف الدكتور أحمد شرف الدين. بتصدير : الدكتور محمد سيد طنطاوي، والدكتور حسان حتحوت.

(١٩) القانون الوضعي لمزاولة مهنة الطب

قسم الطبيب :

أقسم بالله العظيم أن أراقب الله في مهنتي، وأن أصون حياة الإنسان في جميع أدوارها، في كل الظروف والأحوال.. باذلا في ذلك.. وسعيا في إنقاذها من الهلاك والمرض والألم والقلق.. وأن أحفظ للناس كرامتهم وأستر عوراتهم.. وأكتم سرهم.. وأن أكون على الدوام من وسائل رحمة الله ... باذلا رعايتي الطبية للقريب والبعيد.. للصالح والخاطئ والصديق والعدو.. وأن أثابر على طلب العلم.. وأسخره لنفع الإنسان.. لا أذاه.

من شروط المزاولة :

لا يجوز لأحد إبداء مشورة طبية أو عيادة مريض أو إجراء عملية جراحية أو مباشرة ولادة أو وصف أدوية أو علاج مريض أو أخذ عينة من العينات التي تحدد بقرار من وزير الصحة من جسم المرضى الآدميين للتشخيص الطبي المعملي بأية طريقة كانت أو وصف نظارات طبية وبوجه عام مزاولة مهنة الطب بأية صفة كانت إلا إذا كان مصريا أو كان من بلد تجيز قوانينه للمصريين مزاولة مهنة الطب بها وكان إسمه مقيدا بسجل الأطباء بوزارة الصحة وبجدول نقابة الأطباء البشريين وذلك مع عدم الإخلال بالأحكام الخاصة المنظمة لمهنة التوليد.

ومن أهداف نقابة المهن الطبية : تؤكد إرتباط الأطباء بالشعب وذلك بتجنيد طاقات الأطباء لحل المشاكل الصحية للشعب بحيث تصبح رعايته الصحية وقاية وعلاجا حقا مكفولا لكل مواطن غير مشروط بثمن مادي وكذلك رفع مستوى الطب وتطويرها ورفع المستوى العلمي للأطباء، والإشتراك في سياسة التعليم الطبي. هذا وتقوم النقابة بدراسة المشاكل الصحية للشعب وبإقتراح المشروعات الصحية الكفيلة بحلها وبالإشتراك في وضع الخطة والمشروعات الصحية، وفي رسم سياسة توفير الأدوية والمستلزمات الطبية وتشجيع صناعة الأدوية.

* * *

الصيدلة في .. الإسلام

(١) **التعريف** : ذكر أبو الريحان البيروني في مخطوطه «كتاب الصيدنة في الطب» (٣٦٢-٤٤٢): الصيدنة أعرف من الصيدلة، والصيدلاني أعرف من الصيدناني، وهو المحترف بجميع الأدوية على أحمد صورها، وإختيار الأجود من أنواعها، مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي حددها له مبرزو أهل الطب، وهذه أولى مراتب صناعة الطب.

لقد كانت الصيدلة والطب متلازمتين دائماً في جميع العصور الأولى، وكان الشخص الواحد يقوم بفحص المرضى، وتشخيص أمراضهم ثم يقوم بنفسه بتحضير الأدوية الخاصة لعلاجهم، وكانت علوم الطب، والصيدلة تدرس مترافقة في المدارس نفسها دون تحديد لأيهما، إلا أن العشاب (الصيدلي) كان الأسبق.

والأدوية مفردة ومركبة منها، ومفرداتها تسمى عقاقير جمع عقار، وخاصة إذا كان نبتا، وأصله من السريانية. فان الأورمة والجرثومة وتسمى فيها عقارا، ثم سوى فيه في الكتب أصل النبات وفرعه ودخل فيه أيضاً ما ليس بنبات.. والصيدلة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها.

(٢) **مراقبة المحتسب للعقاقير** : (المحتسب من الحسبة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران ١٠٤).

كان الرسول ﷺ يقوم بأمور الحسبة، وكذلك المحاسبة بنفسه، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون والصحابة وبعض التابعين، كما كانوا يعينون أيضاً العمال الرسميين.

وبعد أن أتسعت رقعة البلاد الإسلامية ودخلت فيها شعوب ذات أعراف وتقاليد ونظم متباينة، ومع حرية التجارة بين تلك الشعوب التي كان لكل منها معاملات وخامات وحاصلات زراعية وجيولوجية تتحرك لتجد من يرغب فيها أو يتداولها، تقرر إنشاء ولاية للحسبة منبثقة من الشريعة الإسلامية، إذ كان يلزم حتما وجود رقابة على تلك المعاملات من بيوع وتجارة وصناعة وغير ذلك، فهي إذن قد نشأت في الإسلام نتيجة لإتساع البنيان الإجتماعي والإقتصادي والإداري. وكانت الأسواق تغص بالعطارين والعشابين الذين يتاجرون بمواد العطارة ويقومون بخلطها أو مزجها، ويستخلصون منها المواد الفعالة من الأعشاب الدوائية، ثم يصفون الدواء للمرضى أو يقومون بغشها في حالة عدم توفرها في الأسواق، فأصبح لزاما على المحتسب أن يراقب فاعليتها وصلاحيتها للصحة وعدم غشها.

وكان على المحتسب أن لا يمكن أحدا من بيع العقاقير وأصناف العطارة إلا من له معرفة وخبرة وتجربة، ومع ذلك يكون ثقة أمينا في دينه عنده خوف من الله تعالى، فإن العقاقير إنما تشترى من العطارين مفردة ثم تركب غالبا. (جاء ذلك في كتاب «معالم القرية في إحكام الحسبة» تأليف أبن الاخوه وقال: وقد يشتري الجاهل عقارا من العقاقير معتمدا على أنه هو ثم يبتاعه منه جاهل آخر فيستعمله في الدواء متيقنا منفعته، فيحصل له بإستعماله عكس مطلوبه ويتضرر به، وهي أضر على الناس من غيرها لأن العقاقير مختلفة الطبائع والأدوية على قدر أمزجتها، فإذا أضيف إليها غيرها أحرقها، فحينئذ يعتبر المحتسب على العطارين ما يغشون به العقاقير فان منهم من يغش الطباشير بالعظم المحروق، ومعرفة غشه إذا طرح في الماء رسبت العظام وطفا الطباشير.

الطباشير رماد الخيرزان الهندي كان يستعمل لمعالجة أمراض القلب والحميات، والعظام المحروقة هي فوسفات الكالسيوم والطباشير هي كربونات الكالسيوم والوزن النوعي مختلف لكليهما.

وعن الأشربة يقول إبن الأخوة أيضاً أنها مثل العقاقير مختلفة الطبائع والأمزجة والتداوي على قدر أمزجتها، فمنها ما يصلح لمرض ما، ولكن إذا أضيف إليها غيرها أحرفها عن تأثيرها فاضرت بالمريض، فيجب أن يعتبر المحتسب ذلك عليهم، كما يجب أن يلزمهم باستعمال أقرا باذين (دستور الأدوية) ابن التلميذ أو ابن البيان، ويوضع الماء النظيف تحت أيديهم وإستخدام المذبه لطرد الذباب، وغسل مواعينهم كل يوم...الخ هذا ويغشون اللبان الذكر بالصمغ والقلفونيا ومعرفة غشه أنه إذا طرح منه شئ على النار التهبت القلفونية ودخنت وفاضت رائحتها، ويغشون التمر الهندي بالشمع والملح والخل، ويعولون هذا عجن البلاد ويظهر غشه إذا عفن.

(٣) تطور مهنة الصيدلة : أول صيدلية خاصة أنشئت في بغداد كانت عام ٧٦٦م، بعد أن كان العطارون والشماعون هم الذين يتولون بيع العقاقير وأصناف العطر، بل لا يزال العطار إلى يومنا هذا يقوم بتجارة بعض هذه العقاقير، سواء كانت نباتية الأصل كالأنيسون وبذر الكتان وبذر الخروع، وبصل العنصل، والبابونج والصمغ والمروقوش والمر والنعناع والدارجيني.

أو كانت من أصل حيواني كالقرون وغدد الثور والمنفحة وعسل النحل والشمع ودهن الأوز، أو كانت من أصل ترابي (معدني) كالأثمد، والسيلفون (أكسيد الرصاص الأحمر) والمرتك الذهبي (أو أكسيد الرصاص) وبورق الخبر والتنكار (بورات الصوديوم) والتوتيا (كبريتات النحاس) والاسفيداج (كربونات الرصاص القاعدية) واللزورد (زهرة الغسبل سليكات الألمنيوم) والشاذع (أكسيد الحديد) والأشنان (اليوطاس) وغيرها. وكثرت كتب الصيدلة والطب المترجمة أو المؤلفة في أيدي العطارين والعشابين، ويحمل بنا ذكر ابن البيطار كبير العشابين أي كبير الصيادلة فى بيمارستان السلطان قلاوون.

وكما كثرة الصيدلة، وأتسعت آفاق العطارين، كثر أدعياء المهنة، ولم يكتف البعض بالتدليس والغش، بل كانت تذهب بهم الجرأة والإستهتار إلى أبعد من ذلك، فيدعون أن لديهم جميع أصناف الأدوية والعقاقير. ويدفعون لمن طلب منهم دواء أي دواء آخر معتمدين على أن الطالب عادة غير ملم بمعرفة الأدوية.

وقد قيل في هذا الصدد أن يوسف «لقبوه الكيميائي» كان يدخل على المأمون كثيراً ويعمل بين يديه فقال له يوما: ويحك يا يوسف ليس في الكيميا شئ، فقال له : «بلى يا أمير المؤمنين وانما آفة الكيميا الصيدلة، والصيدلاني لا يطلب منه إنسان شيئا من الأشياء كان عنده أو لم يكن إلا أخبره بانه عنده ودفع إليه شيئا من الأشياء التي عنده».

ومنذ ذلك الوقت كان امتحان من يدعون الصيدنة على يد المحتسب الذي كان عليه أن يتخذ من الأعوان ما يشاء لمراقبة ما يجرى من الغش والتدليس وتقرير الناس وتأديبهم وحملهم على التمسك بأهداف الشريعة وتجنب كل ما من شأنه أن يضر بمصلحة الجمهور.

(٤) ظهور الصيدليات (الأجزاخانات):

يقول (على باشا مبارك) في الخطط التوفيقية بأن الاجزاخانات لم تظهر على الصورة الحالية إلا في زمن العائلة المحمدية حيث نظمت قوانين ومجالس الصحة وكثر عدد الحكماء (أي الأطباء) حتى بلغ عددها أربعة وأربعين أجزاخانة موزعة في مدينة القاهرة خلاف الأجزاخانات الميرية.

وقبل تولى زمام السلطة لأسرة محمد علي كانت العقاقير تباع في دكاكين العطارين بحالتها الطبيعية للمشترى وتمزج على حسب ما توصف ويتعاطى منها، وذلك لا يخلو من الضرر. بخلاف ما هو جار الآن، ذلك لأن العقاقير الذي يأمر بها الحكيم للمريض يستحضر في بيوت الأدوية بمعرفة أناس درسوا علومها ووقفوا على حقائقها وتدربوا على تحضيرها وأذن لهم مجلس الصحة بمباشرة تحضيرها في محلاته

بعد أن أمتحنهم في ذلك، ويثبت من ذلك أن نظام المحتسب قد الغى تماما في عهد محمد على رغم أن الحملة الفرنسية احترمت هذا النظام بدليل أن أمين عام المجمع العلمي الفرنسي المصري وكان مقره قصر الأمير حسن كاشف (مدرسة السنية الآن) قد عين محتسبا على الوجه البحري رغم كونه فرنسيا وإسمه (جان فورييه).

(٥) تنظيم وتقنين مهنة الصيدلة :

وظلت مدرسة الصيدلة قبل ضمها لجامعة القاهرة منفصلة وتقبل من كان لديه شهادة الكفاءة حتى عام ١٩٢٥م وبجانب ذلك مدرسة مساعدي الصيادلة بشهادة الإبتدائية، والكل يشرف عليهم تفتيش الصيدليات التابع لمصلحة الصحة العمومية قبل تحويلها إلى وزارة.

وصدر القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٥٥ في شأن مهنة الصيدلة ثم القانون رقم ١٩٥٩/٦١م وينص الفصل الأول من القانون على مزاولة مهنة الصيدلة والفصل الثاني على المؤسسات الصيدلية ثم الصيدليات العامة والصيدليات الخاصة، ثم مستودعات وسط الأدوية، ثم مخازن الأدوية ثم محال الإتجار في النباتات الطبية ومتحصلاتها الطبيعية ثم مصانع المستجضرات الطبية.

وتقوم معامل وزارة الصحة بتحليل هذه المستحضرات من الشركات المحلية أو الأجنبية الواردة من الخارج، كما أن هناك تحاليل بيولوجية تتم هذه العمليات. ضمانات كثيرة قضت على محاولات الغش أو التدليس في صناعة الدواء بطرق علمية تقوم على التحليل الكيميائي والتحليل البيولوجي تحليلاً شاملاً أساسه وعاء كمي لا وعاء كيفي كما كان يتبع في نظام الحسبة السابق.

وينص الفصل السادس من القانون المشار إليه على العقوبات بالحبس والغرامة لكل مخالف لهذا القانون، وهو ما يقابل الذي كان يقوم بإجرائه المحتسب سابقاً كما نظم القانون تداول وصرف المواد المخدرة والمواد القابلة للإلتهاب والمواد الخطرة.

ثم صدر القانون الوضعي رقم ٤٧ لسنة ١٩٦٩م بإنشاء نقابة للصيادلة تكون لها الشخصية الإعتبارية لتعمل على الإرتقاء بالمهنة والمحافظة على كرامتها ورفع المستوى العلمي والمهني للصيادلة، والمساهمة في توفير ٢٤٤٢٤١ ٤لدواء لجميع أفراد الشعب، وتحسين وزيادة الإنتاج الدوائي والخدمة الدوائية، وعلى العضو أن يتوخى في أداء واجباته تقاليد مهنته، ومقتضيات شرفها، وأن يحلف اليمين التالي :

«أقسم بالله العظيم أن أكون مخلصاً لوطني، وأن أؤدي أعمالي بالأمانة والشرف وأن أحافظ على سر المهنة، وأنفذ قوانينها وأحترم تقاليدها وآدابها».

هذا ولا يجوز للعضو أن يروج لمهنته بأي طريق من طرق الإعلان والنشر ويستثنى من ذلك الإعلان عن مواعيد العمل، كما لا يجوز إستخدام الوسطاء لإستغلال المهنة.

كما يجب الإمتناع عن كل مزاحمة أو مضاربة أو تجريح، وكل ما من شأنه أن يمس كرامة المهنة وآدابها.

مهنة التمريض

(١) أهمية التمريض ومسئولية وواجبات الممرضات :

يشكل الطب المساند (التمريض) أهمية كبيرة في تدارك الحالات وسرعة إجراء اللازم من الإسعافات التي قد تنقذ حياة المريض، ولذلك فغدت الحاجة ملحة لوجود الممرضات بشكل دائم في المستشفيات وقد بدأ العمل التمريضي بالأعمال البسيطة للمرضى، ومع تطور العلوم الطبية، أصبحت هناك ضرورة ملحة لوجودهم الدائم في المستشفيات وتطوير مهاراتهم.

الإيمان بالمسئوليات والواجبات نحو المجتمع هو رأس مال الممرضات بالإضافة إلى حب العمل والتعاون في المجال الطبي.

وعلى الممرضة التحلي بعدد من الصفات التي تؤهلها للقيام بمهنتها على أحسن وجه: من سلامة الجسم والعقل، نضوج التفكير والتصرفات، المامها بالمعلومات الأساسية للمهنة، وكذلك المعلومات العامة. كما يشترط فيها أن تملك المهارات الخاصة بمهنة التمريض من الهدوء وقوة الملاحظة، الدقة التامة في مواعيد العمل والقيام بالواجبات، والتيقظ التام، الحنان، ويقظة الضمير، البشاشة والصبر، الذكاء والتعاون بالإضافة إلي النظافة وحسن المظهر.

في الماضي إختلفت الآراء حول قطاع التمريض فالبعض متفهم ويؤيد، والبعض الآخر يعارض رغم نبل وأهمية هذه المهنة للمجتمع، ولكن إن نظرة المجتمع إختلفت الآن كثيراً عما كانت في السابق، ولكن بالمقارنة مع وضع الممرضة في الدول الأوروبية وبعض الدول العربية، فلا تزال تحتاج لدعم المهنة الإنسانية في بعض الآخر من الدول العربية حتى تتحقق لها المكانة المطلوبة وأن تأخذ حقها في التقدير والإحترام وأن يزيد الإقبال على إمتهان التمريض.

ففي الوقت التي أصبح فيه المفهوم الحديث للتمريض يهتم بالرعاية الصحية للفرد والأسرة والمجتمع أثناء الصحة والمرض، أصبحت الأنشطة التمريضية ذات صفة خاصة لا يؤديها إلا أفراد مؤهلون للعمل في هذه المهنة، كما أن الإطلاع على كل ما هو جديد في المجال التمريضي هام جدا، لتحديث المعلومات واتباع أحدث الطرق العلاجية كما هو الحال في الدول الأوروبية.

لذلك فعلى كل ممرضة رفع مستواها وكفاءتها العلمية في تطبيق الرعاية التمريضية، وذلك بالإطلاع المستمر على كل ما هو حديث، وحضور برامج التعليم المستمر، والمشاركة في جميع المجالات المتعلقة بالرعاية الصحية، كذلك التعاون مع العاملين في المجال الصحي، لتنمية الجهود، وسداً لإحتياجات المجتمع الصحية.

هذا وتعد أجمل اللحظات هي حين يتم شفاء مريض، ويستطيع الخروج من المستشفى بعد مروره بمرحلة ميؤوس منها، فالممرضة هي من أشد الناس فرحا بشفائه بعد أن تابعته لحظة بلحظة، وراقبت تحركاته وسكناته طوال فترة وجوده بالمستشفى، وفي هذه الأثناء تعتبر عدد من الممرضات أن المستشفى هو بيتهن الثاني، نظراً لما يأنسنه من معاملة طيبة وعلاقات حسنة مع المرضى، ويفرحن كثيراً حين يربط ذوى المرضى بينهن وسبب شفاء مريضهم، مما ينعكس إيجابيا على نفسياتهن، ويشعرهن بأنهن أدين الأمانة على أكمل وجه.

(٢) القانون «الوضعي» لمهنة التمريض :

ما جاء في القانون لبعض واجبات الأعضاء :

على العضو أن يتوخى في أداء واجباته تقاليد المهنة ومقتضيات شرفها وعليه قبل مزاولة المهنة أن يؤدي اليمين الآتية :

«أقسم بالله العظيم أن أؤدي أعمال مهنتي بالأمانة والشرف وأن أحافظ على سر المهنة وأنفذ قوانينها وأحترم تقاليدها وآدابها» .

ومن شروط العضوية :

أن يكون محمود السيرة حسن السمعة، وألا يكون قد حكم عليه بعقوبة جنائية أو بعقوبة مقيدة للحرية في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة ما لم يكن قد رد إليه إعتباره في الحالين.

ويعتبر مزاولاً لمهنة التمريض كل من يقوم بأحد الأعمال التي تهدف إلى الرعاية الصحية السليمة وتنفيذ تعليمات الأطباء بخصوص علاجه وإعطائه الأدوية والحقن أو الغيارات وتسجيل بيانات حالته وإخطار الطبيب المعالج بكل ما يطرأ عليها من تغييرات.

كما يعتبر مزاولاً لمهنة زائرة صحية كل من تقوم بالرعاية الصحية للتلاميذ والعاملين بالمدارس شاملة الأعمال الوقائية والإجتماعية والعلاجية وتنفيذ تعليمات الأطباء في هذا الخصوص.

كما يعتبر مزاولاً لمهنة المسعف كل من يقوم بالإسعاف الأولى والعناية السريعة بالمرضى والمصابين في مكان الحادث ونقلهم بطريقة سليمة تمنع حدوث إصابات جديدة أو مضاعفات أو وفاة إلى أقرب جهة متخصصة لعلاجهم.

وتستهدف الدراسة بالمدارس الثانوية الفنية للتمريض إعداد خريجين مؤهلين قادرين على الأعمال التمريضية الأساسية المختلفة المتعلقة بصحة الفرد والأسرة والمجتمع بناء على تطبيق المعلومات المكتسبة من العلوم الأساسية والتمريضية والطبية والإنسانية والثقافية في مجال الوقاية والعلاج والتأهيل وتطبيعهم بطابع الإيجابية في العمل والتفكير... وذلك حتى يصبحوا قادرين على : التعرف على المشاكل الصحية بالمجتمع وتقويم الرعاية اللازمة لتحسين المستوى الصحي بالتعاون مع أفراد الفريق الصحي، وكذا تقديم الرعاية التمريضية للفرد والأسرة في مجالات الوقاية والتأهيل وتحفيزهم للإستفادة من الخدمات الصحية المتاحة.

* * *



﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

(الإسراء ٣٥)

التجــارة

(١) تعريف ونبذة عن تطور التجارة

التجارة فى أبسط معانيها تبادل منافع ، والإنسان منذ وجد على هذه الأرض وهو يعيش فى جماعات وكل فرد فى المجموعه الإنسانية محتاج إلى شئ من سلع أو خدمات الآخرين وعلى ذلك فلا أظننا نخطئ إذا قلنا أن التجارة قد وجدت مع وجود الإنسان على هذا الكوكب .

ولقد بدأت التجارة على شكل مقايضة أى إعطاء سلعه مقابل سلعه أخرى ومازالت هذه الطريقة مستعملة فى المجتمعات البدائية كبعض القبائل فى وسط أفريقيا كما إنها تعود للظهور فى المجتمعات المتحضرة لاسيما فى فترات الأزمات الإقتصادية كما تلجأ إليها بعض الدول فى التجارة الخارجية التى تتم على أسس من الأتفاقات الثنائية أو الحصص السلعية .

وأهم صعوبة كانت تعترض نظام المقايضة حالة إنعدام التوافق بين ما يريد أحد الأطراف الإستغناء عنه والفائض عن حاجة الطرف الآخر ، كأن يكون أحد الأشخاص بحاجة إلى أذرة لكنه لا يجد لدى من حوله الأذرة التى يريدها بل قد يجد لديهم جلودا أو ماشية مما يضطره إلى البحث عن شخص ثالث تكون عنده الأذره وبحاجة إلى الجلود أو سلعة أخرى يعمل على الحصول عليها بعملية مقايضة ثانية .

ومع إتساع المجتمعات الإنسانية ونمو حركة المبادلة إستعانت هذه المجتمعات ببعض السلع الثابته - سعريا - كأساس لتقييم السلع المعروضه للمبادله كالغنم والأبقار والتمر وقد ظلت هذه السلع معروفه إلى عهود متأخره جاء ذلك فى حديث رسول الله ﷺ المشهور **(الذهب بالذهب والفضه بالفضه والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بيدا بيد فإذا أختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد)** (مسلم) وقد أطلق على مثل هذه السلع الثابته النقود السلعية .

ثم حلت المعادن محل السلع فكانت سبائك أو صفائح أو أسياخ لكن مع إتساع نطاق التجارة لم تعد هذه الوسيله ملائمة فتولت الحكومات صك النقود من الذهب والفضة وتحديد أشكالها وأوزانها وقيمتها كوسيط للتعامل بين الناس .

(٢) التجارة عند العرب قبل وبعد الإسلام

وكانت التجارة من أهم موارد الدخل عند العرب كما كانت قوافلهم تقوم بنقل السلع بين شرق الجزيرة العربية وغربها وشمالها وجنوبها وقد سجل القرآن الكريم بعض ذلك فى قوله تعالى ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ قريش أى جعل لهم فى التجارة الرزق والخير الذى عوضهم عن هذه الاودية الجرداء التى يقل فيها الزرع والماء وجعلهم يألفون رحلات الشتاء إلى اليمن ورحلات الصيف إلى بلاد الشام .

قال الفيلسوف روجية جارودى : «أن الفتح الإسلامى لم يكن غزوا وهو كذلك لم يكن إستعمارا ، إنه وجد فى كل بلد فرصه لخلق حضارة من صنع الإسلام ملتحما بالحضارة المحلية سواء كانت فارسية أو مصرية أو أندلسية أو غيرها» .

إن الإسلام قد نما وتطور فى المدن الكبيرة رغم أنه نشأ فى دولة تسودها الطريقة البدوية فى الحياة ، وقدم الإسلام للعالم المظاهر الأولى لحضارة تجارية بكل نتائجها المادية والروحية وبذلك أوجد الظروف الإقتصادية والإجتماعية من أجل بعث الإنسانية وإزدهارها الجديد .

وقد أقام نظام الإدارة المحلية الذى لم يظهر فى أوروبا إلا بعد قرون من الحروب الصليبية والإحتكاك بالإسلام وكان من مظاهر هذا النظام فى المدن التجارية وظيفة المحتسب وهو الرقيب الحقيقى على التجار والمشرف على النشاط الإقتصادى الذى يكفل النظام الأخلاقى .

وكان نظام الحسبة الذى يشير إليه جارودى فى كلامه من القواعد التى سنها رسول الله ﷺ وجرى العمل بها لتنظيم الأسواق فى حدود مبادئ الإسلام الأخلاقية وهو يبرز ما كان يعطيه الإسلام لمسائل المال عموما والتجارة خصوصا من أهمية لمكانة المعاملات وخطورتها فى المجتمع .

ومع إتساع رقعة الأمة الإسلامية إزداد إزدهار التجارة وأنشئت الطرق الشهيرة التى ربطت العالم الإسلامى ومن أشهرها طريق الحرير الذى كان ينقل عليه الحرير - والسلع الأخرى - من الصين إلى بغداد حاضرة العباسيين فى العراق ومن بغداد كان يمتد طريق آخر إلى حلب ودمشق ثم موانئ الشام على البحر الأبيض المتوسط ، وهناك الطريق البحرى من جزر الهند الشرقية والهند إلى البحر الأحمر فالعقبة أو السويس ومن السويس يتجه إلى الإسكندرية ثم موانئ أوروبا إلى جانب الطرق البرية بآسيا وشمال أفريقيا .

وفى العصر العباسى أنشئ ديوان البريد يشرف على الطرق وإصلاحها وإدارة المحطات المقامة على هذه الطرق وحفظ الأمن الذى هو عماد من عمد إزدهار التجارة وإزدهرت التجارة الإسلامية حتى أصبح التاجر المسلم يكاد يحتكر التجارة الدولية فى العالم القديم وكان هذا المركز الممتاز هو الذى حرك الأحقاد التى إنطلقت من أوروبا تحت شعار الحروب الصليبية لتدمر مكانة التجارة الإسلامية وتزحزحها عن مكانتها فى العالم وتفتح الطريق للإستعمار الغربى المستغل فكيف تحققت هذه المكانة التجارية العظيمة للأمة الإسلامية؟

الجواب بسيط بساطة الإسلام دين الفطره الذى آخى بين الحياتين المادية والروحية وجعل كل سعى للإنسان أساسة أن يكون لله وعلى قاعدة من الخلق روح الإسلام وجوهره .

وكان التاجر المسلم مثلا للخُلق الإسلام من حسن المعاملة والصدق والأمانة والوفاء بالعهد وكانت حياته قدوة للشعوب التى يتجر معها فاعتنق كثير منها الإسلام لما أحبوا المثل الصالح الذى عاش بينهم فى شخص التاجر المسلم .

فها هى أندونسيا «١٠٩ مليون» مسلم ومن حولها من ممالك إسلامية لم تصلها جيوش المسلمين بل تعامل معها تجار مسلمون ، وقامت ممالك إسلامية كالصومال ونيجيريا ومالى وغينيا وغيرها قامت بدون حرب ولاغلاب ، لقد إكتسب التاجر المسلم ثقة الشعوب والأمم لأنه تعامل مع الناس على أساس من أخلاق الإسلام وما وضع للتجارة من آداب .

(٣) الآداب التى وضعها الإسلام للتجارة

لقد وضع الإسلام للتجارة من الآداب والأسس السامية التى تخشع لها النفوس إجلالا ومالا تطمع الإنسانية لأرقى منه .

فقد التقى رسول الله ﷺ فى العقبة الأولى بأثنى عشر رجلا من الأوس والخزرج «أهل المدينة» فقال لهم « **بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولاتزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم وألا تعصونى فى معروف**» .

فوضع الرسول بذلك الميثاق الأول الذى جمع كل صالح الدوله ووعى ما حوته الدساتير وكان النظام الأساسى للمجتمع الإسلامى الذى رآه ﷺ بعين بصيرته وأدرك أن هؤلاء النفر هم أول دعاته بالمدينة وركيزته التى ستنهض عليها دعوته إلى أن يأذن الله بالهجرة .

وقد حض الرسول ﷺ على ما يدعم تماسك الناس وترابط المجتمع كما فى قوله (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**) وقوله ﷺ (**لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) . والتجارة خدمة من الخدمات الواجبة فى المجتمع والقائم بها يؤدى واجبه حيال المجتمع وفى سبيل الله وقد رأينا أن الميثاق الإسلامى والدستور الإسلامى للمجتمع الإسلامى تتضمن نصوصه الأمن الإقتصادى ووجوب الثقه وعدم الكذب وجميعها من دعائم التجارة الشريفة التى عنى الرسول ﷺ بوضع القواعد الأخلاقية والضوابط المادية لها .

فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة بدأ ببناء مسجده أى بيت العباده ودار الرياضة الروحية والمكان الذى يلقى فيه الناس ليتلقوا عنه ﷺ أمور دينهم .

ثم ألتفت إلى مكان البيع والشراء وكان سوق المدينة فى بنى قينقاع من أحياء اليهود وكانوا فيها على سجيتهم المستغله من أكل السحت والسعى وراء الكسب من أى باب فكانوا يضربون على الناس فيها الخراج ويبيعون فيها الأماكن أو يحتكرونها .. ثم كانت لهم السيادة على السوق وبالتالى على الحياة الإقتصادية فى المدينة .

فمضى الرسول ﷺ إلى مكان فسيح صالح حر وضرب فيه برجله وقال : **(هذا سوقكم فلا ينتقص ولا يضرب عليه خراج)** فقامت السوق قوية منظمة وكان للخيل مكان ، وكان للإبل مكان ، وللغنم مكان ، ولكل عرض من عروض التجارة مكانه الخاص كالسمن والزبيب والتمر والقمح وغيرها .

وكان أهم ما عنى به عليه السلام هو حرية السوق وإتاحة الفرصة المتكافئة للجميع على السواء ومقاومة كل سلطان يراد به التأثير أو الإستئثار بأى إمتياز وعندما ينظم الرسول ﷺ عملية التجارة ذاتها يضع لها الأصول الأخلاقية ويقدم المعاملة الإنسانية التى تحرص على الروابط بين بنى الإنسان وتحافظ على الوشائج الأخوية التى تربط بين الناس فيقول ﷺ **(رحم الله رجلا سمحا إذا باع سمحا إذا أشترى سمحا إذا أقتضى)** البخارى .

والسماحة: خلق كريم ولو علم التاجر ما فيها من بركة لحاول جاهدا أن يتخلق بها لأن السماحة وسهولة التعامل مما ييسر التجارة ويقوى أسباب الثقة التى تنشط التداول وسرعة دوران رأس المال التى تؤدى إلى الرخاء للمجتمع كله وعلى رأسه التاجر .

وقال ﷺ أيضا **(التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)** الترمذى وفى حديث آخر **(أن رجلا كان فيما قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه فقيل له هل عملت من خير؟ قال : ما أعلم ، قيل له : أنظر .. قال : ما أعلم**

شيئا غير أنى كنت أبايع الناس فى الدنيا وأجازيهم فانظر الموسر وأتجاوز عن المعسر ، فادخله الله الجنه) الشيخان .

والصدق: الصدق فى المعاملة . . الصدق فى التجارة وقد حض عليه الإسلام وبالغ فى الوصية به حتى أنذر الكاذب بمحق البركة فروى البخارى عن النبى ﷺ أنه قال : **(البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وأن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)** الشيخان وغيرهما . والخيار من الشروط الأساسية فى عقد التجارة فى الإسلام ، وقد تكون له مده معينة ، وقد يقتصر على مجلس العقد الذى يصبح بعده العقد لازما . ويقول الله تعالى فى الرجل يقسم لينفق سلعته أو ليغش المشترى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ آل عمران (٧٧) كما يقول الرسول ﷺ عن الحلف بالكذب : **(الحلف منفقة للسلعه ممحقة للبركة)** البخارى .

وحبب الإسلام إلى التجار إرخاص السعر للتيسير على الناس لما فى ذلك من مرضاة الله والفوز بثوابه بل إنه رفع الجالب إلى سوق المسلمين ، إلى مرتبة المجاهد فى سبيل الله فقال ﷺ **(بئس العبد المحتكر ، إن أرخص الله الأسعار حزن ، وإن أغلاها فرح)** رواه البيهقى فى شعب الإيمان وقال ﷺ : **(من أحتكر فهو خاطىء)** مسلم .

وقد وضعت **الأمانة** فى المكان الأول بالنسبة للمعاملات التجارية فأمرنا القرآن الكريم أن نحسن الكيل والميزان وما كان يتعرض كتاب الله لمثل هذه الأمور لولا خطورتها فى العلائق الإنسانية وحسن الصله بين الناس ووحدة المجتمع التى يحرص عليها الاسلام . . فيقول المولى عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ الإسراء (٣٥) ويقول ﷺ **(خمس بخمس مانقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين)** الطبرانى عن ابن عباس .

بل أن العدل فى الكيل والميزان كان الأساس فى تطور التجارة وتقدمها وكان السبب فى صنع المكاييل والموازين النمطية التى تطمئن كل طرف فى العملية التجارية إلى حقه .

ويأمر الرسول ﷺ أيضا بإظهار عيب البضاعة إذا كان فيها عيب وإلا حرم البيع ومحقت البركة فى قوله **(لايحل لامرئ يبيع سلعه يعلم أن بها داء إلا أخبر بها)** أحمد وابن ماجة . لأن إخفاء العيب نوع من الغش الذى يخرج المرء من حظيرة الإسلام لأن الرسول ﷺ يقول **(من غشنا فليس منا)** .

ولا يحسبن أمرؤ أنه إذا تصدق بربح الغش ينجو من الإثم . . لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ولن يقبل صدقه إلا من مال حلال ، وقد روى عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال **(لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك فيه ولا يتركه خلف ظهرة إلا كان زاده إلي النار . . إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن . . إن الخبيث لا يمحو الخبيث)** رواه أحمد وغيره وقال ﷺ **(كل جسم نبت من السحت النار أولى به)** البيهقى .

والإسلام فى هذا يسير على قواعده الخلقية كما يسير على مبادئة فى منع الضرر وتحقيق التعاون بين الناس ، فالغش قذارة ضمير وإضرار بالآخرين ورفع للثقة من صدور الناس ، ولا تعاون فى الجماعة من غير ثقه ، فضلا على أن ثمرة الغش هى الحصول على كسب بلا جهد مشروع ، وقاعدة الإسلام العامة إلا كسب بلا جهد كما إنه لا جهد بلا جزاء .

ويقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ البقرة ٢٨٢) ولا شك أن الشهاده فى العقود أنفى للشبهات وأحفظ لقيمة العقد لاسيما فى الصفقات الكبيرة التى قد يدخل فيها الطمع .

وعن أبى هريرة (ض) قال قال رسول الله ﷺ **(لاتحاسدوا ولاتناجشوا ولاتباغضوا ولا تدابروا ولا يَبِعْ بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا)** رواه الشيخان وظاهر الحديث الحرص على روابط الإخاء بين المسلمين فهو ينهى عن طائفة من الرذائل التى تولد الحقد فى النفوس وتوهن روابط المجتمع وقد تدفع إلى الجريمة ويهمنا بما جاء ما تعلق فى هذه النواحى بالتجارة : (لاتناجشوا) أى لا يخدع بعضكم بعضا بالمكر والإحتيال والتدليس ويقال أن بيع النجش هو المزايدة الصورية لرفع السعر فى سلعة أفتعالا كما حدث فى المزادات الحديثة لإدخال الغفلة على الناس وغشهم ويرى بعض فقهاء المسلمين أن مثل هذا البيع فاسد لما يلحق المشترى من ضرر .

(ولابيع بعضكم على بعض) . . أى أنه محرم على المسلم إذا رأى المسلم يبيع سلعة أن يسارع فيعرض على المشترى نفس السلعة بسعر أقل أو بسعر مماثل محاولا تفضيل سلعته على سلعة أخيه فهذا ليس من آداب التجارة ولا مما يصح أن يتصف به المسلم من خلق .

كما حرص الإسلام على حماية الضعفاء فنهى عن تلقى الركبان مثل ما يفعل بعض التجار عندما يتلقى أحدهم الزارع الفقير قبل دخول السوق ليشترى منه ما معه من سلعة بثمن بخس فيلحق به الضرر ثم يبيع هذا التاجر السلعة نفسها للمستهلك بأضعاف ما دفع فيها فيضره كذلك . ولقد روى البخارى عن ابن عمر (أنهم كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد النبى ﷺ فيبعث عليهم من يمنعهم) وفى رواية أخرى يقول الرسول **(لاتلقوا الركبان)** . وهذا الحديث يثبت عمل السوق ووظيفته - قبل أن يحددها الإقتصاد الحديث بمئات السنين - لأن فى السوق يتحدد السعر بين مجموع البائعين وجموع المشترين والرجل من أهل القرى - أو البدوى - لا يعرف حقيقة السعر قبل أن يصل إلى السوق ولهذا عملت الشريعة الإسلامية على حمايته بنهى التاجر على تلقى الركبان ويترك السوق تقوم بوظيفتها فى تحديد السعر المناسب للبضائع .

كما يحرم فى الإسلام ترويج الزائف من النقود لأنه ظلم يلحق الضرر بالناس الذين سيتداول النقد بيديهم وهو ينشر الزور والفساد ويقع الوزر على من قام بترويج هذه النقود إبتداء لأن الرسول ﷺ يقول : (**من سن سنه سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا**) ويقول الله عز وجل : ﴿وَنَكْتُبُ مَاقَدَّمُواْ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ يس (١٢) أى نكتب كذلك ماتأخر من آثار أعمالهم ، ولذلك يرى فقهاء المسلمين أنه يجب على التاجر أن يتعلم النقد حتى لا يسلم إلى مسلم زيفا وهو لا يدرى فيكون آثما بتقصيره فى تعلم ذلك العلم .

وعلى التاجر المسلم أن لا يغالى فى الربح لأن الربح الفاحش فيه غبن على أخية حتى أن بعض علماء المسلمين ذهب إلى أن الغبن يتحقق فيما يزيد على الثلث .

كما يرون ألا يسترسل التاجر فى الغبن ولو رضى المشترى لأن هذا المشترى قد أمن له وفى حديث الرسول ﷺ (**غبن المسترسل الذى أمنك - حرام**) رواه البيهقى ولأن هذا الغبن يناقض الهدف الأصلى من التجارة فى الإسلام بأن تكون للتيسير على المجتمع لا لإستغلاله ويوصى الرسول بالسماحة فى الإقتضاء أى إستيفاء الثمن وسائر الديون فيقول (**من أنظر معسرا أو ترك له أظله الله تعالى بظله**) أحمد ويقول (**من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقه إلى أجله فإذا حل الأجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقه**) ابن ماجه والحاكم كما رغب الرسول ﷺ المدين أيضا بالإحسان فى توفية الدين فيقول (**دخل رجل الجنه لسماحته قاضيا ومقتضيا**) أحمد . . ولذلك كان يرى الفقهاء أن الإحسان فى القضاء بأن يمشى المدين إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشى إليه يتقاضاه . وليعقد المدين النيه على السداد وليبادر إليه ولو قبل وقته وان عجز فليذكر وعد الله على لسان نبيه ﷺ(**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**) البخارى .

(اسمح يسمح لك) أحمد والطبرانى ، فالسماحة هى الأساس فى كل معاملات الإسلام فعلى التاجر ألا ينساها أبدا ولا يتعنت فى بيعه إن استقاله مشتر من صفقه لأنه لن يستقيل إلا متندم مضطر لظروف قد يكون طارئا غير منتظر . . والبائع رابح على كل حال لأن الرسول ﷺ يؤكد ذلك **(من أقال مسلما صفقته أقاله الله عثرته يوم القيامه)** ابن ماجه وابو داود .

والتاجر المسلم عليه أن يذكر الله فى عمله ولا يلهيه عن ذكر الله فيتقى الشبهات ويبعد نفسه عن المعاملات التى تشوبها الحرام ولا يتعامل مع فاسق والرسول ﷺ يقول **(من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام)** الغزالى والمناوى . ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ القصص (٦٠) .

لقد كان هذا بعض أيمان التاجر المسلم الذى وعى دينه والذى كان قدوة فى العالمين فانتشر بفضله الإسلام فى ربوع العالم شرقا وغربا بغير سلاح بل بدعوة إلى الصلاح والإصلاح .

(٤) الاقتصاد فى طلب الرزق

عن جابر (ض) أن رسول الله ﷺ قال **(لا تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزقه هو له فاجملوا فى الطلب ، أخذ الحلال وترك الحرام)** ابن ماجة والحاكم وعن أبى حميد السعدى أن الرسول ﷺ قال : **(أجملوا فى طلب الدنيا فإن كل ميسر لما خلق)** ابن ماجه .وعن ابن مسعود(ض) أن الرسول ﷺ قال :**(ليس من عمل يقرب من الجنه إلا قد أمرتكم به ولاعمل تقرب إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطئن أحد منكم رزقه فإن جبريل القى فى روعى أن أحدا منكم لم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه وأتقوا الله أيها الناس وأجملوا فى الطلب فإن إستبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصيته)** الحاكم .وعن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال **(أيها الناس إن الغنى ليس عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى**

النفس وإن الله عز وجل يؤت عبده ما كتب له من الرزق فأجملوا فى الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم) أبو يعلى .وعن أبى الدرداء أن الرسولﷺ قال : **(إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله)** الطبرانى وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال **(لوفر أحدكم من رزقه أدركه كما يدركه أجله)** النسائى وعن أبى عمر (ض) أن رسول الله ﷺ رأى تمرة عابرة فأخذها فناولها سائلا فقال **(أما إنك لو لم تأتها لأتتك)** الطبرانى .

البكور فى طلب الرزق:

قال ﷺ **(باكروا الغدو فى طلب الرزق فإن الغدو بركة ونجاح)** الطبرانى .

قال ﷺ (نوم الصبحة يمنع الرزق) عن عثمان (ض) أحمد وغيره

قال ﷺ **(اللهم بارك لأمتى فى بكورها)** عن صخر الغامدى .

عن على (ض) أن رسول الله ﷺ (نهى النوم قبل طلوع الشمس) ابن ماجة .

قال ﷺ لفاطمة (ض) وهى مضجعة متصبحة **(يا بُنيّ قومى إشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين فإن الله يقسم أرزاق الناس ما ين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس)** عن فاطمة (ض) - ابن ماجة

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ الشورى (١٩) .

المنهج الإسلامى فى محاربة الجرائم الإقتصادية

الإسلام لا يعتمد على القانون وحده فى أمن المجتمع إقتصاديا وإجتماعيا ونفسيا ولكنه يحرك الضمير الإنسانى كى يكون رقيبا على صاحبه حتى ولو غفل القانون وغابت العقوبة .

ومن هنا يكون الضمير الدينى هو الدافع لإتباع الحق وترك ماعداه ، والله جل جلاله لا يقبل توبة ممن يغتصب حقوق الآخرين مهما أكثر من العبادات وقدم من صلوات وصدقات فقال رسول الله ﷺ : **(إن الرجل لترفع يوم القيامة صحيفته حتى يرى أنه ناج ، فما تزال مظالم بنى آدم تتبعه حتى ماتبقى له حسنه ويحمل عليه من سيئاتهم)**

الكسب الحرام واستغلال النفوذ: وهذا يعنى أن الكسب الحرام يأكل العبادات ويحرم الإنسان من رحمة الله وإن صلى وصام ، ما لم يرد هذا الكسب إلى أهله . . والحرام فى نظر الإسلام لا يبقى بيد صاحبه أبدا وقد كان النبى ﷺ واضحا فى تأمين المجتمع والأمه ليس من الغضب فقط بل أيضا من إستغلال النفوذ بحكم الموقع المؤثر فى الحياة العامة ، فقد قال الرسول ﷺ وهو على المنبر **(أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا من عملكم وهذا أهدى لى : فهل قعد فى بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا ؟ والذى نفس محمد بيده لا يقبل أحدكم شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقة إن كان بعيرا جاء به له رغاء وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار وإن كانت شاة جاء بها تيعر . . فقد بلغت)** .

هذا وقد تتابعت بعد ذلك مراقبة الخلفاء الراشدين لثروات الولاة منعا للغضب وإستغلال النفوذ حتى لا يختل الأمن وتضطرب موازين الإقتصاد وتضيع ثروات الأمة .

وكان عمر بن الخطاب (ض) يقوم بمصادرة أموال وثروات الولاة التى تم جمعها عن طريق استغلال النفوذ أو التجارة أو الهدايا والحاقه ببيت المال .

ولو أن هذه السياسة العمرية نفذت فى كل عصر لاستراحت الشعوب من بلاء عظيم ولعل هذا ما إنتهت إليه النظم المعاصرة فى محاولة منها لحماية الإقتصاد وتحقيق الأمن فى مجال الأموال العامة ، حيث تسن قوانين من أين لك هذا وهى لم تصل بعد

إلى المستوى الذى حققة منهج الإسلام فى واقع تجربته الرائده والتى حققت للناس أمنا جعل عمر بن الخطاب (ض) ينام تحت شجرة بغير حراسة فيراه أحد رعايا دولة الرومان فيقول له : حكمت فعدلت فأمنت فنمت ياعمر .

كما حرم الإسلام الإستغلال والغش والإحتكار والتطفيف فى الكيل والميزان ، ووضع الضوابط ليحمى أمن الفرد والمجتمع والأمة من حركة الإنسان حين تكون فى غير الإتجاه الصحيح إقتصاديا أو إجتماعيا أو فكريا أو نفسيا . . .

إن لكل سلعة من السلع فى الأسواق سعرا حقيقيا يمثل ثمن التكلفة وقدر الربح المضاف وهذه تحدد من خلال عملية العرض والطلب . والأسعار تترك فى ميدان التجارة لقانون العرض والطلب وترتفع أسعار السلع وتنخفض تبعا لذلك ولاتتدخل الدولة فى تحديد الأسعار إلا إذا وجدت مصلحة الناس تتطلب الحماية . . عندئذ يفرض القانون على مجموعة المواد التى لاغنى للناس عنها مثل الأغذية والأدوية والكساء . وتلك ظروف إستثنائية أما الأصل العام فهو ترك التجارة حره وإطلاق زمام المنافسة فى كل ناحية وفى كل سلعة ، لكن الإسلام الذى ينشد الأمن للناس فى كل حال ويحقق العدل فى كل مجال يصنع من الوصايا والضوابط ما يحمى المجتمع والأفراد من إستغلال المستغلين وما يحقق من البيع والشراء للبسطاء ، وأصحاب السذاجة وما يحمى حريتهم الإقتصادية من دهاء الماكرين والمستغلين .

قال رسول الله ﷺ **(لا يبيع بعضكم على بيع بعض ولاتناجشوا)** والتناجش هو الزيادة فى سعر السلعة للخداع وإغراء الغير بالشراء ليضع فيها . فإن التاجر فى المدينة يشترى البضائع من أهل الريف بثمن أقل من ثمنها الحقيقى . كما سبق أن أوضحنا .

هذا نوع من التجارة يرفضه الإسلام تأمينا لأمن البائع والمشترى وذلك بأن تباع السلع بسعر معتدل لامغالاه فيه . . ومن العلماء من يرفض التسعير مطلقا ويرى ترك الحياة الإقتصادية والإجتماعية تسير سيرها المعتاد وفق قوانين العرض والطلب مستندا بذلك إلى أن الرسول ﷺ رفض التسعير قولا وعملا ، ولكن الدين القيم حسم القضية

بأن قال : إن التسعير منه ماهو ظلم محرم ومنه ماهو عمل جائز فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم - وقد أرتفع السعر إما لقلة الشئ وإما لكثرة الخلق - فهذا إلى الله والزام الناس أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراه بغير حق . . أما إن إمتنع أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس إليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة - فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل ولا معنى للتسعير إلا إلزام بقيمة المثل فالتسعير هنا إلزام بالعدل الذى يبتغية الإسلام فليس من المقبول أن تبقى حاجات البشر بيد فئة جشعة لاترعى فى الناس ذمة كل همهم جمع المال ، لذلك يجب على الدولة إتباع التسعير لتخفيف المصلحة العامة وأمن المجتمع فى البيع والشراء ، لذلك فإن الإسلام قد حرم الإحتكار لأنه وسيله لإستغلال حاجات الناس وتحكم بغير حق فى السلع التى يحتاجون إليها . . والمجتمعات لاتسلم فى إقتصادها إذا تركت الباب مفتوحا للمحتكرين لأنه يضر بالأمة والأفراد ولا يقتصر أثره على إرتفاع الأسعار وزيادة التضخم فقط بل وتنمية ليخلف طبقة تشكل قوة ضغط إقتصادية تفرض سلطانها شيئا فشيئا فتضيع مصلحة الفرد وتسقط هيبة الدولة . . لذلك فإن المحتكر شخص ملعون وأن مآله المرض والإفلاس واللعنه من الله .

كما حرم الإسلام الغش فى البيع والشراء كمثل بيع كل مجهول بمجهول أو بيع كل مجهول بمعلوم فيه ربا . . كما حرم الزرع قبل إدراكه وأن يبيع الرجل البضاعة دون أن يذكر عيوبها أو كل ما كان له ظاهر يغرى به المشترى وباطنه مجهول . كما حرم الإسلام بيع السلعة بثمن مؤجل ثم شراؤه ما نقص منه حالا وأيضا حرم الإسلام بيع المضطر منعا للإستغلال وتأمين المضطر حتى لايظلم .

والخلاصة أن الإسلام دين يحقق الأمن للناس فى كل شئ ولاسيما أمن المعاملات فهى لاتنفصل عن العقيدة لأنه يشجع الأمانة فهى ضرورة فى البيع والشراء وجميع المعاملات لأنها تشيع جوا من الثقة والطمأنينه فى علاقات الأفراد وعلاقات الجماعات وعلاقات الأمم والدول .

والغش نوع من الخيانة وهو خطر شديد على الفرد والمجتمع لأنه يحطم الثقة

ويشيع الفزع والخوف والقلق بين الناس ، وبالتالى لا تتقدم الأمة وتضيع بين الأمم . ومن هنا كان حرص الإسلام الشديد على تأمين الفرد والمجتمع والأمة من الغش بشتى صوره سواء كان فى المعاملات المالية أو كان فى سلوكيات الناس اليومية .

(٦) إنتقال الحضارة العربية الإسلامية عن طريق التجارة

إنتقلت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا عبر مسالك وطرق عديدة ، فحولت ظلامها إلى نور ، وتخلفها إلى تقدم وحضارة ومن هذه الطرق :

التجارة: يعتبر التبادل التجارى بين أوروبا والمشرق العربى عاملا هاما فى نقل الحضارة الإسلامية ، وذلك أن الحضارة ازدهرت فى مصر منذ مجئ الفاطميين ، فأقاموا جامعة الأزهر ، ونشروا العلوم والفنون . واستقدموا العلماء من مختلف المناطق ، فأصبحت القاهرة مركز الحضارة فى الشرق وخاصة بعد أن إحتل المغول بغداد سنة ١٢٥٨ وطمسوا معالم الحضارة فيها ، فهجرها العلماء إلى بلاد الشام ومصر .

وكانت مصر تسيطر على مسالك التجارة أنذاك بين الشرق والغرب فكان الأوربيون يفدون إلى مصر لشراء السلع الشرقية ، فساهم هذا الإحتكاك بين الشرق العربى فى نقل الحضارة العربية الإسلامية ، ولا سيما بعد أن إزدادت هذه العلاقات التجارية بين مصر وسوريا والمدن الإيطالية كالبندقية وفلورنسا ، ونابولى وجنوا ، لقد أضحت حياة هذه المدن تتوقف على تجارتها مع سلاطين مصر ، وأدى ذلك إلى ثراء التجار ونقل التراث العربى ، وأتجه بعض الأوربيين إلى تحصيل العلم والمعرفة العربية .

وهكذا أخذت العلوم والفنون الإسلامية تتسرب إلى أوربا فنقل الغربيون صناعةالورق والحرير والسكر ، وتعلموا إنشاء المستشفيات والجامعات ، إذ أن جامعة كمبردج هى طبق الأصل لمظهر الجامعة الأزهرية فى مصر . كما نقلوا الأقواس المعمارية والعلوم الأخرى .

(٧) اخلاقيات التجارة فى القانون (الوضعى)

إن أخلاقيات التجارة فى الدين الإسلامى تستند إلى القرآن الكريم وهو كلام الله عز وجل والسنة النبوية المشرفة المنزهة عن الهوى .

أما أخلاقيات التجارة فى القانون الوضعى وهو من صنع البشر فانه إجتهاد بقدر الإمكان ولا يستطيع مصنف أن يصفه بالكمال أو التمام .

قانون التجارة : جاء فيه فيما يتعلق بقمع الغش والتدليس أقضى بان يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة ويغرامة لا تقل عن خمسة آلاف جنيها ولاتجاوز عشرين الف جنيه أو ما يعادل قيمة السلعة موضوع الجريمة أيهما أكبر أو باحدى هاتين العقوبتين كل من خدع أو شرع فى أن يخدع المتعاقد معه بأية طريقة من الطرق فى أحد الأمور الآتية :

- ذاتية البضاعة أو حقيقتها أو صفتها الجوهرية .
- نوع البضاعة أو منشؤها أو أصلها أو مصدرها .
- عدد البضاعة أو مقدارها أو مقاسها أو كيلها أو وزنها أو طاقتها أو عيارها .

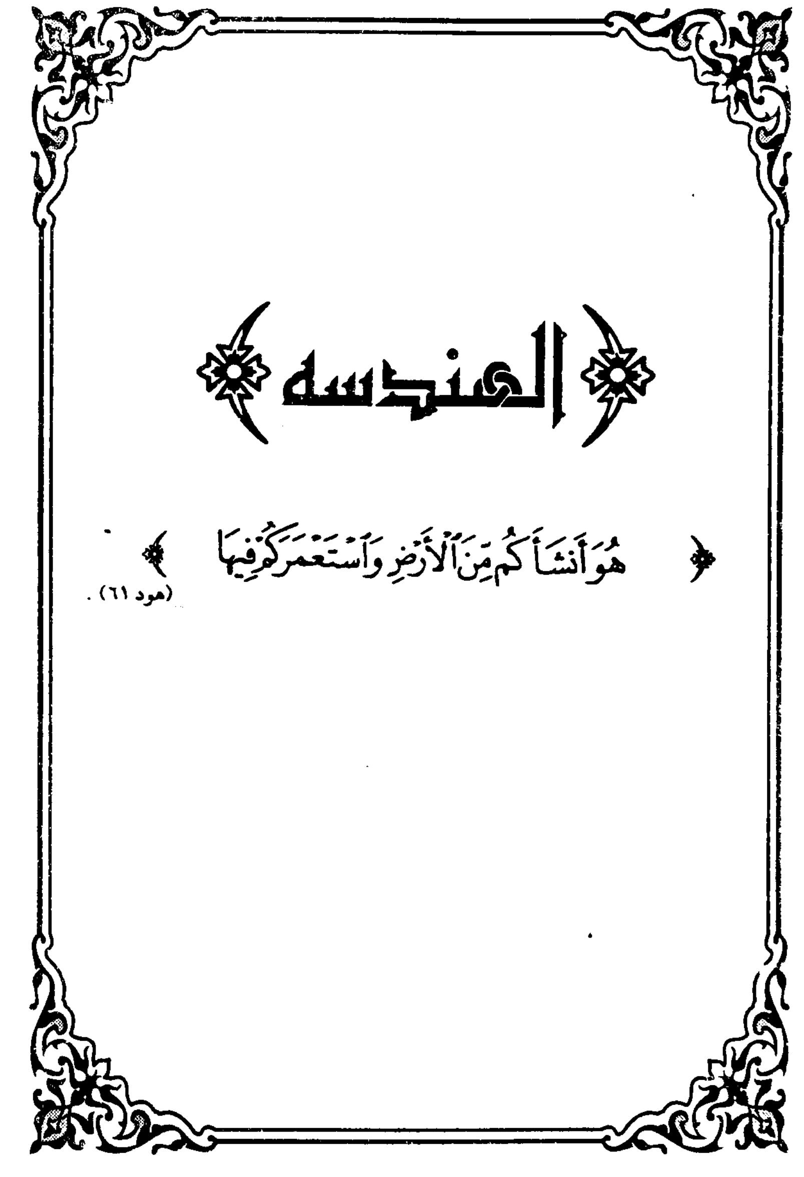
هذ وقد شدد القانون فى العقوبه إذا إرتكب الجريمة المشار اليها باستعمال موازين أو مقاييس جعل العملية غير صحيحة .

- كما قضى القانون بان يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة ولا يتجاوز خمس سنوات ويغرامة لا تقل عن عشرة الآف ولاتجاوز ثلاثين الف جنيه أو ما يعادل قيمة السلعة موضوع الجريمة أيهما أكبر : كل من غش أو شرع فى أن يغش شيئا من أغذية الإنسان أو الحيوان أو من العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو من الحاصلات الزراعية أو المنتجات الطبيعية أو من المنتجات الصناعية معدا للبيع ، وكذلك كل من طرح أو عرض للبيع أو باع شيئا من هذه الأشياء كانت مغشوشة أو فاسدة أو إنتهى تاريخ صلاحيتها مع علمه بذلك .

- كل من صنع أو طرح أو عرض للبيع أو باع موادا أو عبوات أو أغلفة مما يستعمل فى غش أغذية الإنسان أو الحيوان أو العقاقير أو النباتات . يقصد الغش وتشديد العقوبة اذا كانت تلك الأشياء ضارة بصحة الإنسان أو الحيوان .

الحاجة إلى اصدار قانون جديد:

القانون الحالى صدر عام ١٨٨٣ أى منذ ١١٤ سنة ، لذلك فإن إصدار قانون جديد أصبح أمرا ضروريا فى ضوء المتغيرات الإقليمية والعالمية فى مجال التجارة خاصة فى هذه المرحلة مع ضرورة الأخذ فى الإعتبار الواقع الإجتماعى ومتطلباته ، وأن يستهدف القانون تبسيط اجراءات التجارة وضبط المعاملات التجارية مع الإستفاده من التقدم والتطور العالمى الهائل فى إستخدام وسائل إثبات التصرفات التجارية التى لم تكن معروفة من قبل أو لم تكن لها قيمة قانونية كالفاكس والتلكس والميكروفيلم والإنترنت وغيرها . مع الأخذ فى الإعتبار التشدد فى تطبيق أخلاقيات المهنة على كل متغيرات تحدث فى القانون .



الهندسة

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

(هود ٦١) .

الهندسة

(١) الرياضيات والهندسة فى الإسلام

كان العرب يستخدمون العد فى أمورهم ، ويسجلون الأعداد بالحروف ، وبعد الفتوحات الإسلامية ، اطلعوا على علوم الدول المختلفة ، ووجهوا إهتماما كبيراً للحساب والجبر والهندسة والمثلثات ، وتقدموا فى هذه المواد ، وأضافوا إلى ما نقلوه عن اليونان والهنود ، بل تفوقوا فى أقسام الرياضيات التالية :

أ- **الحساب** : أخذ العرب نظام الترقيم عن الهنود ، فهذبوها ، وكونوا منها مجموعتين عرفت إحداهما بالارقام الهندية ، وهى لا تزال تستعمل فى العالم الإسلامى وعرفت الثانية بالأرقام الغبارية ، وهى التى تكتب بها الدول الأوروبية أرقامها ، وتسميها بالأرقام العربية .

ووضع المسلمون أسس الحساب من جمع وطرح وقسمة وكسور ، كما أوجد وا رقم الصفر فى القرن الثامن ، والثابت أن الغرب لم يعرف الصفر إلا بعد أربعة قرون ، وقد أمكن بذلك حل كثير من المعادلات الرياضية فى مختلف الدرجات بعد معرفة الصفر .

ب- **الجبر** : تقدم علم الجبر فى العهد الإسلامى ، حتى عرف هذا العلم بالإسم العربى فى اللغات الأوربية ، وكان الفضل الأكبر لتقدم هذا العلم إلى محمد بن موسى الخوارزمى رئيس بيت الحكمة فى عهد الخليفة المأمون ، وقد الف كتاب «الجبر والمقابلة» وقد نجح فى حل المعادلات الجبرية من الدرجة الثالثة والرابعة بواسطة قطع مخروط ، كما شرح معنى الحد المعلوم والمجهول وفكرة الأس ، والكميات السالبة والموجبة ، ومهد ثابت بن قرة ببحوثه الرياضية إلى حساب التكامل والتفاضل ، وزاد نصر الدين الطوسى فوضع كتابا باسم «الجبر والمقابلة» مكن من حل المعادلات الجبرية والهندسية .

جـ- **الهندسة** : أخذ العرب أصول الهندسة عن اليونان ، وقد ترجم المسلمون كتاب أقليدس فى الهندسة وسموه الأصول وذلك فى عهد الخليفه المنصور ، وأضاف

العرب إضافات كثيرة ، وأدخلوا أمورا جديدة مثل تقسيم الزاوية إلى ثلاث أقسام متساوية ، وكذلك الدائرة ، وقد الف الكندى الرسائل المختلفة فى تقسيم المثلث والمربع ، واستخراج سمت القبلة ، وكان يرجع إلى مؤلفاته المعماريين عند القيام بحفر الأقبية والجداول بين دجلة والفرات وأدخل العرب المماس ، والقواطع ، واستخدم فن الزخرفة الذى يعتمد على قواعد هندسية فى رسم المعلقات ، وترتيب الخطوط ، وأوراق النبات وجمع العرب بين الهندسة والجبر ، ولذلك يعتبرون واضعى الهندسة التحليلية .

د - **المثلثات** : يعتبر علم المثلثات عربيا ، فقد إشتغل العرب بالمثلثات واستعملوا المماسات والقواطع ، ونظائرها فى قياس الزوايا والمثلثات ، ووضعوا الجداول التى مهدت لإكتشاف قانون اللوغاريتمات ، وعرف العرب حساب الأقواس التى تريح من إستخراج الجذور المربعة ، واستعملوا الجيب ، واستنبطوا طرقا لحل المشكلات المتعلقه بالمثلثات الكروية

وهكذا يدين علم حساب المثلثات بوجوده لرياضى العرب المسلمين فهم أول من أقاموا علما مستقلا عن الفلك بعد أن كان مجرد معلومات تخدم الفلك وأرصاده ، ولعل البيرونى هو أول رواد هذا الفرع من الرياضيات ، إذ وضع التحليلات المثلثة الزوايا مكان المربعة الزوايا لبطليموس ؛ وأدخل التماس . وتشير كتب نصر الدين الطوسى إلى المماس ، والكل فى حساب المثلثات بالتفصيل ، وقد إستعان بما أسهم به قبله ثابت بن قرة ، كما كان للبستانى الفضل فى تطوير هذا العلم ، لأنه إستبدل بالمربعات المثلثات فى حل المسائل وبالقوس جيب الزواية ، كما وفق العرب فى وضع أصول الهندسة التحليلية التى تعد نشأتها فى أوروبا إلى ديكارت فى القرن السابع عشر .

(٢) القيم الإسلامية فى هندسة العمران المعاصر

إن قضية التعمير والمدينة الحديثه لهى من أهم مشاكل العصر الحاضر حيث أثر التطور السريع فى كافة مجالات الحياة الإجتماعية والإقتصادية والتقنية والسياسية تأثيرا مباشرا على المدينة وقيمها ، وعلى صانعى القرار من سياسيين ومخططين ومهندسين .

ولا شك أن الدول الصناعية قد سبقت العالم الإسلامى فى مجال التطور المادى وأصبحت لها قيمتها الواضحه ومعاييرها القياسية فى شتى المجالات ومن ضمنها مجال التطور العمرانى ، وأنتجت بيئات عمرانية تخضع خضوعاً أساسيا للمعايير التى تناسب بيئتها من ناحية ، والتى تستمد جذورها من فلسفتها المادية البحتة من ناحية اخرى .

ومما لا شك فيه لذلك أن بعض المعايير المادية البحتة الحديثة لها أهميتها مثل المعايير الصحية : من فتح المجال لإدخال الشمس والهواء وإدخال المياة والصرف الصحى ، وأن مواد البناء الحديثة كان لها دورها فى ذلك ، أما الإبتكارات الهامة فقد أثرت على العمران تأثيرا هائلاً ، مثل المصاعد التى جعلت المدن تنمو بشكل عمودى والسيارات التى جعلتها تمتد أفقياً ، إلا أنه من الضرورى لنا نحن كأمة مسلمة ناهضة أن ننظر إلى ماضينا وحاضرنا وما ضى الأمم وحاضرها ، وأن نضع هذا كله تحت المجهر للدراسة والإفادة منه فى حياتنا الحاضرة ومستقبلنا ومستقبل الأجيال من بعدنا .

نحن جميعاً نؤمن أن الإسلام نظام شامل للحياة ، ولقد قدمت الشريعة الغراء كافة العناصر الأساسية التى تحدد الخطوط العريقة للإنسان وتكفل له السعادة والخير ، وكما أن الشريعة قد نظمت العلاقة بين الإنسان وخالقه سبحانه وتعالى ؛ فانها قد حددت العلاقه بين الانسان وأخيه وبين المجتمعات البشرية

والتساؤل الذى يطرحه المعمارى والمخطط الذى يمارس مهنته فى هذا العصر هو : هل هناك عناصر فى الشريعة الإسلامية تمس العمران؟ وهل تأثرت التجمعات العمرانية للمسلمين فى الماضى بهذه المبادئ؟

وأخيراً : هل يمكن الإفادة من هذه المبادئ في عصرنا الحالى فى المدن والقرى والأحياء الجديدة أم ان الموضوع برمته غير قابل للبحث وعلينا أن نتبع المعايير التى حددتها لنا العمارة الحديثة والتخطيط والتصميم العمرانى الناتج من مدارس الغرب ، والذى يعكس فلسفتهم وطرق معيشتهم وتقنيتهم الحديثة؟

للإجابة على هذه التساؤلات يجب علينا أن نعرف أهداف الشريعة بشكل عام ، (وفى معرفتها يمكننا أن ننتقل بشئ من التفصيل للإجابة) .

إن الهدف من الشريعة الغراء هو حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال (الموارد الطبيعيه) ، وهى بذلك تهدف إلى إنشاء الإنسان الصالح والأسرة الصالحة والمجتمع الصالح ، وأخيراً العالم المثالى .

ولا شك أنه فى هذه المبادئ العامة مساس بالعمران وانعكاس عليه ، فانه لا يتصور المحافظة على النفس والعقل والبدن والمال وغيرها فى وسط عمرانى ملوث أو خال من التنظيم أو تمتلئ شوارعه بالجريمة والفساد أو يختنق أفراده من كثرة الإزدحام السكانى .

(٣) المؤثرات التى اثرت على العمران الإسلامى

اولا الشريعة الإسلامية الغراء

اننا نؤمن بأن الخالق سبحانه وتعالى قد أوحى برسالته إلى البشرية خلال الرسل عليهم السلام ، ويؤمن المسلمون بأن آخر هؤلاء الرسل هو محمد عليه السلام ورسالته الخالده دين الإسلام إلى الناس كافة .

وفى حين لم يهمل المسلمون أهداف دينهم لم يلغوا الحضارات السابقة أو ينكروها بل أفادوا منها وبنوا عليها وأضافوا ، فقد رعوا الله سبحانه وتعالى وخضعوا له بالعبادة ، ولم يقتصروا فى تطبيق شريعته على العبادة فقط بل توسع مفهومها وطبقوها فى حياتهم وعلاقاتهم الشخصية والإجتماعية ، وفى مدنهم وعمارتهم .

ونحن نرى ذلك واضحا فى دعاء مولاى إدريس الأزهر ، وهو يضع حجر الأساس لمدينته الجديدة «فاس» إذ يقول :

«اللهم إنك تعلم أننى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا لسمعة ولا مكابرة ، إنما أردت أن تعبد بها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك ما بقيت الدنيا ، اللهم وفق سكانها وقاطنها للخير وأعنهم عليه وأكفهم مؤونة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق إنك على كل شئ قدير . .»

ونجمل القول بانه كانت هناك مبادئ عامة وجهت إليها الشريعة للتطور العمرانى . ومبادئ أو أمور خاصة محددة أمرت بها أو إستخلصها المسلمون

ثانيا : المبادئ العامة التى وجهت اليها الشريعه

(١) لقد عنى الاسلام بالاسرة وجعلها الركن الأول فى المجتمع الإسلامى (الإنسانى) السليم ، وأول مجال للعناية بالأسرة بعد العناية الروحية بها هو تأمين الوسط المادى المباشر الذى تعيش فيه ومن ذلك السكن الخاص الآمن .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم ٢١) .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (الاعراف ١٨٩) .

ففى السكن يجد كل من الزوج والزوجة الراحة والطمأنينة والإستقرار ، ونجد ان فى إجتماعهما السكن والإكتفاء والمودة والرحمة ، فالأصل فى التقاء الزوجين هو السكن والإطمئنان والأنس والإستقرار ليظل السكون والأمن جو المحضن الذى ينمو فيه الفراخ الزغب . . وينتج فيه المحصول البشرى الثمين ويؤهل فيه الجيل الناشئ لحمل تراث التمدن البشرى والإضافة اليه .

(٢) لقد جعل الإسلام النظر إلى المرأة محددا بالنظرة الأولى وجعل غض البصر واجب وكشفها على الأجانب محرم .

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور ٣٠ - ٣١) .

وكان لزاما أن يتجاوب الوسط المادى فى البيت والحى مع هذه المتطلبات الحضارية الأساسية بالتأكيد على الخصوصية وحرمة السكن تماما وتقليل مساحة الفتحات الخارجيه إن وجدت . . .

(٣) **ولحماية الأطفال وتربية النشء**، إقتضى وجود المسكن الآمن والمكان المستقل فيه لكل فرد (الفصل ين الأطفال فى المضاجع) وتحديد مكان العبادة والعلم ،وساحة التدريب البدنى وساحات التدريب على الدفاع والسلاح وغير ذلك من المستلزمات التى أثرت على العمران واقتضت وجود مبان أو ساحات خاصة تطورت على مدى التاريخ على شكل مؤسسات ثابته مثل المسجد والمدرسة وميدان سباق الخيل والمستشفى والحمام .

(٤) **حفظ الصحة العامة** : اقتضت مبادئ الإسلام حفظ الصحه العامة فالمسلم مأمور بالتوضؤ وبالإغتسال بالمياه الجارية الطاهرة ، وبنظافة مضجعه ومسكنه ، وبتنظيف الطريق (أمام بيته على الأقل) وإماطة الأذى عنه ، وجعل للجلوس فى الطرقات آداب أهمها طهارة مكان جلوس الناس ومستظلاتهم .

(٥) **الاستمتاع بالطيبات:**

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾ (الأعراف)

وفى هذا وجدنا عناية الإسلام بأمرر الدنيا مثل الزراعة والصناعة والتجارة ومدن عامرة بمبان وظيفية ، فيها الحدائق والأحواش الداخلية والمياه الجارية ، وكما أن فيها المساجد ودور الحكم وغيرها من المبانى العامة ذات الجمال والبساطة

(٦) الاقتصاد فى الحياة وعدم التبذير

لقوله عز وجل ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الاعراف) .

﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الاسراء)

وقد إنعكس ذلك على تحديد المساحات المخصصة لكل عائلة وعدم الإفراط فى إستعمال الأراضى والحدائق داخل المساكن أو خارجها كما انعدم الزخرف من الواجهات واقتصر جمالها على الأمور الوظيفية فيما عدا بعض المساجد التى تمت زخرفتها فى أوقات لاحقة بأشكال هندسية وألوان بهيجه وآيات كريمة مخطوطة بخط بديع .

ومن مبدأ عدم التبذير فى كافة نواحى الحياة والمستقى من الكتاب والسنة نشأ لدى المسلمين مفهوم أساسى للحياة وهو الإعتدال فيها ، وانعكس ذلك على احجام قطع الأراضى وتلاصق المساكن وعروض طرق المشاة والشوارع الرئيسية والأحواض والحدائق الداخليه مما أدى إلى وجود محيط ونسيج عمرانى متصل ، وكذلك إنعكس هذا المفهوم على الإستهلاك اليومى للمياه والإعتدال فى الطعام والشراب واللباس وفى إستهلاك الموارد الطبيعية عموماً

(٧) حق الطريق

إقتضت المصلحة العامة وجود الشوارع وطرق المشاة والأحواش أو الشوارع المسدودة النهاية (التى توصل المواطنين إلى مساكنهم) ضيقة مظللة يربط الساكنين فيها رباط قوى لتقاربها ، وتوفر اللقاء اليومى بالجار كتوصية الإسلام بالجار .

ثالثا: مبادئ خاصة تمس المباني والعمران

وبناء على المبادئ العامة السابقة ، ومن ممارسات المسلمين تم إستخلاص مبادئ خاصة فى المدن الإسلامية تمس العمران مساسا مباشراً مثل :

(١) الخصوصية الكاملة فى السكن والحدائق والأحواش :

فإن الخصوصية شعور إنسانى فطرى يتطلبه الإنسان لأمنه وراحته له ولأسرته ، وأن وجود فراغ خاص مفتوح فى المسكن تطل عليه كافة الغرف مثل الحوش أو الحديقة ، يؤدى إلى الإستمتاع بالخصوصية وبالهواء الطلق والشمس للرجال والنساء دون أن يجرحوا من الجيران ، ويؤدى الوجود المشترك إلى تقوية الأسرة وعدم تفككها وبالتالى المحافظة على الأبناء والأجيال .

ويمكن أن يكون لكل مسكن أكثر من حوش أو حديقه ، فهناك حديقة داخلية (أو حوش) بجانب جناح إستقبال الرجال وحديقة داخلية أخرى (أو حوش) يطل عليها جناح النساء وحوش خلفى للخدم والغسيل والطبخ ، ولا شك أن ما كان يميز المسكن الإسلامى هو أنه متوجه للداخل ، وحتى إذا إضطر المعمارى لفتح نوافذ على الطريق الخارجى فانها تكون مغطاة بالمشربيات الجميلة التى تحمى أهل البيت من النظر وتسمح بالتهوية الطبيعية ، ويوجد فى الآثار الإسلاميه نماذج رائعة لمساكن تجمع بين الخصوصية والصحة والجمال والتهوية (أو التكييف) الطبيعية .

(٢) إرتفاع المبانى :

المسلمون مطالبون بعدم التطاول بالبنيان لئلا يكشف الجار من جهه ولعدم منع الهواء والشمس عنه من جهة أخرى ، ونظراً لعدم وجود الإمكانات الحديثة مثل (المصاعد) ، فقد تميزت المدينة الإسلامية بانها قليلة الإرتفاعات ، وقد تراوحت المبانى فيها من دور إلى أربعة أدوار فى أقصى الحالات والغالب أن تكون دورين أو ثلاثه .

(٤) هندسة البناء فى الاسلام

اولا الابنية قبل الاسلام وبعده

كانت الابنية فى بلاد العرب الوسطى قبل الإسلام ساذجة ، فكانت عامة من طابق واحد ، وبطوب اللبن ، وقليل منها بالحجارة .

ولما إتسعت الفتوح الإسلامية بنى طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام دورا متسعة فخمة من الحجارة والرخام فى المدينة ، ووكلوا أمر بنائها إلى المهرة من الفرس والروم .

وقد هدم عثمان (ض) مسجد النبى ﷺ وأعاد بناءه بالحجارة والرخام ، كما بنى داره الفخمة بالمدينة ، وشيدها بالحجر والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر . . وهكذا أخذت العمارة عند العرب المسلمين فى الترقى ، وقد إستفادوا من خبرة الفرس فى البناء ، ثم تفوقوا عليهم ، واتخذوا طرازا للبناء خاصا بهم مع الزمن ، فاق الطرازين الفارسى والبيزنطى من حيث الإبداع وجمال التنسيق والإتقان .

وقد حفظ لنا التاريخ الكثير من وصف قصور المسلمين البديعة ، وصروحهم الشاهقة

ثانيا مظاهر طراز العمارة:

١- اتخاذ الأعمدة والقباب والشرفات والمشربيات(نوافذ سدت بستائر شبكية من الخشب) والمآذن ، وبعض هذه المظاهر مستوحى من البيئه العربية .

٢- إحاطة المدن بأسوار منيعة ، وأبواب متينة يمكن إغلاقها عند الحاجة

٣- بناء المسجد فى وسط المدينة

٤- تخصيص سوق خاص لكل حرفة يعرف بإسمها ، وتخصيص حى لكل قبيلة .

٥- كانت البيوت تطل عَلى داخل ساحة الدار ، وليس لها نوافذ تطل على الشارع .

٦- كانت الزخارف مستمدة من المناظر الطبيعية ، والنباتات والأشكال الهندسية ، وتحاشوا الصور المجسمة والتماثيل ، لأنها محرمة حتى لا تتشبه بعبدة الأوثان .

أن خصائص الفن العربى تبدو واضحة فى فن البناء وتتمثل فى المساجد ومحاريبها وفى مآذنها وعقودها ، القصور والدور ، المدارس وأوانيها وأروقتها ومرافقها العامة ، العمارات المختلفه كالربط والمارستانات والقناطر والجسور والبرك والحمامات وما شاكلها .

ويمكن أن نلخص خصائص الفن العربى فى الريازة [البناء] بما يأتى :

- **المقرنصات** : وهى الدلايات التى تشبه خلايا النحل ، أو الحجر الطبيعى الذى يتكون فى الكهوف على هيئة أعمدة مدلاة ، غير منتظمة ، تتكون بفعل الرشح الذى تحدثه المياه المحملة بالأملاح الجيرية ، والمقرنصات يتدلى بعضها فوق بعض من واجهات العمارة .
- **القباب** : وهى إما بيضية الشكل أو بصليه ، وكانت سطوحها تزين بالقاشانى الأخضر ، ولذلك أطلق عليها إسم «الخضراء» كخضراء معاوية فى دمشق ، وخضراء الحجاج فى واسط .
- **شرفات الأبنيه** التى تشبه أسنان المشط .
- **الأقواس** ، وكانت مستديرة على هيئة حدوة الفرس أو مدببة .
- **العقود** أو الأقواس المتعددة مثل أقواس قصور قرطبة
- **المآذن** فى الجوامع ، وتعتبر مأذنة مسجد القيروان أقدم مئذنة قائمه .
- **الزخارف المختلفة** ، وهى إما على شكل زخارف هندسية أو نباتيه ، وكان يركب على الشبابيك زجاج ملون .

ثالثا: المظهر العمراني:

(١) المدن : بني المسلمون مدنا عديده في عصور مختلفة متنوعة ومن أشهرها في عصر البصرة ، والكوفة والفسطاط في العصر الراشدين ، أما في العصر الأموي بني القيروان وواسط ، وفي العصر العباسي : بغداد وسامراء . وقد دفعت عوامل عديدة العرب إلى بناء المدن منها :-

اتخاذها معسكرات وحصونا لجيوشهم ، وإتخاذها عواصم للدولة أو مراكز للولاية ، أو مراكز للدفاع عن الحدود الإسلامية ، أو مراكز للنزهة وطلب الراحة مثل الرملة في فلسطين ، والزهراء في الاندلس .

إختيار موقع المدن وتخطيطها:

كانت المدن عادة تنشأ على أطراف البادية ، لا يحيطها أسوار منيعة أو قلاع ، لاتخاذ الصحراء المحيطة خطا لرجعتهم عند إضطرارهم للإنسحاب لحماية ظهر المسلمين .

وكانت تنشأ في أماكن صحية تطيب فيه الإقامة ، وكانت تخطيطها منسقا هندسيا ويبدءوا أولا بالمسجد في مركز المدينه وحوله فراغ يتفرع منه الطرق العامه ثم الشوارع .

(٢) : **المساجد** : كانت مركز الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية ، بالإضافه إلى الناحية الدينيه . وكانت المساجد تزداد في البلاد الاسلامية تبعا لزيادة المسلمين ، وكانت تعتبر من العمائر الجميلة في المدن ، تزينها مآذنها الشاهقة ، ومنابرها المزخرفة ومحاريبها ونافوراتها .

وقد بني الرسول ﷺ وأصحابه مسجد المدينة بطول ١٠٠ ذراع بطوب اللبن ، وكانت أعمدته من جذوع النخيل ، وسقفه من الجريد ، وتم توسيعه أيام عمر بن الخطاب وفي عهد الوليد بن عبد الملك ، أعيد بناؤه .

ومن أشهر المساجد التاريخية التي لا تزال باقية حتى اليوم ، المسجد النبوي الشريف في المدينة ، والحرم المكي في مكة والمسجد الأموي في دمشق والمسجد الأقصى

فى القدس ، وجامع القيروان فى تونس ، والمسجد الجامع فى الكوفة ، وجامع القرويين فى مراكش ، والزيتونة فى تونس والأزهر بمصر . وتمتاز هذه المساجد باتساع صحنها وأروقتها البديعة ، ويزدان المسجد من الداخل بصفوف الأعمدة التى تحمل السقف كما زين بالكتابات الكوفيه الجميلة ، المنقوشة بالرخام ، والتى تحوى آيات من القرآن الكريم ، والفسيفساء الزجاجية .

(٣) : **المدارس والجامعات** : كان لها طراز معمارى خاص بها ، كما هو فى أغلب المدارس المعروفة ، كالنظامية والمستنصرية فى بغداد ، والنورية فى دمشق . وتشمل أبنية هذه المدارس : صحنا فسيحا مكشوفا مبلطا مربع الشكل وفى وسطه بركة ، ويستعمل هذا الصحن للصلاة والإجتماعات أما بيوت الطلبه فتكون عادة حول الصحن ، وأمام الحجرات رواق مزخرف وأواوين متقابلة للتدريس تكون مرتفعه بعلو طابقين ، وهناك مسجد للطلاب فى الجهة القبليه من الصحن ، دار كتب ، مكتبه ، ومرافق عامة ومخازن .

(٤) **القصور** : إهتم الخلفاء ببناء القصور المنمقه بالزخارف ، ومن هذه القصور : قصر عمرة بناه الوليد بن عبد الملك ، وقصر هشام فى أريحا ، وقصر الحيرة الغربى .

(٥) **المنشآت الحربية** : بنيت حين هددت الاخطار العالم الإسلامى ، ومنها : قلعة حلب ، وقلعة الربض فى عجلون ، والقلعه التى بناها صلاح الدين فى القاهره على جبل المقطم .

لقد شهد الكاتب تومس أرنولد أن المسلمين سرعان ما أصبحوا أعظم البنائين إذ كانت عبقريتهم قد أنبتت آراء هندسية ذات مفاهيم فنية دقيقه ، ومع أن التحريم الدينى التصوير البشرى وقف حائلا دون أى تطور فى نحت التماثيل إلا أن النقوش الإسلاميه تنبئ عن قدرة فنيه وبراعة دقيقه وإحساس عميق بالالوان فقد كان المعماريون العباقرة العظام كثيرون ، وكان نجاحهم فى الفنون التى أطلقت عبقريتهم من عقالها لا مثيل له فى العصور الوسطى .

(٥) مثال لهندسة العمارة العربية الإسلامية

[نحو عمارة عربية معاصرة تستمد جذورها من العمارة الإسلامية]

لا جدال فى أن العمارة هى مرآة الشعوب تعكس طبيعة حياتهم وتعبر عن شعورهم وتصورهم ومعتقداتهم وأفكارهم ، وتتأثر بطبيعة الفترة التى تظهر فيها ومدى تقدم هذه الشعوب ، ولقد ظهرت العمارة الإسلاميه ونشأت وتطورت وبلغت أوجها فى البلاد العربية والإسلامية من الشرق إلى الغرب وصعوذا إلى الأندلس ، واعطت البشرية تراثاً زاخراً بالأمثلة العديدة من المبانى فى جميع الأحقاب التاريخية الإسلامية التى مرت بالعالم العربى والإسلامى .

إن ذلك التراث الذى كونه إسلامنا على مدى أكثر من الف عام إستمر يحمل صفة المعاصرة فى كل عصر من العصور التى مر بها وصارت العمارة فى طريقها وتطورها الطبيعى إلى أن توقف هذا التطور منذ بدأ القرن التاسع عشر حيث إبتدأت الطرز الأوربية المختلفة فى الدخول للبلاد العربية وأخذ بها المهندسون المعماريون ، وبذا انقطعت سلسلة تطور العمارة الإسلامية بدخول حركة العمارة الأوربية إلى الدول العربية ومنها مصر ، وتداخل إستيراد التكنولوجيا من هذه البلاد بالنفوذ الاستعمارى القديم أو بطبيعته الجديدة المغلفة بالتأثير الثقافى والإقتصادى والتجارى . ومن هنا كان التأثير الأعمى بالحضارة الغربية والنقل عنها فى مختلف المجالات ، فالأفكار المستوردة غير المهضومة وغير المناسبة فى حساب الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والإنسانية والمحلية تؤدى دائماً إلى حلول غير مناسبة وإلى فشل ذريع .

ولقد كان المهندس المعمارى العربى القديم متميزا فى تصميماته فاتبع عمارة إسلامية عبرت عن كنه الحياة والتجانس فى التشكيلات كما أبدع فى تشكيل وتخطيط العناصر المعمارية وتنظيمها فى الفراغ فى إطار المقياس الإنسانى والبيئى .

كما تمكن المهندس المصرى القديم من أن يلبى إحتياجات عصره بتفهم تام ودقه متناهيه سواء كانت هذه الإحتياجات مادية أو روحية باستخدام تكنولوجيا عصره بكل

طاقاته مع تلاحم الفنون التشكيليه مع فن العمارة بإرتباط وثيق مما كون وحدة ملهمة من قوة التصميم ودعا الحكام وأفراد الشعب إلى تقديره تقديراً رفيعا وفى بعض الأحيان رفعه إلى مصاف الآلهة فى مصر القديمة .

ولقد تميزت العمارة عبر العصور من إبراز لقومية وإقليمية المبانى ، ولقد تفرض علينا نحو المعماريين الإتجاهات المعاصرة والأساليب التكنولوجية والمواد المستحدثة أضعاف العلاقة بين العمارة والإقليمية ، وقد يمسى العمل المعمارى غفلاً من الشخصية المتميزة ، من هنا يظهر الدور الهام للمهندس المعمارى العربى المعاصر ومسئوليته فى أرجاء صفة المعاصرة إلى العمارة العربية الإسلامية ، وفى سبيل وصل ما انقطع من سلسلة التطور الطبيعى للعمارة الإسلامية علينا أن نرجع بها إلى اللحظة التى تخلينا فيها عنها وتحليل عوامل التغيير والتحول وما كان يستلزم إجراؤه لمسايرتها مع إستخلاص الثوابت الصالحة من هذا التراث .

والمهندس المعمارى هو الفرد الذى يستخدم مهارته فى تخطيط وتصميم المبانى والعناصر المعمارية لتحقيق إحتياجات الإنسان المادية والروحية والنفسية بغية الحصول على أكبر كفاءة وظيفية للمبنى طبقا للأصول المعمارية والقواعد الهندسية وذلك فى إطار من القيم الجمالية والإنسانية وبإستخدام مواد البناء وطرقه وأساليب التنفيذ المتوفره فى عصره وذلك لكى يصبح أى عمل معماري حقيقة مرئية .

إن على المعماريين ضرورة معايشة قضايا وطنهم والإهتمام والإقتراب من مصادر ومراكز القرارات للوصول إلى الحلول الصحيحة ، كما أن على المعماريين العرب يقع العبء الأكبر فى تملك ناصية تطوير عمارتنا المعاصرة وربطها بالقيم المعمارية والإنسانية فى " عمارة العربية وان يقدموا أشكالا جديدة مستحدثة ناتجة من ظروف البيئة المحلية تستمد جذورها من تراثنا التليد وتسعاهم فى خدمة الإنسان وتتوافق مع الموقع فتكون معه نسيجا متكاملا يستمد شخصيته ومواردها من البيئة المحلية كما يخضع لعوامل الطقس ويساير تقاليد وأسلوب الحياة لدى الأفراد فتظهر فيه قسمات [illegible]يتهم المتميزة .

ولقد نجح بعض المعماريين العرب المعاصرين فى إستشفاف القيم المعمارية والانسانية فى العمارة الإسلامية باستحداث إستعمالات جديدة لبعض العناصر الإسلامية فى العمارة المعاصرة فتمكنوا من إقتباس وإبتكار أشكال وتكوينات مستقلة من القيم والتكوينات التى تمتاز بها العمارة الإسلامية فى محاولة لربط انتاجهم المعمارى بقيم العمارة الإسلامية وخلق طابع خاص مميز لعمارتهم ، ولا شك أن هذه المحاولات يمكن أن تؤخذ أساسا لهذا التطوير المنتظر ولا شك أيضاً أن مجال تطبيق هذه الأفكار فى مجتمعات مدن الصحراء حول منابع البترول أو فى الوادى الجديد وسيوة ، الخ مجال خصب للمعماريين الواعين فى تطور هذه الافكار وإستنباط أشكال وأنماط جديدة تناسب الموقع والبيئة

إن العقل والفكر البشريين لديهما القدرة فى التغلب على القضايا العصرية ، ولكن تحقيق ذلك أصبح مما لا شك فيه أصعب مما كان فيما مضى وأصبح أيضا رهنا بتربية أجيال من المفكرين المعماريين ذوى الدراية الكاملة التامة للمفهوم الحقيقى للعمارة بكل ما يشتمل عليه من مهارات ومعرفه وعلم ، ومن هنا تتضح أهمية إعداد المهندس المعمارى والمهندس بصفة عامة الإعداد المناسب ليتحمل بكفاءة المسئوليات التى تناط به فى حقول التخطيط والتصميم والتعمير والتنفيذ .

إن التربيه والتعليم مهمة جداً فى إعداد الإنسان عبر مراحل حياته وللتعليم فى الطفولة أثر كبير فى تنمية موهبة الأجيال بصورة صحيحة وسليمة لدى الطفل .

لذا فإننى أنادى بضرورة تعليم التذوق الفنى والعمارة المبسطة للتلاميذ والطلاب فى جميع مراحل حياته فالعناية بذلك أمر بالغ الأهمية فى تفتيح قرائحهم ليصبحوا فى المستقبل أكثر قدرة على فهم الجمال وأسراره والإستفادة بالتراث بجميع قطاعاته ، وأعتقد أن ذلك سيكون له آثاره الكبيرة على المدى البعيد على التفكير والسلوك العام لدى المواطنين .

(٦) ميثاق شرف إسلامي لمهنة الهندسة

حين خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وكرّمه وفضله على سائر مخلوقاته حدد له هدفين كبيرين :

١- **عبادته تعالى** : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ الذاريات ٥٦) ونحن لا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا كما أراد .

٢- **عمارة الأرض** : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود ٦١) أي جعلكم عمارا تعمرونها وتستغلونها .

ونتائج هذه الحقائق أن تنطلق يد الإنسان في عمارة الأرض وإستخدام طاقاتها وخاماتها والتحليل فيها والتركيب .

من أجل ذلك كانت خلافة الإنسان على الارض تعبيرا عن تحمله المسئولية بناء مجتمع مؤمن يشارك في عمران الأرض ويسمو برفعه - في الوقت نفسه - على العالم المادى ، وهدف الحضارة الأولى هو الإنسان ، فهى خادمه له ويقاس نجاح الحضارة وفشلها في سعادة الإنسان ورقيه وتوازنه ، وقد ثبت أن الإنسان يعيش سعيداً ومتوازناً إذا كان على صلة سليمة بربه عز وجل ، فاذا ابتعد عنه إختل توازنه وعاش عيشة ضنكا تنهشه الأمراض وتفتك به الوساوس ولو كانت حيوية محشوة بالمال وبيوته متخمة بالأثاث والرياش .

ولقد أتى علينا حينا من الدهر عانينا فيه من قوة مادية غير مهتدية بالإيمان أفرزت هذه الحضارة التي نعاهدها اليوم .

إن حضارة اليوم بحاجة ماسة لأى إنسان يؤمن بالله ، ويراقبه في عمله ، ولا يسمح لنفسه بالعبث في الكون وإفساده ، وأن يبقى على دفعه للحضارة حتى تبلغ كمالها وجمالها ، وتنشر خيرها على العالم .

لقد كنا فى يوم من الأيام نعبد الله كما أمر وأراد ، وكنا نصنع الحضارة بجد وهمة ، ثم دارت الأيام فنسينا الحضارة وصناعتها ورحنا نستجديها من الآخرين ، كما نسى الكثير منا العبادة ، فصار صفر اليدين من الدنيا والآخرة ، وإذا كان أمر العبادة سهلاً يسيرا ، لا تطلب جهدا كبيرا ولا وقتا طويلاً فإن بناء الحضارة عمل معقد ، يتطلب شروطا كثيرة وزمنا طويلاً ، وينبغى أن تبنى على شئ ، ونستفيد من كل شئ نافع .

إننا لن نتجاوز فجوة التخلف ، والضعف إلا إذا وجد بيننا رجال قمة فى كل تخصص ، وبالذات فى التخصصات الهندسية ، وذلك فريضة يشتد عليها الطلب فى عصرنا هذا ولكن على المهندسين أولا أن يربوا أنفسهم على الإنضباط بما يمليه عليهم إيمانهم فى كل أعمالهم حتى يكونوا ويحق جارحة من جوارح القدرة الإلٓهية وقوة غلابة حلّلة العُقَد والمشكلات فاتحة لأبواب الخير .

ومن هنا فالحاجه ملحة لميثاق شرف لمهنة المهندس المؤمن ليكون دليلا ونبراسا له فى سعيه لإعمار الأرض على بصيرة إيمانية لكى يعيد للعالم رشده وتوازنه .

ومن أجل مهندس مؤمن على هذا القدر من إستشعار المسئولية المنوطة به فيتبلور مستويات هذا المهندس فى عدة أمور :-

اولا: نحو المهنة نفسها:

إن المطلوب منه أن يكون المثل الأعلى فى تأدية واجباته العملية فى العمل ، بل وأن يتميز إنتاجه كما وكيفا فان كان تقصير منه فى هذا الميدان إنما هو فى الواقع تقصير فى حق ربه وإيمانه به .

ثانيا: نحو مرءوسيه

ان على المهندس المؤمن أن يرعى مرءوسيه ، وأن يقدم لهم الخبرة والنصح والرأى وأن يبذل قصارى جهده لرفع مستواهم العلمى والمهنى فى مجال تخصصه بحيث لا يقل مستواهم عن المستوى العلمى . . وهناك نقطة هاة يجب أن ينتبه اليها المهندس

المؤمن فى تعامله مع مرءوسيه ، وهى مبدأ عدم التفريق بينهم فى علاقاته معهم مراعاة للجوانب العقيدية أو الإجتماعية والإقتصادية .

ثالثا: نحو زملائه ورؤسائه:

إن المهندس المؤمن لا بد أن يحتفظ بعلاقات طيبه مع زملائه ورؤسائه كافة دون أن يخل ذلك بمتطلبات إيمانه وعقيدته ، وعليه أن يتعاون معهم على تحقيق كل تقدم علمى ومهنى فى ميدان تخصصه إذ أنه مطالب بأن يفرض إحترامه وإحترام ايمانه على علاقاته كلها مع الزملاء والرؤساء دون أن يصل ذلك إلى تهجم أو تجهم أو مقاطعة

وأساس هذا التعامل النجاح الذكاء والحس الإيمانى والفراسة الصادقة .

رابعا: نحو جمهور المتعاملين معه والمستفيدين بخدماته المهنية المتخصصة:

إن على المهندس المؤمن أن يشعر كل من يتعامل معه ويستفيد من خدماته المهنيه المتخصصة أنه يؤديها بإخلاص وتجرد صادقين وليس تصنعا ، وأن يبذل له النصح الصادق وأن يحافظ على مصالحه وماله وجهده ووقته بما لا يخل بما يمليه عليه دينه وإيمانه أو بالصالح العام ، وأن يكون عمله خير ترجمان لما يعتنقه ويدعو اليه من إيمان وعقيده .

خامسا: نحو البيئة والمجتمع:

هذه النقطة تتطلب من المهندس المؤمن الذى نعنيه ان يكون متصلا بالبيئة التى تقع فيها مؤسسته التى يعمل بها ، وكذلك بمشاكل كل الوطن بصفة عامة ، وسوف يجند علومه ومعارفه كلها فى ميدان تخصصه ، عندئذ لحل مشاكل تلك البيئة وهذا المجتمع وهذه المعايشة للمشاكل المحليه تستتبعها المعايشه لمشاكل المجتمع العالمى الكبير ، وسيحاول من خلال تخصصه وبدافع من إيمانه أن يجد الحلول المناسبة لها .

سادسا: نحو نفسه:

من البديهى أن يهتم المهندس المؤمن بذاته ماديا ومعنويا دون افراط أو تفريط ، وبالتالى فإنه مطالب بأن يعتنى بصحته وقوة بدنه وبروحه المعنوية العالية وبإيمانه ، وأن

يحسن استغلاله لوقته بحيث يعطى للعقل حقه وللنفس حقها ، وللبدن صلاحه وقوته ، وهو مطالب مهنيا أن يفتح نفسه على الفكر العالمى والثقافة العالمية بحيث يكون متصلاً بآخر ما وصل اليه العصر فى ميدان تخصصه .

وهو أيضا مطالب بأن يحقق لنفسه عنصر الأمن والأمان المادى والمعنوى ، ولا يعرض نفسه للأذى .

بقى أن نذكر المهندسين النابهين المتفوقين من الذين إرتضوا النهج الإلهى مسلكا لحياتهم ، أن أجيال الأمة الصاعدة لتضع أمانة العلم والحضارة وإعمار الأرض على بصيرة فى أعناقكم ، فلا تفرطوا فى هذا الحق المقدس ، وهذا الواجب الذى يناديكم .

(٧) القانون الوضعى لمهنة الهندسة

★قسم المهندس

أقسم بالله العظيم أن أؤدى أعمال مهنتى بالأمانة والشرف وأن أحافظ على سر المهنة وكرامتها وأن أحترم قوانينها وتقاليدها

قواعد وآداب مزاولة المهنة

* لا يجوز للمهندس القيام بعمل يتنافى مع كرامة المهنة وتقاليدها وطبيعة عمله ، ولا يقبل ممارسته مهنته بأى شكل فيه مخالفة للمواصفات والقوانين والانظمة المعمول بها ، وعليه الإمتناع عن أى عمل لا يقتنع بسلامته وصحته الفنية ، أو اذا كان تنفيذه يؤدى إلى ضرر ، وعليه أن يقوم بعمله فيما يسند اليه من دراسات أو إدارة أو إشراف أو إستشارات أو تنفيذ بإخلاص وعلى مستوى أداء جيد .
* وعلى المهندس أن يكون صادقاً وأميناً فى جميع معاملاته ويبعد عن الحقد والتزوير والأخلاق الذميمة التى تسبب فى إحداث أضرار الغير.

* وعليه أن يهتم بجميع المجالات العامة ، ويحترم تراث مجتمعه الدينى والوطنى والثقافى ، ويساعد فى المحافظه عليه مع العمل على تحسين البيئة ومستوى المعيشه .

* ويجب أن يتسم السلوك المهنى للمهندس فى مجمله باعلاق شأن حقوق الإنسان مع التعامل على أساس المساواة والعدالة بين الجميع .

* ومن أهم الأمور المخالفة لكرامة المهنة : فيحظر تقديم عمولات أو هدايا أو خدمات مجانية بغية التأثير على قرار بشأن أى مشروع للهندسة فيه مصلحه ، وكذا يحظر عليه قبول أى مبالغ أو هدايا يقصد بها التأثير على قراره .

* وعليه ألا يقوم بأى إجراء من شأنه الإضرار بطريق مباشر أو غير مباشر بزملائه ، كما يجب أن يكون نقده لأعمالهم نقدا بناءً للصالح العام ، وأن يتقبل بنفس المفهوم النقد الذى يوجه لأعماله .

* يجب على المهندس عندما يكلف بأى عمل هندسى أن يكون مستشاراً فنياً مخلصاً لصاحب العمل حريصا على المشروع الهندسى الموكل اليه ، وأن يؤدى عمله المكلف به فى الوقت المحدد وبأسلوب يتم بالكفاءة ، وعليه أن يكون أمينا وصادقا ودقيقا وموضوعيا فى بياناته التى يصدرها نيابة عن صاحب العمل عندما يطلب منه ذلك مع احترامه لحق صاحب العمل فى ملكية وسرية بيانات مشروعه ، ولا يجوز له استخدام أو افشاء ما لديه من معلومات خاصة بأى مشروع دون الحصول على الموافقة الكتابية من صاحبه إلا فى حالة احتياج هذه المعلومات للصالح العام وحماية البيئة .

* على المهندس وخاصة عند الإشراف على تنفيذ أى مشروع هندسى أن يكون عادلا وغير متحيز فى تصرفاته وقصده بين أطراف التعاقد على أن يكون واجبه الأول هو الإخلاص للمشروع الموكل اليه لتنفيذه بالمستوى اللائق المطلوب .

* إذا تعرض المهندس لظروف هدفها تأدية عمل لا يقتنع بسلامته وصحته المهنية ، أو يؤدى تنفيذه إلى إضرار عام أو إخلال بواجبات وظيفته فى المحافظة على الصالح

العام او صالح الجمهور ، أو كان ذلك العمل مخالفا لكرامة المهنة أو الأنظمة والقوانين النافذة وعجز عن تلافى ذلك وجب عليه إعلام نقابته بتقرير مفصل لكى تتخذ الإجراءات الضرورية اللازمة .

* كما يحظر على المهندسين إنتهاج مسلك أو أسلوب ينطوى على تدليس أو إساءة متعمدة للغير ، وأن أى تصرف للمهندس . . تحول دون قيامه بالمهام التى أتتمن عليها يعرضه للمساءله حتى ولو لم يصدر هذا التصرف فى أثناء قيامه بمزاولة المهنة

* إذا علم أحد المهندسين أثناء مزاولة المهنة فى أحد المشروعات أن صاحب العمل قد إتخذ قرار مخالفا للرأى الفنى ويعرض سلامة المشروع للخطر ، فان على المهندس أن ينصح صاحب العمل بالعدول عن هذا القرار فان لم يقبل فعلى المهندس أن يرفض الإنصياع للقرار ، وان يبلغ الجهات المسئولة بذلك ليخلى مسئوليته .

* ويجب على المهندسين ألا يقدموا إستشاراتهم الفنية أو يساعدوا صاحب العمل بأى شكل على تصرف يعلمون بصفتهم مهندسين أنه غير مشروع أو ينطوى على تدليس .

* المعيار الأخلاقى : يجب أن يتسم المهندسون بالصراحة والصدق فى كافة علاقاتهم المهنيه .

* * *

المراجـــع

رقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر عام
١	منهج عمر بن الخطاب فى التشريع	دكتور محمد بلتاجى	مكتبة الشباب ١٩٩٨
٢	مكارم الأخلاقى فى القرآن الكريم	الفريق يحيى المعلمى	دار الاعتصام ١٩٨٦
٣	النظم الإسلامية	د.حسن وعلى ابراهيم	النهضة المصرية ١٩٧٠
٤	لغة الإدارة فى صدر الإسلام	عبد السميع سالم الهوارى	الهيئة المصرية للكتاب١٩٨٦
٥	عوامل النصر والهزيمة فى الإسلام.	شوقى أبو خليل	دار الفكر ١٩٧٩
٦	العالم الإسلامى اليوم.	د. عادل طه يونس	مكتبة ابن سينا ١٩٩٠
٧	مشكلة طابا بين الحاضر والماضى.	د. أحمد فؤاد متولى	مكتبة النهضة١٩٨٩
٨	جامع بيان العلم وفضله جزءا	ابن عبد البر الأندلسى	دار الفتح
٩	مع الله	محمد العزالى	دار القلم ١٩٨٩
١٠	من وح الإسلام والاحداث	د.عبد المنعم النمر	دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٣
١١	تاريخ الحضارة العربية الإسلامية	د.حكمت عبد الكريم	دار الشروق عمان ١٩٨٩
١٢	خلق المسلم	محمد الغزالى	دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣
١٣	الاخلاق فى الإسلام	محفوظ على عزام	دار الهداية ١٩٨٦
١٤	الإسلام فى عصر العلم	محمد أحمد الغمراوى	دار الانسان ١٩٩١
١٥	رأى الدين بين السائل والمجيب	د. محمد البهى	دار الفكر ١٩٧٠
١٦	الحلال والحرام فى الإسلام	د. يوسف القرضاوى	مكتبة وهبة ١٩٧٧
١٧	الرأسمالية الصناعية	د. عبد السلام عامر صبيح	الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٢
١٨	الفقه الميسر فى العبادات والمعاملات	احمد عيسى عاشور	مكتبة القرآن ١٩٨٤
١٩	إلى الشباب فى الدين والحياة	د. عبد المنعم النمر.	مؤسسة مختار
٢٠	الأحكام الشرعية للاعمال الطيبة	أحمد شرف الدين	المؤلف ١٩٨٧
٢١	مسيرة العالم الطويلة الى التشريع الإسلام	د. حافظ يوسف	المؤلف ١٩٩٧
٢٢	الوقت فى حياة المسلم	د. يوسف القرضاوى	دار الصحوة ١٩٨٤
٢٣	مسئولية الأطباء والجراحين فى التشريع	د. حسن ذكى الابراشى	الجامعات المصرية المؤلف
٢٤	طب القلوب (للإمام الغزالى)	محمود معوض	المؤلف ١٩٥٠
٢٥	السلوك الإجتماعى فى الإسلام	حسن أيوب	دار الندوة بيروت

تابع المراجــع

رقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر عام
٢٦	الإعلام والجهاد (الإسلامى والوضعى)	نور الحق إبراهيم	مكتبة الايمان المدينة ١٩٨٩
٢٧	الإيمان والحياة	د.يوسف القرضاوى	مكتبة وهبه ١٩٩٦
٢٨	نقل الأعضاء بين الطب والدين	د.مصطفى الذهبى	دار الحديث١٩٩٣
٢٩	مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية (١)	محمد الغزالى	دار الشروق ١٩٨٣
٣٠	كيف نحكم بالإسلام فى دولة عصرية	د.أحمد شوقى الفنجرى	الهيئه المصريه للكتاب.١٩٩٠
٣١	التوجيه الإسلامى فى التدريب الإدارى	فتحى محمد متولى	الهيئه المصريه للكتاب.١٩٩٠
٣٢	الإسلام ومشكلات العصر	على يوسف على	دار الفكر الخرطوم ١٩٨٥
٣٣	دراسة إسلامية فى العمل والعمال	لبيب السعيد	الهيئه المصريه للكتاب١٩٨٥
٣٤	اتجاهات فى دبلوماسية الدعوة الإسلامية	د.رءوف شلبى	المؤلف١٩٨٥
٣٥	عقيدة المسلم (١)	محمد الغزالى	دار الكتاب العربى١٩٥١
٣٦	قضايا إسلامية معاصرة	اقبال بركة	م.مدبولى ١٩٩٣
٣٧	العمل والجزاء والعدل الإلهى	محمد محمود اسماعيل	دار الندوة-
٣٨	الإمام الغزالى	د. احمد الشرباصى	دار الجيل بيروت١٩٧٩
٣٩	هذا ديننا	محمد الغزالى	دار الكتب الإسلامية ١٩٧٥
٤٠	مشكلات فى الحياة الإسلامية (٢)	محمد الغزالى	نهضة مصر١٩٩٦
٤١	هموم داعية	محمد الغزالى	دار الاعتصام ١٩٨٣
٤٢	قذائف الحق	محمد الغزالى	المكتبة العصرية ببيروت
٤٣	عقيدة المسلم (٢)	محمد الغزالى	دار القلم ١٩٧٩
٤٤	فقه السيرة	محمد الغزالى	دار الكتب الحديثة ١٩٧٦
٤٥	العمل فى الإسلام	محمد حسنى السيد	جمعية نشر الثقافة
٤٦	الدعوة الإسلامية علما وعملا	ابراهيم الدسوقى مرعى	المجلس الاعلى للشئون الإسلامية ١٩٨٧
٤٧	الشرطة والنضال الوطنى	مجموعة عمل من ضباط الشرطة	مؤسسة دار التعاون١٩٨٢
٤٨	الشرطة ومهامها فى الدولة الإسلامية	د. فاروق عبد السلام	دار الصحوة ١٩٨٧
٤٩	السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية	لابن تيميه (قصى الخطيب)	المطبعة السلفيه ١٩٦٦
٥٠	الأحكام الشرعية فى الأحوال الشرعية	عن مذهب ابى حنيفه	مكتبة صبيح بالأزهر ١٩٢٦

هذا بخلاف أغلب الصحف والمجلات الإسلامية

كلمة عرفان وتقدير

حين كنت أكتب مقدمة هذا الكتاب وماتلاها من مؤلف كانت تنتابني أحاسيس ومشاعر عدة لما عايشته في مسيرة الحياة من أحداث وخبرات ومعارف إكتسبتها ـــ ولله الحمد ـــ من مزامله الأفاضل من الأصدقاء من مختلف المهن.

فحين كنت أحاول أن اصف الإنسان المؤمن المسلم أستظل بذكريات عاينتها منهم، وكان لها الفضل في تبيان الذي كنت أبحث عنه وهم:

عبد المنعم خلاف (داعيه)، عبد الرحمن محسن (مستشار)، ممتاز نصار (محامي)، نور الدين فرغل (دبلوماسي)، أمين ميتكس (محافظ)، إبراهيم راشد (صحفي)، إبراهيم بدران (أ.د طبيب)، طلعت الإبراشي (أ.د عالم باحث)، سعيد فريد (صحفي)، سيد سحاب (أ.د جامعي)، أحمد مختار (أ.د عميد هندسة الأزهر)، محمد مخلوف (تاجر)، محمد عبد الحليم (موظف)، عبد السلام ليمونه (مستشار رئيس نيابة)، محمد المعلم (أديب وناشر) سعد الدين محمود التائه (كاتب)، محمد الحيوان (صحفي)، محمد ميتكيس (تاجر)،عبد المنعم الكومي (حرفي)، إسماعيل صالح (دكتور صيدلي)، هانى خلاف (سفير) حسين أبو زيد (لواء مهندس)، عبد العظيم أبو العطا (وزير)، أنور العبد (وكيل وزارة)، زكي منصور (لواء جنديه)، عزيز صدقى (د.رئيس وزراء)، مصطفي رفعت (لواء شرطة)، عثمان بدران (وزير)، يوسف عوف (كاتب فن)، عبد الواحد بصيلة (أ.د/ عميد طب الأزهر)، درويش فؤاد درويش (مهندس رئيس مجلس ادارة)، حسن فتحي (مهندس معماري)، عبد الرحيم ميتكس (مستورد ومصنع)، عبد الوهاب ميتكس (تاجر) سمير البشلاوي (لواء شرطة) ممدوح خلاف (لواء جندية)، .

لقد كانوا جميعا نعم القدوة كل في مهنته.

جزاهم الله خيرا وأطال في عمر من كل منهم حيا، وأجزل مثوبة من إختارهم الله منهم ... ونسأله أن يتقبل منا جميعا صالح الأعمال.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت ٦٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

تصفحت هذا الكتاب للأخ الصديق المهندس عباس
الحسيني فسرني وأسعدني ما وجدته فيه من علم وديني
مستنير يناسب العصر الذي نعيش فيه مع روح عصري
يوجه الشباب المثقفين إلى الاعتزاز بالإسلام والسعي
إلى نشره وسيادته على الأفكار والأخلاق بالإخلاص
والحمد لله عز وجل

جزاه الله بأحسن مثوبة

عبد المنعم محمد خلاف

هذا ما خطه الداعية الجليل المجدد الأستاذ/ عبدالمنعم خلاف الكاتب الإسلامى المعاصر عندما استعرض باكورة إصداراتى للموسوعة الإسلامية المبسطة «قراءات فى رحاب الإيمان» فكانت قوة دافعة ونبراسا لما تلاها من إصدارات.

رحم الله العالم الجليل إمام الدعاة
للشباب فى هذا العصر

عباس حسن الحسينى

تقديم فضيلة الشيخ محمد الغزالى عن الإصدارات السابقة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يشخص الطبيب مرضًا فيقول: إنه جاء من نقص "فيتامين" كذا أو من نقص عنصر كذا، وكلاهما لابد منه للجسم كي يصح وينمو! وما يصيب الأجسام من علل، يعرض مثله للشعوب والأمم فيعتريها الهزال أو الضعف بسبب فقدان شعبة من شعب الإيمان! والإيمان ليس عنصرًا واحدًا، إنه -كما جاء في السنة الشريفة- بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان...!! إن كل واحدة من هذه الشعب السبعين لها وظيفة تؤديها، أو ثمرة تنضجها، أو نتيجة تترتب عليها، فإذا انتقصت هذه الوظائف والنتائج تعرّى المجتمع من ضعف، ونجا من الأزمات والمتاعب.. ولا بد من الاعتراف بالوضع السيئ الذي تردت فيه أمتنا، وجعل الأمم تتداعى على تراثها، إن ألوانًا من العطب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي قد ألحت عليها وأعجزتها عن القيام برسالتها في هذه الحياة وعلى الدعاة أن يلتمسوا الطب لهذه الأدواء من كتاب ربها وسنة نبيها فقد تركت بها محجة سمحة وهي قادرة على استئناف السير إن تمسكت بآثارها واستيقنت الغاية منها فلا غرابة «يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين»

والأخ المهندس عباس السيسي رأى لزامًا عليه أن يشق هذا الطريق، فكتب ونقل ما كتب العلماء الثقات في النصح لأمتنا والوفاء بحقها، وكانت خطواته في رحاب الإيمان ميمونة موفقة. فلم يعرض فكره وحده، وإنما عرض معه جهود المخلصين من الهداة والمجتهدين فينا ولنا هذه الرحاب العقائد بأسلوب جديد قريب من العقل المعاصر، ما حولها من شبهات، وهوّن لما لدينا من حقائقه، ووضح أن الإسلام دستور الحياة كلها «ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين»، وقد عرج على قضايا الأسرة، ومشكلات الشباب، مستفيضًا على المعاملات والفضائل التي احتواها ديننا الحنيف، فجاءت كتاباته كما قال "موسوعة إسلامية مبسطة"

والمهندس الأستاذ عباس السيسي مدفوع بعاطفة جياشة من الإيمان العميق والإدراك المرهف، فإن الله أمد في عمره بعد ما يئس الأطباء، فلما جاء المدد الإلهي، وطال العمر بعد ما عجز الطب انطلق في دروب الحياة شاكرًا لأنعم الله ناشرًا لتعاليم الإسلام نافعًا المجاهدين بهذه القطوف الدانية من الكتاب والسنة، بارك الله في جهوده ورزقه الحسنى

محمد الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة حق

للأستاذ محمد على مخلوف

مما إطلعت عليه في هذا الكتاب عِلمًا أرجو أن ينتفع الناس به ، لأنه لا يحق أن يكون العلم إلا علما نافعا ، وإذا كان ضارا فهو ليس بعلم لأنه ضلال .

وإن كلمة العلم ونبعه الأصيل مستمد من الله سبحانه وتعالى : حين قال :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة/ ٣١) . . الأسماء هنا تشير إلى الوظائف التى تستمد من العلم .

والله سبحانه لم يضع الناسُ لرحمته إلا كل ما هو نافع ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (الرعد/ ١٧) . . وماسوى ذلك فإلى زوال .

وحين يتبع الناس العلم النافع وجب عليهم أن ينتفعوا به لأنه خير يساق إليهم ، وإلا إنطبق عليهم قوله تعالى : ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ (طه/ ١٢٤) . . ولو تأملنا فى هذا القول العظيم لوجدنا أن الله يعيب على من يساق إليه العلم النافع ولا ينتفع به بمن ضَنّ على نفسه من خير يساق إليه ، ووصفه بالأعمى لأنه لو تبصر لما ترك هذا الخير . . ومصداقا لقوله تعالى : حين يقول العبد لربه ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ (طه/ ١٢٥ - ١٢٦) . . فلم يظلمه الله لكنه أناله ما أختاره لنفسه من عمل فى الدينا ، وكان نصيبه العَمَى فى الأخرة نتيجة عدم تبصره .

من ذلك يتبين أن قمة العلم هو علم الله الشامل الكامل الذى ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ (فصلت/ ٤٢) . . فإذا تعرضنا لشبهات فى أمر من الأمور فلنردها لله ولرسوله فيأتينا الوضوح الكامل لم تبتغيه .

لذلك أرجو أن يكون هذا الكتاب الذى قدم إليكم فاتحة لمزيد من التفكير والتأمل لإعلاء كلمة الحق .

فهرس المهن

الإصدارات السابقة

«للمؤلف»

- الإلهيات «فى عظمة الله تعالى»
- دستور الحياة فى «الأخلاق والمعاملات»
- دستور النساء والأسرة
- دستور الشباب «فى قيمة وأنشطة»
- الفضائل فى القرآن الكريم «معجم مبسط»
- الحكم والمواعظ والأمثال فى القرآن الكريم
- الفضائل فى أحاديث الرسول (ﷺ)
- دستور المهن فى الاسلام
- نظرات فى الواقع الإسلامى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٥٣١/٢٠٠٠

I.S.B.N 977 - 01 - 6690 - 1



يبحث هذا الكتاب فى مهن: الولاية والحكم، والعلم والتعليم، والدعوة، والقضاء والمحاماة، والدبلوماسية، والجندية، والشرطة، والتوظف، والعمل والعمالة، والإعلام، والفن، والطب، والتجارة، والهندسة.

• يبعث تراثنا الخالد من مراقدة فى أسلوب وصيغة سهلة ميسرة شائقة تستخدم لغة العصر ومفرداته فى معالجة جوانب حياتنا المعاصرة من غير إنحراف ولا جمود ولا إسراف.

• يتناول جانب العمل (المهنة والتوظف) فى حياة المسلمين رعاة ورعية، حكاماً ومحكومين .. مستقاة من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والتابعين وجهود المخلصين من الهداه والمجتهدين المعاصرين .. بأسلوب جديد قريب من العقل المعاصر، ما حق لما جد من شبهات، وموثق لما لدينا من حقائق، وموضح أن الإسلام دستور الحياة.

• يعلن عظم شريعتنا الإسلامية الغراء فى كمالها وعمومها وشمولها جميع نواحى الحياة بالضبط والتنظيم والإرشاد والتوجيه إلى ما يكفل للناس صلاحهم فى الدنيا وحسن مآلهم فى الآخرة.

الخلاصة....

إن هذا الكتاب سوف ينتفع به إن شاء الله كل فئات المجتمع الإسلامى وخاصة القائمين على أمر هذه الأمة.

تفضل بتقديم هذا الكتاب الاساتذة الأجلاء: الدكتور/ أحمد عمر هاشم، والشيخ / سامى محمد متولى الشعراوى، والدكتور/ ابراهيم البطاوى.

١٢٥٠ قرشاً
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتا